أئمة علم الحديث النبوي

في بلاد ما وراء النهر

دراسة تاريخية

تأليف

الدكتور رمضان رمضان متولي



أئمة علم الحديث النبوي

في بلاد ما وراء النهر

دراسة تاريخية

متولى، رمضان رمضان.
أئمــة علم الحــديث النبــوى فى بلاد مــا وراء النهر: دراســة تاريخية/ رمضــان رمضــان متولى؛ راجع المادة العلمـيــة ووثق مـصــادرها العــربيــة والفارسية الدكتور/ السباعى محمد السباعى؛ تقديم: أحمد عمر هاشم.ــ ط.. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.
٥٦٠ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ١ ٢٧٥ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الحديث ـ تراجم الرواة
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٤٢٤١/ ٢٠١٠
I. S. B. N 978 - 977 - 421 -275 - 1
ديوى ٢٣٤,٦

الغلاف والإشراف الفنى
صبرى عبدالواحد

أئمة علم الحديث النبوي

في بلاد ما وراء النهر

دراسة تاريخية

تأليف

الدكتور رمضان رمضان متولى

راجع المادة العلمية ووثق مصادرها العربية والفارسية

الدكتور السباعي محمد السباعي

أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة

تقديم

الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

رئيس جامعة الأزهر السابق



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الحليمة الودودة الطيبة الصابرة

إلى زوجتى / **برلنتى**

حبا وودا وتقديرا

رمضان متولى

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ :

" إن لله عبادا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم ، أولئك الآمنون يوم القيامة " (١)

و

السيدة الفاضلة الأستاذة / **ميرفت عبد العزيز وكيل أول وزارة الثقافة** ممن حباهم الله وإختصهم بالسعى فى قضاء حوائج العباد حباً فى الله ومرضاة له... وهذا الكتاب ثمرة يانعة من ثمرات غرسها الطيب .. فلها ولأهلها منى ومن أهلى ومن المؤمنين العاملين بكتاب الله وسنة رسوله الكريم دعاء بالخير والصحة والسعادة وأن يجعل الله هذا الكتاب ونفعه وثوابه فى ميزان حسناتها وأن يزيدها من فضله ورضاه ومحبته إنه نعم المولى ونعم المجيب ....

المؤلف

د/ رمضان متولى

---

(١) هذا الحديث رواه الطبرانى فى الكبير (٣٥٨/١٢، وأبو نعيم فى الحلية ٢٢٥/٣)
نقلاً عن كتاب : قضاء الحوائج لابن أبى دنيا ص ٦٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فقد قيض الله سبحانه وتعالى لخدمة السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، رجالأحفاظًا فى كل جيل وفى كل زمان، ينفون عنها تحريف القالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ومن بين الجهود المخلصة هذا الكتاب الذى يقوم مؤلفه بإبراز دراسات علمية حول أئمة علم الحديث النبوى فى بلاد ما وراء النهر.

وهذه الدراسة التاريخية لها أهميتها فى توضيح حياة هؤلاء الأئمة، وكيف نذروا حياتهم لخدمة أشرف تراث فى الوجود، وكيف قدموا جهودًا تذكر فتشكر فى خدمة السنة النبوية المطهرة حفظًا وتدوينا وضبطًا وإتقانًا .

وكان لأئمة هذه المنطقة جهودهم العظيمة، وقد تناول المؤلف بلاد ما وراء النهر (الموقع والتضاريس والماضى الحضارى)، كما تناول التدوين الفعلى للسنة النبوية وطرق التدوين وسيرة شوامخ الأئمة من أمثال.

الدرامى السمرقندى، والبخارى، ومسلم، والترمذى، وأبوداود، وابن ماجه، والنسائى، وابن خزيمة، وابن حبان، والبيهقى.

وهم أئمة لهم جهودهم التى تذكر فتشكر فى خدمة البيت النبوى الشريف. وهى جهود لا يشق لها غبار فى مضمار خدمة الحديث النبوى الشريف.

وإذا كانت هذه الجهود قام بها أئمة من غير العرب فهذا يعطينا دلالة قاطعة، وبراهين ساطعة على أن للإسلام أثره العظيم فى بعث الهمم ودفع الطاقات

لخدمة سنة أطهر من مشى على الأرض، وخدمة الدين الحنيف. فجزى الله مؤلف الكتاب كل خير، ونفع به كل قارىء، ونسأل الله تعالى لنا وله ولوالدينا أن ينفعنا بعلوم ديننا وكتاب ربنا وسنة نبينا وأن يشفع فينا صاحب السنة النبوية عليه أفضل الصلاة والسلام...

الأستاذ الدكتور / **أحمد عمر هاشم**

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

رئيس جامعة الأزهر السابق

بسم الله الرحمن الرحيم

لوحة الشكر والتقدير والثناء والعرفان

- تتبوأ المقدمة والمنزلة السامية فيها بكل امتنان وثناء واحترام الأستاذة الدكتورة عفاف السيد زيدان العميد السابق لكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر وذلك تقديرًا وعرفانا لدورها الرائد وأستاذيتها العظيمة لأجيال عديدة من طلبة الدراسات الشرقية ، ولتفضلها علىَّ بالنصح والتوجيه والإرشاد والأبحاث فى مراحل إعداد هذا الكتاب .

- الدكتورة آمال سلامة الأستاذ بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر وذلك لتفضلها علىَّ ببحثها القيم عن مدينة نيسابور .

- أستاذى الفاضل الدكتور أحمد الخولى أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس وذلك لتفضله علىَّ بمؤلفاته ومراجعه وتوجيهى وإرشادى.

- ثم لزملائى وزميلاتى الأعزاء وتفضلهم علىَّ بأبحاثهم العلمية القيمة التى استفدت منها كثيرًا وكانت مصادر أساسية للعديد من فصول هذا الكتاب وهم:-

- رانية مصطفى سالم .　　　　- فتحية حلمى أمين .

- هويدا عبد المنعم .　　　　- جهيدة أبو جمعة .

- وشكرًا خاصًا للابنة الفاضلة الآنسة هالة حسين أمينة مكتبة كلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر .

- ولصديقى وجارى الدكتور أحمد السعيد المدرس بكلية اللغات والترجمة لمساعدته القيمة ومدى بالعديد من المراجع من مكتبته الخاصة .

- وإلى الأبناء الأعزاء الأستاذ سيد حافظ والأستاذ خالد محمد عبد الوهاب والأستاذ محمد هشام فاروق اللذين ساهموا وأشرفوا على كتابة النسخة الخطية على جهاز الكمبيوتر بصبر جميل وأدب جم وخلق رفيع.

والله أسأل أن يثيب هذه الصفوة من الأساتذة والزميلات العزيزات والأصدقاء الكرام بمنه وكرمه وعفوه وعافيته ، وأن يسبغ عليهم نعمه وفضله ...

المؤلف

د/ رمضان متولى

مقدمة المؤلف

حديثنا فى هذا الكتاب عن أئمة علم الحديث من أهل السنة دون سواهم من رواة الحديث وأئمته من الشعوب الإسلامية المؤمنة بكتاب الله والعاملة بسنة رسوله محمد ﷺ فى بلاد ما وراء النهر .

أما لماذا خصصنا هذا الكتاب للحديث عن علماء هذه المنطقة دون سواها من ربوع العالم الإسلامى فقد تذهب عنك الدهشة عزيزى القارئ حين أذكر لك أن مدينة واحدة من مئات مدن وقرى بلاد ما وراء النهر - نذكرها لك - على سبيل ضرب المثل كمدينة "بست" عَدَّ لنا ياقوت الحموى فى " معجمه " من بين سكانها ما يزيد على المائة محدث وفقيه من الفقهاء المشهود لهم بالكفاءة والعلم وتوخى الدقة والصدق والأمانة الشديدة فى رواية الحديث .. وقد تزول دهشتك نهائيًا - حينما تعلم أن أحدهم وهو أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعد بن شهيد التميمى الدارمى البستى المعروف بـ إبن حبان " قد سمع وجاور ولزم وتتلمذ على ألفى شيخ وذلك طبقًا لما صرح به فى كتابه : "التقاسيم والأنواع "، فقال : لقد كتبنا عن أكثر من ألفى شيخ من أسبيجاب إلى الإسكندرية "وعَلَّق الشيخ الذهبى على ذلك بقوله: "كذا فلتكن الهمم" ، ويذكر لنا الشيخ الذهبى فى حديثه عن سيرة إبن حبان بأن له معرفة واسعة فى علم الفقه وأبدع أيضا فى علم العربية وعلم الطب والنجوم وغيرها. وقال عنه ياقوت فى "معجمه" : "كان مكثرا فى الحديث والرحلة والشيوخ عالمًا بالمتون والأسانيد أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ، ومن تأمل تصانيفه - تأمل منصف - علم أن الرجل كان بحرا فى العلوم وصارت تصانيفه عُدَّةً لأصحاب الحديث "(١).

ويكفى فخرًا أن يكون فى المقدمة من هؤلاء الصفوة الكرام البررة : إمامًا ومحدثا وراويًا وفقيهًا ودرة أهل السنة فى عصره: الشيخ محمد بن إسماعيل بن

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤١٥.

إبراهيم البخارى صاحب كتاب "الصحيح" الذى حوى بين دفتيه ما يقرب من سبعة آلاف حديث إختارها من بين ستمائة ألف حديث واختار لها إسم: "الجامع المسند المختصر من أمور رسول الله وسنته وأيامه "ليكون عنوانا لأصح وأصدق كتاب بعد كتاب الله عز وجل والمشهور والمعروف بـ " صحيح البخارى" والذى قال عنه إبن خزيمة : ما رأيت تحت السماء أعلم بحديث رسول الله من محمد بن إسماعيل البخارى . وكان من تلاميذه النجباء وأقرانه الأوفياء ممن سيرد ذكرهم والحديث عنهم - فى فصول هذا الكتاب : الأئمة الكرام : مسلم والترمذى والنسائى وسليمان بن داود السجستانى وابن ماجه وغيرهم .. وكتبهم مراجع ومصادر أساسية للسنة النبوية وللعاملين بها وللسائرين على دربها القويم ، يثقون ويؤمنون بما جاء فيها ويبنون عليها قاعدتهم فى التوحيد والفروع والتفسير وما يجرى فى فلكها من علوم ومعارف خلال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية المباركة .

وهى تعرف بالصحاح الستة، ويطلق على مُصَنَّفَىْ البخارى ومسلم : الصحيحين ، وعلى الكتب الأربعة التالية : السنة .. وبعد هذه الكتب ألَّف علماءُ ذوو أصول وبيئات أعجمية عشرات الكتب فى مجال الحديث النبوى بأسماء المسند والمستدرك والمستخرج .

هذا .. وتضم هذه الكوكبة المباركة والصفوة المختارة محدثين آخرين سنذكر منهم إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة والذى تزيد مصنفاته على مائة وأربعين كتابًا سوى "المسائل" التى تقع فى أكثر من مائة جزء ، وكذلك منهم " أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقى المعروف بشيخ خراسان النيسابورى "؛ والذى تزيد مؤلفاته فى علوم الفقه على العشرين مؤلفًا .. ثم هناك الإمام أبو محمد بن عبدالله الدارمى السمرقندى .

ولهؤلاء تلاميذ محدثون عنهم ذاع صيتهم وعلمهم وفضلهم ومؤلفاتهم بين أمم الأرض سأحدثك إنشاء الله تعالى - عن هؤلاء وسيرهم الذاتية وجهادهم فى

طلب العلم وجمع الحديث وتصنيفه وتبويبه وشرحه وإذاعته بين الناس فى مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف المكان وتتابع الأزمان ، كما سأحدثك عن مواطنهم وكيف ومتى أعزها الله بالإسلام وحرر أهلها من رق العبودية وذل الإنكسار والهوان من حكم آل ساسان ، فحطم أصنامهم وأطفأ نيرانهم وأصبحت بلادهم - بفضل إيمانهم بالله العزيز الحكيم وقرآنه الكريم وسنة نبيه - مراكز ومنارات مضيئة للحضارة الإسلامية حتى صح فيهم ما رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال من أبناء فارس ، وفى رواية ثانية قال أبو هريرة كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال رجل: منْ هؤلاء يارسول الله ؟ ، فلم يراجعه النبى حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا فقال وفينا سلمان الفارسى ، قال فوضع النبى يده على سلمان ثم قال لو كان الإيمان بالثريا لناله رجل مِنْ هؤلاء ، هذا لفظ مسلم ولفظ الترمذى ، والذى نفسى بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجل من هؤلاء[1].

كما سأحدثك _ بتوفيق الله وإذنه عن الحديث النبوى : جمعه وتدوينه وموقف الخلفاء الراشدين من قضية التدوين مرورًا بالدولتين الأموية والعباسية ، كما سأحدثك عن علم الحديث وقواعده وأصوله وفروعه ومصطلحه ... وفى ذلك كله تذكير لك بماضى هذه البلاد وتاريخها الحضارى وثقافة وعلم أهلها وتمسكهم بأهداب الشريعة الإسلامية الغراء .

أدعو الله أن يوفقنى ويرضى عنى ويظلنى بظله يوم لا ظل إلا ظله إنه نعم المولى ونعم النصير وعليه قصد السبيل .....

المؤلف

د/ رمضان متولى

---

(١) انظر سنن الترمذى ٥/٦/٨٦/٣٨١ .

الباب الأول

الفصل الأول

«بلاد ما وراء النهر .. الموقع والتضاريس والماضى الحضارى»

راعيت فى هذا الفصل من الكتاب أن تكون المعلومات الواردة عن مواطن المحدثين مطابقة لما ورد عنها فى العديد من المصادر العربية القديمة منقبا فيها وناقلا منها ما يتعلق بدراسة أحوال وتضاريس هذه البلاد كما رأيت لزاما علىّ أن أعود إلى تلك الأصول نفسها فأنقل منها النصوص بالحرف الواحد وانتقى من ألفاظ الحضارة والعمران ومن تعابير تلك المصادر ما يطابق سياق الدراسة وينسجم مع أسلوب المصنفين الأقدمين حول هذه البلاد ، كما دعمت هذا الفصل بخرائط توضيحية من كتاب "بلدان الخلافة الشرقية"(١).

أما النهر المراد الحديث عنه فهو نهر جيحون وقد أفرد له المؤرخون صفحات عديدة من كتبهم للحديث عنه والتعريف به .

ويعتبرونه الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أى إيران وتوران ، فما كان فى شماله ، أى ورائه من أقاليم سماها العرب ما وراء النهر(٢): وهو نهر جيحون .. أما عن أصل تسميته ، فجيحون إسم أعجمى هو من جاحة إذا استأصله ومنه الخطوب الجوانح وقد سمى بذلك لاجتياحه الأرضين .

وأصل الاسم بالفارسية هرون وهو اسم لوادى خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان فنسبه الناس اليها وقالوا جيحون على عادتهم فى قلب الألفاظ .

---

(١) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية: ت بشير فرنسيس: بغداد ١٣٧٣هـ .

(٢) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٦.

وفى القرون الوسطى أطلق العرب على نهر أكسس Oxus ونهر جكزرتس Jaxartes جيحون وسيحون على ولاء [1] وهما كدجلة والفرات يعدان من أنهار الجنة، ويبدو أن العرب قد اقتبسوا الاسمين من اليهود ، فجيحون وسيحون ليسا الا صورتين مصحفتين لأسمى النهرين المذكورين فى سفر التكوين (٢ : ١١، ١٣) جيحون (كيحون) Ghon وفيشون (بيسون) Pison وقد حرف هذان الاسمان تحريفا طفيفا الى سيحان وجيحان .

ويذكر بارتولد أن جيحون اسم آرى قديم هو فخشوار و كشور هو اسم أحد روافده وخشن " مما يؤكد أن هذا الرافض كان يعد فى تلك الفترة واحدًا من الأعمدة الرئيسية للنهر[2] .

أما الإصطخرى فيصفه بقوله : فأما جيحون فان عموده نهر يعرف بجرياب يخرج من بلاد ترخاب فى حدود بدخشان وينضم اليه أنهار فى حدود الختل ولوخش فيصير من تلك الأنهار هذا النهر العظيم[3].. ويصفه المقدسى بقوله : هذا نهر يشق الاقليم ويفيض فى بحيرة خوارزم وعليه كور جليلة ومدن ويتشعب منه أنهار كثيرة [4] وقد سماه الاغريق : أكسوس وسماه العرب جيحون وبلخ [5].. ويصفه المسعودى بقوله : وأما نهر بلخ الذى يسمونه جيحون فانه يخرج من عيون تجرى حتى تأتى بلاد خوارزم ومقدار جريانه على وجه الأرض نحو خمسين ومائة فرسخ من مبدأ نهر الترك وهو إيفان وقيل أربعمائة فرسخ .. وقد اجتاز قبل ذلك بلاد الترمذ واسفرائين وغيرها من بلاد خراسان ، فاذا أورد الى بلاد خوارزم تفرق فى مواضع هناك ويمضى باقيه فيصب فى البحيرة التى عليها القرية المعروفة بالجرجانية أسفل خوارزم . وليس فى ذلك الصقع أكبر من هذه

---

(١) المرجع السابق: ص ٤٤٧ .

(٢) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ت صلاح عثمان ص١٤٦.

(٣) الإصطخرى: مسالك الممالك ص٢٨٧ : ليدن ١٩٣٧م.

(٤) المقدسى: أحسن التقاسيم : ص ٣٢٢ القاهرة ١٩٩١م.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١: مادة آمد.

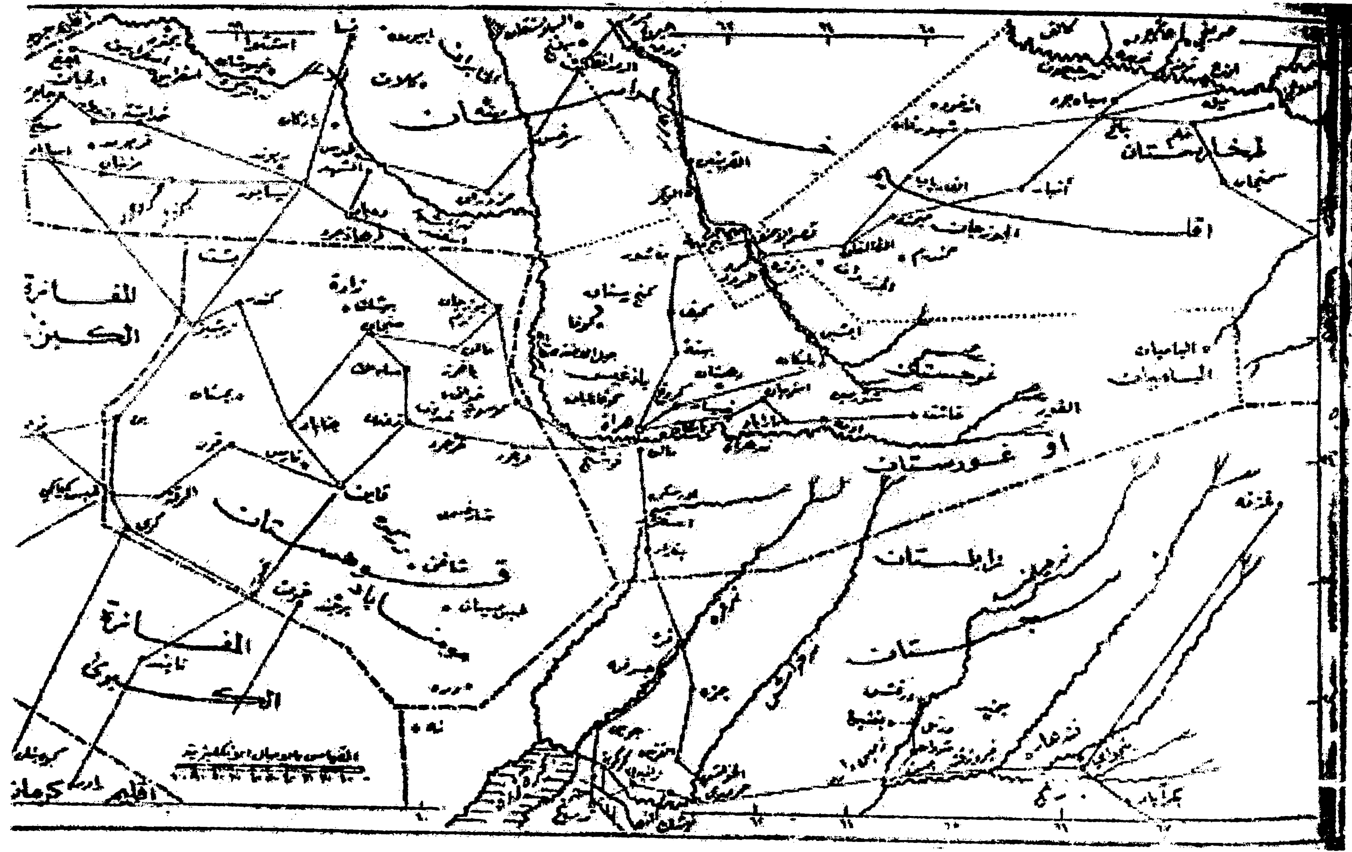
البحيرة [1] ويقال : أنه ليست فى العمران بحيرة أكبر منها لأن طولها مسيرة شهر فى نحو ذلك من العرض تجرى فيها السفن واليها يصب نهر فرغانه والشاش ويمر ببلاد الفاراب فى مدينة جديس وتجرى فيه السفن إلى هذه البحيرة ..

وأما عن تضاريس وادى جيحون فيصفها الإصطخرى بقوله : وادى جيحون ربما يجمد فى الشتاء حتى يعبر عليه بالاثقال ويبدأ جموده من ناحية خوارزم متى يعلو الى حيث انتهى الجمد ، وأبرد ما على جيحون من البقاع خوارزم - وعلى شط بحيرة خوارزم جبل جغراغز يجمد عنده الماء حتى يبقى الى الصيف وهو أجمة قصباء[2] ودور هذه البحيرة من مائة فرسخ وماؤها مالح وليس لها مغيض ظاهر ويقع فيها نهر جيحون ونهر الشاش وأنهار غيرهما . وأما ما وراء النهر فيحيط به من شرقيه فامر وراشت وما يتاخم الختل من أرض الهند على خط مستقيم وغربيه بلاد الغزية والخزلجيه حتى ينتهى إلى فاراب وبيكند وسغد سمرقند ونواحى بخارى الى خوارزم حتى ينتهى الى بحيرتها وشماله الترك الخزلجيه من أقصى بلاد فرغانة الى الطراز على خط مستقيم وجنوبيه نهر جيحون من لدن بدخشان الى بحيرة خوارزم على خط مستقيم وخوارزم مدينتها ما وراء النهر ... وليس ببلاد ما وراء النهر مكان يخلو من مدن أو قرى أو مراع لسائمة ، وليس شئ لابد للناس منه الا عندهم منه ما يقيم أودهم ويبقى عندهم لغيرهم.. وأما طعامهم فمن السعة والكثرة.. ومياههم أعذب المياه وأخفها .. وقد عمت المياه العذبة جبالها وضواحيها.. ولذا فان هذه المنطقة من أخصب أقاليم بلاد الإسلام وأنزهها وأكثرها خيرًا.. وأما عن طبيعية البشر فان أهل هذه البلاد يرجعون الى رغبة فى الخير واستجابة لمن دعاهم وسماحة بما ملكت أيديهم[3] وكأنهم فى دار واحدة ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه رحل داخل دار نفسه. لا يجد

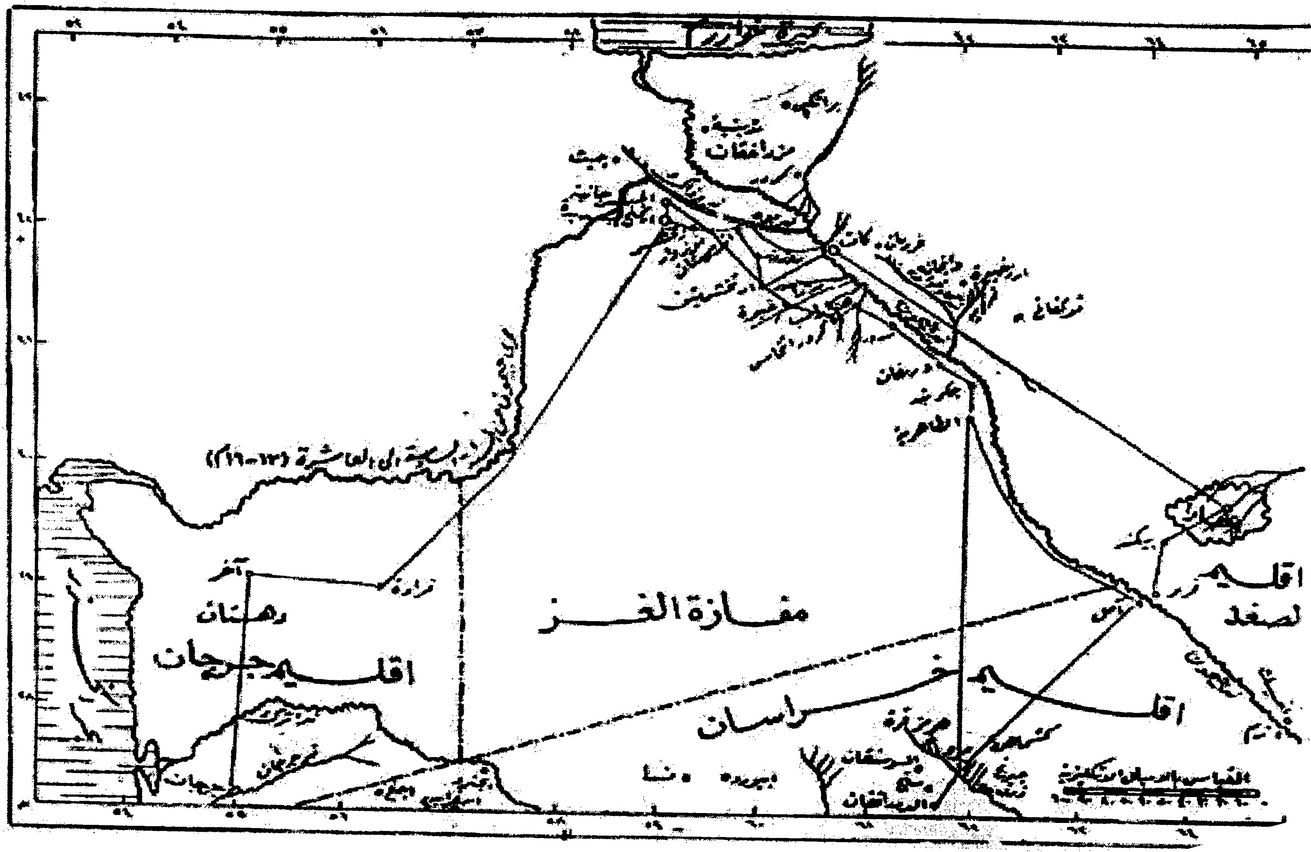
(١) المسعودى: مروج الذهب : ص ٧٦ : القاهرة ١٩٦٦م .
(٢) الإصطخرى: مسالك الممالك: ص ٢٨٧. ليدن ١٩٣٧ .
(٣) الإصطخرى: مسالك الممالك ص ٢٨٧.

المضيف من طارق فى نفسه كراهة بل يستفرغ مجهوده فى إقامة أوده من غير معرفة تقدمت ولا توقع مكافأة بل إعتقاد للسماحة فى أموالهم وهمة كل أمرئ منهم على قدره فيما ملكت يده من القيام على نفسه ومن يطرقه . وبحسبك أنك لا تجد فيهم صاحب صنيعة إلا كانت همته ابتناء قصر فسيح ومنزل للأضياف فتراه عامة دهره متأنقا فى إعداد ما يصلح لمن طرقه فإذا حل بينهم طارق تنافسوا بينهم حول استضافته والترحيب به . كما تلاحظ أن السمة الغالبة على أثرياء هذه البلاد الصرف من أموالهم على عمارة الطرق وسبل الجهاد وأوجه الخير .

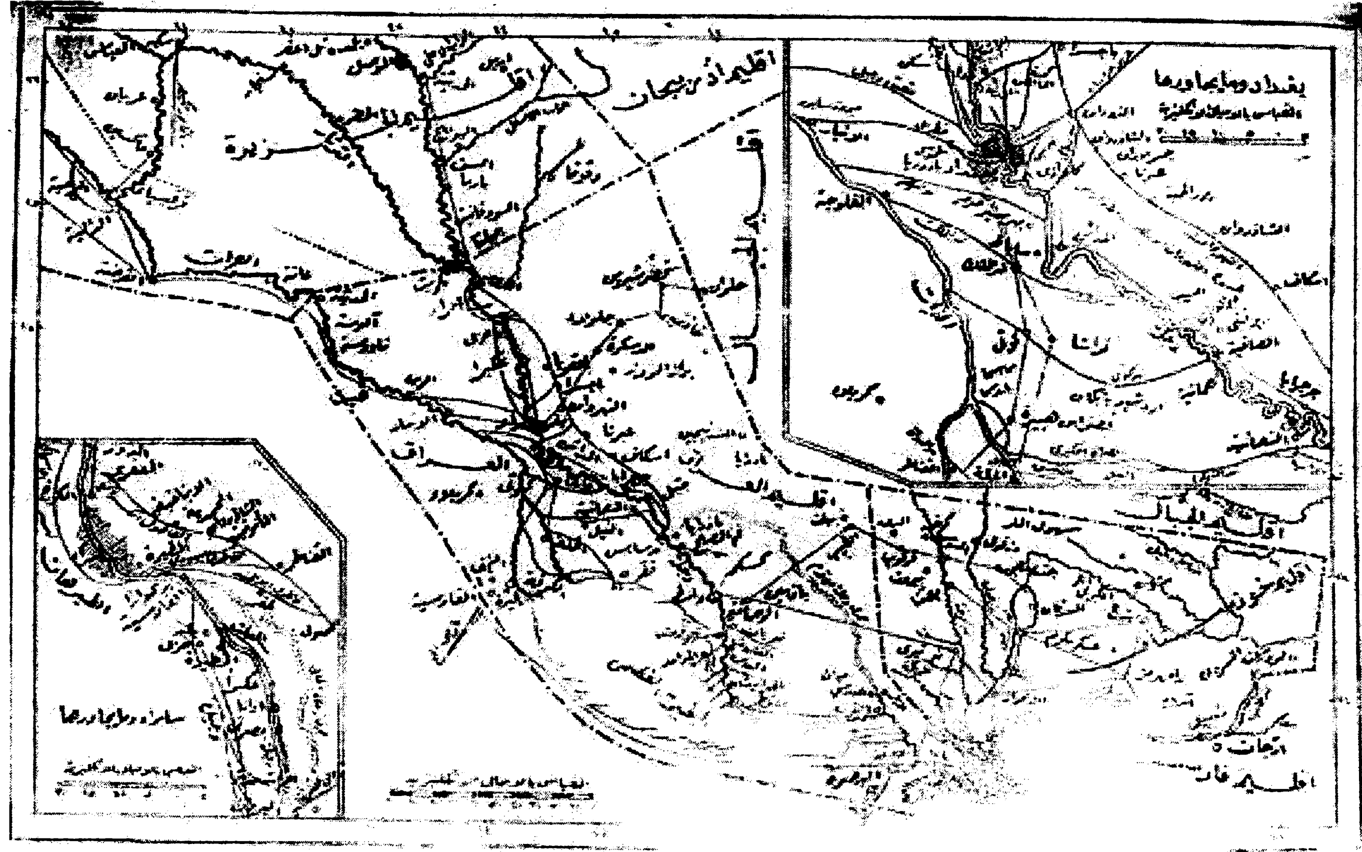
وأما عن قوتهم وصلابتهم وشدتهم فهم فى مقدمة الشعوب والأمم الإسلامية فى تقدم الصفوف لنصرة الإسلام والمسلمين ذلك أن حدود ما وراء النهر دائما فى استعداد دائم للنضال والجهاد والرد عن حصون الإسلام ومقدساته .



اقليما خراسان وقوهستان، مع قسم من اقليم سجستان



أقاليم خوارزم



إقليم العراق وخوزستان مع قسم من أقاليم الجزيرة

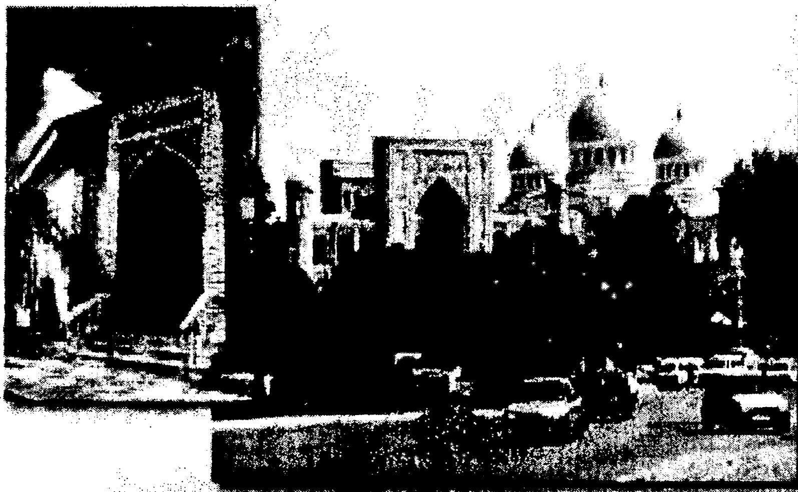
آقاليم آسيا الجنوبية الغربية فى أيام الخلافة العباسية

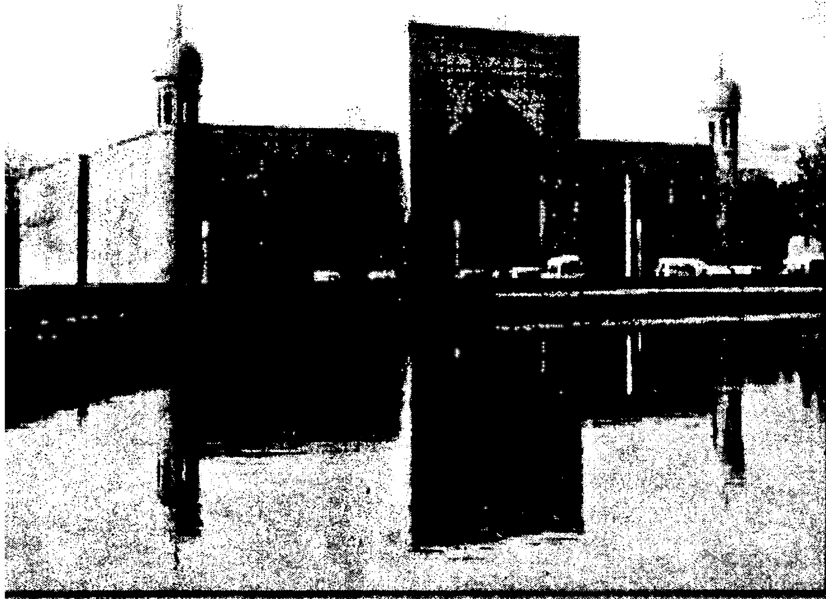
الفصل الثانى

مواطن المحدثين

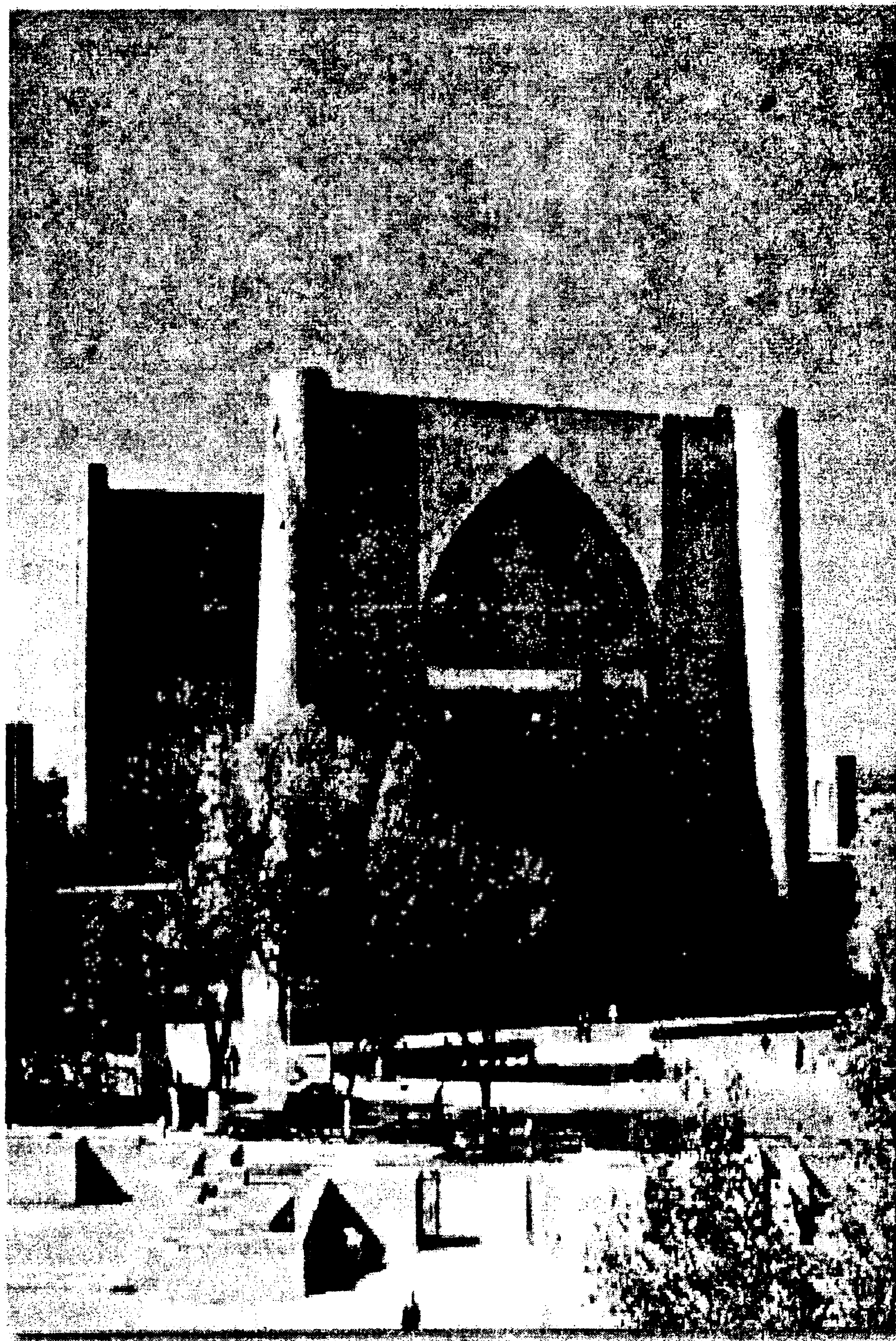
أولا:

مدينة سمرقند





معالم مدينة سمرقند الحديثة



معلم من معالم سمرقند.

أولاً :

اسم سمرقند :

بفتح أوله وثانية ورابعه، ويقال لها بالعربية أحيانا سمرات[١] بلد معروف مشهور قيل أنه من أبنية ذى القرنين فى ما وراء النهر وهو قصبة الصغد، مبنية على جنوب وادى الصغد[٢] مرتفعة عالية وكما يقول الجغرافيون العرب - تقع فى الاقليم الرابع، يبلغ طولها تسعا وثمانين درجة ونصف الدرجة وعرضها ست وثلاثون درجة ونصف الدرجة.

بناها شمر كرب فسميت " شمر كنت " وعربت فقيل " سمرقند " وهكذا تلفظ العرب فى كلامهم وأشعارهم. وذكر بعضهم أنها مرقندة القديمة، وهى مدينة مسورة فى آسيا الوسطى وكانت قديما تابعة لبخارى.. وكان الصينيون يدعونها "نش"، كما ذكرت فى كتب أخرى باسم " مرقندة قاعدة الصغد " [٣].

وذكر الطبرى فى " تاريخه " أن " ثمر " اسم ملك و " كند " اسم جماعة من الترك، وعلى ذلك قالوا " ثمر كند "وقد ورد فى" برهان قاطع أن "ثمر" اسم شخص معاد فى هذه المدينة، وبناء على ذلك كانوا يسمون هذه المدينة - فى البداية - باسم " ثمر كينت " ولما فتح قتيبة ابن مسلم مدينة سمرقند قالوا : "ثمر قند"[٤].

---

(١) سمرات : بلفظ جمع أسمر وآخره نون : قال الخوارزمى هو اسم سمرقند بالعربية.

(٢) الصغد : بضم أوله وسكون ثانيه وآخره ودال مهملة : ناحية كثيرة المياه نفرة الأشجار متجاوبة الأطيار، موفقة الرياض والأزهار ملتفة الأغصان، خضرة الجنان، تمتد مسيرة خمسة أيام، لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وبها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند.

ياقوت الحموى : معجم البلدان : ج٥ : ص٣٦٢. وتكتب فى بغض المراجع العربية بالسين.

وكان هذا الاقليم يشمل الأراضى الخصبة بين نهرى جيحون وسيحون وكانت يشقها مياه نهرين هما "زرافشان" أى نهر الصغد، وعليه كانت تقوم سمرقند وبخارى والنهر المنساب حيال مدينتى كش ونسف.. وبلاد الصغد هى : كرمانية ودبوس وأسر وشنه والشاش وسمرقند ونخشب واستروكت وسام سرك وبنكت، نوكث، نوشكت، ونكت وسيج وتونكت.

(٣) البستانى : دائرة المعارف. ج١ : ص٤٨. طبع بيروت.

(٤) ابو طاهر خواجه السمرقندى : سمريه، ص١٦، طهران ١٩٠٤م.

وجاء فى كتاب "المسالك والممالك" [1] أن "ثمر باقر " اسم لملك جاء من أطراف فرغانة، وملك كاشغر الى هذه المدينة وحدثت بينهما خصومة قام على أثرها باقتلاع حوائط هذه المدينة فوضعوا اسم "ثمر كند"[2] لهذه المدينة.

وهناك رأى آخر إن "شمر كند" مدينة معروفة ومعنى ذلك أن "شمر" اسم المدينة وأن " كند" أو " كنت" فى لغة سكان ما وراء النهر بمعنى مدينة أو قرية فعربت فقيل "سمرقند"[3].. وورد فى "غياث اللغات" أن "سمرقند" معرب "سمر كند"[4]

ويذكر بعض المؤرخين أن " شمر " اسم لأحد ملوك اليمن وكان قد هدم المدينة وخربها وبناء على ذلك قالوا " شمر كند " وبمرور الأيام عربت إلى "سمرقند".

ونخرج من ذلك كله أن "سمرقند" كانت كيانا جغرافيا حقيقيا وقائما قبل الإسلام وأنها كانت موضع اهتمام علماء التاريخ والجغرافيا.

ثانيا :

بانى سمرقند :

تعد سمرقند واحدة من أقدم المدن فى آسيا الوسطى يدل على ذلك آثارها التاريخية الموجودة فى تلك الفترة " القرن الثالث والرابع قبل الميلاد " وتتعدد الروايات حول بانى هذه المدينة، فيقال إن الاسكندر المقدونى هو أول من قام ببنائها واستولى عليها ملوك الطوائف المقدونية ببلخ، ثم الاشكانيون، الى أن دخل أهلها[5] فى دين الله " الاسلام " وحاصرها والى خراسان سعيد بن عثمان ٥٥هـ/٦٧٤م.

---

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك : ص٢٦١ ، ليدن ١٩٣٨م .

(٢) هفت اقليم : أمين الرازى . مخطوط بجامعة القاهرة رقم ٥٩٣ .

(٣) أحمد رنجير : مقالات وبر رسيها : ص٢٤٢ . طهران .

(٤) جلال الدين محمد بن غياث الدين : منتخب اللغات ، ص٣٥٢ – الهند .

(٥) شمس الدين سامى :– قاموس الاعلام : ج٤ ص٢٦٢٨ . استانبول .

ويذكر القزوينى فى كتابه " آثار البلاد وأخبار العباد "[1] أن " كيكاوس بن كيقباد " كان أول من بنى قلعة سمرقند، بينما يذكر ابن حوقل أن ملك تبع[2] هو أول من بنى سمرقند وأن الإسكندر الأكبر قام بإكمال هذا البناء[3].

ثالثا :

موقع سمرقند :

تقع مدينة سمرقند فى أعلى النهر على بعد (١٥٠ ميلا) شرقى مدينة بخارى، على مسافة قصيرة من ضفة نهر السغد الجنوبية على نشز من الأرض وهى مبنية على شاطئ واد يعرف بوادى القصار.

وهى واقعة فى ٣٩ درجة، ٤٠ دقيقة من العرض الشمالى ٦٧ درجة، ١٨ دقيقة من الطول الشرقى، وهى قائمة فى وادى زرافشان على بعد أربعة أميال إلى شرقى نهر زرافشان وعلى بعد سبعة كيلومترات جنوبى نهر زرافشان[4].

وعلى المدينة سور حوله خندق عميق، ولها قلعة مرتفعة عن الأرض وفى أسفلها قرب النهر أرباض كبيرة تحف بها البساتين والأنهار[5].

وتتميز سمرقند بموقعها الجغرافى الفريد نظرا لوجودها فى ملتقى الطرق التجارية القادمة من الهند مارة ببلخ، ومن إيران مارة بمرو ومن أراضى الترك[6].

ويقال إن سمرقند فى جمال موقعها وما يحيط بها من مروج تعد أحسن مدن تركستان وأوفرها ثروة[7].

---

(١) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد : ص٥٣٥ ، بيروت ١٩٦٠م .

(٢) لقب ملوك اليمن .

(٣) ابن خرداذبه : المسالك والممالك : ص٢٦٧ .

(٤) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية . الترجمة العربية ص٥٠٦ - بغداد ١٢٧٣هـ .

(٥) لسترنج : ص٥٠٧ .

(٦) بارتولد : تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى : تحقيق صلاح عثمان ص١٧٠ ، الكويت ١٩٨١م .

(٧) البستانى : دائرة المعارف : ج١٠ ص٤٩ .

رابعًا :

مناخ سمرقند :

يتسم مناخ سمرقند بالاعتدال طوال أيام العام، فجوها صحو وجميل طوال الفصول الأربعة، يوصف بأنه منعش وجميل ويبعث على الحيوية والنشاط، خاصة فصل الربيع الذى تبدو فيه سمرقند كجنة من جنان الأرض حتى قالوا إن سمرقند صنو الفردوس.. صحيح أن شتاء سمرقند بارد لكنها برودة تعد مصدرا للصحة والحيوية والاقبال على العمل. وفى أطراف صحاريها تنمو آلاف الأنواع من الزهور اليانعة والورود والرياض المزهرة الجميلة.

أما تربة سمرقند فهى تربة خصبة تنمو بها كل خيرات الله من زروع وفواكه وغلات وحاصلات مثمرة ومصادر رزق وخير لأهلها...

خامسًا :

جغرافيا المدينة :

سمرقند هى المدينة المحفوظة[١] قصبة بلاد الصغد و حاضرته[٢] وكانت بلاد الصغد تسمى قديما صغديانا وهى تشمل الأراضى الخصيبة فيما بين نهرى سيحون وجيحون[٣].

ومدينة سمرقند تقوم على الضفة الجنوبية لنهر الصغد[٤] فى وادى زرفشان الخصيب[٥].

---

(١) بابر نامه ص٢٩ (فارسى).

(٢) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبى الفدا : تقويم البلدان : ص٤٨٥ (باريس ١٨٤٠م)، آثار البلاد وأخبار العباد الإمام زكريا بن محمد القزوينى ص٥٣٥ (دار صادر بيروت) .

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ص٥٠٣ (بغداد ١٩٥٤م) .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ج١٢ ص١٩٨ .

(٥) دائرة المعارف للبستانى ص٤٩ .

وتحتل سمرقند موقعا متميزا فى بلاد ما وراء النهر ففى شرق سمرقند تقع فرغانة وكاشغر وفى الغرب تقع بخارى وخوارزم وفى الشمال تقع الشاش وبناكت وفى الجنوب تقع بلخ وترمذ(١).

وعلى ثلاثة مراحل منها مفرق طريقين أحدهما إلى الشاش والآخر إلى فرغانة(٢).

طولها تسع وثمانون درجة ونصف وعرضها ست وثلاثون درجة ونصف(٣).

موقعها فى نحو ٢٩,٤ من العرض الشمالى، ٦٧,١٨ من الطول الشرقى(٤).

سادسا :

وصف المدينة :

مدينة سمرقند من أجل البلدان وأعظمها قدرا وأشدها امتناعا وأكثرها رجالاً، وأشدها بطلا وأصبرها محاربا(٥) وهى مدينة لها شوارع ومجالات متسعة ومبان وقصور سامية وفنادق وحمامات وخانات وعليها سور تراب منيع يحيط بها خندق وهى كثيرة الخصب والنعم والفواكه(٦). وأهل سمرقند لهم مكارم أخلاق ومحبة فى الغريب(٧).

وقد ذكر الجغرافيون المسلمون(٨) أن مدينة سمرقند كانت تتكون من الأقسام الآتية:

---

(1) ZahiRd-din Mohammad BadAr-The Babar-Nama Translated by Annette Susannah P.76.

(٢) أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خرداذبه : المسالك والممالك ص٢٠٦ (طبعة ليدن ١٨٨٩م).

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج٣ ص٢٤٧ (بيروت ١٩٥٧م) .

(٤) البستانى : دائرة المعارف ص٤٩ .

(٥) أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبى المتوفى عام ٢٨٤هـ ص٤٩٣ داخل الكتاب أبى على أحمد بن عمر بن رسته : " الأعلاق النفيسة " : المجلد السابع (طبعة ليدن ١٩٨١م).

(٦) الشريف الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق : المجلد الأول ص٤٩٧ .

(٧) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار :ج١ ص٣١٤ (القاهرة ١٩٣٤م) .

(٨) أبو بكر بن محمد الهمدانى المعروف بابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان : ص٣٢٢ ، الإصطخرى : المسالك والممالك : تحقيق الدكتور محمد جابر الحينى : ص١٧٧ ، ١٧٨.

أبو القاسم بن حوقل النصيبى : صورة الأرض : القسم الثالث ص٤٩٢ ، المقدسى البشارى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص٢٧٨ .

(١) القلعة أو الحصن (كهندز).

(٢) المدينة (شهرستان أو شارستان).

(٣) الرَّبَض[١].

وللمدينة سور وأربعة أبواب هى :

(١) باب الصين فى جهة المشرق.

(٢) باب النوبهار فى جهة المغرب.

(٣) باب بخارى فى جهة الشمال.

(٤) باب كش فى جهة الجنوب.

غير أن باب النوبهار وباب بخارى يسميان باب الحديد وباب أسروشنة عند ابن الفقيه الهمدانى.

وسور الريض به ثمانية أبواب هى[٢] :

(١) باب غداود.

(٢) باب أسبسك.

(٣) باب سوخشين.

(٤) باب أفشينه.

(٥) باب ورسنين.

(٦) باب كوهك.

(٧) باب رودد.

(٨) باب فرحليد.

---

(١) وتقوم فى هذه الأرباض معظم الأسواق والخانات ومخازن السلع التى تندر وجودها فى المدينة ذاتها . وكانت تقوم فى المدينة نفسها دواوين الحكومة السامانية والمسجد الجامع. (دائرة المعارف الإسلامية ج١٢ ص١، ٢)

(٢) بعد فضل الله وكرمه يعود الفضل فى المادة العلمية لهذه المدينة إلى البحث القيم لأستاذتى د/ عفاف زيدان عن سمرقند - ثم إلى رسالة الماجستير للزميله آمال حمزة وعنوانها " سمرقند فى الشعر الفارسى حتى دولة المغول والتيمورين فلهما جزيل الشكر وعظيم الامتنان . المؤلف .

غير أن ابن الفقيه الهمدانى يقول إن سور الربض به اثنا عشر بابا وتبعه فى ذلك ياقوت الحموى[1] يعنى بزيادة أربعة أبواب عما ذكر غيره من الجغرافيين، وفيما يبدو أن الأبواب الأربعة كانت قد تهدمت أو اندثرت حينما زارها الإصطخرى وابن حوقل. ويذكر ابن الفقيه الهمدانى أن استدارة حائطها كانت اثنى عشر فرسخا وأن المسافة من الباب إلى الباب كانت فرسخا، وعلى أعلى الحائط آزاج وأبراج للحرب، والأبواب الإثنا عشر من خشب وهما مصراعان، وفى أقصى السور بابان آخران وبين البابين منزل للبواب، وعلى القلعة باب حديد فى أولها، وباب حديد فى آخرها ومكتوب على باب سمرقند بالحميرية بين هذه المدينة وبين صنعاء الف فرسخ[2] وقد نقل ابن الفقيه هذا عن الأصمعى.

ويذكر الإصطخرى انه رأى تلك الصحيفة على باب كش وأن أهل سمرقند زعموا أنها بالحميرية. ولكن أثناء إقامة الإصطخرى هناك قامت فتنة بالمدينة وأحرق الباب ومحيت الكتابة ولكن أبا المظفر محمد بن لقمان بن نصر بن أحمد بن أسد ابن عم الأمير نصر السامانى أعاد ذلك الباب من جديد ولكن من غير تلك الكتابة[3].

ويذكر اليعقوبى أن سور سمرقند العظيم كان قد تهدم وبناه الخليفة العباسى هارون الرشيد[4].

سابعاً :

رساتيق سمرقند[5] :

يوجد فى مدينة سمرقند اثنى عشر رستاقا (أى قرية) ستة عن جنوب الوادى وستة عن شماله فأما التى عن جنوبه فهى :

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان : ج٣ ص٢٤٧ .

(٢) أبو بكر أحمد بن محمد الهمدانى المعروف بابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٣) الإصطخرى : مسالك الممالك ص١٧٨ .

(٤) اليعقوبى : كتاب البلدان ص٤٩٢ .

(٥) الإصطخرى : ص١٨٠ ، ١٨١ ، ابن حوقل : ٤٩٩ ،٥٠٠ ، المقدسى : ص٢٧٩ .

(١) بنجيكث :

وهو رستاق كثير الثمار خصب مشجر بأشجار الجوز وغيره.

(٢) ورغسر :

وهو اسم الرستاق والمدينة معا وهو دون الأول.

(٣) ما يمرغ :

هو أكثر الرساتيق قرى وأشجار وخيرات وكان بهذا الرستاق مقام الأخشيد ملك سمرقند ثم قصوره.

(٤) سنجر فغن :

هو أصح الرساتيق هواء وأكثرها ثمارا وطوله نحو مرحلتين وهو صغير قليل القرى ولكنه عامر.

(٥) الدرغم :

هو أذكى الرساتيق وأكثرهن مراعى ومياها طوله نحو من مرحلة.

(٦) أوغر :

وهو رستاق كثير القرى أهله أصحاب مواشى طوله نحو مرحلتين ويقال إن غلاته إذا أقبلت عم الرخاء على الصغد بأكمله.

أما الرساتيق التى عن شمال الوادى فهى :

(١) ياركث:

وهو أعلى الرساتيق الشمالية يتاخم أشروسنة ويعتمدون فى رى مزارعهم على العيون ومزارعهم طيبة.

(٢) بورنمد :

قليل القرى صغير.

(٣) بوزماجن :

يتصل بياركث ومدينته آباركرث وهو أعرض رساتيق هذا الوجه وأكثرها قرى.

(٤) كبوذنجكث :

مشتبك القرى والأشجار مدينته على اسمه.

(٥) وذار :

مدينته على اسمه كثير المزارع سهل وجبل ومباخس وسقى.

(٦) المرزبان :

ليس به منبر. وهو المرزبان ابن تركسفى من دهاقين سمرقند[١].

ثامنا :

مساحة سمرقند :

طبقا لما ذكره ياقوت فى معجمه تشغل سمرقند مساحة قدرها خمسة آلاف جريب [٢]، أما المدينة الداخلة " الشهرستان " فقد كانت مساحتها ٢٥٠٠ جريب[٣]، حافلة بالحمامات والأسواق والمسجد الجامع والقلعة " القهندز " ومسكن السلطان، وكان لقلعتها بابان من الحديد وأعلى سورها أبراج للحرب[٤].

تاسعا :

سور سمرقند وأبوابها :

يقدم ابن الفقيه الهمذانى وصفا لسمرقند فى عهدها الإسلامى فيقول : " إن سمرقند وضواحيها كان يحيط بها سور طوله اثنا عشر فرسخا [٥] وارتفاعه

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ت : عواد : ص ٥١٠ .

(٢) الجريب ١٠,٠٠٠ متر مربع .

(٣) ياقوت : معجم البلدان . ج٣ . ص٢٤٦ - ط : دار صادر بيروت .

(٤) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص٧٠٥ .

(٥) الفرسخ يساوى ستة كيلومترات .

أربعة أذرع وعدد أبراجه أربعمائة وخمسين برجا وبه اثناعشر بابا ولكل باب مصراعان [1] ومن الباب إلى الباب فرسخ ". ويذكر ياقوت[2] أن أبوابها كانت من حديد، وإنه كان خلف كل باب باب آخر ذو مصراعين وبين البابين كانت تقوم منازل البوابين.[3] وينسب الطبرى بناء السور الخارجى للمدينة إلى أبى مسلم الخرسانى وأن السور الخارجى تداعت أجزاؤه وأعيد بناؤه بأمر من هارون الرشيد.. أما الشهرستان فقد كان له أربعة أبواب من ناحية الشرق، وهى : باب الصين وهو على ارتفاع من الأرض، ينزل الإنسان إليه بدرج كثير العدد إلى نهر زرافشان مطل على نفس وادى الصغد، وفى ناحية الجنوب باب كش أو الباب الكبير، وفى ناحية الجنوب باب بخارى وفى ناحية الغرب باب النوبهار، أو باب الحديد[4].

أما القلعة فكانت تقع فى القسم الشمالى لأفرآسياب، فكان باب بخارى فى جهته الشمالية، وباب كش فى الجهة الجنوبية، وكان أكثر أحياء المدينة عمارا هو الحى المعروف باسم رأس الطاق، بينما كان المسجد الجامع أسفل القهندز وبينهما عرض الطريق، وفى المدينة أيضا دور الإمارة فى مكان يعرف باسفراز لآل سامان غير دار الإمارة التى بالقهندز [5].

وكان يتبع ولاية سمرقند اثنا عشر رستاقا كثيرة الخصب وافرة الخيرات، وكان أغلبها فى شرقها وجنوبها وبعضها فى شمال نهر الصغد وعددها ستة رساتيق جنوبى نهر زرافشان وستة فى شماله وتشمل الرساتيق الجنوبية على : بونجكث، رغسر، ما يمرغ، سنجر، فغان، الدرغم، أبغر، أوفر.

بينما تشمل الرساتيق الشمالية لنهر زرافشان على : ياركث، بورنمذ، بوزماجن، كبوذنجكث، وذار والمرزبان.

---

(١) ابن الفقيه الهمذانى: مختصر البلدان : ص٣٢٥ ، ليدن ١٩٦٧ ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان : ج٣ : ص٢٤٦ – ص٢٥٠ .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٣ من ص٢٤٦ – ص٢٥٠ .

(٤) ابن خرداذبه : المسالك والممالك : ص٣٦٥ – ٣٦٦ .

(٥) ابن خرداذبه : المسالك والممالك : ص٣٦٦ .

عاشرا :

أنهار مدينة سمرقند :

١) **نهر زرافشان " السغد "**، ومنابعه جبال البتم وهو يفصل بين أنهار اقليم السغد من جهة وأنهار الصغانيان ووخشاب من جهة أخرى وهما من الروافد على الجانب الأيمن من نهر جيحون، ويعتبر نهر زرافشان من أخصب مناطق ما وراء النهر وأكثفها سكانا.

٢) **نهر الدرغم** : ينسب إلى مدينة الدرغم وبدايته من " دريای كوهك " ويصب داخل وخارج مدينة سمرقند، وقد أصبحت حدائق المدينة وبساتينها خضراء ومبتهجة من ذلك النهر.

٣) **نهر برش** : يمتد على ظهر مدينة سمرقند وتتفرع منه أنهار المدينة والقرى التى تتصل بها من مبدئه إلى منتهاه.

٤) **نهر بارمش** : يلى نهر برش من ناحية الجنوب وعليه القرى من أوله إلى آخره.

٥) **نهر بشمين** : وهو على جنوبى بارمش ويسقى قرى كثيرة من أوله إلى آخره.

حادى عشر :

جبال مدينة سمرقند (جبل الشاودار) :

ويقع فى الطرف الجنوبى من المدينة.

وهو جبل معمور وعامر، تنموا فيه الأشجار بكثرة وتنمو فيه الأعشاب بأنواعها الفريدة.. كما توجد به أنواع شتى من المعادن خاصة الذهب والفضة. ومن عجائبه أن عين الماء التى به تكون شديدة السخونة فى الشتاء وشديدة البرودة فى الصيف وعلى مدار السرطان تصبح جميع مياهها ثلجا(١).

---

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك : ص٣٧٢ .

جبل الطرف الشرقى :

ويقع بين الجبل الجنوبى والجبل الشرقى لبحر زرافشان، وعلى ناحية البحر من جهتيه تستقر المساكن والمنازل.. وهو عامر حافل بمظاهر الطبيعة والبيئة من حيوانات وأعشاب.. ويوجد فى وسطه كول يقال لها : كول إسكندر، وكانت منبعا لفرع نهر زرافشان، وعمق المياه فيه فرسخ واحد ومن حيواناته البقر الوحشى والفهد والغزال.

جبل الطرف الشمالى :

ويطلق عليه جبل خودين، ويوجد به عيون وأماكن كثيرة تبعث السرور للإنسان، كما تنمو فيه الأعشاب(١).

تل كوهك :

ويقع فى وسط سمرقند وبحر زرافشان فى الطرف الشمالى وهو جبل صغير يمتد أصله إلى سور سمرقند، ويبلغ مقداره حوالى نصف ميل.. ويستخرج منه معادن كثيرة منها الذهب والفضة والماس، وطرقه وسككه مفروشه بالحجارة(٢).

جبل الشاوذار :

وموقعه جنوبى سمرقند.ويقال إنه من أجود الجبال وأحسنها عمارة وأجملها وأصحها هواء وزرعا، وأهله مشهورون بصحة الأبدان وقوتها وجمالها، ويبلغ طوله حوالى عشرين فرسخا، ولذا فقد اختاره جماعة من نصارى العراق لا قامة بيعهم وذلك لطيب هوائه وعزلته ونزهته(٣).

حاصلات اقليم الصغد وصناعاته :

تتعدد الحاصلات وتتنوع فمنها البطيخ الذى يحمل منها إلى الآفاق وتختلف أنواع الثياب والفرش وحزم الخيل ومختلف الشحوم والدهون، وكاغذ سمرقند مشهور ومعروف.

---

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك : ص٣٧٢ .

(٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص٣٦٨ .

وكذلك يحمل منها اللبود الحمر والمصلبات والقنب والكبريت وقدور النحاس وفواكه سمرقند كثيرة ومتنوعة من أشهرها البطيخ والتفاح والخوخ والبرقوق والكريز والتين والكمثرى والعنب والسفرجل إضافة إلى أشجار القطن والأرز وخضرواتها كثيرة كثرة مفرطة إلى جانب ازهارها البديعة وقد ساعد على ذلك تربتها التى تعد من أصح الترب وأخصبها..

وأما معادنها فعديدة وغنية وثرية[1].

ثانى عشر :

فتح سمرقند :

فتح العرب سمرقند فى عهد معاوية بن أبى سفيان (٤١-٦٠هـ) فقد بعث إليها سعيد بن عثمان بن عفان عام (٥٥هـ) فعبر نهر جيحون ونزل بسمرقند وضرب حصارا شديدا حولها وأكرمه الله بالنصر المبين فدخلها بجيشه ورمى حصنها بأحجار شديدة القوة، واستشهد فى هذه المعركة قثم بن العباس بن عبدالمطلب بن عم رسول الله ﷺ ودفن بها وأقاموا له مدفنا أطلقوا عليه (شاه زنده) ومعناها " الملك الحى ".. وهو مزار بنى فى إطار فنى وزخرفى رائع[2].

وخوفا من أن يعبر الترك النهر إلى سمرقند، فقد أقام العرب المنازل وشيدوا الضياع وطاب لهم المقام فيها وكان لواليها من قبل معاوية " سعيد بن عثمان " الفضل الأكبر فى سيطرة العرب على هذه البلاد[3] وفى عام (٨٧هـ) تعددت حملات قتيبة بن مسلم على هذه المناطق فغزا بخارى والشاش واستمرت تلك الحملات سبع سنين حتى فتح الله عليه سمرقند عام (٩٢هـ) فصالحه حاكمها "غوزك " على سبعمائة ألف درهم، وقام قتيبة بحرق أصنامها واستدعى أهلها وأمرهم أن يخلوها من المقاتلة وبنى بها مسجدا ووضع فيه منبرا يخطب عليه وبسط الله له فيها السبيل فأقام بجنده فانتثل عنها ملكها " غوزك خان "[4].

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية :ص٥١٠ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان : ص٥٨٠ - مصر ١٩٧٥م .

(٣) الكرديزى : زين الأخبار ت : عفاف زيدان : ص٧٣ . طبع المركز القومى للترجمة ٢٠٠٨م .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية فى التاريخ : ج٩ ص٨٥ - ٨٦ .

هذا وفى عام (١٠١هـ) قدم إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز وفد من أهل سمرقند يشكون إليه ظلما أصابهم وتحاملا من قتيبة عليهم وأنه أخرجهم من أرضهم، فما كان من عمر المشهور بعدله وإنصافه إلا أن كتب إلى سليمان بن أبى السرى كتابا طلب فيه إنصاف أهل سمرقند قائلا له :" إذا أتاك كتابى هذا فأجلس لهم القاضى فلينظر فى أمرهم فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن يظهر عليهم قتيبة "(١). قال فأجلس لهم سليمان القاضى جميع بن حاضر التاجى، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابزوهم على سواء فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة، فقال أهل الصغد : بل نرضى بما كان ولا نجدد حربا، وتراضوا بذلك. فقال أهل الرأى : " قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم وأمنونا وأمناهم، فإن حكم لنا وعدنا إلى الحرب، ولا ندرى لمن يكون الظفر، وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة فى المنازعة، فتركوا الأمر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا ".

ثالث عشر :

حرية العقيدة فى سمرقند :

يذكر المؤرخون أن سمرقند كانت مركزا للعديد من العقائد والديانات سواء فى ذلك الاسلام والمسيحية والمانوية والبوذية، ولم يكن بها اضطهاد دينى أو تفرقة عنصرية أو تعصب بل سادتها حرية كاملة فى العقيدة، كما كانت مركزا لتجمع علماء الدين المسلمين والمسيحيين على السواء.

كما يذكرون لنا أن الدين الذى كان غالبا على أهل سمرقند قبل الفتح الاسلامى لها كان المانوية(٢).

بينما يذكر مؤلف " تاريخ بخارى " أن الزرادشتيه ثم البوذية كانتا منتشرتين فى أغلب بلاد ما وراء النهر (٣).

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ص٥٦٨ .

(٢) القزوينى : نزهة القلوب : ص٢٤٥ .

(٣) النرشخى : تاريخ بخارى : ت : بدوى والطرازى : ص٥٠ - ٥١ .

هذا بينما يرى ابن النديم فى " الفهرست " أن المانية كان لها رجالها وأنصارها وأن سمرقند كانت مقرا لرئاستهم وأنه كان بها ما يقارب خمسمائة رجل من المنانية(١).. ويذكر ياقوت الحموى فى معجمه أن الفاتح العظيم قتيبة بن مسلم الباهلى قد صالح أهل سمرقند على أن له ما فى بيوت النيران من حلية أصنامها وأنه إقتلع هذه الحلى من الاصنام ثم قام بعد ذلك بإحراقها..(٢).

رابع عشر :

مدارس سمرقند :

كانت سمرقند ملتقى طلاب العلم من جميع الجهات على مر العصور. وقد إهتم أهلها بالتعليم.. ومن تلك المدارس نذكر ما يلى :

١- مدرسة ميرزا آلوغ بيك :

أمر ببنائها ميرزا آلوغ بيك أوائل القرن التاسع الهجرى" /١٤م " وكانت مكونة من طابقين، ويبلغ عدد غرفها نحو (١٦٠ غرفة)، وفى كل ايوان حجرة وفى كل حجرة شخصين من طلبة العلم. ولا تقل فى جمالها وفخامتها عن مبنى تيمور الفاخر، وقد خربت بفعل الزلازل والحروب الأهلية فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى(٣) وفيما بعد أعيد ترميمها وتجديدها وكانت مناهج الدراسة فيها تضم الدراسات الدينية، والعلوم الدنيوية.

٢- مدرسة شيردار :

تقع فى مواجهة مدرسة ميرزا فى الطرف الشمالى منها، وقد بنيت عام "١٠٢٨" ويتميز بناؤها بطابع العظمة والجمال.

(١) ابن النديم : الفهرست : ص٤٧٢ وما بعدها .

(٢) ياقوت : المعجم . جـ٣ - ص٢٤٦ - ص٢٥٠ .

(٣) محمد بن ميرزا محمد وف : التراث الثقافى الاسلامى فى الاتحاد السوفيتى : ص ١١- ١٤ مؤسسة - العصر الحديث : ١٩٨١م .

٣- مدرسة محمد شيبانى خان :

تقع غربى الطريق العام لسمرقند. وقد بنيت بأمر من زوجة محمد تيمور، ودفن فيها جد الأسرة، وقد خربت المدرسة أثناء تخريب سمرقند، وعمرت ثانية بأمر " الأمير المعصوم الملك الغازى ".

٤- مدرسة قدوة الفضلاء جناب القاضى عليه الرحمة :

تقع هذه المدرسة طرف البرج الجنوبى الغربى لمدرسة الأمير تيمور وبنيت بأمر القاضى سامى عليه الرحمة والذى كان قاضيا لقضاء سمرقند، وخربت مع خراب سمرقند.

٥- مدرسة أحمد خواجه :

تقع فى الناحية الجنوبية من سمرقند، وكانت ملاذا للسيادة (عام ١٠٤٧هـ) أيام سلطنة الإمام قلى خان بهادر وقد خربت وقت خراب سمرقند(١).

٦- مدرسة طلاكارى :

تقع فى الناحية الشمالية لمدرسة ميرزا آلوغ بيك ومدرسة شيردار، وقد بنيت بأمر الأمير يلنكتوش بى اتاليق عام (١٠٥١هـ).

٧- مدرسة خواجه عبيد أوار :

توجد هذه المدرسة فى الجانب الجنوبى من سمرقند غربى الطريق العام. ويقال أنها بنيت زمن خواجه عبيد أحرار كمار المحبة لأهل العلم والعلماء(٢).

---

(١) المرجع السابق ص٤٨ .

(٢) آمال حمزة عبد الله : سمرقند فى الشعر الفارسى ، ص٧٥ - ٧٩ رسالة ماجستير ١٩٩٠م . كلية الدراسات الإنسانية فرع البنات بالقاهرة - جامعة الأزهر .

خامس عشر :

مساجد سمرقند :

تضم سمرقند بين جنباتها أفخم المساجد الاسلامية ويعد مسجد بيبى خانم أجملها، إذ يعد تحفة فريدة للعمارة الاسلامية.. وقد بناه الأمير تيمور ويبلغ طوله ١٦٧ مترا وعرضه ١٠٩ متر..

٢- مسجد صخرة الخضر عليه السلام :

وهو أول مسجد بنى فى سمرقند، وقد بناه قتيبة بن مسلم بناء على رغبة الخضر عليه السلام[١] .

٣- مسجد عمر بن الخطاب المشهور بمسجد عمر :

موقعه وسط المدينة ويتميز باللون الأزرق ويقول البعض إن هذا المسجد هو مسجد الإمام عمر النسفى الذى يقع مزاره فى مقبرة جاكرديزه[٢].

٤- مسجد الإمام أبى منصور الماتريدى :

يقع قريبا من بوابة سمرقند بالقرب من حائط قيامت (ديوار قيامت) فى الطرف الشرقى من المدينة وسط جاكرديزه. ويعتقد البعض أن الدعاء مستجاب فيه.

٥- مسجد أبو الفضل البلخى :

يقع داخل المدينة فى البرج الشمالى الغربى القريب من بوابة المدينة والتى تدعى " باى قيامت " وهو مسجد مبارك ذو مقام شريف.

٦- مسجد الأمير تيمور الكَركَاىَ :

يقع فى الطرف الشمالى داخل المدينة. وفى سنة (٨٠١هـ) جمع الأمير تيمور الكَوركَانى مجموعة من المعماريين المهرة لبناء هذا المسجد الجامع وفى مدخله نقرأ الآية الكريمة :" ومن دخله كان آمنا ".

---

(١) نفس المرجع ص ٨١ .

(٢) نفس المرجع ص ٨٢.

وقد خربت بوابته ذات الطبقتين وقت خراب سمرقند(١).

٧- المسجد الجامع :

مكانه بالشهرستان، قريبا من القلعة يفصله عن القلعة عرض الطريق.. وقد تم الكشف عن موضع هذا المسجد غربى القلعة فى آفراسياب على يد فياتكين(٢).

سادس عشر :

مكانة سمرقند فى علوم الحديث :

كان لسمرقند دور بارز ومهم فى الحفاظ على السنة النبوية وتنقيتها والتصدى لأعدائها وذلك بفضل علماء الحديث الذين أنجبتهم سمرقند وكان لهم دور مشهود ومعروف فى تأسيس هذا العلم وبنائه على أسس وأصول علمية دقيقة حفظت للسنة النبوية مكانة سامية ومرموقة فى الاسلام وقد جاهدت هذه الكتيبة العظيمة من المحدثين جهادا شاقا - على مر السنين خدمة للسنة الشريفة... وازدانت سمرقند بعلماء عظام. نذكر منهم " الإمام الدارمى السمرقندى(٣) والإمام أبو مقاتل حفص بن مسلم الفزارى (ت٢٠٨هـ)، ورجاء بن مرجى بن رافع الغفارى السمرقندى وكان محدثا وحافظا جمع وصنف العديد من الكتب (ت٢٤٩هـ). ثم أبو مسلم عامر بن كامل بن محمد بن قطن بن عثمان الأربنجى السمرقندى (٢٩٣هـ) وكان عالما فاضلا(٤) جيد الرواية واشتهر برواية الحديث وله تصانيف كثيرة ".

ومحمد بن أحمد بن هاشم الذهبى وعبد الرحمن بن الفتح السراج ومحمد بن زكريا بن الحسين النسفى وكان رجلا فاضلا خيرا حسن الرواية ومات بسمرقند عام (٢٩٣هـ)(٥)ومنهم كذلك :

---

(١) نفس المرجع ص٨٢ . (٢) نفس المرجع ص٨٣ .

(٣) سيرد الحديث عن سيرته فى الباب الرابع من الكتاب .

(٤) الذهبى : ميزان الاعتدال ج٢ ص٨ - ٩ .

(٥) السمعانى : الانساب : ج١ : ص١٥٠ .

١- **الكرابيسى السمرقندى :** هو أبو الفضل بن محمد بن صالح الكرابيسى السمرقندى والمتوفى عام (٢٣٣هـ/٩٣٤م) صنف كتاب الفروق فى الفقه.

٢- **أبو بكر محمد بن اليمان السمرقندى :** وكان فقيها حنفى المذهب ومحدثا ومتكلما ومن مؤلفاته : " الإعتصام فى الحديث " وكتاب " الرد على الكرامية " وكتاب "معالم الدين" وكتاب " الألغاز ".. ومات عام (٢٦٨هـ) ودفن فى سمرقند..

٣- **أبو توبه سعيد بن هاشم الكاغذى السمرقندى :** وكان من علماء الحديث ومات فى طلب العلم عام (٢٥٩هـ)... أما عن علماء القرن الرابع الهجرى فقد ورد ذكرهم فى مصادر تاريخية عديدة منها ما أورده ابن النديم فى كتابه "الفهرست "[١] ونذكر منهم :

- أبو نصر محمد بن مسعود بن محمد بن عباس السلمى السمرقندى :

من أهل سمرقند، وكان من فقهاء الشيعة الإمامية أوحد دهره وزمانه فى غزارة العلم - ومن كتبه : كتاب التفسير، كتاب الصلاة، كتاب الطهارات، كتاب الصوم[٢] وغيرها الكثير.

- إسحق بن إبراهيم بن الشاش السمرقندى :

وينسب إلى مدينة شاش، استوطن مصر، وتولى القضاء فى بعض مدنها وتوفى عام (٣٢٥هـ ٩٣٧م). ومن كتبه الأصول.

- الأيذوخى السمرقندى :

هو أبو الحسن الأيذوخى - تتلمذ على أبى القاسم الترمذى الحكيم، وأخذ عنه، وكان عالما من علماء الحديث بسمرقند وينسب إلى ايذوخ وهى احدى قرى سمرقند[٣].

---

(١) ابن النديم : الفهرست : ص٢٤٤ .

(٢) ابن النديم : الفهرست : ص٢٤٤ .

(٣) السامعانى : الانساب ج١ ، ص٤٠٨ .

- أبو القاسم اسحق بن الحكيم السمرقندى :

ولى القضاء فى سمرقند.. ومن مؤلفاته : " كتاب السواد الأعظم " وهو فى علم الكلام، وله رسالة فى بيان أن العلم جزء من العمل.

علماء القرن الرابع الهجرى :

- الفقيه أبو الليث السمرقندى [1] هو نصر بن محمد بن أحمد السمرقندى - من أئمة الحنيفية وله كتب كثيرة منها : خزانة الفقه والفتاوى ومختلف الرواية والمقدمة فى الصلاة والتوضيح. وتوفى (٣٧٥هـ ٩٨٥م).

ومن علماء هذا القرن أيضا :

الأشتيخنى السمرقندى - أبو عمر بن هلال السمرقندى والاسكافى السمرقندى (ت٤٠٠هـ) وابن الإسكافى الإمام منصور الماتريدى، والأربنجنى السمرقندى (ت٣٦٩هـ).

وفى رسالتها للماجستير عن" سمرقند فى الشعر الفارسى " ذكرت لنا آمال حمزة من رجال القرن الخامس الهجرى من علماء سمرقند[2] ثمانية علماء من الذين برزوا فى علوم الفقه والحديث منهم الإدريسى السمرقندى (ت٤٠٥هـ) والعلوى الحسين السمرقندى (ت٤٠٨) .

والدبوس السمرقندى (ت ٤٣٠هـ) .

ومحمد بن الوليد السمرقندى (ت ٤٣٠هـ).

والتنكتى الشاش السمرقندى.

وأبو القاسم الخزاعى السمرقندى .

وأبو الفضل منصور الكاغذى السمرقندى (ت٤٢٣هـ).

والاسمندى السمرقندى (ت ٥٦٣هـ).

---

(١) دهخدا : لغت نامه : مادة سمرقند ص٦٢٥ .

(٢) ص١١٢ من رسالة / آمال حمزة .

وبلغ عدد علماء القرن السادس الهجرى من أهل سمرقند ستة علماء [1].

هم الفقيه الحنفى: أبو بكر علاء الدين بن أحمد السمرقندى المتوفى (٥٣٨هـ).

ومحمد بن يوسف المعروف بابن القطن وهو من علماء الحديث وتوفى (٥٥٦هـ).

ومحمد بن محمود السمرقندى وأشرف الحسينى السمرقندى (ت٦٩٠هـ)، وأبو محمد بن السمرقندى، وعبد الله بن عمر بن أبى الاشعت السمرقندى، بينما بلغ عدد علماء القرن السابع الهجرى خمسة علماء هم : أبو القاسم بن بكر الليثى، وحميد الدين السمرقندى والعميدى السمرقندى، ونجيب الدين السمرقندى (ت٦١٩هـ) وناصر الدين السمرقندى (٥٥٩هـ) وبلغ عدد علماء القرن الثامن الهجرى اثنان وهم : عبد الله السمرقندى (ت٧٠١هـ) وسخى الدين السمرقندى (ت٧٨٠هـ)

أما علماء القرن التاسع الهجرى فهم :

عبد الرازق السمرقندى ت ٨٨٧ هـ، والحسينى السمرقندى (ت ٨٥٤ هـ)

ومن علماء القرن العاشر الهجرى :

القاضى السمرقندى (ت ٩٢٦ هـ)

أما عن أدباء سمرقند فنذكر منهم :

(١) الرودكى : أبو عبد الله جعفر بن محمد شاعر السامانيين المعروف والمتوفى (٣٢٩هـ ٩٤٠م).

(٢) النظامى العروضى السمرقندى : صاحب كتاب : جهار مقالة.

(٣) السوزنى السمرقندى : واحد من شعراء القرن السادس الهجرى (ت٥٦٩هـ)

(٤) مولانا البساطى السمرقندى وهو واحد من شعراء القرن التاسع الهجرى وتوفى (٨١٤ هـ).

---

(١) ص ١١٦ من رسالة / أمال حمزة .

سابع عشر :

وصف سمرقند عند بعض المؤرخين العرب :

"سمرقند بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية سمران.. وهى بلد معروف ومشهور قيل إنه من أبنيه ذى القرنين بما وراء النهر وكانت عاصمة لمنطقة الصغد وتقع جنوب وادى الصغد على نحو مائة وخمسين ميلا من شرق بخارا وعلى مساحة قصيرة من ضفة نهر السغد الجنوبية. وطبقا لما ذكره ياقوت فإن مساحتها كانت تبلغ ٢٥٠٠ جريب (أى ١٧٥٠اكرا) وهى أزكى بلاد الله وأحسنها أشجارا وثمارا تلتف حول مساكنها البساتين والمياه الجارية ومن النادر أن تخلو دورها ودروبها من نهر جار.. ويصفها الإصطخرى بقوله : " وأما سغد سمرقند فإنها أنزه الأماكن الثلاثة من حد بخارا حتى وادى السغد يمينا وشمالا تتصل إلى حد البقم لا تنقطع ومقدارها فى المسافة ثمانية أيام مشتبكة الخضرة والبساتين فهى ميادين ورياض مشتبكة قد حفت بالانهار الدائم جريها والحياض فى حدود رياضها وميادينها فخضرة الأشجار والزروع ممتدة على جانبى واديها ومن وراء الخضرة من جانبيها مزارع تحرسها ومن وراء هذه المزارع مراعى سوائمها وفى تضاعيف ذلك قصور وبساتين فليس من سكة ولا دار إلا وفيها ماء جار إلا القليل، وقل أن تجد دارا تخلو من بستان حتى إنك إذا صعدت أعلى القلعة لم تظهر المدينة للنظر لاستتارها بالبساتين والأشجار. ويذكر الإصطخرى أن سمرقند كانت تعد قبلة وعاصمة لمنطقة ما وراء النهر ففيها دار الإمارة ومجمع للتجار.. وطرقها ممهدة مفروشة بالحجارة.. وتربتها من أصح الترب وأيبسها وأبنيتها من الطين والخشب[1].

وأما أهلها فيتسمون بالجمال البارع والرزانة والمروءة.

ويرتفع وصف المقدسى لسمر قند إلى مرتبة عالية من البلاغة وجمال الأسلوب ورقته وكأنه يتغنى بوصفها ومن ذلك قوله : سمرقند قصبة الصغد ومصر الإقليم : بلد سرى جليل عتيق ومصر بهى رشيق رخى كثير الرقيق ؛ وماء

---

(١) سمرقند الآن إحدى مدن جمهورية أوزبكستان .

غزير بنهر عميق، بناء قوى سنى وثيق ودرس كثير لأهل الفريق وعيش هنى إليها الطريق وحمل المتاع من كل فج عميق. علوم كثير وصدر نفيق وخيل ورجل ومال دفيق ذو رساتيق جليلة ومدن نفيسة وأشجار وأنهار وتناء وتجار. فى الصيف جنة أهل جماعة وسنة ومعروف وصدقة وحزم وهمة، غير أن فى أهلها وهوائها برداء جفاة مع الغربا بلية فى الشتاء يشغبون على الأمراء وفيهم نفخ وعجب ومراء، جيدة الجوارى ردية الغلمان(١).

هذا ويصفها عطا ملك الجوينى بقوله : " أعظم بقاع مملكة السلكان تتميز باتساع الرقعة، وهى أجمل الرباع وأطيب البقاع وأطهر وأجمل جنات الدنيا وهى بالإجماع واحدة من الجنان الأربع :

إن قيل فى الدنيا ترى جنة فجنة الدنيا سمرقند

يا من يوازى أرض بلخ بها هل يستوى الحنظل والقند

يميل هواؤها إلى الاعتدال، ويشتمل ماؤها لطف ريح الشمال وتتميز تربتها بالخصب الشديد، وقد حصل لترابها من قوة إصرابها خاصية نار الخمر:

أرض حصاها جوهر وترابها مسك ودماء المد فيها قرقف(٢)

بينما يصفها ياقوت الحموى بقوله :

"سمرقند بلد معروف مشهور، قيل إنه من أبنية الصغد، مبنية على جنوبى وادى الصغد مرتفعة عليه، قال الأزهرى بناها شمر أبو كرت فسميت شمركنت فأعربت فقيل سمرقند، هكذا تلفظ به العرب فى كلامها وأشعارها وقيل إن سمرقند من بناء الإسكندر واستدارة حائطها إثنى عشر فرسخا.. وفى سمرقند

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص٤٨ .

(٢)- عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم . ت : د / السباعى محمد السباعى : ص١٤٠ .المركز القومى للترجمة ٢٠٠٧م .

عدة مدن مذكورة فى مواضعها، منها كرمانية ودبوسية وأسروشنة والشاش ونخشب وبنكات.. ويمضى ياقوت فى وصفه لسمرقند قائلا : " ليس فى الأرض مدينة أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرقا من سمرقند.. وقد شبهها حصين بن المنذر الرقاش فقال : كأنها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للإشراق ونهرها المجرة للاعتراض وسورها الشمس للأطباق(١).

هذا وقد ورد فى دائرة معارف البستانى(٢) أن الصينيين كانوا يطلقون عليها " نشن " وساموغيان.. هذا بينما يذكر الطبرى أن هذه المدينة كانت من بناء الإسكندر الأكبر، بينما يذكر الكَرديزى(٤) أن الذى بناها هو كيكاوس ابن كيقباد وأن الذى أتمها كان سياوش(٤).

وهذا.. وقد حظيت مدينة سمرقند بأهمية عظيمة عبر تاريخها الحضارى الذى يمتد من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر التيمورى، ولهذا فقد تعددت الكتب التى تحدثت عن أهميتها ودورها فى التاريخ الإسلامى نذكر منها :

(١) كتاب الطب النبوى : الذى ألفه أبو العباس جعفر بن محمد بن معتز النسفى.

(٢) الإكمال لمعرفة الرجال فى سمرقند : من تأليف : أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الإسترابادى المتوفى فى سمرقند عام (٤٠٥هـ)

(٣) القند فى معرفة علماء سمرقند : كتبه أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفى (٤٦١ _ ٥٣٧ هـ).

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٣ ، ص٢٤٧ إلى ص٢٤٨ .

(٢) البستانى : دائرة المعارف ص٤٩ . طبع بيروت .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ج١ ص٥٧٨ (القاهرة ١٩٦٠م) .

(٤) الكرديزى : زين الأخبار : ت : د / عفاف زيدان : ص٥٧ _ القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٦م المركز القومى للترجمة .

(٤) منتخب القند فى تاريخ سمرقند : ألفه الإمام أبو الفضل محمد بن عبد الجليل السمرقندى. وقد نشر فى طهران عام (١٣٣٤هـ) اقتباسات وإختصارات منه.

(٥) كتاب سمرية : ألفه القاضى أبو سعيد السمرقندى عام (١٢٥١هـ)، وقامت بترجمته " آمال حمزة " عام (١٩٩٠م) ضمن رسالتها لنيل الماجستير من جامعة الأزهر.

(٦) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار : لابن بطوطة[١] ويصف فيه أهل سمرقند بقوله : وأهل سمرقند لهم مكارم أخلاق وهم خير من أهل بخارى وبخارج سمرقند قبر قثم بن العباس بن عبد المطلب ﷺ.

---

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار :ص٢٧ _ الرباط ١٩٩٧م .

سمرقند

(سمرقند) عروس الأرض جمعا

تفوق رياضها غرسا وزرعا

فهذا الكنز من أدب وعلم

وهذا الخصب من ماء ومرعى

تمر بها الكواكب وهى حيرى

فتمهل فى فضاء الجو سيرا

كأن بها غراما فهى دوما

نشاوى الحب أوهى فيه أسرى

فراديس هى الملك الكبير

فما فى المشرقين لها نظير

وكان بها (لتيمور) جلال

ومنبره المعظم والسرير

تراها العين واحدة الزمان

تألق فى رياها جنتان

سقى مخضرها نهر زلال

فأهلا بالزبرجد والجمان

هى الخضراء ليس بها جديب

هى الرضوان ليس بها لغوب

هى الأفراح ليس بها هموم

شباب الدهر فيها لا يشيب

بتيمورلنك دان لها الوجود
وسارت فى مواكبها السعود
تباشير المنى تسعى اليها
وأبطال الكفاح بها جنود[1]
لقد حفلت بتيمور الكبير
ومرقده الرفيع بـ (كورمير)
كأن جلاله فى القبر باد
على التاريخ كالصبح المنير
ولو شاهدت جامع (شاه زنده)
رأيت قداسة الأبرار عنده
شهيد كان للإسلام عونا
سقاه الخلد فى الرضوان شهده
ومدرسة هناك لـ (بيبى خانم)
بها العمران مرفوع المعالم
فكم من طالب قد كان فيها
يدين له بفضل ألف عالم
ومدرسة تسمى (شيردار)
وأخرى وهى تدعى (تلله قارى)
مموهة الجوانب بالنضار
كأن الشمس تسكن فى الجدار

(١) عبد العزيز جنكيزخان : تركستان قلب آسيا : نشر الجمعية الخيرية التركستانية (وردت هذه القصيدة فى الكتاب المذكور) المؤلف .

ومرصد شبل (تيمور) تراه
كأن النجم يسكن فى ذراه
سمت طبقاته العليا ثلاثا
ولا يسمو البيان إلى علاه
هناك الملك كان لها ازدهار
هناك العلم تم له الفخار
جميع الفضل من دين ودنيا
حوته كله تلك الديار
وقربت رحابها قبر (البخارى)
سطوع الشمس من ذاك المزار
أمير المؤمنين به مقيم
بـ(خرتنج) فأكرم بالجوار
هى الآثار باقية دواما
سقتها جنة المأوى غماما
مفاخر أرض تركستان تبقى
وتبقى للعلا ذاك المقاما[1]

ثانيا:
مدينة «بخارى»

جغرافية بخارى

أولا الموقع:-

قسم أبو زيد البلخى (ت٢٣٣هـ/ ٩٣٤ م) المشرق الإسلامى إلى ثلاثة أقسام هى:-

١- خراسان[١]

٢- سجستان[٢]

٣- ما وراء النهر[٣]

واختلف معه فى هذا التقسيم المقدسى (ت٣١٨هـ ٩٩١م) الذى جعله أى المشرق الإسلامى إقليما واحدا ذا جانبين اثنين يفصل بينهما نهر جيحون، هما:-

خراسان وما وراء النهر[٤] لكن البلاذرى (ت٢٧٩هـ ٨٩٢م) يجعل بلاد ما وراء النهر ربعا من أرباع خراسان الأربعة وهى:-

١- إيرانشهر[٥]

٢- مرو الشاهجان[٦]

٣- غربى نهر بلخ[٧]

٤- ما وراء النهر.

---

(١) إقليم واسع من أقاليم المشرق الإسلامى يشتمل على مدن مثل نيسابور وهرات ومرو وبلخ . فتحها عبد الله بن عامر بن كريز سنة ٣١ هـ .

أنظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥ ، ج٢ ، ص٣٥٠ .

(٢) ولاية كبيرة إسم مدينتها زرنج . بينها وبين هرات عشرة أيام وهى جنوبى هرات .

المرجع السابق ج٣ ص١٩٠.

(٣) المقصود بهذا النهر: نهر جيحون . أنظر الاصطخرى ، مسالك الممالك ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٣ ص١٦١ .

(٤) المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص٢٦٠ .

(٥) عرفها ياقوت على أنها بلاد العراق وفارس وخراسان ياقوت الحموى ، مرجع سابق ص٢٨٩ ،ج١

(٦) قصبة خراسان وأهم مدنها ، تقع إلى الشمال الشرقى من سرخس وإلى الشرق من أبيورد انظر المقدسى مرجع سابق ص٣١٤ .

(٧) نهر بلخ هو نهر جيحون نفسه .

ولم يرق هذا التقسيم لياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ليس هذا فحسب[١] بل إنه نبه إلى أن البلاذرى نهج هذا التقسيم بسبب إدارة وإلى خراسان لبلاد ما وراء النهر ثم أعلى رأيه بأن ما وراء النهر (ولاية برأسها).[٢]

وننوه هنا إلى اختلاف إقليمى خراسان وما وراء النهر جغرافيا ولغويا حيث طبيعة أرض خراسان فى غالبها جبلية. وسكانها فرس ويتكلمون الفارسية. أما بلاد ما وراء النهر فالغالب على أرضها الاستواء، وسكانها ترك يتكلمون التركية.

ويبدو أن البلخى حينما فصل عن ما وراء كان ينطلق من وجهة سياسية إذ كان هذا التقسيم سائدا فى الإدارة السامانية[٣] (لاعتبارات سياسية وإدارية. فقد جعلوا بخارى (قصبة ما وراء النهر) مقرا للأمراء، ونيسابور [٤] (قصبة خراسان) مقرا للقادة العسكريين.[٥]

أما عن الموقع الفلكى لمدينة بخارى فهو عند تسعين درجة وعشرين دقيقة من حيث الطول وتسع وثلاثين درجة وثمان وعشرين دقيقة من حيث العرض.

أما موقعها الجغرافى فتقع فى سفح هضبة غير عالية تحف سهول خصبة. فهى أرض مستوية يحدها من الشرق والجنوب مدينة سمرقند ومن الغرب خوارزم.

وتكمن بخارى فى الجزء الواطئ من نهر الصغد (زرافشان) ويبدأ امتداد الأراضى الصحراوية من حيث تدفق مياه النهر. وهذه المنطقة تعرف باسم (قيزل قوم).

---

(١) اعتمدت اعتمادا كليا فى هذا الفصل الخاص عن بخارى على البحث القيم الذى أعدته الأستاذة رانيا مصطفى سالم بعنوان : " بخارى فى التاريخ والحضارة " ونالت عنه درجة الماجستير من آداب عين شمس بإشراف أستاذنا الجليل القدر د / أحمد الخولى عام ٢٠٠٦م فجزاها الله عنى وعن طلبة العلم خير الجزاء وأكرمها من فضله " المؤلف "

(٢) ياقوت الحموى ، مرجع سابق ص٣١٥ ، ج٢ .

(٣) الدولة السامانية قامت فى بلاد ما وراء النهر . ثم سيطرت على خراسان (٢٦١ _ ٣٨٩هـ/874 _ ٩٩٩م). وكان لأمرائها دور بارز فى الجهاد ونشر الإسلام أنظر القرمانى ، أخبار الدول وأثار الأول فى التاريخ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩ ، ج٢ ، ص٤٣٢ .

(٤) بفتح أوله ، والعامة يسمونها (تشاوور) : مدينة كبيرة ذات فواكه وخيرات ، ياقوت الحموى مرجع سابق ، ص١٣١ . ج٥ .

(٥) المقدسى ، مرجع سابق ، ص٣٣٧ .

ودلالة على وجود هذه الصحراء هى فى استخدام عبيد الله بن زياد الإبل لقطع هذه المسافة للوصول إلى بخارى سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م.

وكذلك نوح بن نصر أحمد السامانى (٣٣١ - ٣٤٣هـ/ ٩٤٢- ٩٥٤م) كان يخرج كل يوم إلى الصحراء ليصلى بها.[١]

وبخارى فى عمومها أرض سهلية مستوية ليس بها جبال. أما ما ورد فى تاريخ الطبرى من أن عبيد الله بن زياد سار إلى جبال بخارى، فإنه كان يقصد (جبال وركه) وهى أقرب جبال من بخارى إذ يتصل جزء منها بقرية وركة البخارية. ثم يمتد إلى سمرقند. [٢]

ثانيا: المناخ: -

المناخ فى بخارى قارى. أى شديد البرودة فى الشتاء. شديد الحرارة فى الصيف لذلك قال عنها المقدسى: (حارة باردة) وعلل ذلك على أن الطقس فى بلاد ما وراء النهر كلما إشتد برد موضع إشتد حره.[٣]

يبدأ الصيف عندهم فى آذار / مارس، ويبقى إلى تشرين الأول / أكتوبر[٤] وتصل الحرارة فيه إلى ٥٠ درجة مئوية.[٥]

ويبدأ الشتاء فى تشرين الأول / أكتوبر إلى شباط / فبراير[٦] وتصل درجة البرودة إلى ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر.[٧]

وتتميز بخارى بجفاف هوائها المتقلب، وقلة أمطارها، وتهب عليها من الشمال الغربى عواصف رملية مصحوبة برمل وغبار، ولكن الشمس تسطع معظم أيام

---

(١) إحسان ذنون عبد اللطيف الثامرى ، الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى فى القرون الهجرية الأولى / ط ، الأردن ، مركز ناصر للخدمات الجامعية ، ١٩٩٩ ، ص١٢ ، ١٣ .

(٢) الطبرى ، تاريخ الطبرى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥ ، ج٥ ، ص٢٩٧ .

(٣) المقدسى ، مرجع سابق ص٢٨١ ، ٣٢٢ .

(٤) إحسان ذنون ، مرجع سابق ص٣٩ .

(٥) أمجد بو هيل بروخازكا ، عمارة الحضارة الإسلامية ، بخارى ، ط الأولى ، المملكة العربية السعودية ، منظمة العواصم والمدن الإسلامية ، ١٩٩٣ ، ص٨ .

(٦) إحسان ذنون ، مرجع سابق ، ص٣٩ .

(٧) مرجع سابق ، ص٨ .

السنة وهذا ملائم جدا للزراعة، فهذا المناخ ـ وإن كان لا يوصف بالإعتدال ـ غير قاس على المزروعات لذلك فهى منطقة وافرة المحاصيل وهواؤها طيب نقى[1].

لكن ترد روايات عن وخامة جوها وسوء مناخها[2]، وتفسير ذلك أنها أكتظت بالسكان فى نهاية العصر السامانى. وزادت المبانى وضاقت السكك والدروب، وكثرت فضلات الناس والحيوانات. لذلك وصفها بعض الشعراء بالنتانة وكراهة الرائحة[3].

لكن أبرز مظاهر الطقس فى بخارى هو البرد والثلج إذ وصفه الشعراء وتندر به الأدباء وهو برد شديد قارنه المقدسى ببرد خراسان فقال عنه: (أشد من برد خراسان)[4] ولذلك وصفه القلقشندى[5] بتجمد الماء حتى أن نهر جيحون يصير كالأرض فتعبر عليه القوافل بأحمالها[6] ورأى ابن بطوطة الطرق الصعبة فى بخارى وتراكم الثلوج فيها[7]، ولهذا كان الأمير إسماعيل السامانى يخرج من قصره أيام نزول الثلج، وفى الليالى الباردة ليتفقد رعاياه لمساعدة المحتاجين منهم. ووصف الشعراء هذا البرد والثلج فقال مالك بن الريب:[8]

أما المطرانى (أبو محمد الحسن بن على بن مطران) فقد أثر فيه حال كلب رآه فى أحد أيام الشتاء فوصفه بقوله:-

---

(١) النرشخى ، تاريخ بخارى القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ص٤٧ .

(٢) ارمنيوس فامبرى ، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث ، ص١٢١ .

(٣) الثعالبى ، يتيمه الدهر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ ، ج٤ ، ص٧٠ ، ٧١ .

(٤) المقدسى ، مرجع سابق ، ص٣٢٢ .

(٥) القلقشندى ، صبح الاعشى ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩١٣ ، ج٤ ، ص٤٣١ .

(٦) ابن حوقل ، صورة الأرض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٩٢ ، ص٣٩٧ .

(٧) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، القاهرة ، مطبعة التقدم ، ١٩٠٠ ، ص٧٠٧ .

(٨) مالك بن الريب المازنى التميمى (ت ٦٠ هـ) بدأ حياته قاطع طريق لقيه سعيد بن عثمان وهو فى طريقه إلى بلاد ما وراء النهر فاستصلحه وأصطحبه فشهد بعض فتوح تلك البلدان ،
إحسان ذنون عبد اللطيف الثامرى ، مرجع سابق ، ص٤٢ .

إن الـشـتـاء عـدو مـا نـقـاتـلـه فأقفل هديت وثوب الدق مطروح
وشـتـاء مـحـمق الـكـلب فلا يـغـلـو قـديـره
كـلـمـا رام نـبـاحـا زمَ فـاه زمـهـريـره

وهناك نماذج أخرى كثيرة فى وصف شتاء بخارى.

ولقد أثر هذا البرد فى الناس تأثيرا كبيرا خاصة فى الطبقة الفقيرة لأنهم لا يجدون ما يسد عوزهم ويدفئ أجسادهم. كما أن طول فصل الشتاء وبرودته الشديدة جعلت السكان يقضون وقتا طويلا فى الاستسلام لدفء المنزل دون عمل فانعكس ذلك عليهم بصورة عامة، فنراهم[1] يكثرون من أكل الشحوم والدهون كى تكسبهم الدفء مما جعلهم مترهلى الأجسام بدينى البنية.

وإنتشر بسبب البرد الشديد بين الناس شعر الاستجداء لطلب الملابس أو الفحم أو النار.[2]

وأصبح للفحم والنار والملابس الشتوية منزلة كبيرة فى نفوس البخاريين. لكن أعظم آثار البرد والثلج الأضرار التى تلحق بالمزروعات والتى ربما قتلت الحيوانات أيضا.[3]

(١) المرجع السابق ص٤٢ ، ٤٣ .

(٢) كقول أبى إسحاق بن على الفارسى :-

واعن على برد الشتاء بجبة تنر الشتاء مقيدا مسجونا

يتيمة الدهر ، الثعالبى ، ص١٥٠ ، ج٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص١٣٠ .

ثالثا: الموارد المائية:-

١- الأنهار:-

من أهم أنهار بخاري نهر (كرمينية) وهو نهر عظيم يجرى فى كرمينية.[١] ولعل أعظم أنهار بلاد ما وراء النهر نهرا (جيحون وسيحون) لاتساع الأرض التى يسيران بها وكثرة المدن والقرى الواقعة على ضفافهما. وبالتالى شيوع خيرهما فى هذه البلدان المحيطة بهما.

ونهر جيحون هو أقرب إلى بخارى. بل تقع عليه بعض قراها، فمنه شرب سكانها وعليه اعتمادهم فى الزراعة، والثروة السمكية والنقل. وهو نهر عظيم ينبع من بحيرة فى التبت الصغرى وتصب فيه روافد كثيرة.[٢] ويجرى إلى الشمال الغربى. حتى تصب دلتاه فى جنوب بحيرة خوارزم.

وتقع بخارى على نهر الصغد وهو نهر زرفشان، ويسمى فى بعض الأحيان نهر كوهك[٣]. وهذا النهر ينبع من جبل البتم الأوسط[٤]، ويعرف عند منبعه باسم نهر (فان) ومنها يخرج فيتفرع إلى أربعة روافد تجرى على ارتفاع سبعة آلاف قدم فوق سطح البحر ليتدفق بعد ذلك إلى السهل باسم (زرفشان) فيحمل إلى مدينة بخارى الخير، لذلك أطلق عليه البخاريون اسم (زرفشان) أى ناثر الذهب[٥]. فإليه يعود الفضل فى خصب إقليمهم، ومنه يشربون، ويصطادون أنواعا متعددة من الأسماك.

وربما استخرجوا منه اللؤلؤ، وهو من أنفس أنواع الجواهر ويصب هذا النهر فى بحيرة بيكند[٦]. ويأتى بعد زرفشان فى الأهمية نهر (شهرسبز) ولو إهتم

---

(١) كرمينية ، بالفتح ثم السكون وكسر الميم _ وهى بلدة من نواحى الصغد كثيرة الأشجار والثمار بين سمرقند وبخارى بينهما وبين بخارى ثمانية عشر فرسخا ، ياقوت الحموى مرجع سابق ص٢٤٥ ، ج٧ .

(٢) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص٣٩٢ .

(٣) أرمنيوس فامبرى ، مرجع سابق ، ص٣٢ .

(٤) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٠ ،ج١ ، ص٥٠٦ .

(٥) تاريخ بخارى ، أرمنيوس فامبرى ، مرجع سابق ، ص٣٢ .

(٦) ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ص٣٥٢ ، ج١ .

القوم بشأنه قليلا لأفاد كل المنطقة المتاخمة له فائدة عظيمة، وقد دلت التجربة على أن مداومة سقى الأرض هناك لعدة سنين يؤدى إلى تغطيتها بطبقة من الغرين هو سر خصوبتها. وترى الحال نفسه كذلك بالنسبة لمياه جيحون[1].

وهناك نهر (شايور كام) ويسميه عامة بخارى (شافر كام) وقد ذكر فى حكاية أن أحد أبناء كسرى من آل ساسان غضب من أبيه وجاء إلى هذه الولاية، وكان اسمه (شايور)، فلما وصل بخارى أكرمه بخار خداة وكان شايور هذا محبا للصيد، فذهب يوما للصيد ونزل بذلك المكان ولم يكن هناك فى ذلك التاريخ أى قرية أو عمران، بل كان مرجا، وأعجبه المصطاد، فاستقطع ذلك المكان من بخار خداة ليعمره، فأعطاه له، فحفر شايور هذا نهرا عظيما وأسماه باسمه (شايوركام) وأقام على ذلك النهر رساتيق[2] وبنى قصرا. وتسمَى تلك النواحى (رساتيق آبوى) وبنى قرية (وردانه) وقصرا جعله مقرا له، وصار هنالك ملك عظيم، وبقيت تلك الرساتيق من بعده ميراثا لأولاده.

وفى بخارى أنهار كثيرة أخرى منها: نهر (خزقانة العليا) ونهر (سامجن) ونهر (بيكان رود) ونهر (فرواز العليا). وهو نهر ذو رساتيق كثيرة يسقيها وعليه شربهم ونهر (فرواز السفلى) ويسمى أيضا (كام ديمون)[3] وينتهى إلى فارب[4].

وهذه الأنهار كلها من صنع الإنسان، فأهل بخارى هم الذين حفروها. وهناك نهر (غاوختفر)، وهو نهر عظيم جدا وهو الوحيد الذى لم يتدخل الناس بحفره بل هو طبيعى، أى حفره ماؤه دون جهد من الناس ويسميه البخاريون (رودنفر)[5].

وهناك أنهار متفرعة من نهر الصغد الذى يطلق عليه الإصطخرى (النهر الأعظم) وهذه الأنهار هى[6]: -

---

(١) أرمنيوس فامبرى، مرجع سابق، ص٣٤.

(٢) جمع رستاق بمعنى منطقة.

(٣) النرشخى، مرجع سابق، ص٥٤.

(٤) الاصطخرى، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٥) النرشخى، مرجع سابق، ص٥٤.

(٦) بارتولد، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ١٩٨١، ص١٩٩. إحسان ذنون، مرجع سابق، ص٣٧.

نهر (فشيديزه). وعلى هذا النهر ألفابستان وكثير من القصور، ويبلغ طوله نصف فرسخ تقريبا.

ونهر آخر يعرف بـ(جويباربكار) يأخذ من النهر فى وسط المدينة بموضع يعرف بمسجد أحيد ويصب لنهر نوكندة، ويشرب سكان بخارى من هذا النهر الذى يسقى ألف بستان، وقصر ونهر يعرف (بجويبار القواريريين). يأخذ من النهر بموضع يعرف بمسجد العارض يسقى الريض، وهو نهر غزير جدا يسقى كثيرا من الأراضى والبساتين، وهناك نهر (نوكندة) ويأخذ من النهر عند دار حمدونه وتصب فيه كثير من أنهار بخارى، ومنه يشرب بعض سكان ربض بخارى وينتهى إلى فرانة وعليه شربهم، يليه نهر الطاحونة. وسمى كذلك لأن عليه كثير من الأرحية والطواحين التى تستخدم فى طحن الحبوب. ينتهى إلى بيكند، ومنه شرب أهلها.

ونهر يعرف بنهر رباح، وينتهى إلى قصر رباح.. أما نهر (الريكستان) فعليه اعتماد القلعة ودار الإمارة فى شربهم وينتهى إلى قصر ديزة. وهذه الأنهار تحمل السفن الكبيرة أى تخدم عملية النقل النهرى، وكلها تأخذ من النهر _ أى نهر الصغد- داخل سور بخارى.

٢- البحيرات:-

هناك ثلاث بحيرات تقع فى أراضى بخارى هى:-

١) بحيرة بخارى: تقع بين بخارى وسمرقند، وطولها نحو عشرين فرسخا وعرضها نحو خمسة فراسخ. وهى عذبة حلوة[(١)].

٢) بحيرة أبسكون: بالقرب من قرية برسخان[(٢)].

٣) بحيرة سامجن: وتعرف اليوم باسم (قراكول) أى البحيرة السوداء تقع بالقرب من بيكند فى جنوب غرب مدينة بخارى على بعد ٣٠ كيلومترا من

---

(١) إحسان ذنون، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٢) ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ص٢٢ ، ج١ .

الساحل الشمالى لنهر جيحون وتتشكل من المياه الفائضة لنهر زرفشان وتكثر حولها أنواع الطيور، وبها ثروة سمكية جيدة[1].

ومن الطبيعى أن يستفيد سكان بخارى من هذه البحيرات استفادة عظيمة سواء فى شربهم أو فى أخذ ما فيها من ثروات سمكية، أو فى النقل وبالإضافة إلى ذلك فإن فى بخارى الكثير من القنوات والعيون التى أمدت أهالى بخارى بالماء لشربهم وشرب حيواناتهم ورى مزروعاتهم كقناة موليان التى بنى عليها الأمير إسماعيل السامانى (٢٦١ - ٢٩٥هـ / ٨٧٤ -٩٠٧هـ) قصرا كان نواة لضاحية (جوى موليان) الملكية[2].

رابعا: تقسيمات بخارى:-

ميز الجغرافيون العرب فى مدينة بخارى بين معالم ثلاثة هى:

١) القلعة (مقر الحكم)   ٢) المدينة   ٣) الربض

١- القلعة:-

وتسمى بالفارسية (كهندز) أى الحصن القديم وتكتب بالعربية (قهندز). ولا تطلق هذه الكلمة إلا على الحصن القديم أو القلعة التى تكون وسط المدينة[3]. واشتهرت قلعة بخارى بحيث أصبحت كلمة (القهندز) علما على قلعة بخارى[4].

وأول من بناها (سياوش بن كيكاوس) عندما فر من أبيه وعبر جيحون وجاء إلى (أفراسياب) فلاطفه وزوجه إبنته، وقيل إنه أعطاه جميع ملكه فأراد سياوش أن يبقى منه أثرا فى هذه الولاية، فبنى قلعة بخارى هذه وكان يقيم بها فى أكثر الأوقات وقد وشى بينه وبين أفراسياب فقتله أفراسياب ودفن فى هذا الحصن.

---

(١) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٣٧ .

(٢) أرمنيوس فابرى ، مرجع سابق ، ص١٠٨ .

(٣) ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ص٤١٩ ، ج٤ .

(٤) الإدريسى ، مرجع سابق ، ص٤٩٦ ، ج١ .

ولهذا السبب يجل مجوس بخارى هذا الموضع، وفى كل سنة ينحر كل رجل هنالك ديكا نذرا له قبل طلوع شمس النوروز[1]. ولأهل بخارى فى مقتل سياوش نياحات معروفة فى جميع الولايات جعلها المطربون أناشيد ينشدوها، ويسميها القوالون نواح المجوس.

ولهذه القلعة بابان شرقى وغربى. ويسمى الباب الشرقى بباب الغورية (دروازه غوريان) أى باب باعة التبن أو باب العلافين، وهذا ما يعنى وجود سوق لهؤلاء الباعة بالقرب من البوابة والغربى باب الصحراء (درريكَستان). وكان فى وسط القلعة طريق يمتد من هذا الباب إلى ذاك.

وكانت هذه القلعة مقر الملوك والأمراء والقادة، كما كان يوجد بها السجن والدواوين الملكية والقصر الملكى وبيت الحريم، والخزانة من قديم الزمان[2].

ولا شك أنها زادت أهمية حينما استقر بها الأمراء السامانيون وسيروا شؤون دولتهم منها فلا غرو إذن _ إن سمعنا الإدريسى يصفها بوصفه الجميل: (فى القلعة مسكن حسن، وقصور يروق الأبصار إطلاعها، ويريع الألباب اختراعها، وينزلها الولاة من ولد سامان)[3].

٢- القصبة:-

وتسمى شهرستان. وهى عاصمة المدينة. بقعة مستوية على مسافة قصيرة من نهر الصغد. عليها سور له سبعة أبواب حديدية هى:

١- باب المدينة ويسمى باب العطارين أيضا[4].

٢- باب نور أونوز[5].

(١) هو يوم تعظمه الفرس .. وهو عيد عظيم عندهم . وهو أول السنة الايرانية ويحتفلون به يوم ٢١ مارس من كل عام .. المؤلف .

(٢) النرشخى ، مرجع سابق ، ص ٤٣ _ ٤٤ .

(٣) الإدريسى ، مرجع سابق ، ص٤٩٤ ، ج١ . وهناك أسطورة إعتقد بها أهل بخارى تقول : إنه منذ بناء هذه القلعة لم يمت فيها ملك قط . لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام . وحين كان يدنو أجل ملك من الملوك كان يحدث له سبب يخرجه منها فيتوفى فى مكان آخر . إحسان ذنون ، مرجع سابق ، ص١٨ .

(٤) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٨٤ .

(٥) القلقشندى ، مرجع سابق ، ٣٤٣ ، ج٤ .

٣- باب حقرة (أى طريق الحق) لأن الناس كانوا يحملون الفتاوى هنالك إلى السيد أبى حفص وقد سموا الفتوى الحق[١].

٤- الباب الجديد، وهو آخر الأبواب بناء ولذلك سمى الباب الجديد[٢].

٥- باب قهندز[٣].

٦ - باب بنى أسد، وكان يسمى قبل الفتح الإسلامى. (در مهرة) أى باب الخرزة.

٧- باب بنى سعد[٤].

تقع فيها القصور والأبنية والبساتين والسكك المتناثرة وتسمى (البلدة الداخلية) وهى واسعة البساتين المثمرة والمزهرة[٥]. وإذا علوت قلعة بخارى لم يقع بصرك إلا على خضرة على مد البصر تلتقى مع السماء وتلوح فيما بينهما القصور[٦].

ويبدو أنها المدينة القديمة التى كانت نواة لمدينة بخارى التى توسعت فيما بعد.

وكان إسمها (نومكلث)[٧] وتعد الضاحية الملكية اللاصقة للقلعة (مقر الحكم).

أطلق عليها القزوينى (خاص القصبة)[٨]، وكانت هذه القصبة للحكماء والأثرياء وعلية القوم ؛ ومن البديهى أن تكون القصور والبساتين الواسعة للطبقة العليا الثرية.

٣- الربض:-

وهو الأبنية التى تكون حول المدينة. أى هو الضاحية بين المدينة القديمة (القصبة أو الشهرستان) وبين السور الخارجى للمدينة وقد تقدم أهل بخارى إلى أمير خراسان محمد بن عبد الله بن طلحة الطاهرى بواسطة أحمد بن خالد أمير بخارى قائلين: إنه يلزم لبلدنا ربض لنغلق الأبواب ليلا ونأمن اللصوص

(١) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٨٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص٨٩ .

(٣) القلقشندى ، مرجع سابق ، ص٤٣٤ ، ج٢ .

(٤) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص٣٩٩ .

(٥) أرمنيوس فامبرى ، مرجع سابق ، ص٢٥٥ .

(٦) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص٣٩١ .

(٧) لسترنج ، بلدان الخلافة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ ، ص٥٠٤ .

(٨) القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٠ ، ص٥١٠ .

وقطاع الطرق. فأمر فبنوا ربضا فى غاية الجودة والإحكام، وأقاموا الأبراج ووضعوا الأبواب وتم ذلك عام (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م). وقد أمر أرسلان خان فى عهده بأن يبنى أمام ذلك الربض القديم ربض آخر بحيث أصبح كلاهما متصلا ومحكما(١). وكان هذا الربض كبيرا تعادل مساحته مائة وأربعة وأربعين فرسخا مربعا أى ما يعادل (٨٦٤) كيلومترا مربعا تقريبا.

يقول عنه الإدريسى (كان عامر الديار فسيح المجالات. وأكثر أسواق بخارى فى هذا الربض وفيه مسجد جامع عديم المثال، كثير الاحتفال) (٢).

ونستدل من كثرة وجود الأسواق فى هذا الجزء من المدينة على أنه مخصص لعامة الناس وأنه مركز الثقل التجارى والثروة الإقتصادية.

ويشق هذا الربض نهر الصغد، فيخترق أكثر أزقته وشوارعه وأسواقه ويفضى إلى طواحين وضياع ومزارع.

ولأسباب دفاعية وأمنية رأى أهل بخارى أن يكون حول هذا الربض سور متين حصين مزود بالأبراج والبوابات، فبنوا سورا سعته اثنا عشر فرسخا(٣) يجمع الأبنية والقصور والمحال والسكك وخمسا من مدنها وهذه المدن هى:-

١- نومجكت.

٢- طواويس(٤).

وردت عند النرشخى (طوايسة) و (طوايس). أما سبب تسميتها بهذا الاسم راجع إلى أن هذه المدينة كان بها قوم منعمون مترفون، وفى بيت كل منهم طاووس أو طاووسان من باب الترف ولم يكن العرب قد رأو الطاووس قبل ذلك، فلما رأوا

(١) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٥٩ .

(٢) الإدريسى ، مرجع سابق ، ص٤٩٤ ، ج١ .

(٣) الإصطخرى ، مرجع سابق ، ص١٦٥ .

(٤) طواويس : بفتح الطاء والواو ، وبعد الألف واو ثانية مكسورة وياء ساكنة وفى آخرها سين وتكتب معرفة بأل فى الغالب ، ولا يزال بعض سكان بخارى يحتفظون بطاووس أو أكثر فى منازلهم ، يعتنون بها كثيراً . حتى أن جمهورية أوزبكستان اتخذت هذا الطائر شعارا بها بعد استقلالها عن الإتحاد السوفيتى سنة ١٩٩٠م وهنالك نقش فى إحدى المدارس التى تعود للقرن السابع عشر الميلادى يحمل صورة طاوسين ملونين ، إحسان ذنون مرجع سابق ، ص٢٤ .

هنالك طواويس كثيرة سموا هذه المدينة (بذات الطواويس) ثم أختصر مع مرور الزمن، وتسمى أيضا (أرقود).

وهى أعظم المدن الخمس بعد القصبة، وفيها مسجد جامع ولها سور عظيم وفى قديم الأيام كانت هناك سوق من تقاليدها أن تباع بها سنويا لمدة عشرة أيام من فصل الخريف بقايا السلع المعيبة من رقيق ودواب وغير ذلك من متخلفات معيبة أخرى، ولم يكن فى الإمكان ردها ثانية وقبول أى شرط للبائع والمشترى.

وكان يحضر هذا السوق أكثر من عشرة آلاف من التجار ويعودون بأرباح طائلة. ولهذا كان أهل هذه المدينة من الأغنياء، ولم تكن الزراعة سبب غناهم وهى تقع على الطريق الرئيسى إلى سمرقند وتبعد عن بخارى سبعة فراسخ[١]، وكانت ذات مكانة دينية عظيمة قبل الإسلام إذ كان بها بيت آلهة وبيت نار لعبادة المجوس[٢].

٣- مُغْكَانَ:-

تقع على بعد خمسة فراسخ شمالى المدينة، وهى مدينة صغيرة لكنها كثيرة القرى. بها حصن وربض كبير ولها جامع، وهى ذات أسواق وبساتين وحركة تجارية رائجة معمورة بالناس والبنيان[٣].

٤- زَنْدنة:-

تقع شمالى القصبة على بعد أربعة فراسخ[٤]، بها حصن كبير ومسجد وجامع تقام فيه صلاة الجمعة، وأسواق عديدة كثيرة العمران والبساتين والمياه الجارية[٥] ولها ربض عامر[٦].

---

(١) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٢٨ .
(٢) تاريخ الطبرى ، الطبرى ، ص٤٦٣ ، ج٦ .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، إبراهيم ذكى خورشيد ، القاهرة ، مؤسسة دار الشعب ١٩٩٠ ج٦ ، ص٣٥٥ .
(٤) ابن حوقل / مرجع سابق ، ص٤٠٥ .
(٥) الإدريسى ، مرجع سابق ، ص٤٩٦ ، ج١ .
(٦) لسترنج ، ص٥٠٦ .

ينسب إليها نوع من الثياب يصنع بها يسمى (الثياب الزندنية)[1] وهى ثياب قطنية فاخرة مشهورة تحمل إلى مختلف المناطق مثل العراق وفارس والهند.... وغيرها ويتخذ منه جميع العظماء والملوك ثيابا يشترونه بثمن الديباج[2].

٥- خُجَادة:-

وهى بلدة كبيرة تقع على بعد ثلاثة فراسخ من القصبة وبها حصن وجامع وأسواق وأبنية كثيرة[3].

وبالإضافة إلى هذه المدن الخمس ضم الربض عددا من القرى منها:-
"الذر _ بورق _ سخر _ بومة _ أروان _ سامجن ومادون...... وغيرها "[4].

وهى قرى واقعة داخل السور _ إما تابعة للمدن الخمس وإما قائمة بذاتها خاصة إذا عرفنا أن الإصطخرى وابن حوقل قد أطلقا عليها إسم (رساتيق)، فالرساتيق هو الموضع الذى فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن[5].

---

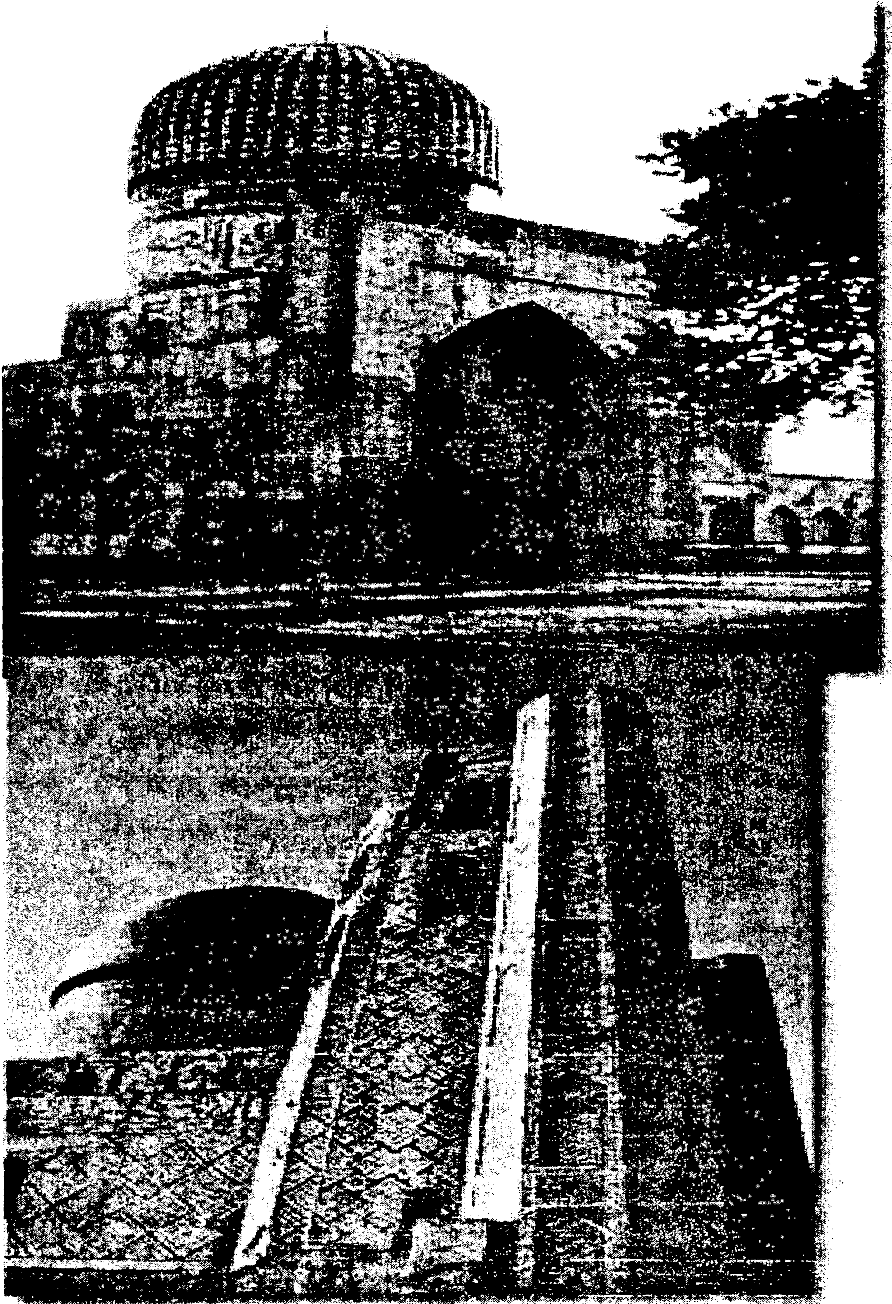
(١) ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ص١٥٤ ، ج٣ .

(٢) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٣١ .

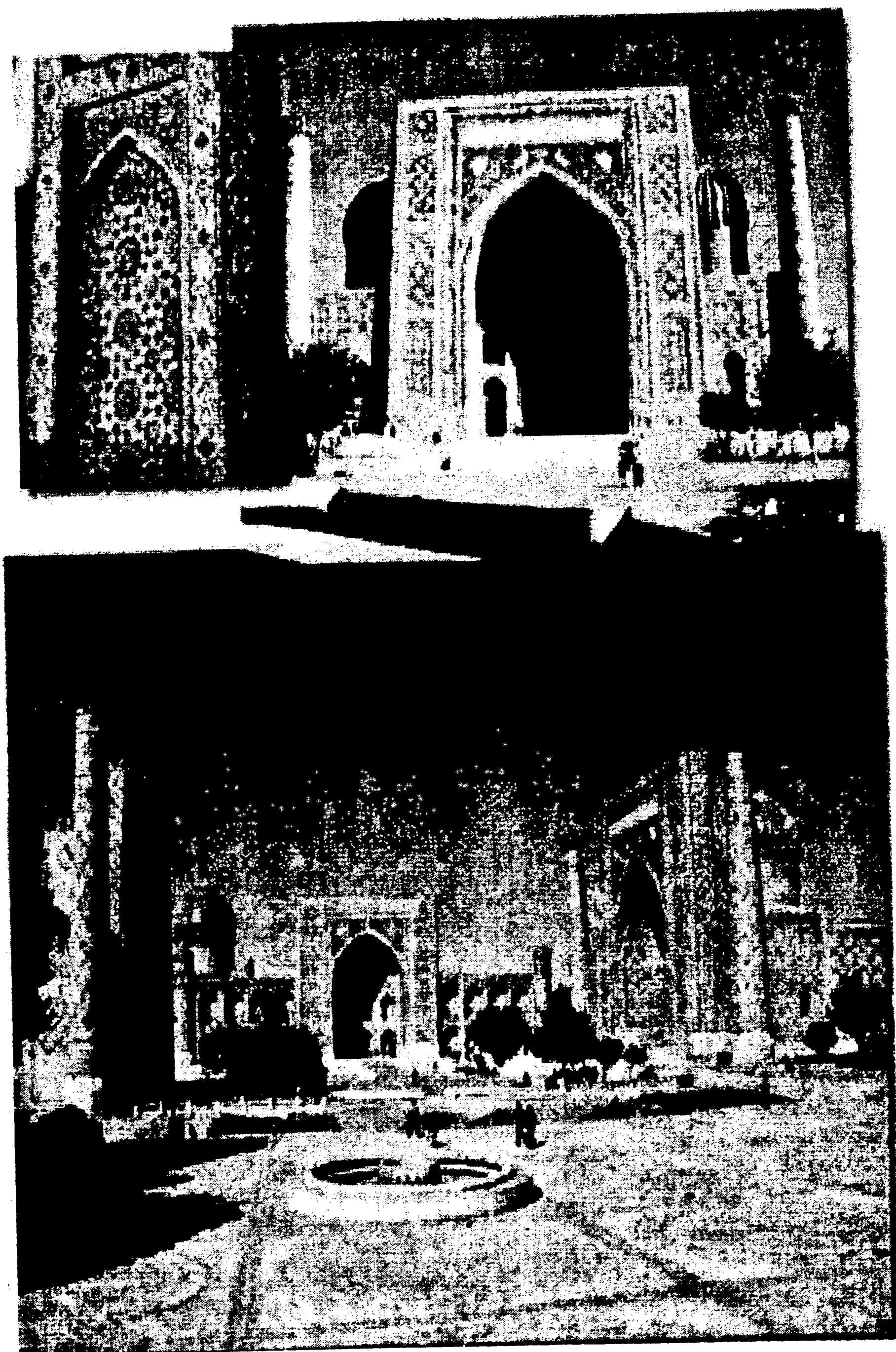
(٣) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص٤٠٥ .

(٤) الإدريسى ، مرجع سابق ، ص٤٩٦ ، ج١ .

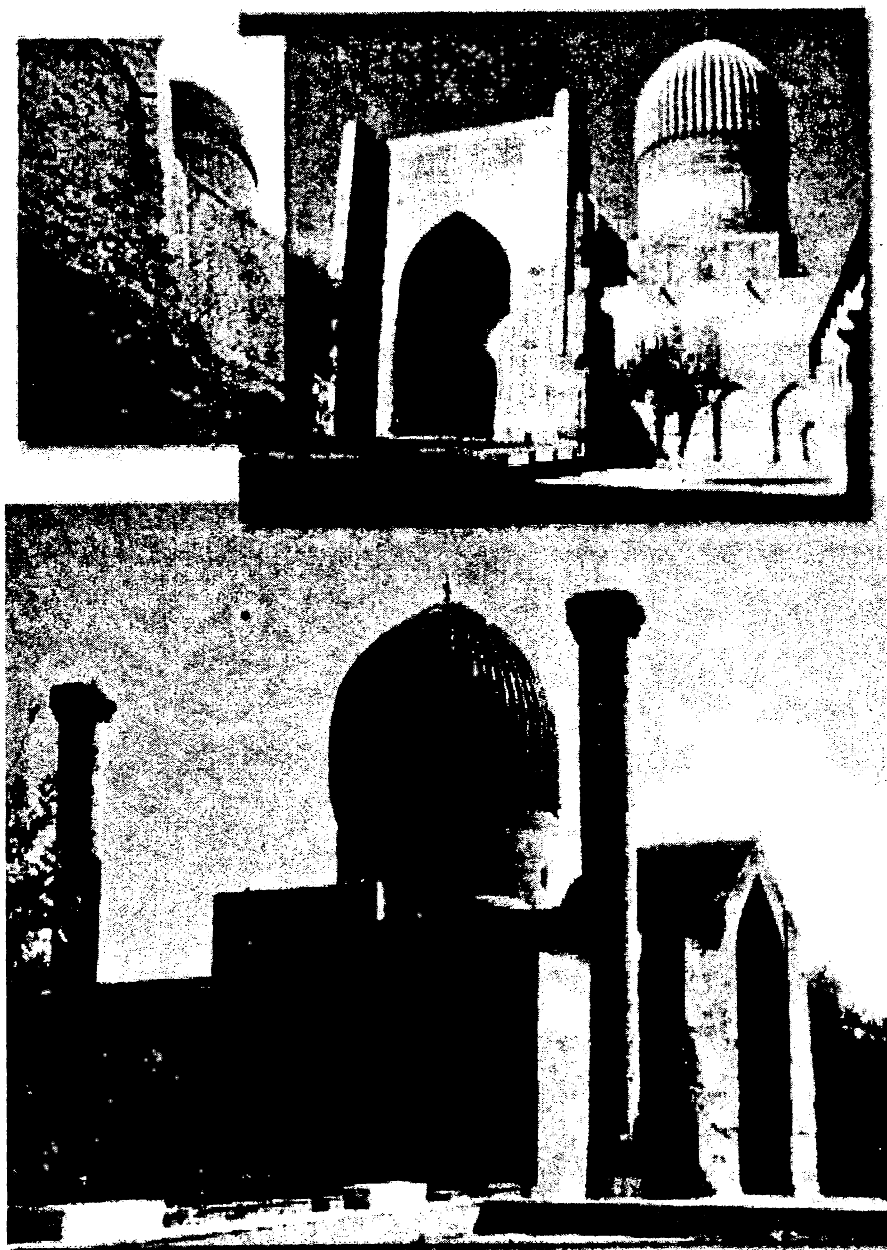
(٥) ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ص٣٨ ، ج١ .



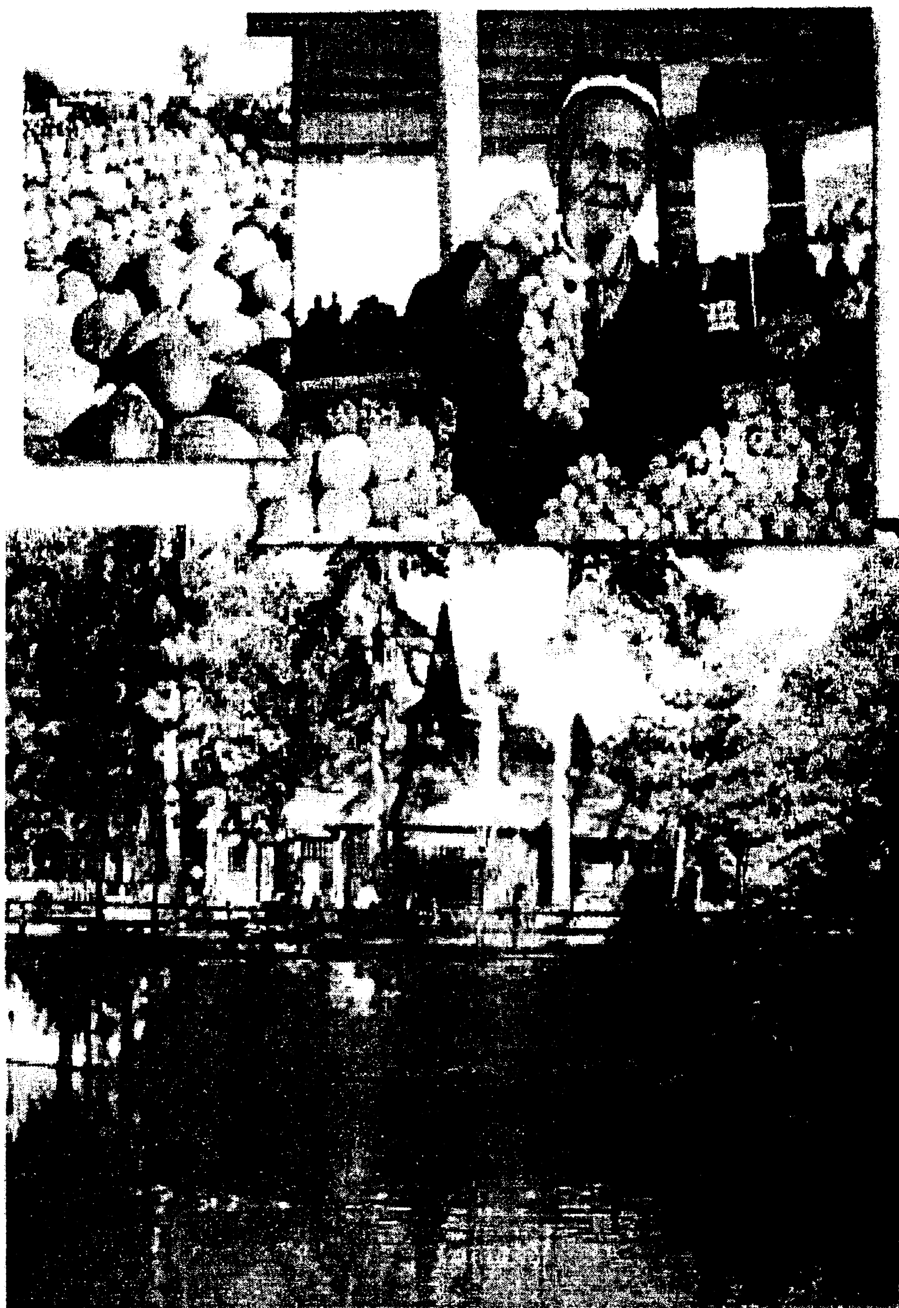
نماذج لمبانى أثرية فى مدينة بخارى



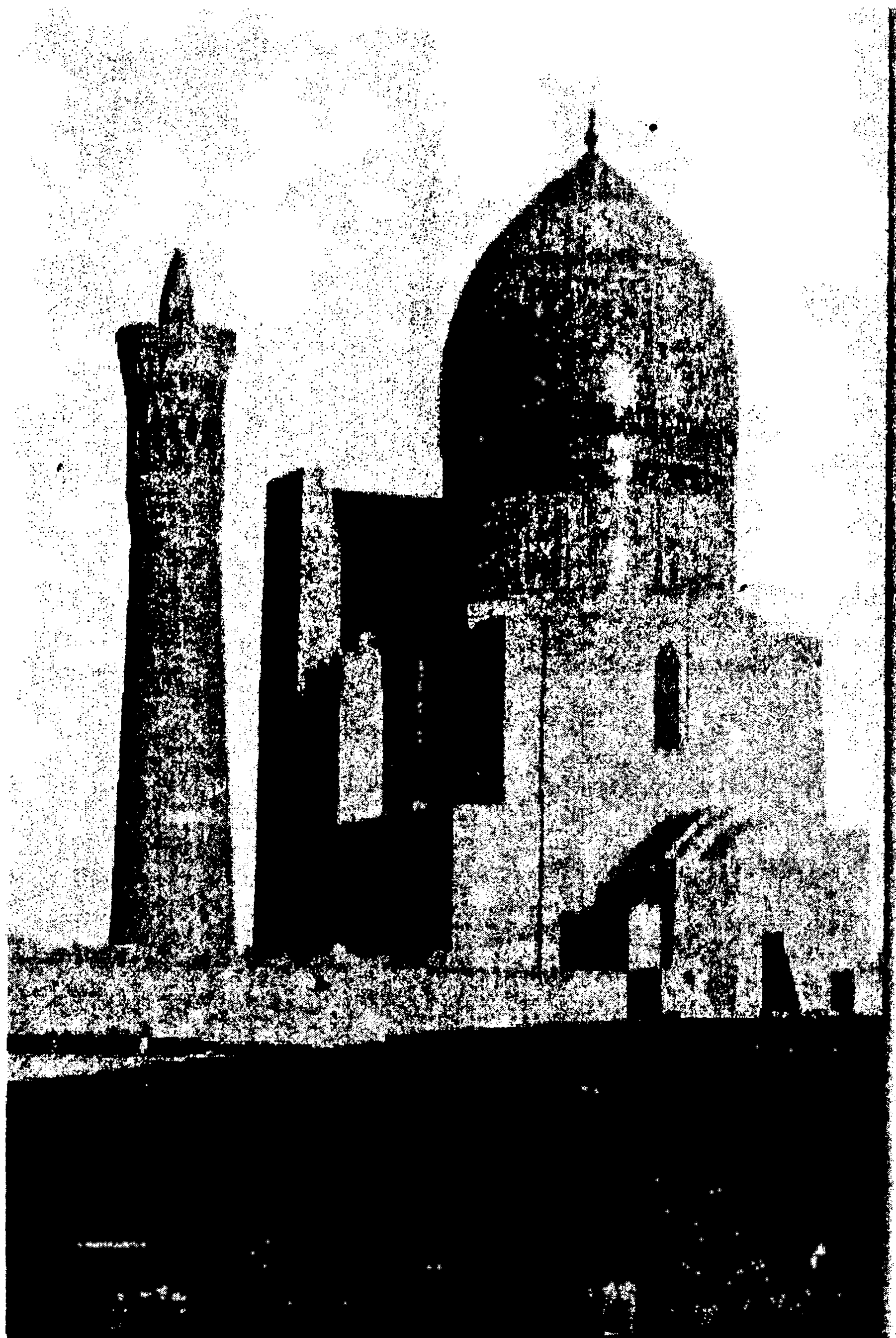
معالم أثرية فى مدينة بخارى



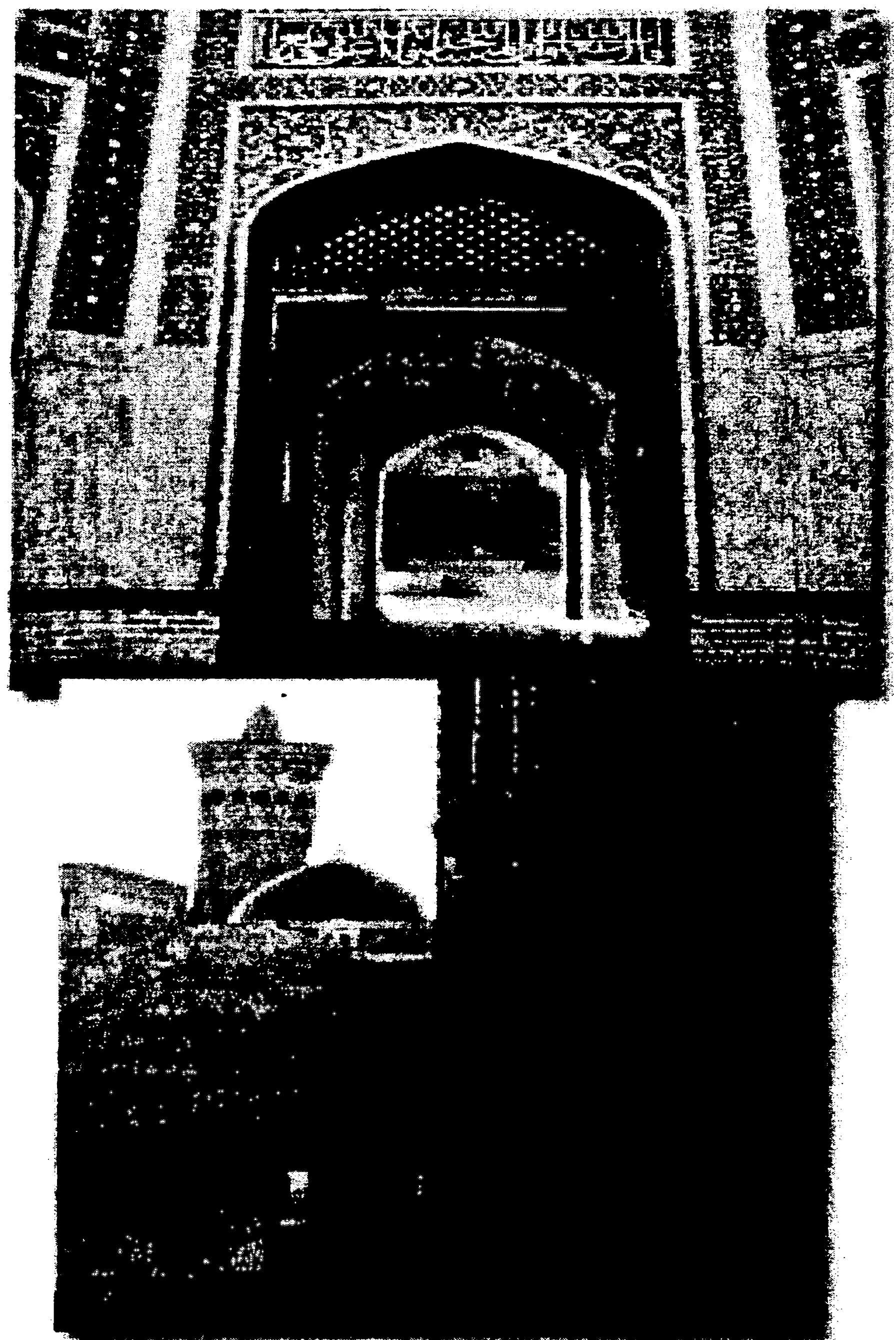
من معالم بخارى القديمة



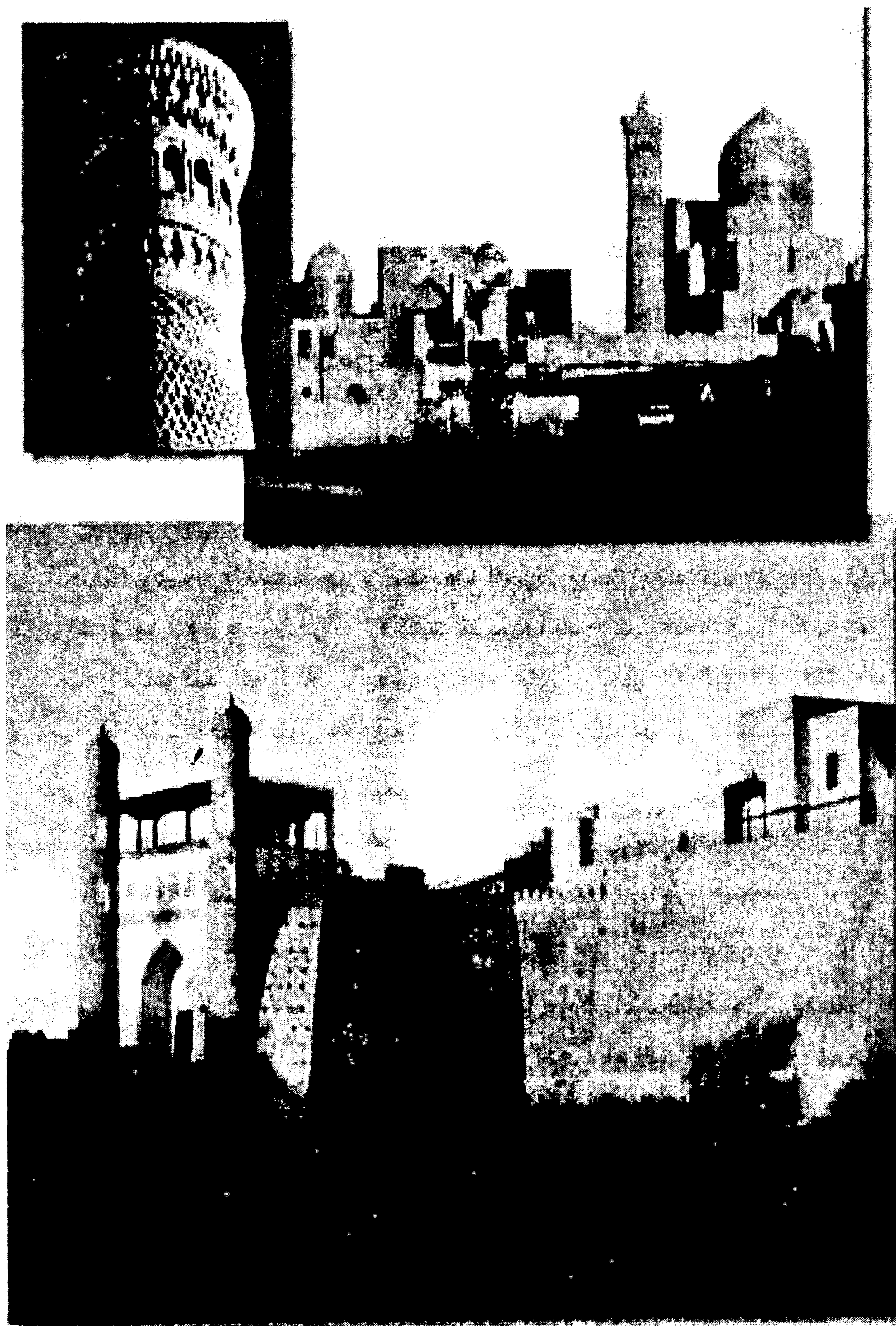
جمال الطبيعة وفاكهة بخارى



أحد مساجد بخاری



نماذج لمراقد السامانيين فى مدينة بخارى



معالم أثرية فى مدينة بخارى

نشأة بخارى:

بخارى مدينة قديمة ذات حضارة عظيمة. تم إنشاؤها منذ ألفين وخمسمائة سنة _ أو ما يزيد _ وهى اليوم عاصمة " ولاية بخارى " ضمن إثنى عشر ولاية تتشكل منها جمهورية أوزبكستان التى أعلنت استقلالها فى أول سبتمبر سنة ١٩٩١م أثر انهيار الإتحاد السوفيتى.

يقع التاريخ القديم لبخارى فى حقبة الألف عام الثانية قبل الميلاد على أنه لا توجد دلائل كافية فى هذا الشأن[١].

ترتبط بخارى بدء قيامها كدولة بقصة خرافية وهذه القصة تجرى على الوجه الأتى:-

كانت بخارى فى القديم خواء تسودها البرك والمستنقعات، وفيها الغاب والأحراش. أما أنهارها وغدرانها فكانت تغطيها ثلوج سلسلة الجبال الشرقية التى تجاور سمرقند الحالية وتفيض كل عام على أراضى الأقاليم الواطئة، ولم تكن هذه الأراضى تصلح للزراعة وإنما كانت أكثر نفعا للصيادين والسماكين.

حتى قدم إليها من تركستان البعيدة الصيادون فاتخذوا من أرضها بالتدريج مقاما لهم ومهدوا بذلك لقيام قرى «تركمود» و « بروانه» و «اسوانه» و «نور» واختار هؤلاء من بينهم أميرا عليهم، وكان يدعى «ابرزى فسكن بيكند».

ذلك ان بخارى - حاضرة الملك الحالية - لم تكن قد قامت بعد.

وأمعن «أبرزى» هذا الاستبداد شيئا فشيئا فإزداد سلطانه حتى اضطرت الطبقات الغنية بسبب عسفه إلى الفرار إلى الأقسام الشمالية من الأقاليم التركية حيث بنو مدينة " جموكيت «أو» جمنكت « أما الطبقة الفقيرة فحين شعرت بعجزها عن الوقوف فى وجه هذا الأمير المستبد استعدت عليه بالأمير التركى صاحب البلاد التى تجاور أرضهم، وكان يدعى " قراجوزين " فسير إليهم جيشا وعليه ابنه "شيركشور" فأوقع " أبرزى " فى أسره ووضعه فى كيس ملئ بالأشواك وأنطلقوا يدحرجونه حتى أسلم الروح.

---

(١) أمجد بو هيل بروخازنكا ، مرجع سابق ، ص١٠ .

وبعد الخلاص من هذا الظلم استدعى شيركشور الأثرياء من منفاهم وسمح لهم بأن يجعلوا من أنفسهم طبقة من النبلاء عرفت بإسم «خدات» فى حين صار الفقراء الذين بقوا هناك هم الرعية، يقال إن شيركشور حكم قرابة ثلاثين عاما، وخلفه من بعده أمير يدعى " سكجكت " ينسب إليه تعمير مدينتى «رامتن" و«فراخشة» بالمنشآت.

والمرجع التاريخى الذى نقلنا عنه يمضى فى روايته فيقول بأن حاكم بخارى الذى كان يعاصر ظهور الإسلام، كان يدعى «بندون» وقد خلد ذكره بتجديد القلعة[١] التى أقامها «أفراسياب» أو «سياوش» وحفر إسمه على لوحة حديدية ثبتت بأعلى بوابة القلعة وترك «بندون» من بعده ولدا يدعى «طغشاد» وكان حدثا فانفردت بشئون الملك زوجته «خاتون». ويقال أن حكمها إستمر خمسين عاما ظهر العرب أثناءها بهذه الديار.

وذاع صيت هذه السيدة لحكمتها وإجلال الناس لها، وكانت تغادر حصنها كل يوم بعد الشروق فتجلس فوق عرش ومن حولها رجال البلاط والأعيان، وتقيم العدل بين الناس.

وبهذه السيدة انتهى الحكم الفعلى لأول أسرة حاكمة فى بخارى. فقد حفظ الحكم الإسلامى على من بقى من أعضائها ألقاب الإمارة دون النفوذ والسلطان[٢].

أما عن تكوينها، فيذكر الإمام أبو الحسن النيسابورى فى كتابه «خزائن العلوم» أن موضعها كان يتكون من بركة وقصبة، ومرج غير صالحة لحياة أى كائن حى لكثرة نزول المياه الذائبة من ثلوج سمرقند وتجمعها فى هذا الموضع. وكان الماء يأتى بكثرة ويحمل الطمى إلى ناحيتى (بتك) و (فرير) ثم توقف ذلك الماء وقد طمر هذا الموضع الذى عرف فيما بعد ببخارى وتمهدت الأرض[٣]. وقد سمى

---

(١) تقول الأسطورة أن " سياوش بن كيكاوس " هرب من إيران حين ترك أباه مغاضبا ولجأ إلى " أفراسياب " ملك الترك فأكرم وفادته وزوجه من إبنته وأراد سياوش أن يترك من ورائه أثر فأقام مدينة بخارى ، النرشخى ، مرجع سابق ، ص٧ .

(٢) فامبرى ، مرجع سابق ، ص ٣٧ ،٣٨ ، ٣٩ .

(٣) إحسان ذنون ، مرجع سابق ، ص١٤ .

الصينيون هذه المدينة منذ القرن الخامس الميلادى «نومى» وهو الاسم الذى يقابل الاسم القديم «نومجكت».

وقد إختلف الجغرافيون فى طريقة كتابتها فابن حوقل يكتبها «نمجكت»[(١)] ويكتبها الإدريسى «بمجكت»[(٢)]. لكن الغريب هو كتابة الاصطخرى. فهو يذكرها " بومجكت «تارة». و «تومجكت» تارة أخرى، وكتبها «نومجكت» غير منقوطة تارة ثالثة[(٣)]. وأغلب الظن أن القرية التى ذكرها ياقوت «تمشكت» هى ذاتها[(٤)]. وقد رجحت اللفظ الأول «نومجكت» لأنى ارتضيت تفسير لسترنج حين قال إن التهجئة الصحيحة: « نومجكت» أو «نموجكت» أما اللفظ «بومجكت» فهو خاطئ[(٥)]. واسم بخارى بالصينية «يوهو» وهو تحرير لكلمة «بخَر» البهلوية وهى بدورها تحويل تركى مغولى للكلمة السانسكريتية «فهارة» ومعناها الصومعة أو الدير[(٦)]. وعليه يمكن القول أن «فاخرة» يمكن أن تكون معربة لهذه الكلمة السانسكريتية.

وكان أمراء بخارى قبل الإسلام يحملون لقب «بخار خدا»[(٧)] ومعناه أمير بخارى أو صاحب بخارى [(٨)].

ويذكر التاريخ أن بخارى كانت عاصمة لإمبراطوريات عظيمة لعدة مرات وحتى بداية القرن العشرين، وقبل قيام الثورة الروسية فى روسيا كانت بخارى عاصمة الأمراء الخانيين فيها.

---

(١) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص٤٠٣ .

(٢) الإدريسى ، مرجع سابق ، ص٤٩٦ ، ج١ .

(٣) الاصطخرى ، مرجع سابق ، ص١٩٠ ، ١٧٥ .

(٤) ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ص٤٦ ، ج٢ .

(٥) لسترنج ، مرجع سابق ، ص٥٠٤ .

(٦) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٩٠٨ .

(٧) وقد ضبطت بعد ذلك فى الكتب الإسلامية " بخار خداة " وتكتب بالفارسية " بخار خدات " بالتاء المفتوحة / المصدر السابق .

(٨) المصدر السابق ، ص٩ .

وتعتبر بخارى واحدة من أقدم مدن آسيا الوسطى، وأغنى مكان يزخر بالعمارة الإسلامية فى التركستان رغم أن ثلثى الشواهد التاريخية قد دمرت حديثا، ويوجد فى المدينة مائة وأربعون أثرا قديما ويرجع معظمها إلى القرن التاسع عشر وكثير منها يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر بينما القليل من المبانى التاريخية يعود تاريخها إلى ما قبل ذلك.

وبخارى لا تعتبر واحدة من أقدم المدن فى المنطقة فحسب بل يعتبرها البعض من أقدم مدن العالم التى ظلت مسكونة على الدوام.

والواحة التى تسيطر بخارى على معظم أنحائها تقع فى قلب منطقة آسيا الوسطى. لقد كانت دائما وعلى مر القرون معبرا دوليا ومركزا للتجارة حيث اختلطت لغات وثقافات عديدة ببعضها البعض. وزادت أهميتها مع نموها المتزايد. ويرجع الفضل فى ذلك لكونها قد أصبحت جزئا من السوق الكبير الذى أمنته الدولة الإسلامية.

ولم تكن بخارى مكان لاستبدال السلع والبضائع بل كانت منتجا لأنواع عديدة من المنتجات النادرة ذات النوعية الممتازة إلا أنها انهارت بعد ذلك بسبب الاتجاه الحديث نحو الإنتاج الصناعى بالجملة للمنتجات الرخيصة.

ويرتبط باسم هذه المدينة أيضا بعض أسماء الشخصيات المشهورة فى مجال الثقافة الإسلامية ومنهم " البخارى " و " أبو على بن سينا " وقد عرفت بخارى أيضا بكونها سوقا رائجا للكتب وكان حكامها يجمعون الكتب من أجل مكتباتهم كما كان معروفا احتواء مكتبة القصر (قصر الحكم) على العديد من الغرف التى كان يوجد بكل منها مجموعة الكتب التى تخص موضوعا بعينه ويمكن مقارنتها _ من حيث الأهمية _ بالكتب التى جمعت أيام حكم الفاطميين فى القاهرة. ومن المعروف أن كل مدرسة فى بخارى كان لها مكتبتها الخاصة.

ويجب أن نضع فى اعتبارنا الحقيقة القائلة بأن الكتاب فى تلك العصور الوسطى كان من المقتنيات الثمينة جدا. لأن كل كتاب كان يتولى كتابته خطاط مؤهل، وكان يتناسب مع الجهد الكبير المبذول فى كتابته (قبل اختراع الطباعة).

وكانت الكتب رغم ذلك سلعة رائجة بل من أهم السلع التجارية فى بخارى التى كان بها واحد من أكبر أسواق الكتب.

وحتى الآن يوجد فى بخارى ست عشرة مكتبة عامة تضم حوالى أربعة ملايين كتاب من مختلف التخصصات، ومن بينها مكتبة ابن سينا التى تضم مخطوطات لا تقدر بثمن.

وترتبط بخارى أيضا باسم «الملا نصر الدين» وهو شخصية تاريخية عرف بعشقه للنكات الحكيمة مثلما كان يفعل جحا عند العرب الذين يحفظون عنه الكثير من النكات[١].

إن مدينة بخارى لم تبن دفعة واحدة وفق خطة واحدة وبنفس التاريخ - كبغداد أو القاهرة - وإنما وبناء على ما جاء فى المصادر - بنيت على دفعات مختلفة وأقيمت أجزاء بعد أجزاء وأنشئت مبان فوق أنقاض أخرى[٢] واتصفت مبانى المدينة بأنها متشابكة ومتلاصقة وعمارات متصلة وذلك لازدحامها بالسكان وبأنها مرتفعة إذ أن البخاريون يحبون البناء على الروابى والمرتفعات[٣].

كما كان البخاريون يحبون المبانى العالية خاصة بيكند[٤] التى جذبت مبانيها العالية انتباه أبى بكر النرشخى[٥] واسترعت انتباه المقدسى أيضا.

ومن أنظمة البناء التى عرفتها بخارى نظام السخرة وخاصة فى المبانى العامة كالأسوار ويبدو أن هذا النظام كان متبعا حتى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى حيث أبطله إسماعيل السامانى.

ومن خلال دراسة فن العمارة السامانية تعرف الدارسون على بعض مميزات ذلك الفن ومنه النحت على الجص فقد غطيت بعض الجدران بزخارف جصية

---

(١) أمجد أبو هيل بروخازكا ، مرجع سابق ، ص٨ .

(٢) أمجد أبو هميل بروخازكا ، مرجع سابق ، ص١٠ .

(٣) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص٣٩٨ .

(٤) بيكند _ بالكسر وفتح الكاف وسكون النون ، بلدة بين بخارى وجيحون على بعد ٤٤ كيلو مترا من بخارى كانت عاصمة لما وراء النهر فترة من الزمن ، ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ص ٣٣٩ .

(٥) النرشخى ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

ملونة وتظهر فى هذه الزخارف عناصر نباتية مما يدل على تأثر الفنانين البخاريين بالفن العراقى، كما زينت بعض الجدران بتصاوير ملونة ذات موضوعات آدمية ونباتية وخاصة سعف النخيل. ولئن تأثرت هذه العمارة بفنون العراق فإنها أثرت فى فن العمارة والتصوير السلجوقى وعلى وجه الخصوص أشكال النسوة ذات الوجوه الممتلئة والمستديرة والفم الصغير والأعين اللوزية الضيقة التى أشتهرت بها فنون الرسم السلجوقى(١).

ولننظر فى أشكال البناء التى اشتهرت بها بخارى:

١- المدينة:-

تكونت مدينة بخارى كباقى مدن بلاد ما وراء النهر من مدينة داخلية وربض وقلعة وتقع هذه القلعة على هضبة عالية مساحة كبيرة وهى تذكرنا بالقلاع المشابهة التى وجدت فى خوارزم وفى إيران، فلقد كانت هذه القلعة الواسعة هى نقطة البدء فى تكوين المدينة باكملها.

ويوجد بوابتان لهذه القلعة إحداهما تؤدى إلى واحدة من بوابات المدينة وهما ليستا متقابلين هندسيا، وكان يربطهما الطريق الرئيسى الممتد داخل القلعة وقلب المدينة الذى كان يعرف باسم " شهرستان " والذى كانت له تحصيناته الخاصة، ظهر بعد أن كانت القلعة مسكونة بعدة قرون، ولكن المؤكد أن ذلك حدث قبل أن تصبح بخارى إحدى ولايات الخلافة بزمن طويل. وكان للحصن أربع بوابات للمدينة كل بوابة منها للدخول والخروج من وإلى أحد الجوانب الأربعة وبعض المصادر تؤكد على أنه كان هناك أربع بوابات على الجانب المواجه للقلعة وليست بوابة واحدة.

وبين القلعة والحصن الأول لبخارى كان هناك مسافة بـ ١٢٠ م، ولم يكن هناك ما يربط بينهما، وفى حالة حدوث حصار على المدينة كان قسما المدينة ينفصلان عن بعضهما وبالمقارنة مع أقدم المدن الإسلامية حيث كان الحاكم يقيم قريبا من المسجد المركزى فقد تحول محل إقامة الحاكم بعد ذلك إلى مكان بعيد نوعا ما،

(١) علام ، فنون الشرق ، الاردن ، ص٩٣ ، ٩٤ .

وعلاوة على ذلك فقد كان الهدف من التحصين ليس فقط لصد الأغراب عن دخول المدينة بل حماية الحاكم من أى محاولة للانقلاب عليه.

لقد احتفظ قلب المدينة شهرستان بأهميته حتى بعد أن أصبح هناك خط تحصين ثان وكان فى العادة يتميز بقوة التحصين. وقد ظل قلب المدينة على ما هو عليه حتى أيامنا هذه، والأحياء فى قلب المدينة كانت أصغر من تلك التى بنيت حديثا وكانت أكثر كثافة وازدحاما بالقياس إلى سكان الضواحى.

وفى ضواحى المدينة التى كانت تسمى سابقا الربض ظهرت أثناء فترة الانتعاش الصناعى اليدوى ونمو التجارة، وخصوصا ظهور الورش الفنية، والأسواق بكثافة ملحوظة. ومع اقتراب القرنين التاسع عشر والعشرين بدأت الفوارق بين قلب المدينة والضواحى من ناحية أخرى تتلاشى تدريجيا[1].

وجميع المصادر تشهد بأن مدينة بخارى كانت عبارة عن مدينة داخلية وضاحيتين أى كان لها قسم داخلى وآخر خارجى، وكان للمدينة الداخلية حدودها الواضحة المعالم والمنتظمة بينما كانت حدود الضواحى _ رغم أنها كانت أحدث من المدينة نفسها من حيث النشأة أو البناء _ من الصعب وضع تحديد واضح لها.

وهناك اعتقاد خاطئ بدعوى أن بخارى فى العصور الوسطى كانت قد بنيت على نمط تخطيط مدن العصور القديمة وخاصة مدن الإغريق والرومان. ولكن يصعب تصديق ذلك بالنسبة لبخارى التى بينها وبين التأثر الإغريقى. أما الهيكل الإنشائى العام فى بخارى فيمكن مشابهته مثلا بمدينة خوارزم أو خراسان فى العصور القديمة بدلا من تتبع النمط الأول للعصور القديمة التى يغلب عليها الطابع الكلاسيكى. وفى المجال الإسلامى نجد أن المدن كلها لها مبادئ تخطيطية مختلفة مبنية أساسا على تدرج المراتب فى النظام الإدارى مثلما نرى فى المبانى المخططة حديثا.

---

(١) أمجد بو هيل بروخازكا ، مرجع سابق ، ص١٠ .

ومثلما حدث فى أوائل القرن العاشر الذى شهد نموا سريعا للمدن الإسلامية لم تكن بخارى استثناء من ذلك بل على العكس ففى أثناء الحكم السامانى أى بين عامى (٨٦٤ و ١٠٠٥هـ) أخذت بخارى دفعة قوية وأساسية فى مجال نموها.

والحكام السامانيون _ مثل غيرهم من الحكام _ الذين حكموا ولايات الخلافة البعيدة بدأوا ينفصلون تدريجيا عن السلطة المركزية فى بغداد، وكانت أول بوادر الإنفصال فى الناحية الاقتصادية وذلك بالإمتناع عن دفع الضرائب المقررة عليهم ثم عدم ذكر اسم الخليفة فى صلاة الجمعة وهذا فى حد ذاته كان يعنى الاستقلال السياسى، وفى نفس الوقت إقامة دولة مستقلة وكانت النتيجة أن تحركت بخارى من وضعها كعاصمة للولاية إلى أن صارت عاصمة للدولة نفسها وكانت تحقق دخلا هائلا يزيد كما كان بالنسبة للإمبراطورية الرومانية فى أوج مجدها مما ساعد على ازدهار بخارى.

وبالطبع لم يستمر حكم السامانيين للأبد فقد إستقر الأتراك والتتار فى السهول الواسعة المحيطة بالواحات المثمرة وضفاف الأنهار فى آسيا الوسطى.

ومع بداية القرن العاشر كانت السلالة التركية الحاكمة المعروفة باسم القره خانيين قد ظهرت واتخذت لها مركزا فى " قيزغيزستان " " دولة مستقلة الآن " وبخارى التى كانت مرتبطة ثقافيا بإيران أصبحت مرتبطة بتركيا وكانت النتيجة أن تخللت المفاهيم الثقافية لبخارى على يد الغزاة البدو الذين هاجموها من كل جانب، ولم تكن الثقافة البنائية من أفضل الثقافات فى ذلك الوقت، وعلى الرغم من ذلك بنيت مبانى كثيرة تتضح معالمها الممتازة فى مبانى بخارى التى لازالت باقية كشاهد على حضارتها القديمة، وخاصة فيما يعرف بالمدينة الداخلية ذات الأسوار[١].

---

(١) أمجد بو هميل بروخازكا ، مرجع سابق ، ص١١ .

٢- المحلات:-

من المحلات[1] التى ذكرت فى المصادر.

١- **كلاباذ:** وهى محلة كبية بأعلى البلد من بخارى وتسمى كلاباذيكان أيضا والنسبة إليها (كلاباذى)[2].

٢- **دار عتابى أو العتابية:** والنسبة إليه (عتابى)[3].

٣- **ريو:** أو درب الريو، والنسبة إليه (الريوى)[4].

٤- **محلة ماخ:** فى وسط المدينة وبها سوق ماخ ومسجد ماخ.

٥- **محلة باب سمرقند:** وتقع بالقرب من باب سمرقند[5].

٦- **محلة بكر:** وقد احترقت هى ومحلة باب سمرقند سنة (٣٢٥ هـ / ٩٣٦م)

٧ - **محلة الحصير أو الحصيرية:** لم يصرح أحد من المؤرخين باسمها لكنهم يذكرون دائما النسبة إليها (الحصيرى) ويقولون هو منسوب إلى محلة ببخارى يصنع فيها الحصير.

٨- **محلة كوى كاخ:** أى محلة القصر، ويطلق عليها محلة الوزير بن أيوب وكان إبن أيوب هذا أحد قادة جيش قتيبة بن مسلم وكان أيوب أميرا لبخارى وهو أول من صار فى الإسلام أميرا لبخارى من قبل قتيبة ابن مسلم وكان أمراء بخارى دائما يقيمون فى محلة القصر هذه.

٩- **محلة كوى رندان:** أى محلة (الفتاك) وتقع بالقرب من السور وتقع بالقرب منها كنيسة للنصارى[6].

---

(١) المحلات جمع محلة وهى الحى السكنى أو (الحارة) وليست القرية وقد نوه إلى ذلك السمعانى فى كتاب الأنساب ، ج١١ ، ص١٧٩ .

(٢) السيوطى ، لب الألباب ، ج٢ ، ص٢١٨ .

(٣) السمعانى ، مرجع سابق ، ج٩ ، ص٢١٥ ، السيوطى ، طبقات المفسرين ، ص٢١ .

(٤) ياقوت ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص١١٦ .

(٥) السمعانى ، مرجع سابق ، ج١٢ ، ص١١ .

(٦) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٨٤ .

١٠- **محلة المسجد:** وكما هو واضح من إسمها تقع بالقرب من المسجد الجامع[١].

١١- **درب الخشابين:** وبها دار المرضى[٢].

ومن المواضع المهمة ببخارى جوى موليان وهو عبارة عن مجموعة ضياع عامرة تعد من أجمل بقاع بخارى بخضرتها ومائها وهوائها وأزهارها وأشجارها ورياضها كانت ملكا للملك طغشاده من أسرة بخارخدات. ثم اشتراها الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني وأنشأ بها كثيرا من القصور والحدائق وأوقف أجزاء منها على مواليه ومن هنا جاءت التسمية وكان بها قصور الإمارة[٣].

وكان ربض بخارى بكل ما فيه من قرى ومحلات. مكتظا بالسكان والأسواق والأعمال التجارية والورش الصناعية ويحيطه حصون على بعد اثنا عشر فرسخا فى مثلها وفى هذه المساحة الكبيرة لا ترى أى خراب أو أرض متروكة بل كانت مزدحمة بالمبانى والمنشآت العمرانية[٤]. وكان لهذا السور أحد عشر بابا هى:

١- باب الحديد.

٢- باب قنطرة حسان.

٣،٤- باب مسجد باخ.

٥- باب رخنة.

٦- باب قصر أبى هاشم الكتانى.

٧- باب قنطرة السويقة.

٨- باب فارجك.

٩- باب دوازجه.

١٠- باب سكة مغان (طريق المجوس).

١١- باب سمرقند[٥].

---

(١) الطبرى ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص٦٠ .

(٢) السمعانى ، مرجع سابق ، ج٨ ، ص٨١ .

(٣) النرشخى ،مرجع سابق ، ص٤٩ .

(٤) أمجد بو هيل بروخازكا ، مرجع سابق ، ص٥٥ .

(٥) ابن حوقل ، مرجع سابق ،ص٢٩٩ .

وقد بنى هذا السور سنة (٢١٥هـ/ ٨٣٠م) تحت إشراف القاضى سعد ابن خلف البخارى وكان المهندسون قد أقاموا فى كل نصف ميل برجا لأغراض الدفاع والحماية.

وجرت عادة القائمين على المدينة بالمحافظة على هذا السور وتحمل البخاريون نفقات الصيانة والترميم، فقد كانوا يقدمون الكثير من الأموال والعمال المسخرين كل عام. حتى أنهم ضجروا من ذلك، ولما جاء عهد الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى أهمل صيانته وأطلق سراح المسخرين متعهدا بحماية المدينة قائلا: «مادمت حيا فأنا سور بخارى»[١]، وكان ذلك مقدمة لسياسة إستراتيجية سار عليها أمراء بخارى وهى عدم الإهتمام بأسوار بخارى لأنهم كانوا قادرين على صد أى هجمات تتعرض لها المدينة ويسمى هذا السور (كنبرك) ففسره بارتولد بالمرأة العجوز[٢].

ثم إن المدينة تطورت فى منتصف القرن)الثالث الهجرى / التاسع الميلادى) وتوسعت وأصبحت مركزا تجاريا ذا ثقل مادى كبير، فأضحت مطمع اللصوص وقطاع الطرق ولم يعد الناس يأمنون على أرواحهم وأموالهم، فطلبوا من أمير خراسان محمد بن عبد الله الطاهرى أن يبنى لهم سورا حصينا، وكان ذلك سنة (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) أى بعد عشرين سنة من إقامة السور الأول فبنوا ربضا فى غاية الجودة والإحكام وأقاموا الأبراج ووضعوا الأبواب وهذه الأبواب هى[٣]:

١- باب درب البريو.

٢- باب كلاباذ.

٣- باب النوبهار.

٤- باب بغاشكور.

---

(١) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٦٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ج٦ ، ص٣٥ ولا تزال بعض بنايات هذا السور فى المدينة ويسميها العامة (كمبير دوال) ويقولون : إنها من عمل (امرأة) لا يعرفون من هى ؟ وربما يرمزون للخاتون التى حكمت المدينة قبل الفتح الإسلامى .

(٣) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٦١ .

٥- باب الراميثنة.

٦- باب غشنج[١].

٧- باب درب الميدان ويؤدى إلى خراسان.

٨- باب درب إبراهيم ويؤدى إلى المشرق.

٩- باب جد سرون ويؤدى إلى خوارزم.

١٠- باب المردكشان (المردقشة).

١١- باب سمرقند ويؤدى إلى سمرقند وسائر ما وراء النهر.

وكانت هذه الأبواب تقابل أبواب السور القديم على النحو التالى:-

	القديم	القديم
١	«باب الحديد»	«باب النوبهار»
٢	«باب جسر حسان»	«كلاباذا»
٣،٤	«باب جامع ماخ»	«بابى المردكشان والريو»
٥	«باب رخنة»	«باب إبراهيم»
٦	«باب قصر أبى هاشم»	«الميدان»
٧	«باب قنطرة السويقة»	«نمشج»
٨	«باب فارجك»	«جدسرون»
٩	«باب دروازجه»	«الرامثينة»
١٠	«باب مغان» (سكة المجوس)	«باب بغاشكور
١١	«باب سمرقند»	«سمرقند»

وقد كانت هذه الأسوار تبنى من الحجارة والحصى[٢]، ولم تكن مدينة بخارى وحدها ذات قلعة وأسوار وإنما كانت معظم مدنها وقراها محصنة خشية غارات الأعداء وكان نهر الصغد (زرفشان) يشق ربض فيسقى أهلها وأنعامها، وعليه أرحية وطواحين كثيرة تستخدم فى طحن الحبوب، وتوصف بخارى ومدنها، وقراها بأنها كثيرة المياه الجارية [٣].

---

(١) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص٣٩٩ .

(٢) الاصطخرى ، مرجع سابق ، ص١٧٤ .

(٣) القلقشندى ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٤٣٤ ، ولا تزال بخارى غنية بالثروة المائية .

كما أن الأمير إسماعيل أحمد الساماني قام بمد المدينة بكثير من القنوات التي أجراها المهندسون بدقة، وأقام عند إحدى لقنوات قصر (جوى موليان) الذي تحيط به الحدائق والمروج والنافورات والغدران وأحواض الزهور(١).

وكانت الأنهار والجداول تشق المدينة فلا يوجد جزء منها بمنأى عن الماء وقد أقام البخاريون بعض السدود للتحكم في المياه وكانت هذه السدود من الخشب(٢) وكذلك أقاموا الجسور والقناطر وكانت من الخشب أيضا فيذكر الطبري أن جيش قتيبة حينما دخل المدينة سار على جسر خشبي (٣).

ومن القناطر المشهورة في بخاري قنطرة حمدونه(٤)، وقنطرة السويقة وقنطرة حسان(٥).

٣- المساجد:-

كان الركن الأساسي لقيام المشرق الإسلامي يقوم على وجود المسجد والسوق إلى جانب قصر الإمارة _ وغالبا ما كان الاثنان متقاربان، فالمسجد يسد حاجة الناس الروحية والسوق يكفي حاجتهم المعيشية. وكانت هاتان المؤسستان هما الأكثر انتشارا واهتماما من قبل البخاريين، وفي الحقيقة فإن البخاريين منذ ما قبل الفتح الإسلامي اهتموا بدور العبادة فأقاموا المعابد، وبيوت النيران في بقاع متعددة من المدينة، وقدموا لها القرابين والهبات، وقد كان بالقرب من القلعة معبد كبير، أما أشهر المعابد فذلك الموجود في سوق ماخ والذي بقي بعد الفتح الإسلامي(٦)، كما أن بيت النار الموجود في بينكد تغلبت شهرته على كل المعابد وذلك لما له من مكانة خاصة في نفوس أهالي بلاد ما وراء النهر وحتى مسجد بخارى الجامع كان أصله معبدا أقيم بالقرب من الباب الغربي للقلعة فأمر قتيبة بن مسلم أن يحول إلى مسجد وذلك في سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م) فكان أول مسجد

(١) أرمنيوس فامبري، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٢) المقدسي، مرجع سابق، ص٣٣١.

(٣) الطبري، مرجع سابق، ص٤٣٢.

(٤) الاصطخري، مرجع سابق، ص١٧٣.

(٥) ابن حوقل، مرجع سابق، ص٣٩٩.

(٦) النرشخي، مرجع سابق، ص٤٠.

فى بخارى وكان يحوى عدة أروقة وصفها المقدسى[1] بالنظافة ولم تكن به منارة أو مئذنة. ولما زاد عدد المسلمين فى المدينة وضاق عليهم المسجد صار أمراء بخارى يزيدون فيه بعض الأجزاء، وخاصة الأمير فضل بن يحى البرمكى والى خراسان[2] فى عهد الخليفة هارون الرشيد، والذى كانت له جهود كبيرة فى العمارة والبناء فوسع هذا المسجد الذى صار يطلق عليه اسم (الجامع الكبير) وأمر بإضاءته بالقناديل فى أمسيات شهور رمضان وعبر عن ذلك النرشخى بقوله: (ولم يكن لأحد فى عمارة المسجد الكبير ما كان للفضل بن يحى البرمكى فى الأثر).

ولكن الأثر الأوضح والأهم فى تاريخ العمارة البخارية كان لجهود الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى الذى رصد مبلغا ضخما من المال لتوسيع المسجد الكبير فاشترى الدور المجاورة له وأضافها لمساحة المسجد فزادت مساحته مقدار الثلث. وقد تعرض هذا المسجد للعوامل الطبيعية فخر سقفه على المصلين فى إحدى جمع شهر رمضان فى عهد الأمير نصر بن أحمد (٣٠١ _ ٣١١هـ/ ٩١٣ - ٩٤٢م). فعم الحزن والأسى أرجاء المدينة فتبرع الوزير أبو عبيد الله الجيهانى لإعادة إعماره وإقامة منارة فيه من ماله الخاص فتم العمل سنة (٣٠٦هـ/ ٩١٨م[3])، وقد اعتاد البخاريون على طلاء الأجزاء العلوية من المنابر بالنحاس الأصفر اللامع[4]، وكان الفضل بن يحى البرمكى قد أنفق الأموال الطائلة فى بناء المساجد وترميمها وكان من أعماله أن أمر ببناء مسجد جديد بالقرب من سد بخارى سنة (١٥٤هـ/ ٧٧٠م) وأصبح مسجدا جامعا تقام فيه صلوات الجمعة، وسمى (مسجد الحصار الجامع)[5].

(١) المقدسى، مرجع سابق، ص٢٠ .

(٢) هو أبو العباس الفضل بن خالد البرمكى (١٤٧- ١٩٣هـ)(٧٦٤ _ ٨٠٨م) أخو هارون الرشيد فى الرضاعة، تقلد منصب الوزارة قبل أخيه جعفر البرمكى ثم عين واليا على خراسان بعد أن تولى أخوه الوزارة ، إشتهر بالعدل فى خراسان وبنى ببلخ مسجدا جامعا وبيت النار المسمى بنوبهار . سجنه هارون الرشيد مع والده يحى بعد أن قتل أخاه جعفرا سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م) ومات فى السجن أثناء التعذيب .

(٣) النرشخى، مرجع سابق، ص٧٩ .

(٤) المقدسى، مرجع سابق، ص٣٢٤ .

(٥) النرشخى، مرجع سابق، ص٧٩ .

كما توسع الأمير إسماعيل بن أحمد فى بناء مسجد الحصار هذا.

ومن مساجد بخارى المهمة والشهيرة مسجد ماخ الذى أعطى إسمه لمحلة كاملة سميت (محلة ماخ).. وماخ هذا إسم رجل مجوسى كان يقيم فيها فأسلم وحول داره مسجدا[1] فسمى مسجد ماخ ويسمى أيضا مسجد الكهف، ويقع المسجد فى وسط المدينة بالقرب من السوق وهو مسجد صغير ذو ستة أعمدة، ومحراب بسيط جدا، وله قبتان مضلعتان كبيرتان ويبدو أن القبتين والمحراب أضيفت فى التجديد السامانى حيث أنها من مميزات عمارة المساجد ولا يعقل أن تكون موجودة حينما كان منزلا ثم إن هذا المسجد تعرض للحريق الذى شب فى المدينة سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م [2]).

وتجدر الإشارة إلى أنه يطلق على هذا المسجد اليوم اسم (مغتاك عطارى) لأن صغار العطارين فى السوق القريب منه كانوا يصلون فيه. ويقومون على صيانته والاهتمام به وذلك فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى.

وللمدينة مساجد أخرى صغيرة منها مسجد الشام الذى ربما كان مؤسسه شاميا قدم إلى بخارى فى فترة زمنية معينة، أو ربما أقامه الشاميون من سكان بخارى ليصلوا فيه ويقيموا مجالسهم العلمية والدينية، وهناك أيضا مسجد القرشيين الذى بناه مقاتل بن سليمان القرشى ومسجد حنظلة الواقع فى محله الفتاك بالقرب من الكنيسة [3]، وربما سمى بهذا الاسم لأن من بناه كان ينتمى إلى بنى حنظلة، ومسجد أبى الفضل الحسن بن يعقوب البخارى فقد كان من ذوى الثروة فبنى مسجدا وأنفق عليه وعلى العلماء والصلحاء الكثير من أمواله، كما إن الوزير السامانى " أحمد بن الحسن العتبى " وزير عبد الملك بن نوح بنى مسجدا فى وسط المدينة.. ومن المساجد التى أقيمت داخل سور بخارى أيضا الطواويس[4]، ومسجد خجادة [5]، ومسجد مغكان.

---

(١) ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٣٢ .

(٢) النرشخى ، مرجع سابق ، ص١٣٤ .

(٣) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٨٤ .

(٤) ياقوت ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٤٦ .

(٥) السمعانى ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص١٣ .

ومسجد نومجكت الذى رصع محرابه بالجواهر[1].

أما مساجد خارج السور فهى كثيرة جدا، ولكن لا تقام صلوات الجمعة فيها كلها، وأهمها مسجد بيكند التى رفض أبناؤها أن يقال لهم (بخاريون) وانما حرصوا على النسبة لبيكند فكان الواحد منهم يقول عن نفسه (البيكندى).

وقد أنشأوا مسجدا كبيرا يقول عنه المقدسى: وكم تعب أهل بيكند حتى وضعوا المنبر لأن المنبر لا يوضع إلا فى المساجد الكبرى التى تقام بها صلوات الجمعة[2]، وهو كبير جدا بولغ فى هندسته وتصميمه، وتزيينه، وتجميله، وأتخذ له محراب آية من الجمال زخرف ونقش ورصع بالجواهر بحيث أصبح عديم المثال فى كل بلاد ما وراء النهر[3].

ومن مساجدها خارج السور أيضا مسجد " كرمينية " ذو المنبر الرائع ومسجد نوجاباذ[4] ومسجد زرميثن[5]. وقد قال المقدسى واصفا مساجد بخارى: "كل مساجدها بهية" [6].

وقد أقدم إسماعيل بن أحمد على شراء قصر فى قرية. " فرخشى " أو "رخشه" ليجعله مسجدا جامعا. لكن أصحاب القصر رفضوا ذلك لأنهم لم يكونوا مسلمين فكان من حسن سياسته وديمقراطيته أن تركهم وشأنهم بعد أن عرض عليهم مبلغا كبيرا جدا من المال.

ويلحق بالمساجد مصلى العيد وهو تلك المساحة الكبيرة من الأرض الواقعة خارج القلعة فى المنطقة المسماة (ريكستان) وذلك لأن المسجد الجامع لم يكن يكفى أعداد المصلين الذين يقدمون من كافة نواحى مدن وقرى بخارى فى الأعياد فلما رأى الأمير قتيبة ذلك خرج بالمصلين من المسجد إلى تلك الأرض، وصلى بهم

(١) المقدسى ، مرجع سابق ، ص٢٨١ .

(٢) المقدسى ، مرجع سابق ن ص٢٨٢ .

(٣) ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٥٢٣ .

(٤) ياقوت ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٣٠٩ .

(٥) المقدسى ، مرجع سابق ، ص٢٨٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص٢٨٠ .

بعد أن أوصاهم بإخراج السلاح معهم لأن المدينة كانت حديثة عهد بالإسلام وظل هذا المكان مصلى للعيد فترة طويلة[1] حتى ضاق على المصلين فى عهد الأمير منصور بن نوح بن نصر الذى أشترى سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠م) بساتين وحدائق بالقرب من السور الخارجى وجعلها مصلى للعيد، وأمر بإقامة محرّاب ومنبر ومبلغات يكبر عليها المكبرون ليسمع الناس، وكان هذا المكان يمتلئ بالناس فى صلوات العيد وبقى هذا المكان مصلى للعيد إلى ما بعد القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى [2].

٤- المقابر والريض:-

مما لا شك فيه أن المقابر من أهم أجزاء المدينة الإسلامية فى كل مكان وزمان وذلك لأن الإسلام احترم الإنسان فى مماته كما هو فى حياته، وشرع أساليب خاصة للغسل والدفن ولما دخل الإسلام إلى بخارى صار الناس يتخذون تلك الأساليب الإسلامية لدفن موتاهم وتعددت المقابر فى المدينة وفقا لحاجة الناس الذين تزايدوا مع مرور الزمن، وأشهر مقابر بخارى مقبرة (القضاة السبعة) بمحلة كلاباذ وواضح من الاسم أنها تضم رفاة سبعة قضاة مشاهير أعطوها التسمية.

لكن كل المؤرخين الذين ذكروها لم يحددوا من هم هؤلاء القضاة السبعة المدفونون فيها واستطعنا[3] أن نحدد فقط: القاضى أبازيد عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسى البخارى (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) وقد دفن فيها الكثير من علماء وفقهاء المدينة وبقيت تستخدم كمقبرة إلى فترة طويلة، ومن المقابر التى استخدمها البخاريون أيضا مقبرة الصدور التى يبدو أنها استخدمت لدفن الأمراء والكبراء ولذلك سميت بمقبرة الصدور ويبدو أنها كانت لأهل المذهب الحنفى حيث أن بها أمم لا يحصون من الحنيفية. ومن خلال المصادر يتبين لنا[4] أن كلاباذ كانت تضم أكثر من مقبرة فيها إلى جانب مقبرتى القضاة السبعة

---

(١)يستخدم الآن ساحة للاحتفالات الوطنية .

(٢) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

(٣) رانيا مصطفى سالم : بخارى جغرافية ونشأة : المبحث الأول من رسالة ماجستير : " بخارى فى التاريخ والحضارة " ص٤٠ ، سنة ٢٠٠٦م .

(٤) المرجع السابق : ص٤٠ .

والصدور مقبرة أهل الجنة ومقبرة بهشتيان ولكن نعتقد أن مقبرتى أهل الجنة وبهشتيان اسمان لمقبرة واحدة لأن كلمة بهشتيان الفارسية تعنى جنة الخلد أو الفردوس. (١)

ومن المقابر البخارية أيضا مقبرة (حوض القدام) التى دفن فيها المؤرخ الحافظ محمد بن أحمد صاحب كتاب (تاريخ بخارى)(٢) المفقود، (ومقبرة دال) التى حوت رفاة القاضى أبى محمد الطبرى الشافعى المنجنيقى، ومقبرة (محلة باب منصور) الواقعة بالقرب من المسجد والمدرسة والحمام والتى دفن فيها الوزير أحمد بن الحسن العتبى ومقبرة (فغسادرة) التى كانت محلة مأهولة بالسكان تسمى (باب المجوس) ثم خلت من الناس لسبب لم يذكره المؤرخون، وتحولت إلى مقبرة.. ومقبرة (نور) التى دفن فيها كثير من الأولياء والصالحين وأصحاب الكرامات، فأصبحت مزارا يقصده كل أهالى بخارى وبلاد ما وراء النهر للتبرك، وتقع فى مدينة نورخارج سور بخارى(٣).

وقد أتخذ بعض الزهاد والمتصوفين _ وربما الفقراء _ المقابر مسكنا لهم وخاصة تلك الواقعة خارج المدينة كى يبتعدوا عن الناس ويتفرغوا للعبادة والتسبيح.

لكن أشهر مقابر وأضرحة بخارى على الإطلاق ضريحا الإمام أبى عبد الله محمد إسماعيل البخارى صاحب الصحيح والأمير إسماعيل بن احمد مؤسس الدولة السامانية، ويقع ضريح الإمام البخارى الذى توفى سنة (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) خارج بخارى فى قرية يقال لها (حزنتك) فى الطريق بين بخارى وسمرقند، ويتسم باللون الأبيض والبساطة حيث لا نقوش ولا زخارف باستثناء بعض الكتابات التى تذكر اسمه وتاريخ وفاته وأسماء مصنفاته وهذه الكتابات كانت عرفا شائعا فى قبور العلماء(٤) وقد بقى هذا الوضع إلى يوم (٢٣/ ١٠/ ١٩٩٨م).

---

(١) المرجع السابق لرانيا مصطفى سالم : ص ٤٠ .

(٢) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، ج١٧ ، ص٢١٢ .

(٣) ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٣١٠ .

(٤) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٣٨٢ .

حيث أفتتح فى هذا اليوم رئيس جمهورية أوزبكستان المبنى الجديد لضريح الإمام البخارى فى إحتفال مهيب أقيم على هامش فعاليات المؤتمر العالمى لتراث الإمام البخارى[١]، والضريح الجديد عبارة عن مجمع دينى علمى تربوى يعد تحفة فنية ويشكل آية من آيات العمارة الإسلامية المقامة على طراز عمارة وفنون شعوب آسيا الوسطى[٢].

أما الأمير إسماعيل بن أحمد فقد توفى سنة (٢٩٥هـ/ ٩٠٧م) ويمثل ضريحه انطلاقة فن البناء والعمارة الإسلامية فى بخارى. كما إن فن ترتيب الطوب الذى يعيض عن النقوش والزخارف أشبه بساطة تتناسب مع روح الإسلام المتمثلة فى عدم التكلف، وهو الأثر الإسلامى الوحيد الذى صمد لأعمال التدمير والتخريب الذى تعرضت له بخارى منذ سقوط السامانيين بل هو المبنى الوحيد الذى لم تجر عليه عمليات ترميم كبرى كغيره من المبانى والآثار البخارية ومع هذا فإنه مازال صامدا فى وجه العوامل الطبيعية والبشرية شاهدا على فن العمارة والبناء فى بخارى، ويقع هذا الضريح فى مساحة خضراء كبيرة مغطاة بالأشجار الكبيرة والصغيرة.

وبجانبه بركة ماء ضخمة كانت تستعمل للرى والشرب فى بداية هذا القرن وقد أنشأه الأمير إسماعيل بن أحمد فى أواخر أيامه (ت٢٩٥هـ/ ٩٠٧م) ليدفن فيه ولم ينشئه لأبيه الأمير أحمد بن أسد السامانى[٤] لأن الأمير أحمد توفى (٢٥١ هـ/ ٨٦٥م) وفى هذا التاريخ لم يكن إسماعيل قد تولى ملك بخارى بعد هذا التاريخ بعشر سنين تقريبا. كما أن والده لم يمت فى بخارى بل مات فى سمرقند[٤]، فمن غير المعقول _ والحال هذه _ أن يكون إسماعيل قد بنى هذا الضريح فى بخارى ليكون مدفنا لأبيه امير سمرقند كما أن معظم المؤرخين متفقون على كون هذا الضريح مدفن الأمير إسماعيل وكذلك عامة بخارى الذين يطلقون عليه (إسماعيل سامانى شاه). [٥]

---

(١) رانيا مصطفى سالم : بخارى جغرافية ونشاة : ص٤٠ وما بعدها "رسالة ماجستير ".

(٢) احسان ذنون ، جمهورية أوزبكستان تبتهج ، الأردن ، ١٩٩٨ ، ص١٣ .

(٣) أوجا جنكوفا ، التماثيل المعمارية ، ص٦٥ .

(٤) النرشخى ، مرجع سابق ، ص١١٠ .

(٥) المادة منقولة من بحث الاستاذه رانيا مصطفى سالم من رسالة ماجستير : " بخارى جغرافيه ونشاة . فلها الشكر .

والضريح عبارة عن بناء مربع وترتفع فوق الجدران الأربعة قبة كبيرة واحدة وفى أطرافها الأربعة أربع قباب صغيرة كأنها دعامة لها، وفى أعلى القبة الكبيرة ما يشبه رأس البرج الغرض منه إدخال الضوء والهواء للضريح، وفى أعلى كل ضلع من الأضلاع الأربعة عشرة أقواس كما يحوى كل ضلع بابا مقوسا كبيرا مقابلا للآخر، وفى كل زاوية من زوايا الضريح استخدم الطوب ليكون ما يشبه العمود الأسطوانى الشكل، وفى وسط البناء يقوم القبر المبنى من الطوب ذى الشكل الهندسى الواحد وهو المستطيل، والقبر عبارة عن قاعدة مستطيلة الشكل فوقها بناء محدب ارتفاعه ضعف ارتفاع القاعدة وفى كل زاوية من زوايا البناء المحدب الأربع يوجد عمود من حلقات صغيرة وكبيرة، وقد أثر هذا الطراز من البناء فى فن العمارة فى المشرق الإسلامى كما يقول الدارسون، وخاصة القبة التى أصبحت نموذجا لقباب الأضرحة فى الهند الإسلامية وكذلك فى مصر الفاطمية[1]. كما أن ضريح الأمير إسماعيل كان أساسا لأحد أضرحة ملوك الهند (هوشنك)، وكذلك ضريح السلطان سنجر السلجوقى فى مرو بل إنه أصبح أساسا لكل أضرحة بلاد فارس طيلة القرون الخمسة التالية كما يقول دارسو تاريخ العمارة الإسلامية[2].

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الضريح قد أكتسب قدسية ومكانة شعبية بين سكان بخارى وخاصة البسطاء منهم، ونمت حوله شائعات وروايات يصعب الأخذ بها بل ووصل الأمر ببعض النسوة المصابات بالعقم أن يطلبن منه الإنجاب، وذلك بإشعال شمعة ووضعها عند الضريح.

٥- القصور:-

كانت قلعة بخارى تضم قصرا للإمارة وهو القصر الذى تدار منه شئون المدينة بل والدولة أيضا، وكان قد بناه أمراء بخارى منذ ما قبل الفتح الإسلامى، أى فى بداية القرن الأول الهجرى وكان أمراء بخارى وولاتها قبل السامانيين يقيمون فى قصر بنى فى محلة (كوى كاخ) أى محلة القصر، وهو بالقرب من الباب المسمى

---

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) أمجد بو هميل بروخازكا ، مرجع سابق ، ص٤٤ .

(باب المدينة)[1].، وإلى جانب قصور الأمراء حوت بخارى قصورا كثيرة للأغنياء والموسرين، وحينما دخل قتيبة بخارى أمر الأغنياء أن يشاركهم المسلمون فى بيوتهم لتعليمهم الإسلام ولمراقبة تصرفاتهم خوفا من أى عمل انتقامى، لكن فريقا منهم وهم (آل كثكثة) رفضوا ذلك فتركوا قصورهم للمسلمين وذهبوا إلى خارج المدينة وبنوا قصورا جديدة لهم تتميز بالجمال والروعة. وكان يحيط بكل قصر من هذه القصور بستان كبير وعلى كل باب من أبواب هذه القصور نقوش ورسوم تمثل الإله أو المعبود الذى يعبده صاحبه، وكانت فى غاية الدقة، وقد ضمت هذه الضاحية الجديدة التى سميت (كوشك مغان) أى قصر المجوس عددا ضخما من القصور بلغ السبعمائة، وكانت تقع فى الشمال الغربى من المدينة.. ولما استقر السامانيون فى بخارى أقبل القواد والأغنياء على شراء الأراضى فى (كوشك مغان) حتى أرتفع ثمنها ارتفاعا كبيرا، كما أن أمراء بخارى وأفراد الأسرة الحاكمة والمقربين منهم إتخذوا من شاطئ نهر رباح ضاحية لهم، وصاروا يبنون فيها قصورهم التى أخذت تزيد وتزيد لتبلغ الألف، وأضحت المنطقة المفضلة لكل ذى ثروة أو نفوذ[2].

كما كان لدهقان محله القصر البخارية قصر منيف أخذه منه بعض الأمراء فيما بعد[3] وقد توصل السامانيون إلى عملية التخطيط الهندسى قبل الشروع فى البناء

فيروى عن أبى عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير نصر بن أحمد السامانى أنه كتب إلى جميع ممالك العالم رسائل يطلب فيها مخططات ورسومات للقصور الملكية والمنشآت الحكومية ولما وصلته أخذ أهم المميزات الحسنة من هذه المخططات ووفق بينها وترك الباقى واحتفظ بأحسن ما وجد فى تلك الرسوم ثم أمر أن تتخذ أساسا فى بناء قصور بخارى ودواوينها بينها، كما عرف نظام البناء فى بخارى ما نسميه اليوم بالمجسمات، فقد عمل

---

(١) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٨٤ .

(٢) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٧٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص٨٤ .

مهندس[1] قصرا مجسما من الطين وحمله على أكتاف الرجال إلى أن وضعه أمام الأمير نصر بن أحمد الذى أعجب به وكافأه عليه.

وكان المهندسون يهتمون بأبواب القصور أهتماما كبيرا فيصف المقدسى الذى زار بخارى أحد قصورها قائلا: (دار الملك فى السهلة تقابل القهندز وتستدبر القبلة، ولم أر فى الإسلام بابا أجل ولا أهيب من هذا الباب)[2].

٦- الطرق والساحات والميادين العامة:-

إلى جانب تلك المبانى وازدحامها وجدت طرق وساحات وميادين عامة استغلت لأغراض متعددة وبأشكال مختلفة، وكانت الطرق _ بصورة عامة _ عريضة وميسرة للسير فيها وقد استحسنها المقدسى، فذكرها من ضمن مميزات المدينة الحسنة قائلا: ولها شوارع واسعة[3] ويقول عدد من المؤرخين / يحيط بمبانى بخارى (مسالك وسكك متشابكة).[4]

وفى كلام بن حوقل ما يوحى بأن هذه الطرق والسكك معبدة أو مفروشة بحجارة[5] خاصة إذا قرأنا قول الإصطخرى: يجلب البخاريون من جبال وركة القريبة حجارة (للفرش والأبنية)[6]. غير أننا لا نستطيع أن نعمم ذلك على كل طرق بخارى، فقد كان موكبا للأمير نصر بن أحمد فى طريق غير معبد.

وقد قال أبو الحسن محمد بن محمد المرادى أحد شعراء بخارى حينما مر موكب الأمير نصر بن أحمد:

أشـــهـــد أن الأمـــيـــر نـــصـــرا   يـخـدمه الـغـيـث والـسـحـاب

---

(١) نقلا عن بحث مقدم من الأستاذة / رانيا مصطفى سالم: بخارى فى التاريخ والحضارة رسالة ماجستير ص٤٤

(٢) المقدسى ، مرجع سابق ، ض٢٨١ .

(٣) المقدسى ، مرجع سابق ، ص٢٨١ .

(٤) الإصطخرى ، مرجع سابق ، ص١٧١ .

(٥) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص٣٩٨ .

(٦) الإصطخرى ، مرجع سابق ، ص١٧٤ .

رش تـــــراب الـــــطـــــريق كى لا يـــــؤذيه فى المـــوكب الـــتــــراب

ووجدت أيضا الساحات التى استخدمت كأسواق تعقد فى المواسم، كما وجدت ساحة أو رحبة كبيرة أمام قصر الإمارة فى الريكستان شرقى القلعة وكانت تسمى (السهلة) وقد استخدمها بعض أمراء السامانيين للعب بالكرة والصولجان(١)، كما استخدمت كمصلى للعيد.

٧- المبانى الأخرى:-

بالإضافة إلى ما سبق من مبان نجد فى المصادر ذكرا لمبان أخرى ولكن دون تفصيل من المؤرخين، ومن هذه المبانى الأربطة التى اشتهرت بها بلاد ما وراء النهر عموما وبخارى بصورة خاصة، وكان الأمير إسماعيل بن أحمد يحب الأربطة ويكثر منها. وقد بنى رباطا كبيرا داخل المدينة عند باب سمرقند، واشتهرت بيكند من مدن بخارى ببناء الأربطة فكان الأمراء يكثرون من ذلك وكذلك العامة، فقد بنى أهل كل مدينة وقرية بخارية رباطا حتى صار عدد تلك الأربطة يقارب الألف، وذلك لموقعها القريب من أرض الترك الوثنيين وكان المجاهدون المرابطون يتجمعون فى تلك الرابطة لمناهضة الكفار، ويجلبون معهم كل ما يحتاجونه له(٢)، وهذا دليل على أن المرابطين كانوا يمارسون حياة يومية متكاملة طيلة فصل الشتاء.

ومن هذه المبانى أيضا الدواوين التى أنشأها نصر بن أحمد السامانى بالقرب من قصره فى الريكستان، فقد أمر ببناء عشرة دواوين لكل ديوان مبنى خاص به يمارس فيه العامل ومساعدوه وظائفهم(٣).

كما استخدم مبنى المسجد الجامع القديم الذى بناه قتيبة بن مسلم ديوانا للخراج وذلك بعد أن قدم عهده(٤).

وقد تميزت بخارى بوجود المدارس، وكان عدد المدارس فى بخارى يفوق أى عدد من المدن المشرقية الأخرى، وهذا يدل على اهتمام بخارى بالثقافة والعلم.

(١) الثعالبى : آداب الملوك ، ص١٠٥ .

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص٤٨٩ .

(٣) المقدسى : مرجع سابق ، ص٢٨١ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية : ج٦ ، ص٣٥٠ .

ومن هذه المدارس مدرسة (فارجك) التى كانت تقع بالقرب من السوق ووسط المدينة. [1]

وكان فى المدينة أيضا مصنع للأنسجة قائم بالقرب من المسجد الجامع.

وضمت المدينة أيضا كثيرا من الحمامات العامة، وذلك لعدم توافرها فى كل المنازل لحاجة الناس إلى الاستحمام بالماء الساخن، والاستمتاع بالبخار، وخاصة فى فصل الشتاء.

وقد إنتشرت الحمامات فى كل أرجاء المدينة ووصفت بالجودة فقال المقدسى حينما زار بخارى (ولها حمامات طيبة)[٢]، ومن الحمامات المعروفة حمام الخان بمحلة باب منصور بالقرب من المدرسة، والمسجد، وحمام الداغونى الذى بناه سهل بن أحمد الداغونى أحد أثرياء بخارى فى قرية (سكجكث)[٣].

وكان فى المدينة أيضا معابد للأصنام وبيوت نيران لكنها انحسرت بعد دخول الإسلام، ومن أشهرها معبد الأصنام الموجود فى محلة ساخ ومعبد الأصنام الموجود فى بيكند والذى وجد فيه قتيبة بن مسلم أصنافا من التحف والنفائس والتماثيل المرصعة باللآلئ والجواهر[٤].

كما إهتم أمراء بخارى وتجارها بإنشاء فنادق وخانات على طرق التجارة المؤدية من وإلى بخارى، وذلك لراحة المسافرين، والتجار، وتقديم ما يلزم لهم، ولدوابهم.

وكان البخاريون يسمونها (تيماث)، وتجدر الإشارة إلى أن الأمير إسماعيل بن أحمد كان يكثر من إنشاء الفنادق للمسافرين[٥].

---

(١) المادة منقولة من البحث القيم للأستاذة رانيا مصطفى سالم " بخارى فى التاريخ والحضارة "

(٢) المقدسى ، مرجع سابق ، ص٢٨١ .

(٣) سكجكث ، بكسر السين والجيم بين الكافين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة وفى آخرها تاء مثلثه _ قرية على بعد أربعة فراسخ من بخارى على طريق سمرقند ، النرشخى ، مرجع سابق ، ص٢٩ .

(٤) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٧٤ .

(٥) المقدسى ، مرجع سابق ، ص٢٨١ .

أما عن مواد البناء فقد استخدم البخاريون مواداً مختلفة فى البناء لعل فى بدايتها التراب الذى يعد المادة الأولية البسيطة والمتوفرة بكثرة فى الطبيعة واستخدم التراب جافا رطبا وهو الطين. فالتراب الجاف يدك ويرص ليصبح كتلا قوية، واستخدم فى بناء سور مدينة نومجكت البخارية داخل القصبة[1] أما الطين فكثر استعماله بصورة كبيرة، وطريقته أن يخلط بالتبن ليتماسك ويشد بعضه بعضا ثم يجفف بالشمس ويسمى لبن.

وقد ظل مستعملا إلى فترات تاريخية متأخرة، ولذلك فإن المقدسى حينما زار المدينة ورأى مبانيها وصفها قائلا: وبناءهم طين وخشب[2].

وهذا الطين يتحول إلى آجر بعد أن يفخر فى أفران عالية الحرارة ويصبح قويا جدا وهو ما رأيناه مستخدما فى ضريح إسماعيل السامانى وهو ما استخدم أيضا فى بناء[3] مسجد فرير الجامع حيث (بنت جدرانه وسقفه من الآجر).

وإلى جانب هذا استخدمت الأخشاب بكثرة فى المبانى وخصوصا فى الأسقف وهذا ما جعلها عرضة للحرائق الكبيرة التى تلتهم كل شىء بسرعة فائقة كما حدث أيام نصر بن أحمد السامانى حينما إحترق السوق الكبير ومسجد ماخ حيث ظلت الأخشاب تحترق شهرا، وخسر أهل بخارى أكثر من مائة ألف درهم[4].

ولكثرة استعمال البخاريين[5] الأخشاب فى البناء فإن معظم المؤرخين وصفوا مبانيها بقولهم: وبناؤها _ أى بخارى _ خشب مشتبك.

أولا: الفتح الإسلامى لبخارى:-

يروى الطبرى أن الأمراء المحليين فى بخارى _ فى ذلك الوقت _ كانوا يجتمعون فى كل سنة ليفضّوا ما بينهم من المنازعات بالحسنى وليتعاهدوا على

---

(١) الإدريسى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٤٩٦ ..
(٢) المقدسى ن مرجع سابق ، ص٢٨٢ .
(٣) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٣٨ .
(٤) النرشخى ، مرجع سابق ، ص١٣٢ .
(٥) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص٣٩٨ .

مواصلة الجهاد ضد العرب،.. هذا مما كان يشجع العرب على فتح الأقاليم الشرقية - بالإضافة إلى نشر العقيدة وإعلاء كلمة الدين - ازدياد الأموال التى يغنمونها، وكان لمساعدة الأهالى أنفسهم أثر كبير فى الانتصارات التى أحرزها العرب فيما وراء النهر.

ويعزى جانب من نجاح قتيبة بن مسلم الباهلى فى فتح الأصقاع إلى مساعدة العناصر الوطنية.. أما بطئ الغزو فراجع إلى أن العرب قنعوا إلى حد ما لفترة طويلة بالغنائم الحربية والجزية ولم يهتموا بأن يكون الفتح مستمرا متصلا. وهذا راجع كذلك إلى وجود العقبات الطبيعية التى لم يكن لها مثيلا فى بيئتهم.

ومع أن المسلمين فتحوا ما وراء النهر فى سنة ٤٦هـ على يد القائد ربيع ابن الحارث إلا أن معرفتهم بهذا الإقليم ورغبتهم فى فتحه كانت أقدم من ذلك. فيذكر التاريخ أن الأحنف بن قيس غزا خراسان، وأن عمر أذن للمسلمين فدخلوا بلاد فارس تعقبا ليزد جرد، وأنهم هزموه عند بلخ ففر منهم وعبر النهر، ورغب المسلمون فى مطاردته ولكن عمر كتب إلى الأحنف وطلب إليه أن يقتصر على ما دون النهر. ولا شك فى أن عمر أراد أن يعفى المسلمين من التوغل فى تلك الأقاليم خوفا عليهم لجهلهم بها.

وفى عام (٤٦هـ/ ٦٦٦م) سير " زياد بن أبى سفيان " القائد "ربيع بن الحارث" من العراق إلى خراسان. فسار حتى بلخ. وإذا كانت هذه المدينة على الدوام باب بلاد ما وراء النهر الجنوبى، فلا عجب أن نرى هؤلاء العرب يستهويهم ما عرف عن بلاد الصغد من الثراء فيغزونها ؛ والغالب أنهم اقتحموا هذه البلاد حتى شواطئ جيحون دون خطة مبيتة للغزو[1].

---

(١) أرمنيوس فامبرى ، مرجع سابق ، ص٥٧ .

وأدى ما حملوه من كنوز هذه البلاد الوفيرة وما صادفوه بها من نجاح إلى أن رأينا معاوية على أثر موت زياد عام (٥٠هـ/ ٦٧٠م) بعد ذلك بأربع سنوات، يبعث "بعبيد الله بن زياد" هذا على رأس حملة جديدة إلى بخارى وكان عبيد الله شابا فتيا فقطع النهر إلى بخارى واستولى فى طريقه على بيكند المدينة الغنية بعد حرب طويلة، ونال من فتحها غنائم عظيمة وحمل عددا كبيرا من الأسرى ثم تابع سيره إلى بخارى، وكانت تحكمها الملكة خاتون التى استنجدت بمن حولها من الأتراك فدهموا العرب وهو فى شغل بحصار المدينة وإعداد مجانيقهم ولكن المسلمين تغلبوا عليهم فى النهاية وقتلوا منهم كثيرين فتفرقت جيوش الأتراك مسرعة إلى أوطانها(١) ولكن عبيد الله إضطر هذه المرة إلى العودة إلى مرو دون أن تخضع له بخارى وحمل المسلمون معهم عند رجوعهم الكنوز والأسلحة والثياب وأدوات الذهب والفضة. وكان من بين ذلك نعال للملكة مرصعة بالحجارة الكريمة قومت بعشرين ألف درهم وقد خلب منظرها لب أبناء الصحراء العربية أصحاب الفطرة حين أطلعوا عليها.

وأنزل هؤلاء الغزاة الخراب بكل المناطق التى مروا بها فى تقهقرهم حتى اقتلعوا الأشجار التى صادفتهم فى طريقهم.

ويروى المؤرخون العرب أن الملكة خاتون رأت أن تنقذ بلادها من الدمار الذى كان يتهددها فصالحت عبيد الله على جزية سنوية مقدارها ألف درهم تعهدت له بدفعها(٢).

وفى سنة ٥٦هـ تم عزل عبيد الله وحل محله سعيد بن عثمان(٣) الذى عبر النهر قاصدا بخارى.

فلما علمت الخاتون بذلك أرسلت له رسولا وقالت:" أنا على ذلك الصلح الذى عقدته مع عبيد الله بن زياد " وضاعفت له المال والهدايا. ولكن سعيدا نبذ

(١) طه ندا ، مرجع سابق ، ص١٠٧ .

(٢) أرمنيوس فامبرى ، مرجع سابق ، ص٥٧ ، ٥٨ .

(٣) سعيد بن عثمان بن عفان الأموى القرشى ، توفى نحو ٦٢هـ ٦٨٢م) _ نشأ فى المدينة وبعد مقتل أبيه وفد على معاوية فولاه خراسان سنة ٥٦هـ (٦٧٥م) ففتح سمرقند وأصيبت عينه بها وعزل عن خراسان سنة ٥٧هـ (٦٧٦م) ، ولما مات معاوية انصرف إلى المدينة وقتل بها .. النرشخى مرجع سابق ،ص٦٩

المعاهدة، ورد إليها هداياها وتقابلت جيوشه مع جيشها وجيوش من خفوا لنجدتها من الصغد(1) وكش(2) ونخشب(3).

وانتهى الأمر بهزيمتهم جميعا فانفصلوا من حولها، ولم تجد بدا من طلب الصلح فصالحها سعيد إلا أنه طلب منها رهائن حتى يضمن سلوكها نحوه وعدم انقضاضها عليه أثناء غزوه للصغد وسمرقند، فقدمت إليه ثمانين شخصا من دهاقنة بخارى وأمرائها.

هناك رواية تقول: إنه لما صالح " سعيد " الخاتون مرض ببخارى، فجاءت الخاتون لعيادته، وكان معها كيس مملوء بالذهب فأدخلت يدها فى الكيس وأخرجت منه شيئين، وقالت: إنى احتفظ لنفسى بواحدة لأكلها إذا مرضت، وأعطيك هذه الأخرى لتأكلها وتطيب.

فتعجب سعيد قائلا: ما هذا الذى تقدمه الخاتون بهذا الإعزاز والإعظام....؟

فلما خرجت الخاتون نظر سعيد، فكانت تمره تقادم عهدها، فأمر قومه فحملوا خمسة جمال بالتمر الطازج وحملوه إلى الخاتون، ففتحت الجوالات ورأت تمرا كثيرا، ففتحت الكيس وأخرجت تمرتها تلك وقابلتها بذلك التمر، فكان كالتى معها، فجاءت معتذرة وقالت ليس لدينا كثير من الجنس، وقد احتفظت بهاتين التمرتين سنوات طويلة من أجل المرض.

---

(1) الصغد (السغد) : بضم أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة ، ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار مونقة الرياض والأزهار ملتفة الأغصان تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند .. ياقوت مرجع سابق ، ج٥ ، ص٨٦ .

(2) كش (Kassch) وتعرف الأن باسم " شهرسبز " أى المدينة الخضراء مدينة بالتركستان قرب نخشب وإليها ينسب تيمور لنك .. النرشخى ، مرجع سابق ، ص٦٥ .

(3) نخشب بالفتح ثم السكون وشين مفتوحة وباء : مدينة بما وراء النهر تعرف اليوم باسم " قرشى " وهى مسقط رأس علماء كثيرين منهم نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفى المتوفى سنة ٢٥٧هـ/ ٩٦٧م . صاحب العقائد النسفية ، وأبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفى من مشاهير الفقهاء المتوفى سنة ٧١٠هـ (١٣١٠م) صاحب كتاب الوافى وشرحه الكافى وكذا كنز الدقائق . ياقوت الحموى ، مرجع سابق ، ج٨، ص٣٧٣ .

وحكى أن هذه الخاتون كانت إمرأة حسناء وجميلة (١) فعشقها سعيد. ولأهل بخارى فى هذا المعنى أغان باللغة البخارية(٢).

ومن ألمع الشخصيات الإسلامية التى نشرت الإسلام فى المشرق شخصية القائد العربى قتيبة بن مسلم(٣)، وتعتبر فتوحات قتيبة مرحلة بارزة من مراحل الفتح الإسلامى فى آسيا الوسطى.

واستطاع قتيبة فى سنوات متعاقبة أن يستولى على بخارى وسمرقند وأن يحقق نصرا إسلاميا فى مدن آسيا الوسطى والقضاء على الديانة الزردشتية.

ويروى النرشخى أن البخاريين كانوا يعتنقون الإسلام إذا ما غزاهم العرب ثم يرتدون عنه إذا رحل العرب. وكان من عادة العرب الفاتحين أن يرحلوا عن تلك الأصقاع الباردة إذا حل الشتاء ويعودوا إلى خراسان. وفى كل غزوة من غزوات قتيبة كانوا يعلنون الإسلام ثم يعودون إلى دينهم القديم حين يرجع العرب عنهم. وقد بذل العرب مجهودات كبيرة ليثبتوا دعائم هذا الدين الجديد(٤).

وكان من أشد الناس ضيقا بهذا الدين وعنادا له رجال الأديان التى كانت منتشرة فى تلك الأصقاع قبل الإسلام، وحين أدرك الفاتحون أن كثيرين ممن دفع(٥) بهم خوف الفتح إلى اعتناق الإسلام، يمارسون طقوسهم الدينية القديمة

---

(١) يتعرض أحد المسلمين لهذه الملكة فيقول أنها كانت أيام زوجها على علاقة غير شرعية بأحد أتباعها ومنه رزقت بابنها طغشاد ، وحين مات زوجها حاول البعض أن يجلسوا قائد الجيش على العرش لكنها نجحت برغم ما قام من الفتن من أن تضمن العرش لأبنها غير الشرعى هذا ، أرمنيوس ، مرجع سابق، ص٨٥ .

(٢) النرشخى ، مرجع السابق ، ص٦٥ ، ٦٦ .

(٣) قتيبة بن مسلم بن عمرو الحسين الباهلى أبو حفص (٤٩ _ ٩٦هـ/ ٦٦٩- ٧١٥م) ، وكان أبوه كبير القدر عند يزيد بن معاوية ، وقد نشأ فى الدولة المراونية فولى الرى فى أيام عبد الملك بن مروان وخراسان فى أيام ابنه الوليد ، ووثب لغزو ما وراء النهر فتوغل فيها وافتتح كثيرا من المدائن كخوارزم وسجستان وسمرقند وغزا أطراف الصين وضرب لها الجزية وأذعنت له بلاد ما وراء النهر كلها فاشتهرت فتوحاته واستمرت ولايته ثلاث عشر سنة . وهو عظيم المكانة مرهوب الجانب ، ومات الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك وكان هذا يكره قتيبة ، فأراد قتيبة الاستقلال بما فى يده ، وجاهر بنزع الطاعة واختلف عليه قادة جيشه فقتله وليع بن حسان التميمى بفرغانة . النرشخى ، مرجع سابق ، ص٧٣ .

(٤) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٧٧ .

(٥) المادة العلمية نقلا عن الأستاذة رانيا مصطفى سالم فى بحثها عن " بخارى فى التاريخ والحضارة " .

بحماس أكثر من ذى قبل فى سكون الليل أو فى تكتم بالغ[1] فقد أمر قتيبة بأن يسكن مع كل واحد من أهل بخارى واحد من العرب وبهذا صار الشريك الجديد عينا على الأسرة التى يسكنها، يراقب سلوك هؤلاء الذين دخلوا فى الإسلام ويفقههم فى أمور دينهم وينبئ ولى الأمر عمن يرتد منهم عن الإسلام[2].

ومما بذله قتيبة لنشر الدين الجديد وتشجيع الناس على اعتناقه أنه بنى فى سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م) المسجد الجامع فى قلعة بخارى، وكان هذا الموضع بيت أصنام.

وكانت لسلوكيات الجنود المسلمين أثره الإيجابى على الوثنيين البخاريين الذين اختلطوا بهم واقتنعوا أن الإسلام هو الدين الحنيف الذى يوافق فطرتهم وطبيعتهم وينجيهم من مظالم واستعباد الديانات الأخرى التى كانت تنتشر منذ زمن بعيد فى بلادهم، فأسلموا عن عقيدة وإيمان وانضموا إلى الجنود الفاتحين لنشر الدعوة الإسلامية، وأخذوا يتعلمون اللغة العربية _ لغة القرآن والحديث _ إلى أن تبحروا فى جميع فروع العلم والمعرفة وتخرج منهم فحول من العلماء كانت كتبهم معلمة لا للمسلمين فحسب بل للإنسانية جمعاء.

ولما استتب الأمن والأمان والاستقرار فى بخارى اتجه القائد قتيبة لفتح "فرغانة"[3] ففتحها ثم أتجه إلى (تركستان الشرقية) فأسلم أهل تركستان

---

(١) كان هذا يحدث فى بيت نار تحت الأرض يعرف بيت نار مغان اى بيت المجوس .

(٢) فامبرى ، مرجع سابق ، ص٦٧ .

(٣) فرغانة (Farghana) : ولاية كبيرة فى التركستان كانت عاصمتها مدينة " خوقند " وكانت تابعة لخانات خوقند قبل استيلاء الروس عليها ، وهى الآن أهم مقاطعة فى جمهورية أوزبكستان .
وكانت فرغانة مسقط رأس علماء أجلاء فى الإسلام مثل أحمد بن كثير الفرغانى الذى يعرف لدى الأوروبيين باسم ((Fargon , Al Fraganius Al عاش الفرغانى فى عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٦١ - ٨٤٦م) فى بغداد وله أثر خالد فى علم الهيئة وهو الذى أنشأ المقياس الجديد لنهر النيل فى مصر وما زالت بقايا المقياس شاخصة فى النيل إلى يومنا هذا . وهناك شارع فى حى الروضة يحمل أسم المقياس . أحمد السعيد الخولى ، مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية غرناطة - إسبانيا - تحت عنوان : أثر الحضارة الإسلامية فى الغرب ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .

الشرقية أفواجا أفواجا غير أن قتيبة عاد إلى مرو[1] عن طريق فرغانة. دعاه على ذلك موت الخليفة الوليد. وخشى قتيبة مغبة غضب الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك عليه، وكان يعلم مدى كراهيته له فبادر بإعلان خروجه عليه.

وكان قتيبة حتى فى ثورته هذه بصيرا يتدبر العواقب. وحمل رسوله كتابيين آخرين إلى جانب كتاب التهديد الذى بعث به إلى الخليفة. أما الأول فكان يعرض فيه ولاءه.

وأما الثانى فكان يسخر فيه من يزيد بن المهلب وكان قتيبة يخاف منافسته له بوجه خاص وفى الكتاب الثالث أعلن أنه لن يتردد فى الجهر بالخروج على الخليفة إذا ما بعث بيزيد مكانه. ولما كان قتيبة قد توقع بحق، تقريب الخليفة ليزيد وملازمته له فقد أوصى رسوله بأن يتقدم إلى سليمان بالكتاب الأول إذا رآه يدفعه إلى يزيد فليتقدم إليه الكتاب الثانى كذلك فإذا ما جعل يزيد يقرؤه فليدفع إليه الثالث[2].

ووجد الرسول يزيد بالفعل عند الخليفة، فسار على ما رسمه له أميره ولم يبد سليمان للرسول رأيا، وأذن له فى الرحيل بسلام. ولم يكد الرسول يعود إلى بلده حتى كان قتيبة قد فرض فى نفسه أن الأمور قد انتهت بالفعل على الوجه الذى ظنه أول الأمر أو لعله كان قد أخبر بذلك قبل عودة رسوله.

فرفع راية العصيان على أن امله خاب إلا فى ذلك الجند الذى سار بهم فأحرز أعظم الانتصارات واستحوذ على الأموال الطائلة. ولو كان قد استمع إلى نصيحة أخيه عبد الرحمن حين نصحه بالمسير إلى بلاد ما وراء النهر وإقامة ملك مستقل له بها لكان قد أفاد من روح التمرد والثورة وحب المغامرة التى كانت

---

(١) مرو (Meru) : عاصمة من عواصم خراسان القديمة على نهر مرغاب ، وهى من أقدم المدن فى آسيا الوسطى تقع على بعد ٢٦٥ كيلو مترا شمال شرق مشهد ، و٢٢٠ كيلو مترا جنوب غرب بخارى . وهى مدينة قديمة وقد قام بتوسيعها الإسكندر المقدونى وأخلافه ، وسماه جغرافيو اليونان " مرغيابى " ويبدو أن هذا الاسم مركب من أسمى " مرو " و " مرغاب " وتعرف أيضا بـ " مرو شاهجهان " وهى مسقط رأس علماء ومشاهير كثيرين يلقبون بالمروزى نسبة إليها منهم الأمام أحمد بن حنبل وسفيان بن سعيد الثورى المحدث (قاموس الأعلام ، ج٦ ، ص٤٢٦٧) .

(٢) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٧م .

تغلب على أهل تلك البقاع. ولكنه اصر على البقاء فى مرو معتمدا على ولاء جنده له. وفى مرو وقف قتيبة يتحدث إلى قومه ويبصرهم بحسن إدارته لحكومته خراسان. وعبثا أخذ يكرهم بأنه ضمهم إلى جيشه فقراء معوزين فأغناهم بكنوز أمراء الترك والفرس وفى الأثناء عزل الحجاج قتيبة بن مسلم عن خراسان وسجستان وحل محله فى خراسان يزيد بن المهلب[1] فألهبت كلماته هذه من حماس أولئك الذين تآمروا عليه وعلى رأسهم وكيع بن السود وحسن بن اياس، وحين ظهر غدرهم حاول أن يتمكن من ابن اياس، فتحالف عليه المتآمرون وقتلوه بعد نضال مرير سقط فيه أغلب أخوته، وكانوا على رأس عدد قليل من الموالين الذين أسرعوا يدافعون عنه[2].

وهكذا قضى فى شهر ذى الحجة عام (٩٦هـ/ ٧١٤م) على ذلك الرجل الذى أقام للإسلام دولة قوية عظيمة فى الشرق وأجهز على دين زرادشت وغرس مكانه تعاليم الإسلام فى أرض كانت على الدوام أخصب البقاع حمية وتحمسا لهذه العقيدة الجديدة[3].

هذا وبعد مقتل قتيبة بن مسلم إستمرت الحملات الحربية المتتالية لقادة جيوش المسلمين وولاتهم على تلك المنطقة حتى صفت بخارى للمسلمين واعتنق " تغشادة " ابن خاتون الإسلام _ فى الظاهر و حكم ثلاثين سنة أخرى إلى أن اغتاله أميران فى معسكر الحاكم " نصر بن سيار " فى سمرقند _ وحدثت خلال حكمه الطويل عدة ثورات ضد السيادة العربية، كما هاجم الترك البلاد عدة مرات.

وكان ابن تغشادة وخليفته قد سمى «قتيبة» تكريما للفاتح العربى وسلك فى أول الأمر مسلكا حميدا.. وفى (١٢٣هـ) أشعل العربى شريك بن شيخ الفتنة فى

---

(١) أحمد الخولى ، سجستان بين العرب والفرس ، القاهرة ، ص١٨٠.

(٢) يروى الطبرى تفاصيل نهاية قتيبة المؤلمة فى أسلوب مؤثر جذاب فيقول إن جنده الذين شاركهم الصعاب وركب معهم الأخطار هجروه ، وكذلك بنو قومه الذين أغناهم ، بل وأقاربه الذين نفروا بطبيعة الحال من فكرة الخروج على الخليفة ، فلم يبق إلى جانبه حتى آخر ساعات حياته إلا نفر قليل فأحيط بداره من كل جانب واشتعلت النيران فى مرابط دوابه حتى لم يجد فرسا يركبه فقاتل أعداءه وهو على قدميه ، وأصابه أول الأمر سهم من رجل يدعى " جهم " ثم أجهز عليه من بعد ذلك فخر بسيفه .

(٣) أرمنيوس ، مرجع سابق ، ص٧٠ ، ٧١ .

بخارى ضد أسرة الخلافة الجديدة إلا أن زياد بن صالح موفد أبو مسلم تصدى لها بقوة بمعاونة قتيبة أمير بخارى وقضى عليها فى مهدها هذا وإلى جانب أمير بخارى من أسرة " بخارخدات " كان فى بخارى منذ عهد قتيبة بن مسلم. عامل عربى تابع لأمير خراسان الذى كان مقيما فى مرو، وكان لأمير بخارى نفسه قصر فى مرو[1] وعندما نقل أمراء خراسان محل إقامتهم إلى نيسابور (فى القرن الثالث للهجرة) بقيت إدارة بخارى منفصلة عن إدارة الأجزاء الأخرى لبلاد ما وراء النهر وفى عام (٢٦٠هـ) انتقلت إدارة بخارى من السامانيين إلى بنى طاهر، وبعد سقوط دولتهم(٢٥٩هـ) اعتبر يعقوب بين الليث الصفارى أميرا على خراسان. إلى أن ذهب وفد من علماء بخارى إلى حاكم سمرقند نصر بن أحمد السامانى فولى على بخارى أخاه الأصغر إسماعيل واستمرت بخارى تحت حكمه خاصة بعد أن ثبته الخليفة أميرا لخراسان.

ويذكر النرشخى فى كتابه " تاريخ بخارى "[2] أنه بعد الفتح الإسلامى للمدينة واستقرار الأمور لقتيبة بن مسلم وبموجب معاهدة عقدت بينه وبين ثراة تجار بخارى والذين كانوا يسمون باسم "كوشش كشان"، تنازل كبار التجار عن جميع منازلهم المجاورة لسكانها العرب وبنوا لأنفسهم قصورا بديلة فى الجهات المجاورة.. واتسمت تلك القصور بمظاهر الثراء فى المعمار وفى إقامة الحدائق وإقامة مساكن للخدم والأتباع.. وكان لأمراء بخارى _ فيما قبل الإسلام _ قصور حافلة بالرياش الفاخرة.. وفى (٣٠١هـ) أقام نصر الثانى السامانى مكانها قصرا وجعل فى مواجهته بنايات خصصت لدواوين الحكومة.. ويؤكد المقدسى أن " دار الملوك " كان لا يزال يوجد فى عهده أمام مبنى القلعة فى ريكستان وأن هذا البناء كان يتسم بالروعة والفخامة والجلال، وأن ريكستان كانت تستعمل كمصلى حتى ٣٦٠هـ، كما يذكر كذلك أنه كان يوجد فى عهد بنى سامان قصر ملكى أقيم على قناة جوى موليان والتى كانت موجودة بالقرب من القلعة ومن ريكستان التى كان يتردد عليها جماهير المسلمين آنذاك لأداء الصلاة. متسلحين بأسلحتهم جريا

(١) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج٢ ، ص١٨٨٨ .

(٢) النرشخى : تاريخ بخارى ت : بدوى والطرازى : ص٢٨ _ ٢٩ .

على عادات أهل ذلك الزمان.. وبين القلعة وشهرستان - وإلى جانب المسجد الجامع - كان يوجد مصنع كبير للنسيج وكان يطلق عليه " بيت الطراز "، وكانت تصدر مصنوعاته ومصنوعات أخرى تتعلق بأعنة _ الخيل _ إلى مصر والشام وبلاد الروم وذلك كشاهد حى وواقعى على إزدهار تجارتها وصناعتها فى تلك الحقبة التاريخية.

وابتداء من القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى، لاحظ الجغرافيون العرب ازدحام بخارى بسكانها حتى أصبحت الإقامة غير صحية، مما جعلها آنذاك رديئة الماء، فاسدة الهواء، مما حمل المقدسى على وصفها بـ " مذبلة الإقليم "هذا إلى جانب انتشار الحرائق فيها نتيجة لأن أغلب بيوتها آنذاك كانت تقام من الخشب، حتى أن الجزء الأعلى من مئذنة الجامع الكبير نفسه كانت مصنوعة من الخشب فأدى هذا إلى إحتراق المئذنة ثم الجامع الكبير وذلك أثناء موقعة حدثت سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م) بين اثنين كان كل منهما يدعى العرش لنفسه، وأراد كل منهما أن يستولى على القلعة.. فكان الحريق الذى هدم كل شىء. ويقول النرشخى إنه بعد هذه الحادثة أعيد بناء المئذنة وصنعت كلها من الطوب المحروق(١).

هذا وكان دخول نصر بن على الايكلى مدينة بخارى فى العاشر من ذى الحجة (٣٨٩هـ/ ٩٩٩م) خاتمة لدولة بنى سامان وكان سقوطهم متصلا بضياع ما كان للمدينة من شأن قديم فى السياسة ولم تعد حاضرة لدولة كبيرة إلا فى (القرن العاشر الهجرى والسادى عشر الميلادى)، حين أقام عدد غير قليل من أمراء القرخانيه فى بخارى وشيدوا فيها بعض المبانى.. ففى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى شيد الخان شمس الملوك نصر بن إبراهيم قصرا له فى جنوب المدينة، وأعد فيها مكانا للصيد والقنص. وفى عهد أرسلان خان محمد بن سليمان أنشئت مصلى فى مكان الصيد (٥١٣هـ / ١١١٩م) وينسب إلى هذا الأمير نفسه كثير من المبانى التى شيدت فى بخارى(٢) كما يقال كذلك أن الأمير

---

(١) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص٢٩ .

(٢) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص٢٣ .

قلج تمغاج خان مسعود قد جدد أسوار المدينة (٥٦٠هـ / ١١٦٥م).. وظلت بخارى محتفظة فى عهد انحطاطها السياسى بما كان لها من شهرة قديمة كمعقل للإسلام ومركزا للعلوم الدينية: فقد نجحت أسرة شريفة من العلماء عرفت فيما بعد باسم آل برهان فى إقامة نوع من الحكومة الدينية وجعلت لها استقلالاً كاملاً عن سلطان سادة هذه البلاد إلا أنه وبعد أن حدثت موقعة تطوان (٥٣٦هـ / ١١٤١م) أن إضطرت المدينة _ لأول مرة منذ الفتح الإسلامى إلى تسليم مقاليد حكمها لشعب غير إسلامى هو شعب القراختاى.. وظلت المدينة موضع تنازع مستمر بينهم وبين شعب بخارى إلى أن سقطت فى يد خوارزم شاه محمد بن تكش الذى لازم الأمير سنجر إلى مدينة خوارزم وظلت المدينة فى حوزتهم فترة من الزمن إلى أن استطاع أمير القراختاى استعادتها من أيديهم.. وعندما أستولى المغول على الدولة التى كان قد أقامها خوارزم شاه محمد بن تكش، كانت بخارى واحدة من المدن الأولى التى اضطرت إلى التسليم إلى جنكيز خان سنة ٦١٦هـ/ ١٢٢٠م).

وترك جنكيزخان بخارى عرضة للنهب والسلب فنشب فيها حريق دمر أغلب أجزاء المدينة ماعدا المسجد الجامع وبعض القصور.. إلى أن أعيد بناؤها من جديد فى عهد " أوكيدى " خليفة جنكيز خان وأعاد لها من جديد بهاءها وثراءها حتى تعرضت سنة (٦٣٦ هـ) لأخطار عديدة وذلك حين ثارت طبقة شعبها الزراع على المغول وعلى طبقة الملاك الجدد... وقد استطاع حاكمها المسلم محمود يلداج فى القضاء على الفتنه وأن يبعد المدينة عن انتقام المغول.. كما نجح ابنه وخليفته سعود بك بمعاونة رجال الدين المسلمين فى الحفاظ على تهدئة الأوضاع فى البلاد وإقامة المدارس وكان يتعلم بها حوالى ألف طالب.

وفى عام (٦٧١ هـ / سنة ١٢٧٣ م) _ فتح بخارى «نكيى بهادر» قائد جيش الالخان المغولى الفارسى أباقا فعم بها الخراب والوباء ولم يعد بها كائن حى خلال الأعوام السبعة التالية لهذا الفتح.. واستمر هذا الوضع السيئ والانهيار البين فى بخارى عشر سنوات أعيد بعدها بناء بخارى من جديد. حتى حل عام (٧١٦ هـ) وجاء إلى المدينة مرة أخرى مغول الفرس ومعهم حليفهم يساور أمير

الجغتاى فعاثوا فى الأرض فسادا وحملوا عدداً كبيرا من سكان بخارى على الجلاء عنها والسكنى بإقليم جيحون وظلت بخارى خامدة يسودها القلق والإضطرابات طوال حكم بيت جغتاى وعهد تيمور وأسرته..

وفى أواخر عام (٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م) فتح الأزابكة مدينة بخارى بقيادة شيبانى خان... حيث أقام بها اثنان من أشهر أمرائها وهما: عبد الله بن محمود الذى أقام فيها منذ سنة (٩١٨ هـ سنة ١٥١٢م) حتى توفى فيها سنة (٩٤٦ هـ) والثانى عبد الله بن اسكندر منذ سنة (٩١٨هـ) حتى (٩٦٤هـ) وبفضلهما استعادت بخارى مجدها كمركز للحياة السياسية والروحية فى بلاد ما وراء النهر، وأصبحت مقرا للحكم طوال عهد أسرة الاشترخانية ويحفل كتاب " بدائع الوقائع " لمؤلفه "واصفى" بوصف كامل للحياة فى بخارى فى تلك الحقبة من الزمن والذى توقفت فيه الصلات بين دولة الأزابكة وقياصرة موسكو وأصبحت بخارى معروفة فى روسيا وأوربا الغربية وكان قياصرة الروس يطلقون اسمها على جميع التجار والمهاجرين من آسيا الوسطى، كما أطلقوا نفس التسمية على سكان التركستان الصينية والتى كانوا يميزونها باسم بخارى الصغيرة(١)

ويرى مؤرخو تلك البلاد أن عهد الخان عبد العزيز (١٠٩١ هـ / ١٦٨٠م) آخر العهود السعيدة فى بخارى بعد أن عجز من جاء بعده من الأمراء عن الاحتفاظ بوحدة الدولة وأصبح الخان المقيم فى بخارى لا يسيطر إلا على جزء صغير من دولته واستقل أمراء قبائل الأزابكة بالحكم فى كثير من البقاع.

وفى عام (١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م) خضعت بخارى لحكم نادر شاه ولم تستعد استقلالها إلا بعد وفاته، حيث نادى الأثاليق محمد رحيم على نفسه خانا جديداً سنة (١١٧٠ هـ / ١٧٥٦م) كبداية لحكم دولة بنى منغيث وخلفه دانيار بك فقنع بلقب آثالق وسار ابنه " مراد على نهجه وخلفه حيدر (١٢٤٢ هـ / ١٨٠٠ م) وكانا يراعيان شرائع الدين مراعاة دقيقة مما مهد لبخارى أن تستعيد جزءا من

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية _ مادة بخارى من ص٤٠٥ إلى ص٤١٥ .

ماضيها وشهرتها كمدينة للإسلام والشريعة خاصة حين راح أميرها حيدر يحاضر فى العلوم الدينية مما قوى نفوذه ومكانته وكان آخر أمراء بخارى الذين ضربت العملة باسمهم، كما زادت رقعة الدولة فاشتملت على أجزاء من الأرض جنوبى نهر جيحون مثل مرو وبلخ وامتدت فى الجنوب الشرقى إلى سرخان ؛ وكان ذلك راجعا إلى جهود الأمير نصر الله (١٢٤٢ -١٢٧٢ هـ / ١٨٢٧م - ١٨٦٠ م) الذى نجح فى توطيد مركز العرش إزاء تمرد أشراف الأزابكة فحاربهم وانتصر عليهم وبسط سلطان الدولة على خيوة وخوقند وبخارى.. وعند ما اعتلى خليفته مظفر الدين عرش البلاد (١٨٦٠ _ ١٨٨٥ هـ) كان الروس قد وطدوا مركزهم عند المجرى الأسفل لنهر سيحون وهزموا نصر الدين فى عدة معارك وحملوه على التخلى عن مطالبه فى حكم وادى سيحون، كما تخلى لهم عن جزء كبير من أراضيه وخاصة مناطق جزق، واوره توبه وسمرقند وكته قورغان كما فتح الروس "خيوة" _ وعند ما تولى الأمير عبد الأحد حكم بخارى (١٨٨٥ هـ - ١٩١٠م) جرى ترسيم الحدود بين بخارى وأفغانستان وتخلى أمير بخارى للأفغان عن جزء من إقليم درواز وأخذ عوضا عنه إقليمى روشن وشنغان، ونظمت العلاقة بين بخارى وروسيا.. ومع حلول عام (١٨٨٧هـ) أقام الروس فى بخارى خطا حديديا روسيا على أن لا يمر هذا الخط بالعاصمة وعلى بعد خمسة عشر كيلو مترا من بخارى القديمة أقيم على هذا الخط الحديدى بعض المنشأت الروسية وأطلق عليها اسم بخارى الجديدة كما تم ربطها بالمدينة القديمة بخط حديدى آخر واتخذوا من بخارى الجديدة مقرا للمبعوث الروسى، كما دخلت بخارى بأكملها ضمن منطقة النفوذ الجمركى الروسى، كما أقيمت منشئات عسكرية اتخذت كمراكز إستراتيجية فى مدن كركى وترمذ على نهر جيحون وكذا فى اقليم شقنان والمدينة الروسية المسماة بترو الكسندروفسك كما تم ربط ترمذ بسمرقند بواسطة طريق لنقل البريد وشبكة اتصالات لاسلكية.. ورغم كل تلك الجهود فإن إمارة بخارى ظلت بعيدة عن التأثر بالحضارة الروسية حتى أننا نلاحظ أن النظام الإدارى والمالى لا يزال على منهجه وإطاره الذى كان معمولا به منذ أربعة قرون كما نجد الأمير وموظفيه وعماله يعاملون السكان اليوم معاملة قاسية كما كان الحال فى الزمن السابق.

ومنذ أن لقب أمير بخارى بصاحب السمو وازداد قربا وارتباطا برموز الدولة الروسية وكبار ساستها فإنه أصبح أكثر استقلالا من ذى قبل _ إزاء المبعوث السياسى والحاكم العام المقيم فى طشقند وحفز النجاح الذى حظيت به روسيا فى منطقة آسيا الوسطى حفز ذلك علماءها إلى إصدار دراسات عديدة باللغة الروسية عن جغرافية إمارة بخارى وكل إقليم من أقاليمها.. فى حين أننا لا نجد حتى الآن فى بخارى نفسها أو فى البلدان الأخرى مثل شهر سبز وفيها قصر آق سراى الذى بناه تيمور أو مدينة ترمذ وبها أطلال قلعة قديمة وضريح جميل لمحمد بن على الترمذى (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) لا نجد أى دراسة أثرية أو تاريخية تخطيطية ذات قيمة. ولم يظهر أى وصف للمركز الحالى للبلاد بقلم أى مستشرق منذ أن توطد مركز الروس فيها.

وصف بخارى عند الجغرافيين العرب:

يصفها المقدسى بقوله:

وأما بخارا فإنها كورة غير واسعة الرقعة، إلا أنها عامرة حسنة. يدور على خمس من مدنها (حائط سعته أثنا عشر فرسخا فى مثله ليس فيه أرض بائرة ولا ضيعة عطلة، اسم قصبتها نموجكث ومن مدنها بيكند، الطواويس، زندنه، بمجكث خجادى، مغكَان _ حزغا نكث خد يمنكن عروان... وأصل إسم بخارا "كوه خوران" وطرحت الهاء والواو للتخفيف فصارت كخارا ثم أبدلوا من الكاف باء ليوهموا على الناس فصارت بخارا وسمعت بعض الأدباء ينشد:

إن باء بخارا باء زائدة.. والألف الوسطى بلا فائدة فلم يبق إلا خرا[1]

أما ياقوت فيصفها فى معجمه بقوله: بخارى بالضم من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها. وهى مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه جيدتها تحمل منها إلى مرو وخوارزم وسمرقند.. وأما نزهة ما وراء النهر فانى لم أر ولا بلغنى فى الإسلام بلد أحسن خارجا من بخارى لأنك اذا زرت قهندزها لم يقع بصرك من جميع النواحى إلا على خضرة متصلة خضرتها بخضرة السماء فكأن

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم : ص ٣٣٢ .

السماء بها مكبة خضراء مكبوبة على بساط أخضر تلوح القصور فيما بينها كالنوادير فيها أو أراضى ضياعهم منعوتة بالاستواء كالمرآة، وليست بما وراء النهر وخراسان بلد أهلها أحسن قياما بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا أكثر عددا على قدرها فى المساحة منهم وذلك مخصوص بأهل هذه البلد لأن الموصوف من متنزهات الأرض سغد سمرقند ونهر الأبلة.

هذا ويتحدث عطا ملك الجوينى فى كتابه " فاتح العالم " عن بخارى بقوله: "وهى من البلاد الشرقية قبة الإسلام وتعتبر مدينة السلام فى تلك النواحى والأنحاء ازدان سوادها ببياض نور علمائها وفقهائها، وزينت أطرافها بطرف المعالى وهى منذ قديم الزمان وفى كل قرن مجمع نحارير علماء كل دين وفق دين كل عصر"(١)

هذا ويصف الشريف الإدريسى بخارا فى كتابه "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق" بقوله:

وبخارا مدينة تشف على المدن كبرا وتزهى على المحاسن نظراً فرجة الأرجاء والجهات كثيرة الأشجار والثمرات، هى مدينة فى مستوى الأرض وبناؤها خشب مشبك، ويحيط بالبناء المشبك من القصور والبساتين والمحال والسكك المفترشة والقرى المتصلة ما يكون طوله ستة وثلاثون ميلا ويحيط بها كلها سور يجمع هذه القصور والمساكن والمحال التى تعد من القصبة ويسكنها من يكون من أهل القصبة شتاء وصيفا وداخل هذا السور سور متقنة لها سور مخصص ولها قهندز خارج المدينة...(٢)

وقد أشاد الرحالة العرب بذكر بساتين بخارى الفسيحة وما كان يزينها من أشجار الفاكهة القليلة بعددها ؛ الممتازة بثمارها، وأنها كانت سوقا رائجة تلتقى فيها تجارة الصين وآسيا فضلا عما كان فيها من مصانع كبيرة للحرير والديباج والمنسوجات القطنية وأجود أنواع الأبسطة والمصنوعات الفضية والذهبية من كل نوع.

---

(١) الشريف الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ص ٤٩٣ القاهرة ١٩٩٤ م

(٢) عطا ملك الجوينى: تاريخ فاتح العالم ت: د/ السباعى محمد السباعى . المجلد الأول: ص ١٢٤: سنة ٢٠٠٧م

كما كانت حافلة بالكتاتيب التى تصلح اللغة العربية والقرآن الكريم والفقه.. ويورد بارتولد ما جاء على لسان "ابن سينا" فى وصفه لمكتبة السامانيين فى بخارى قوله: ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه للكثير من الناس وما رأيته قبل ولا رأيته أيضا بعد(١).

هذا ويعدها براون واحدة من المراكز الأربعة فى العصر الغزنوى التى تجذب إليها رجال العالم والأدب وهذه المراكز بالإضافة إلى غزنة:

١ - قصر الصاحب بن عباد وزير البويهيين وكان يقيم عادة فى الرى أو أصفهان

٢ - قصر السامانيين فى بخارى.

٣ - قصر قابوس بن وشمكير فى طبرستان.

٤ - قصر ملوك خوارزم المعروفين باسم آل مأمون فى خيوة(٢)..

هذا وكان بعض التابعين يتمنى أن يكون من أهل هذه البلاد فهذا سعد بن المسيب التابعى الجليل يقول: لو لم أكن رجلا من قريش لأحببت أن أكون من أهل فارس ـ وفى رواية أخرى لأبى نعيم يقول: لو تمنيت أن أكون من أهل بلد لتمنيت أن أكون من أهل فارس..

هذا.. وقد عنى علماء الغرب والشرق بتاريخ بخارى وكان لهم اهتمام كبير فى التأليف عن جوانب شتى من تاريخ بخارى، فمنهم من إهتم بها كمدينة، ومنهم من إهتم بها باعتبار سكانها أكثر من باقى البقاع، ومنهم من خصها باعتبار محدثيها والواردين عليها، ومنهم من قَصَرَهُ على الناحية الجغرافية،وعرج إلى بقية النواحى وخص بعضهم الناحية الإقتصادية ونشاط سكانها.

وأشهر كتابين عن بخارى هما: كتاب تاريخ بخارى للنرشخى والذى ترجمه إلى العربية أستاذى المرحوم نصر الله الطرازى والمرحوم أمين بدوى، والثانى: تاريخ بخارى للمستشرق المجرى فامبرى والذى يتناول فيه تاريخ تركستان قبل الإسلام وحتى عام (١٨٧٠م) ونقله إلى العربية أستاذى المرحوم الدكتور أحمد الساداتى:

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح الغربى إلى الغزو المغولى الترجمة العربية ص ٧١

(٢) براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى : ت :الشواربى ص ١١٧- ١١٨ .

كما قامت الباحثة هويدا عبد المنعم بإعداد رسالة جامعية عن بخارى تحت عنوان "بخارى فى العصر السامانى" وحصلت بها على درجة الماجستير (١٩٩١م) وتصف بخارى بقولها: كانت بخارى كعبة يجمع إليها العلماء الذين أثروا الحضارة الإسلامية بمصنفاتهم القيمة فى العلوم النقلية والعقلية "

كما قامت الباحثة رانيا مصطفى بإعداد رسالة ماجستير عن بخارى تحت عنوان "بخارى فى التاريخ والحضارة" بإشراف أستاذى الجليل الدكتور أحمد الخولى وذلك عام (٢٠٠٦م) وكان لى الشرف الأخذ منها والسير على دربها فى الحديث فى هذا الفصل عن بخارى.

المركز العلمى لبخارى:

ينسب إلى بخارى عدد غير قليل من أئمة المسلمين فى فنون شتى ويأتى فى مقدمتهم إمام أهل الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى وسيرد الحديث عنه تفصيلا فى الباب الأخير من هذا الكتاب... ومنهم كذلك أبو ذكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمى البخارى الحافظ (ت٤٦١هـ) والذى أتم دراسته فى بلاد ما وراء النهر والعراق والشام ومصر وإفريقية والأندلس، ثم سكن مصر وحدث عن عبد الغنى بن سعيد الحافظ وتمام بن محمد الرازى وكذلك عمن يطول ذكرهم..

ومنهم كذلك أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم البخارى المشهور أمره والمقدور قدره صاحب التصانيف، ولى الوزارة لأبى طاهر بن فخر الدولة بن سكن الدولة بن بويه صاحب همذان. وجرت له أمور وتقلبت به نكبات حتى توفى سنة (٤٢٨هـ) عن عمر يناهز الخمسين عاما.. وكذلك الفقيه أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن حمدون بن بخار البخارى.. ومنهم كذلك أبو المعالى أحمد بن محمد بن على بن أحمد البغدادى البخارى[1].

---

(١) ياقوت الحموى : مادة بخارى : ج١ _ ص٢٥٥ _ ص٢٥٦ .

هذا... ومسك الختام فى الحديث عن بخارى تزجية الشكر للزميلة الباحثة رانيا مصطفى سالم ثم نورد أبياتا كتبها واحد من أبناء تركستان هو عبد العزيز جنكيز خان وردت فى كتاب له بعنوان: " تركستان.. قلب آسيا ".. يقول فيها:-

بخـــــــــــــــــــارى

ضياء العالم أشرق من (بخارى) بها الإسلام فى الدنيا أنارا
مصابيح من العلماء كانوا يضيئون المنازل والديارا

****

مدارس للحجا كانت مئينا تفوق هناك عد الحسابينا
ملوك الفقه والفتيا تراهم أعادوا ثم عهد الراشدينا

****

ألا يكفى (ابن إسماعيل) فيها ؟ تزيد بقدره فخراً وتيها
أمير المؤمنين وسوف يبقى دليلا مشرقا فى نابغيها

****

وقد صار اسمه رمز الحديث مضيئاً فى القديم وفى الحديث
وكان العلم يجرى فى رباها كمثل الريح فى سير الحثيث

****

فكنت ترى المدارس فى حماها كوكلناش) تخبر عن علاها
كأن الله لما أن بناها لغرس العلم والفقه اصطفاها

****

وقصر العارفين بها رفيع لشاه النقشبند له سطوع
ولى عبقرى المسعى يتمم نور ساحته الجموع

****

وسعد الدين فى ذاك المكان يطل عليك من غرف الجنان
لقد أضحى جوار النقشبند بديعا فى البيان وفى المعانى

****

حـبـاهـا آل سـامـان الـفـخـارا وفـاقـوا مـلـك سـامـان ازدهـارا
وحـسـبـك عـنـدهـا ذكـرى ابـن سـيـنـا لـتـعـرف كل فـضـل عن بـخـارى[1]

* * * *

( )عبد العزيز جنكيزخان : تركستان قلب آسيا .

ثالثاً:
مدينة «ترمذ»

ترمذ : مدينة تقع على المجرى الأعلى لنهر جيحون على مسيرة ستة فراسخ من بلخ وعلى خط عرض ٣٧ْ شمالاً وخط طول ٦٧ْ شرقى كرنيوتش.. وهى إحدى مدن جمهورية أوزبكستان.. ويصفها المقدسى بقوله :

«هى أجَلّ مدينة على جيحون نظيفة طيبة أحد العرصات مفروشة أسواقها بالآجر والماء يسطع جانبيها ويقلع المراكب إليها من كل جائب وعليها حصن ولها قهندز والجامع فى الحصن والقهندز خارج منه له باب، وللمدينة ثلاثة أبواب، ولها ربض وسرادقات وهى أول المدائن من أعلى النهر وكالف من نحو المغرب على الشط بها مسجد فى رباط ذى القرنين يقابلة بهيطل رباط ذى الكفل ـ وليس على جيحون موضع يمكن أن يتخذ ب بلد ذو جانبين على عمل بغداد وواسط غير كلف لتشمر النهر ثم وخلوة من البثق والرمل»(١).

ويصفها الاصطخرى بقوله :

«وأما الترمذ فإنها مدينة على وادى جيحون لها قلعة ومدينة وربض ويحيط بالربض سور. ودار الإمارة فى القلعة والحبس خارج القهندز فى المدينة فى السوق ومسجد الجامع فى المدينة والمصلى داخل السور فى الربض وأسواقها فى مدينتها وأبنيتها طين ومعظم سككها وأسواقها مفروشة بالآجر وهى عامرة آهلة وفرضة تلك النواحى على جيحون، وأقرب الجبال إليها على نحو مرحلة، وماؤهم للشرب من جيحون ونهر يجرى من الصغانيان، وليس لضياعهم من جيحون شرب، وشرب ضياعهم من نهر الصغانيان، ولها من المدن صبرمنجن وهاشم جرد، أكثر أهلا ومالا من المدن المحيطة والقريبة منها».(٢) هذا وقال الإمام السمعانى فى كتابه «الأنساب» عن ترمذ ما يلى: « ترمذ مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذى يقال له جيحون، والناس مختلفون فى كيفية هذه النسبة بعضهم يقولون بفتح التاء المنقوطة بنقطتين من فوق وبعضهم يقولون بضمها، وبعضهم يقولون بكسرها، والمتداول على لسان أهل

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم : ص ٢٩١

(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك : ص٢٩٨ .

تلك البلدة _ وكنت أقمت بها إثنى عشر يوماً _ بفتح التاء وكسر الميم، والذى كنا نعرفه قديماً فيه كسر التاء والميم جميعاً، والذى يقوله المتوقون[1] وأهل المعرفة بضم التاء والميم وكل واحد يقول معنى لما يدعيه، ومدينتها على حجر، وهى فى شمال مضيف نهر جيحون وهو آت من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل، وبذلك تعد أول المدائن من أعالى النهر على إثنى عشر فرسخا من بلخ - وقد اعتبرها اليعقوبى[2] مدينة متصلة العمل ببلخ _ وهى مدينة قديمة على طرف نهر جيحون.. ومن مدنها صرمنجى وهاشم جرد..

فتح ترمذ :

فتحت على يد سعيد بن عثمان، ثم انتفض أهلها ففتحها قتيبه بن مسلم الباهلى[3] ففى عام (٨٨ - ٨٩ هـ / ٧٠٦ - ٧٠٧ م) توجه قتيبة نحو ترمذ حيث التقى هناك بالقائد التركى كول تكين " حاكم الولايات الغربية _ ولكن الهزيمة لحقت به، فاضطر إلى الانسحاب إلى مدينة مرو، وأدرك ما للخلافات القبلية من أثر كبير فى إضعاف الجيوش الإسلامية، فجعل هدفه إزالة هذه الخلافات ثم تمكن قتيبة من تجهيز جيش من العرب والفرس المسلمين، كما أمده الحجاج بن يوسف الثقفى بالجند والعتاد، فتوجه إلى بخارى وفتحها، كما فتح المنطقة المحيطة بها من إقليم الصغد، حيث تمكن من فتح سمرقند وخوارزم بين عامى (٩٢ _ ٩٤ هـ / ٧١٠ - ٧١٢ م).

وفى عام (٩٥ هـ - ٩٦ هـ / ٧١٣ - ٧١٤ م) فتح الأقاليم المحيطة بنهر سيحون وخاصة فرغانة، وأقر الإسلام بها إلى أن استشهد (٩٦ هـ/ ٧١٥ م).. وعند ما تولى مقاليد الخلافة الأموية هشام بن عبد الملك (١٠٦ هـ / ٧٢٤ م) عين «نصر بن سيار» واليا على بلاد ما وراء النهر، فأخضع معظم المناطق الأخرى، واسترجع ما كان قد فقد من المسلمين، كما إحتل الشاش فى الشمال الشرقى من سمرقند[4]

---

(١) السمعانى : الانساب : ج ١ : ص ٤٥٩ .

(٢) اليعقوبى ، البلدان : ص ٢٨٩ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٥٠٨ _ القاهرة ١٩٥٦ م

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ج ٢ ، ص ١١٤٧

أما دائرة المعارف الإسلامية فتذكر عن ترمذ ما يلى : "ترمذ : مدينة على الضفة الشمالية لنهر جيحون بالقرب من مصب نهر سرخان أما أهلها فينطقون بإسمها. ترميذ" وفى عام (١٨٨٩م) سمع الضباط الروس الناس ينطقون باسمها ترمز أو ترمذ.. وتعرف المدينة رسميا الآن باسم ترمز ويقال إن الإسكندر الأكبر شيد هذه المدينة وشيد بجوارها مدينة برداغوى التى لا تبعد عنها كثيرا على نهر جيحون نفسه.

وكانت الديانة البوذية هى السائدة فى ترمذ إبان الفتح الإسلامى، وكان بها إثنا عشر معبداً ونحو ألف راهب وكان يحكم ترمذ _ وقتذاك _ أمير عظيم الشأن لقبة ترمذ شاه (١)

وفى سنة (٧١ هـ / ٦٩٠ م) فتحها موسى بن عبد الله بن خازم والذى خرج عن طاعة الخليفة واستقل بحكمها خمسة عشر عاما..(٢)

وأفلح عثمان بن مسعود فى استرداد المدينة للخلافة حوالى نهاية عام (٨٥هـ) (٧٠٤ م) وقد أنفذه فى ذلك الوالى المفضل بن المهلب. وكان للجزيرة المجاورة لترمذ التى عرفها العرب باسم جزيرة عثمان شأن هام فى هذه الحرب وفى إقامة الجسور، وفيما ضرب على المدينة من حصار فى العهود التالية. وعرفت هذه الجزيرة فى عهد الأزابكة باسم أورته أرال أو أرته أرلى أى الجزيرة الوسطى. وانتقلت شعيرة التوسل بالرسول ذى الكفل التى ذكر أنها كانت قائمة فى كالف منذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) إلى هذه الجزيرة. ولهذا تعرف الجزيرة الآن باسم أرال بيغمبر أى: «جزيرة الرسول».

ويمكن الرجوع إلى المكتبة الجغرافية العربية (جـ ١، ص ٢٩٨ ؛ جـ ٣، ص ٢٩١) بصفة خاصة فيما يتصل بالأحوال الجغرافية لهذه المدينة فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى). وكانت ترمذ مرسى هاما على نهر جيحون، فكانت تبنى فيها

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٤١٧ وما بعدها

(٢) المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ٣ ، ص ٢٩١ .

السفن لها ولغيرها من البلدان[1] وأشتهرت ترمذ بصناعة الصابون شأنها فى ذلك شأن مدينة بلخ وأشتهر من علمائها عالمان أولهما الإمام الترمذى وسيرد الحديث عنه فى الباب الخاص بسير المحدثين، والثانى المتحدث المتصوف أبو عبد الله محمد بن على الترمذى عام)ت ٢٥٥هـ) الموافق (٨٦٩ م).

ومن المعروف أن محمد بن على هذا قد تخرج على شيوخ البخارى، ويروى السمعانى أن الذى تخرج عليهم هو محمد بن عيسى.

وشاطرت ترمذ بعد ذلك خراسان وما وراء النهر فى تاريخهما السياسى، فكان مما يعظم من شأنها اتخاذ نهر جيحون حداً لها كما هى الحال فى الوقت الحاضر، وقد يعظم من شأنها أحياناً أخرى اتصالها ببلخ. وكانت ترمذ فى عهد السلطان محمود وخلفائه تابعة للدولة الغزنوية كسائر ولايات بلخ..

وانتقل الحكم فيما وراء النهر إلى القره خطاى نتيجة للقتال الذى نشب فى صحراء قطوان بالقرب من سمرقند فى (الخامس من صفر عام ٥٣٦هـ) (٩ سبتمبر سنة ١١٤١م) ولكن ترمذ ظلت فى حوزة السلاجقة، نستدل على ذلك من أن السلطان سنجر قد احتمى بها عام (٥٥١هـ،١١٥٦م). واستولى القره خطاى بعد ذلك على ترمذ وظلت فى حوزتهم إلى أن استولى عليها عماد الدين عمر والى بلخ من قبل الغوريين وذلك فى ذى القعدة عام (٦٠١هـ الموافق يونية _ يولية ١٢٠٥م) وقد نصب بهرام شاه بن عماد الدين والياً عليها (ورد اسم بهرام شاه فى كتاب النسوى، طبعة هوداس، ص ٣٩). وفى العام التالى استولى خوارزم شاه محمد حليف القره خطاى على ترمذ وسلمها إليهم. ويقول ابن الأثير[2] (ج١٢، ص١٥٢ وما بعدها) إن أخبار هذه الحوادث قد أسخطت العالم الإسلامى على خوارزمشاه. وذكر الجوينى[3] أن الوالى سلم المدينة عملا بالنصيحة التى بذلها والده لعثمان خان سمرقند. وذكر ميرخواند اسم خوارزم شاه بدل الخان.

---

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ٣ ، ص ٣٢٥ ، ص ٧.

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ج١٢ : ص١٥٢ وما بعدها .

(٣) عطا ملك الجوينى : مجوعة جيب التذكارية : ج١٦ : ص٦٤ .

وأصبحت ترمذ بعد سقوط دولة القره خطاى تابعة لدولة خوارزمشاه. وفى خريف عام (١٢٢٠ م) استولى المغول على المدينة ودمروها تدميرا. وذكر الجوينى فى أخباره عن هذه الغزوة أن نصف أسوار المدينة كان فى وسط النهر[1].

وورد قبل ذلك بسنوات قليلة أول ذكر لسادات ترمذ الذين لم تؤثر غزوة المغول فى مكانتهم. وقد أذاع خوارز مشاه بين علماء دولته أثناء النضال بينه وبين الخليفة الناصر أن العباسيين اغتصبوا السلطان من أربابه أبناء عَلّى وتولى الخلافة علاء الملك أحد كبار السادات (أزسادات بزرك) فى ترمذ[2] ولم يكن لهذا من أثر. وليس من بيان عن حياة هذا المناهض للخليفة العباسى وما أنتهى إليه أمره. وجاء فى كتاب " تاريخ كَزيده لحمد الله القزوينى أن اسمه السيد عماد الدين الترمذى : ويروى إبن بطوطة فى القرن التالى أخبارا عن ممالك الجغتاى فقد ذكر اسم علاء الملك خداوند زاده من أبناء الحسين بن على وقال إنه صاحب ترمذ. ويروى أنه إنضم إلى خان خليل الله على رأس أربعة آلاف مسلم وأن خليلا قد استوزره. ولقب آل بيته فيما بعد بخداوند زاده.

وقد ذكر فى كتاب "ظفرنامه" اسم خان زاده أبو المعالى وأخوه على أكبر جملة مرات. وقد نفى أبو المعالى عام (١٣٧١م) لاشتراكه فى التآمر على تيمور ولم يلبث فى المنفى طويلا واشترك فى العام التالى فى غزوة تيمور لخوارزم. وأقام تيمور ببيت علاء الملك فى عودته من غزوة الهند عام (١٣٩٩م) وفى عودته من غزو الأقاليم الغربية عام (١٤٠٤م). وتزوج أحمد ميرزا عام (١٤٨٧م) امرأة من السادات.

واستعادت ترمذ أيام ابن بطوطة مكانتها بعد ما أصابها من دمار على يد المغول، وكانت بلخ لا تزال أطلالا. ولم تشيد المدينة ثانية فى مكانها القديم، وإنما شيدت على مسيرة ميلين عربيين من النهر.

---

(١) عطا ملك الجوينى : مجوعة جيب التذكارية : ج١٦ : ص١٠٢.

(٢) مجموعة جيب التذكارية ، جـ ١٤ ، القسم الثانى ص ٩٧ ، ١٢٢ .

وكانت ترمذ مدينة جميلة كبيرة أهلها فى رغد من العيش وبين أطلالها أضرحة وقبور السادات التى تعرف الآن باسم " سلطان سادات " وتعيش سلالة السادات الآن فى قرية صالح آباد القريبة من ترمذ. وبلغ عدد سكان هذه القرية فى الإحصاء الأخير (٧٢٤ نسمة) وأخذ سمنوف منهم مخطوطاً فيه نسبهم وتاريخ بيتهم حتى الرابع من ذى الحجة عام (١٠٤٦م) (٢٩ إبريل سنة ١٦٣٧م)، وجاء فى هذا المخطوط أن السيد حسن الأمير ابن الأمير حسين وفد إلى سمرقند عام ٢٣٥هـ) (٧٤٩ - ٨٥٠ م) ثم نزح إلى بلخ ثم إلى ترمذ عام (٢٤٦هـ) (٨٦٠ - ٨٦١ م). ولدينا أخبار عن علاقات السيد حسن مع السامانيين وعن مجرى الحوادث التاريخية. وليس فى شجرة النسب بعد هذا سوى أسماء الأعلام مجردة عن ذكر الحوادث والحقائق التاريخية. وقد ذكر فى هذه الشجرة اسم سلطان السادات علماً على امرأة.

وجاء فى كتاب " ظفر نامة "[1] ذكر ترمذ القديمة (ترمذ كهنه) عند الكلام عن مدينة ترمذ. وكثيراً ما يرد اسم ترمذ فى المؤلفات، ومنها المخطوط السابق ذكره. وذكرت باسم " مدينة الرجال " فى السكة التى ضربت بعد العهد المغولى. وبعد وفاة تيمور استعاد نهر جيحون إلى حين ما كان له من شأن بوصفه حداً من حدود ترمذ. ولم يحتفظ خليل سلطان الذى استولى على سمرقند إلا بالأراضى التى إلى شمال نهر جيحون. وبينما كان خليل وشاهرخ يتأهبان للقتال استعاد خليل سلطان عام (٨١٠هـ) (١٤٠٧ م) ترمذ القديمة واسترد شاهرخ حصون بلخ، ولعل ما شيد إحياء لذكر محمد بن على الترمذى يرجع إلى ذلك العهد.

وكانت ترمذ وبلخ فى الغالب من أملاك دولة الأزابكة منذ القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى). واحتلت جيوش الهند بقيادة سعادت خان مدينة ترمذ إبان اقتتال الأزابكة والأمير الهندى أورنكزيب على مدينة بلخ (عام ١٦٤٦م وعام ١٦٤٧م) وهو الأمير الذى أصبح بعد ذلك إمبراطوراً.

وكانت ترمذ فى السنوات الأولى من القرن الثامن عشر فى حوزة شير على، وهو من بيت قنغرات ومشيد مدينة شير آباد. وميز أهل ذلك الزمان بين حصن ترمذ

---

(١) جـ ١ ، ص ٥٧

الكبير (قلعة قلان) وحصن القرية (؟) التى يعيش بها جل سكان ترمذ (؟) وأدى اضطراب الأحوال فى السنوات التالية إلى خراب ترمذ وكثير غيرها. وأعاد محمد رحيم بناء هذه المدينة عام ١٧٥٨م). ولكنها خربت بعد ذلك مرة أخرى.

ولم يكن بالقرب من أطلال مدينة ترمذ القديمة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر سوى قرية بته حصار الضئيلة الشأن (عدد سكانها ١,٢٥٧) وقرية صالح آباد. وعظم شأن بته حصار عندما أصبحت الثغر الذى تخرج منه السفن التجارية الروسية فى نهر جيحون. وفى عام ١٨٩٤م) بنى حصن ترمز Termez الروسى وهو على مسيرة خمسة أميال من أطلال ترمذ، وغدا هذا الحصن على مر الزمن مدينة معظم سكانها من الرجال. فقد بلغ عددهم وفقا للتعداد الأخير ٨,٠١٢ رجلا، وبلغ عدد النساء ٢,٠٦٩ امرأة، وفتح عام ١٩١٦م) الخط الحديدى الممتد بين بخارى وقرشى وترمذ، ودمرت ترمذ أثناء الثورة الروسية وأعيد بناؤها منذ ذلك، وكان لأعمال التنقيب التى قام بها متحف موسكو للثقافة الشرقية نتائج هامة., ومن بين ما عثر عليه هذا المتحف آثار يرجع تاريخها إلى العهد البوذى، هذا وتعد ترمذ الآن واحد من المدن التابعة لجمهورية اوزبكستان.

علماء ترمذ:

المشهور من أهل هذه البلدة من العلماء إسحاق بن إبراهيم بن جبلة بن باجويه الترمذى. وأبو أحمد بن الحسن الترمذى. ومن المشايخ أبو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى وأبو بكر الوراق الترمذى، وجماعة كثيرة سواهم، ومن القدماء خالد بن زياد بن جرو الأزدى من أهل ترمذ، يروى عن نافع صحيفة مستقيمة هكذا قال أبو حاتم بن حبان، وروى عنه قتيبة بن سعيد وحبش بن حرب البيكندى وأهل بلده، مات وهو ابن مائة سنة وكان على القضاء بترمذ وابنه عبدالعزيز بن خالد كان على القضاء بمرو. وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن شداد الترمذى الضرير أحد الائمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث.وسيرد الحديث عنه تفصيلاً فى الباب الخاص بسير أئمة الحديث.. وفيها كذلك أبو عثمان سعيد بن خالد بن محمد بن مخلد بن خالد الترمذى، قدم بغداد حاجا وحدث بها سعيد عن عيسى بن أحمد العسقلانى، وروى عنه

أحمد ابن جعفر بن الخلال ومحمد بن المظفر الحافظ. وأبو محمد الترمذى العابد قدم إلى نيسابور سنة خمسة وأربعين وثلاثمائة فحدث عندنا مدة، ثم خرجنا إلى الحج فوجدته معنا فى الطريق وأخذت عنه. ثم مرض بمنى ولما ورد إلى مكة توفى بها ودفن بالبطحاء وصليت عليه. وأبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الفقيه الشافعى الترمذى من أهل ترمذ، كان فقيها فاضلا ورعا سديد السيرة، سكن بغداد وحدث بها عن يحى بن بكير المصرى ويوسف بن عدى وكثير بن يحى وإبراهيم بن المنذر الحزامى ويعقوب بن جميد بن كاسب، روى عنه أحمد بن كامل القاضى وعبدالباقى بن قانع القاضى وعبدالرحمن بن سيما المجبر وأحمد بن يوسف بن خلاد النصيبى، وكان ثقة من أهل الفضل والعلم والزهد فى الدنيا، وقال الدراقطنى: هو ثقة مأمون ناسك، وروى عن محمد بن نصر الترمذى يقول: كتبت الحديث تسعا وعشرين سنة وسمعت مسائل مالك وقوله ولم يكن لى حسن رأى فى الشافعى، فبينما أنا قاعد فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ غفوت غفوة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فسألته عن الأئمة إلى أن قلت يا رسول الله أكتب رأى مالك؟ قال: ما وافق حديثى، قلت له:أكتب رأى الشافعى؟ فطأطأ رأسه شبه الغضبان لقولى وقال: ليس هذا بالرأى، هذا رد على من خالف سنتى؛ فخرجت فى أثر هذه الرؤيا إلى مصر فكتبت كتب الشافعى. وذكر أبو بكر أحمد بن كامل القاضى قال: توفى أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذى لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وتسعين، وقيل كان مولده فى ذى الحجة سنة مائتين، ولم يغير شيبه، وكان قد اختلط فى آخر عمره اختلاطا عظيما، ولم يكن للشافعيين بالعراق أريس منه ولا أشد ورعا وكان من أهل التقلل فى المطعم على حال عظيمة فقراً ورعاً وصبرا على الفقر، أخبرنى[1] إبراهيم بن السرى الزجاج أنه كان يجرى عليه أربعة دراهم فى الشهر، وكان لا يسأل أحدا شيئا، وأخبرنى محمد بن موسى حماد أنه أخبره أنه تقوت فى بضعة عشر يوما أراه قال سبعة عشر يوما خمس حبات أو قال ثلاث حبات، قال قلت كيف عملت؟ فقال لم يكن عندى غيرها فاشتريت بها لفتا

(١) السمعانى : الأنساب ج١ ص ٤٦٠ و ص ٤٦١

فكنت آكل كل يوم واحدة. وأبو إسماعيل محمد بن إسماعيل بن محمد بن يوسف السلمى الترمذى من أهل بغداد، ترمذى الأصل، فقيه عالم ثقة صدوق مكثر من الحديث مشهور بالطلب رحل إلى الحجاز ومصر، سمع محمد بن عبدالله الأنصارى وأبا نعيم الفضل بن دكين وقبيصة بن عقبة وإسحاق بن محمد الفروى وأيوب بن سليمان بن بلال وعبدالعزيز بن عبدالله الأويسى وعبدالله بن مسلمة القعنبى وغارم بن الفضل وأبا صالح كاتب الليث ويحيى بن عبدالله بن بكيروأبا بكر عبدالله بن الزبير الحميدى، روى عنه أبوبكر بن أبى الدنيا وموسى بن هارون وجعفر بن محمد الفاريابى وأبو عيسى الترمذى وأبو عبدالرحمن النسائى وأخرجا عنه فى كتابيهما وأثنى عليه النسائى وقال: محمد بن إسماعيل الترمذى خرسانى ثقة وقال غيره كان فهما متقنا مشهورا بمذهب السنة ؛ ومات فى شهر رمضان سنة ثمانين ومائتين ودفن عند قبر أحمد بن حنبل.

رابعاً:
مدينة «سجستان»

أولا الموقع:

تقع سجستان فى الجنوب الشرقى لايران على حدودها المتاخمة لأفغانستان وتنقسم إلى قسمين متباينين:

أولا : الحافة الجنوبية لجبال هند كوش حيث يمر الطريق الذى يربط قندهار بهراة ومرو وبلخ وبينها وبين هراة ثمانون فرسخا وهى جنوبى هراة وبينها وبين كرمان مائة وثلاثون فرسخا وبينها وبين بُسْتَ خمسة أيام... وهو موقع متميز للإتصالات.. أما قندهار التى ترويها مياه الجبال فهى نقطة انطلاق الطريق الذى يتصل بالهند فى اتجاه الجنوب الشرقى وينتهى بسهل كندابيل الذى يعتبر منطقة هامة لتربية الإبل من ذات السنامين...

ثانيا: المنطقة الصحراوية الواقعة حول بحيرة هامون وأطرافها صالحة للزراعة بواسطة الرى إذ تصب بها أذرع دلتا كبيرة تتحرك مواقعها باستمرار حيث تنتقل المساكن بصورة مستديمة.

ثانيا : تضاريس سيستان

أما طولها فمن خراسان حتى حدود السند وعرضها من كرمان حتى الهند وتبلغ مساحتها حوالى سبعة آلاف ميل مربع منها ما يزيد على ألفى ميل فى بلاد فارس (إيران) والباقى فى بلاد أفغانستان والناحية مقسمة بين الدولتين بخط الحدود النظرى الذى وضعته بعثة سيستان، ويبدأ هذا الخط من بندسيستان على نهر هيلمند (الهند مند) إلى كوه ملك سياه وهو تل فى غرب كَود زره. وقد ميز رئيس البعثة بين سيستان نفسها وسيستان الخارجة. والأولى يمكن القول أنها تطابق الجزء الذى تملكه إيران.. وهو أعظم أجزاء سيستان شأنا وحدوده فى الشمال والغرب نهرا نيزار وهامون، وفى الشرق المجرى القديم لنهر هيلمند، وفى الجنوب خط يشتمل الجزء الذى ترويه قناة سيستان الكبرى.. ومن ثم فإن هذه البلاد يحيط بها الماء من ثلاث جهات.. ويمكن وصفها بأنها شبه جزيرة. ويذكر ياقوت أن طول سيستان أربع وستون درجة وربع وعرضها اثنتان وثلاثون

درجة وسدس وهى من الإقليم الثالث[1] أما أغوار هامون التى تصب فيها الأنهار فيمكن تسميتها ووصفها على الوجه التالى[2]:

أ- بحيرتان تنكً دل إحداهما من نهرى رود رو دو فراه رود وفراه رود الآتى كلاهما من الشمال، وتتكون الأخرى من نهرى هيلمند وخشرود.. والأول قادم من الجنوب والثانى من الشرق.. ويمتد نهر نيزار جنوب هذين البحيرتين فى رقعة من الأرض يغطيها البوص وتتحد مياه البحيرتين عندما يفيض نهر هيلمند ويغطى الفيضان أيضا الجانب الغربى للبحيرتين؛ هامون راه حتى تصبح هذه الرقعة بحيرة عظيمة ثم تصرف هذه البحيرة آخر الأمر ما يفيض من مياهها فى مجرى من الماء يسمى الشيك ويصب هذا المجرى فى غور ثالث هو كودذره ويقوم مورد المياه فى سيستان ومن ثم زراعتها على نهر هيلمند خاصة ولذلك نظم توزيع مياهه منذ العصور الغابرة بالاستعانة بشبكة من السدود والقنوات.. وقد غير النهر مجراه عدة مرات... ويعد نهر الهند مند النهر الرئيسى بها ويقول أهل سجستان أنه يصب إليه مياه ألف نهر فلا تظهر فيه زيادة وينشق منه ألف نهر فلا يرى فيه نقصان[3].

ثالثا طبيعة الأرض والمناخ:

يصف ذلك الاصطخرى قائلا:

«أرض سجستان سبخة ورمالها حارة لا يقع بها الثلج، وهى أرض سهلة لا يرى فيها جبل، وأقرب جبالها من ناحية قره وتشتد رياحهم وتدوم على أنهم قد نصبوا عليها طواحين يديرها الهواء وتنقل رمالهم من مكان إلى مكان، ولولا أنهم يحتالون عليها لطمست على المدن والقرى بها وإذا أحبوا نقل الرمل من مكان الى مكان من غير أن يقع على الأرض التى إلى جانب الرمل جمعوا حول الرمل مثل الحائط من خشب وشوك وغيرهما بقدر ما يعلوه على ذلك الرمل وفتحوا فى

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٣ مادة سجستان من ص ١٩٠ الى ص ١٩١

(٢) يرجع الفضل بعد فضل الله و رحمته فى مادة هذه البلدة إلى أستاذنا الدكتور أحمد الخولى و كتابه القيم سجستان بين العرب و الفرس إضافة إلى رسالة الباحثة جهيدة أبو جمعة عن مجتمع سجستان فى ظل الدولة الصفارية : فلهما جزيل الشكر – المؤلف

(٣) مسالك الممالك : صـ ٢٤١– صـ ٢٤٢

أسفله بابا فتدخله الريح فتطير أعلى الرمل مثل الزوبعة فيرتفع حتى يقع على مد البصر حيث لا يضرهم[١]

و يصفها المقدسى بقوله:

«سجستان كورة متصلة بالعمارة منقطعة المساكن قليلة المدن كثيرة القصور ومعدن النخيل والحيات قصبتها زرنج، محكمة الحصن عجيبة البنيان ومعدن الحيات"[٢].

و يصف الإصطخرى خيرات سجستان قائلاً:

سجستان خصبة كثيرة الطعام والتمور والأعناب وأهلها ظاهرو اليسار، ويرتفع من مفازة سجستان فيما بينها وبين مكران غلة عظيمة من الحلتيت ويجعلونه فى عامة أطعمتهم"[٣].

و يصفها محمد أعظم سيستانى بقوله : سيستان أو أرض العجائب كما يسميها المؤرخون وهى - أى سيستان - ذات تربة خصبة وأنهار جارية هادرة تعد واحدة من أغنى نقاط اريانا القديمة على طول العصور لهذا أطلقوا عليها درة النيل ومصر الثانية ومخزن آسيا والأرض الغنية

ويصفها الشاعر الفرخى بقوله :

- إننى آتى بمثل هو مدينة سيستان؛ لأنها مدينتى وعندى الخبر عنها من أقاربى

- إن مدينتى مدينة عظيمة ذات أرض مشهورة، وأهل مدينتى مشهورون بالشجاعة والإقدام[٤].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٢ و ص ٢٤٣

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٩٧ ، ٣٠٥

(٣) الإصطخرى مسالك الممالك ص ٢٤٤

(٤) من قياس أز شهر سيستان آرم كه اين شهر منست

وأز بى خويشان ز شهر خويش دارم خبر

- شهر من شهر بزركست وزمين نامــــــدار

ماردمان شهــــر من در شيرمردى نامور (الفرخى : ديوان الفرخى : ت : د / عفاف زيدان : صـ ٥٩ ــ القاهرة ٢٠٠٨ م .

قصة بناء سجستان:

يرجع مؤلف كتاب تاريخ سيستان قصة بناء هذه المدينة الموغلة فى القدم الى عصر كيومرث " آدم عليه السلام " الذى عاش ألف سنة منذ خلقه الله فى ذلك اليوم، وكان من بعده الملك (أوشهنك) الذى بلغت مدة حكمه أربعين سنة، ومن بعده الملك طهمورث وبنوا سجستان، وكان بناء سجستان فى اليوم الذى جمع جرشاسب علماء عصره قائلا لهم: " إننى سأبنى مدينة فى الوقت الذى يخرب فيه " الضحاك"(١) العالم ويقتل الأحرار ويفسد فى العالم بالسحر حتى يكون للناس ملجأ، ولن يكون له على هذه المدينة أمر، لذلك أريد منكم أن تهتموا فترقبوا الطالع، وتبدأوا فى وقت سعد ليس به نحس على الإطلاق، وانتظروا حتى يبقى هذا ممكنا، بحيث تبقى الدنيا وكل ما فيها قائم ويصبح فى النهاية لا شئ" فمكثوا على ذلك طويلا ثم انتظروا وقالوا " يجب البناء الآن، فبدأ بنفسه البناء ثم حكموا بعد ذلك وبقيت هذه المدينة أربعة آلاف سنة شمسية. وعندما يبعث المصطفى عليه السلام ويظهر الدين الاسلامى، فإنه يدعو الأعاجم الى دين الحق، وأول أناس يستجيبون له أهل سجستان ويدخلون فيه طوعاً أو كرها " فابتهج كرشاسب وخلع عليهم الخلع وبنى هذه المدينة وأتمها(٢) وقد مضى أربعون قرنا من الزمان منذ أن بنيت سجستان حتى ظهور الإسلام(٣)... وكان يحدها قبل الإسلام كشمير شرقا إلى ساحل البحر المحيط وغربا سيه(٤) إلى عشرة فراسخ فى عمق الجبال(٥) "

أصل اسم سجستان:

عرفت سجستان عبر تاريخها الطريل بأسماء مختلفة منها سجستان، زاول، زرنج، نيمروز.. يرى بعض علماء اللغة أن كلمة سيستان هو تصحيف سكستان أى مكان قوم يعرفون (بسكة) وهم من القبائل الآرية التى وفدت إلى المكان بعد

---

(١) الضحاك :هو بيوارسب _من أصل عربى _ بناء على ما جاء فى الشاهنامة قتل والده، و كان يخرج من منكبه ثعبانين قتل جمشيد، و جلس على العرش، و كان ظالما ، و هيج الناس و أثارهم عليه، و استدعوا افريدون، فأسره و سجنه فى جبل دماوند.

(٢) تاريخ سيستان : النص العربى: ترجمة محمود عبدالكريم: صد ١٥ ، ١٦ ، ١٧طبع مصر عام ٢٠٠٦م

(٣) تاريخ سيستان : الترجمة العربية: محمود عبدالكريم ص ٣٨

(٤) كانت من نواحى سجستان القديمة

(٥) د/أحمد الخولى : سجستان بين العرب و الفرس صد ١٢. مصر

انقراض الدولة الهخمانشية فى حدود (١٣٠ق.م) لدى ظهور الدولة الأشكانية أو العصر الاشكانى، وأن هذه المنطقة حتى السند والبنجاب ظلت فى دائرة نفوذهم.. وقبل ذلك كان اسم سجستان هو (زرنگام) وجاء منها اسم زرنج والتى تقع حدودها فى الجانب الشرقى من سجستان وجزء من أفغانستان الإسلامية.. ويذكر مؤلف كتاب تاريخ سجستان أنهم كانوا يقولون لها سجستان، ونقل حرفاً وهو الواو ويقولون لها زاول من ذلك حيث أن جميع المدن التى أقاموها فى العالم جعلوها على شاطئ البحر أو بالقرب من الجبل لأن الجواهر والأشياء الثمينة تخرج من البحر والمعادن من الجبل وقالوا : يجب أن تصنع جميع أشيائنا من الماء والطين وهنا سقط حرف من الكلام وقالوا لها زاول(١)

أما زرنج : فيقولون إنها أكثر عمرانا وبها الأنهار ومناطق الزراعة لأن زال العجوز جعلها هكذا ويقولون لها زالق العتيق، وفى المقابل عربوها الى زالق الحديث. وتلك زال القديمة وزال الجديدة.

وأهل سجستان يسمونها زرورنج لأن شعره يشبه الذهب المشدود، وكان بسكو قد أقامها وقالوا لها زرنج(٢).

و يعد اسم زرنج أقدم اسم لسجستان وزاولستان، وذكرت عند كتبة دار يوش " زرنجا " وهذه المدينة خراب الآن.. وفى رأى علماء اللغة أن زربخ وزوبة فى لغة الأوستا بالمعنى نفسه عند الهخمانشيين وكانت زها (زريا) فى اللغة البهلوية ودريا بلغة اليوم وكلها واحد وأصبحت إسماً للمدينة.. ومن أسمائها كذلك : نيمروز، وفى ذلك قولان : أولهما :إنه كان للملوك يوم واحد فى السنة يحكمون فيه فى المظالم وهذا ماأنطبق على نيمروز فى العالم، وكان كذلك، وكانوا يسمون من يظلمون فى سجستان بإسم نيمروز(٣).

و هناك رأى آخر مفاده أن حكماء العالم قسموا الدنيا حسب شروق الشمس وغروبها على نيمروز ويكون هذا على النحو التالى : إنه من ناحية المشرق تشرق

---

(١) هذه التسمية شبيهة بالأسطورة، يقول مؤلف برهان قاطع كانت اسم ولاية سجستان و كانت اسم قوم و طائفة و كانت اسم فن موسيقى ووحدة من سبع لغات فارسية.

(٢) نقلا عن تاريخ سيستان .

(٣) تاريخ سيستان صـ ٣١، ٣٢

الشمس فى أقصر يوم، ومن ناحية المغرب تغرب الشمس فى أطول يوم من هناك.. وهذا كله قسموه إلى أربعة أقسام : خراسان وإيران وباختر مع إنهم يسمونها فى الشمال باختر وفى الجنوب يسمونها بنيمروز وفى الوسط تنقسم إلى قسمين ففى الشرق يسمونها خراسان وفى الغرب يسمونها بلاد إيران[١] هذا ومن الجدير بالذكر أن كرشاسب وقبل أن يقسمها كانت له بست ورخد " رخج " وزمين داور وكابل وسوادها وكان جده من ناحية أمه هو الذى بناها وكان اسمه كورنج.

و يقولون : إن إيران وخراسان وسجستان رأس الدنيا ويسمونها الحى الناطق الميت.. ويقولون فى هذا الوسط إن الطقس فيه معتدل[٢].

و لياقوت الحموى رأى فى اشتقاق اسم سجستان يقول فيه:

إن سباه وسكٌ اسم للجند وللكلب، وكل واحد منهما اسم للشيئين فسميت إصبهان والأصل اسباهان وسجستانه والأصل سكان وسكستان لأنهما كانتا بلدين وكانت مدينة سجستان قبل زرنج يقال لها رام شهرستان[٣] وحول أصل هذه التسمية تذكر دائرة المعارف الإسلامية أن سجستان أو سيستان أو سكستانه أرض السكاى، وتسمى أيضا نيمروز " الظهر" بلاد الجنوب أى جنوب خراسان، ويرد هذا الاسم كثيراً فى الشاهنامه وعلى قطع النقود التى سكها ملوك الكيانيين أصحاب سيستان. وهى ناحية على التخوم بين فارس وأفغانستان. وفى ترجمتها لديوان الفرخى تقدم د/ عفاف زيدان حاشية عن الإسم تقول فيها:

"سيستان أو أرض العجائب كما يسميها المؤرخون كانت تسمى زرنكا فى عهد الهخمانشيين وسكستان فى عهد الساسانيين وسجستان أو سيستان والنيمرز فى العصور الإسلامية[٤] ويذكر محمد القزوينى أنها كانت تنسب إلى سجستان ابن فارس"[٥]...

---

(١) المرجع السابق صـ ٣٢

(٢) تاريخ سيستان صـ ٣٣ ، ٣٤

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان: جـ ٣ ص ١٩٠-١٩١

(٤) ديوان فرخى سيستانى : د/ عفاف زيدان : ص ٦٠-٦١ القاهرة ٢٠٠٨ م

(٥) محمد بن ذكريا القزوينى : آثار البلاد و أخبار العباد : صـ ٢٢١

كور سجستان[1]:

تعددت كور سجستان فى تاريخها القديم إلى أن ظهر الاسلام وهى : طبسين، قهستان، هراة،طالقان، كوز كانان، خمشان، بادنميس، يوشنج، طخار ستان، بلخ، فارياب، مرو الرود، جغانيان، أشجرد، ختلان، بدخشان، ابرشهر، بخارا، سمرقند، شاش، فرغانه، اسروشنة، سغد، خجند، خوارزم، كش، ترمذ، اسبيجاب، نسا، آبيورد، سرخس، مرو، شاهجهان، طوس نسف، برسخان، بلسم، آخرون....

هذا.. وكور كهذه، كانت من توابع سجستان قبل الإسلام تعنى أنها كانت دولة قائمة بذاتها، وإنها قدمت هذه الكور بعد الإسلام لتصبح مدنا إسلامية عظيمة أسهمت فى الحضارة الإسلامية إسهاما بالغاً.

أما رساتيق سجستان[2] فقد كانت تضم : قوس، طاق، سوكن، بال، جاى كهن، ناشرود، نهيزن، زوشت، بر، جوسم، كركوى، زالق، ميسون، بوجرد، نوق، نيشك، أمام الصراة، سبه.. وسيرد الحديث عنها تفصيلا فى ثنايا هذا الفصل.

الفضائل التى وردت عن سجستان وعجائبها: [3]

والآن نذكر جانباً من الفضائل التى وردت فى الكتب والتى ذكرها مؤلفو (الأخبار والحكماء حيث نعيد القول من كتاب(الأنبياء عليهم السلام) (لعلى بن محمد الطبرى)[4] حيث يقول: عندما مضى آدم عليه السلام من سرانديب فى طلب حواء لم يقم فى مكان قط سوى هذا المكان الذى هو سجستان، حيث رأى الماء يجرى على الرمال فشرب فكان عذبا، وعندما هبت عليه رياح الشمال غلبه

---

(١) كَوَّرَ مفردها كورة بضم الأول و فتح الثالث : هى الأرض التى تتوفر فيها المياه نتيجة لفيضان الأنهار..

(٢) رساتيق أو رساديق مفردها رستاق أو رسدان بمعنى قرية ، و هو فرع من التقسيم الادارى فى إيران القديمة إستبقته الدولة الاسلامية فى عهد عمر بن الخطاب .

(٣) هذه الفضائل وردت فى كتاب سيستان " الترجمة العربية . و لم أجد لأغلبها سنداً تاريخياً موثقا ، وقد ذكرتها كنوع من الروايات التاريخية ذات الطابع الأسطورى .. المؤلف .

(٤) هذا الشخص لا يعلم من هو، و لا توجد هذه الرواية فى تاريخ محمد بن جرير الطبرى و لعل المراد هو على بن محمد المداينى ، (حيث أن المؤرخين القدماء مثل المسعودى و الطبرى و البلعمى و غيره نقلوا عنه الكثير) أو يكون على بن محمد بن سليمان النوفرى ، حيث إن المسعودى ذكر اسمه فى مقدمة مروج الذهب .. من تعليقات محمد بهار ، ص٩

النوم، وعندما استيقظ من نومه تطهر وسبح، وعندما فرغ طلب شيئاً يأكله فاقترب منه جبريل عليه السلام فقدم له فى الحال شجرة رمان ونخلة فصارتا بقدرة البارى تعالى مثمرتين فاكل آدم منهما، ومازال هناك أصل النخيل والرمان، وعندما أراد جرشاسب بناء سجستان، كان السبب الرئيسى لذلك أنه رأى فيها النخيل والرمان).

وفضل آخر وهو أثناء وجود نوح عليه السلام فى سفينته يدور حول الآفاق، فتوقفت السفينة هناك، فجاءته حمامة تخبره أنها تتعذب حيث أصبح الماء قليلاً، فصلى هناك ركعتين فى سفينته ودعى للحمامة أن أعزها يارب، وأصبحت هذه البقعة مباركة ببركة هذا الدعاء حيث إن أهلها فى بحبوحة من العيش من الآن حتى يوم القيامة.و فضل آخر هو أن سليمان عليه السلام أمر الرياح أن تطوف به مع جيشه حول العالم ورآه الخلق، وصدعوا لأمره، وكان معه الجن والإنس، وكان الطباخون فى عملهم، فقال للرياح : أنزلينى فى مكان أكثر اعتدالا وهواؤه عليل، فهبط فى سجستان، وتناول الغذاء بها ثم قال بعد ذلك : ما ذهبنا إلى مكان أحسن من هذا المكان، إن العالم كله اليوم يسير على العدل وليس به جور، لأن العالمين أصبحوا متساوين فى الدين، وقد أخذ الخوارج الفرق بين العدل والجور من ذلك.

فضل آخر:

عندما قتل الإسكندر الرومى(١) دارا بن داراب، وتزوج روشنك أخته(٢) قصد الهند، ومضى الى القلعة التى بناها كيخسرو شمال سجستان وقلعة أخرى فى

---

(١) الاسكندر الرومى معروف لدى المؤرخين الفرس القدماء ، حكم مابين سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٢٣ ق.م، و عندما تقاتل مع دارا، واقتتل الجيشان عند الفرات و انتصر الاسكندر ، يقال إن دارا وهو جريح وصاه أن يتزوج ابنته روشنك فوعده الاسكندر بتنفيذ هذه الوصية ، وأمر الاسكندر أن تشيع جنازته بما يتفق و مقام الملوك وأصبح الاسكندر الحاكم الشرعى على بلاد الفرس ، و ذهب الى الهند لمقاتلة ملكها ، و نشبت بينه و بين هذا الملك معارك هائلة انتهت بقتل خصمه فى مبارزة فردية ، وبعد ذلك بدأ يغزو بقاع العالم و يقولون إنه دخل أرض الظلمات و قابل الخضر، و توفى عند عودته إلى فارس أو بابل ، و فى بيت المقدس كما يقول الدينورى رثاه الفلاسفة بكلمات موجزة ، ودفن فى الأسكندرية ، ويقول المسعودى: إن قبره كان لا يزال موجودا حتى عام ٣٢٢هـ (دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ٢ ، صـ ٣١٨، ٣١٩ (القاهرة ١٩٣٣م)

(٢) يقول الفردوسى فى شاهنامته عن ابنة دارا و اسمها روشنك إنها امرأه ممتازة ذات حياء بالغ ووصفها فى بيت ترجمته :

إنها رائعة ذات دلال و حياء   و كلامها طيب و صوتها رخيم لين

محمد على إسلامى : مجموعة مقالها أدبى ، ص ٥٤ (تهران ١٣٥٤ش)

الجنوب بناها (اردشير بابكان) بعد ذلك، ومكث هناك سبعة أيام وأكرم قائد جيش سجستان الذى خدمه كثيراً واستقبل ثانية، ثم أمر بعد ذلك أن تنفصل القلعة عن الأماكن التى يكون فيها مواضع للحارس، وأطلق سراح روشنك عندما فرغ من عمله فى الهند، وعاد إلى هناك ثانية بعد أن أنهى أمر تلك القلعة، ثم مكث هناك شهرا حتى أتموها فى أحسن صورة وقال (يجب أن يكون الحارس فى داخل القلعة وليس كما كان سابقا)، وآرك[١] باللغة الرومانية يقال لها الحارس، والقلعة التى يقال عنها آرك هى قلعة سجستان الآن التى بناها ذو القرنين[٢]، وقد جاءت هذه الحكاية فى عدة كتب واحدة منها بتاريخ سجستان، والأخرى ذكرها عبدالله ابن المقفع فى كتابه " سير ملوك العجم" وذكرها أيضاً أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادى[٣] فى كتاب (خراج باب المسالك والممالك)، وأصبحت هذه الأخبار صحيحة فى الحديث عن سجستان من كتاب حديث الأنبياء عليهم السلام وبالله العصمة والتوفيق[٤]

وأما الذى يوجد فى سجستان فلا يوجد فى المدن الأخرى :

أول ذلك حصن شارستان العظيم الذى يشمل عدة مدن، وهذا المكان يقال له مدينة العذرا، ولا يمكن لأى شخص أن يستولى عليها، إلا إذا أعطوها له، ولا يستطيعون ذلك أبداً، وأهلها رجال حرب حيث أنهم جبلوا على الحرب والثورة وحمل السلاح، وكانت لهم هذه العادة منذ الصغر وتعلموا فنون الحرب.

---

(١) آرك : كانت تستخدم فى اللغة البهلوية و أركيد كانت لقباً من الألقاب فى البلاط الساسانى.

(٢) ذو القرنين المذكور فى القرآن كان من حمير مستدلاً باسمه فملوك حمير كانوا يلقبون بذى ، و كان اسنه أبو بكر بن أفريقش وأنه رحل بجيوشه إلى البحر المتوسط فمر فى تونس و مراكش ، و بنى مدينة أفريقية فسميت القارة كلها باسمه ، و سمى ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس ، و التاريخ يعرف ملكاً اسمه الإسكندر ذو القرنين ومن المقطوع به أنه ليس ذا القرنين المذكور فى القرآن ، فالإسكندر الإغريقى كان وثنياً، و ذو القرنين الذى يتحدث عنه القرآن كان مؤمناً بالله موحداً معتقداً بالبعث و الآخرة.

(سيف قطب: فى ظلال القرآن : جـ ٤صـ ٢٢٨٩ (القاهرة ١٩٨٢م)

(٣) هو قدامة بن جعفر بن قدامة، كان نصرانيا و أسلم على يد المكتفى بالله ، و كان بليغاً فصيحاً فاضلاً ، و كان له باع فى علم المنطق ، و له من الكتب الخراج و نقد الشعر و صابون الغم و صرف الهم و جلاء الحزن و ديارق الفكر و غيرهم. (ابن النديم : الفهرست ، صـ١٨٨ ، بيروت ١٩٧٨)

(٤) نقلا عن كتاب تاريخ سيستان : ص ٢٢ و ص ٢٣

وفى موضع آخر يذكر أنها معتدلة الطقس، حيث ينير القطب الجنوبى والقطب الشمالى وسهيل وقدمان وفرقدان فى هذا المكان، وتهب عليها رياح الشمال ورياح الصبا على الدوام، وبذلك يكون فهم أهلها وذهنهم بفضل اعتدال طقسها وهوائها أفضل من أهل الأماكن الأخرى، ويمارسون أعمالاً لا يمارسها غيرهم، حيث أنهم يحملون الرمل من مكان إلى مكان، ويجمعونه فى الأماكن التى يريدونها، ورملهم هذا كنز عظيم، فكل شئ يريدونه يضعونه فى هذا الرمل ومهما مرت عليه السنون يحفظه ولا يصيبه أى نقصان، وليس لغيرهم من قبل هذه الدراية، وللرمال فائدة أخرى كذلك حيث أنهم إذا أخذوا منه قليلاً ووضعوه للنبات فإنه ينمو، بشكل أفضل والماء يغمره بلا تكلف، ويصلح أجساد الناس الذين ينامون ويجلسون عليه، ومن فضل هذا الرمل أن ابن آدم إذا كان نحيف الجسم فإنه يقوى وتقوى أعضاءه وتكمل، وهم يصنعون الطواحين ذوات العجلات لتديرها الرياح وتطحن القمح أما فى المدن الأخرى فيجب أن تدور الدابة أو طواحين المياه أو طواحين اليد ويصنعون منها عجلات لكى تسحب الماء من الآبار للحدائق والأرض التى يزرعونها. إذا كان الماء قليلاً بذاتها ولا حاجة بها لغيرها، فإذا ما انقطع قدوم قافلة فكل شئ من النعم وأنواع الثياب الفاخرة، وكل ما يلزم الملوك والعظماء وأهل المروءة يوجد فى هذه المدينة، بحيث لا تمس الحاجة إلى مكان آخر، وتتوافر وتكثر الفاكهة فى الشتاء كما هو الحال فى الصيف عاماً بعد عام، ويوجد الإسبراغم الجيد طوال السنة والحملان التى يأخذون منها اللبن، والسمك طازج فى كل آن وأوان حيث مدحه الله فى كتابه(١)، ويأتون بالسمك من المدن البعيدة فى السفن ويرسلونها إلى القصبة وتحمله الدواب إلى أماكن أخرى، وهو فى بغداد نفسها، كما طلب كبار العلماء فيها الفقه والأدب والقراءات والتفسير، كما هو الشأن فى طلبهم لهذا من الحرمين والشام والعراق كلما احتاجوا ذلك، وقرأوا الكتب والآن يقرءونها بحيث لو ذكرت اسم كل منها لطال الكتاب، ولم يحدث مطلقا أنها كانت خلواً من العلماء والفقهاء ففى طبع هوائها لابد من وجود العلماء بوفرة وينبغى لأهلها أن يكونوا شغوفين بالعلم حيث إن

(١) مدح الله عز وجل السمك فى سورة فاطر حين يقول " و ما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً و تستخرجون حلية تلبسونها) الآية ١٢ .

رجالها بواسل ونساءها عفيفات، فكما أنه ليس لهن حبيب كما فى الأماكن الأخرى ومن شذت عن ذلك فإنها ليست سنجستانية أصلية وربما لم تكن من سجستان وفى قلبها حب لهذه المدينة التى لم يقصدها أى عدو فلم تغز ولن تغزا وأنه لا يستطيع مهاجمتها، وإذا فعل ذلك فإنه يهلك، وليس فى الدنيا بناء بهذا الكبر ولا يمكن أن يكون إلا فى سجستان، فمن المعروف فى الدنيا أنه لا أرض أفضل من أرض سجستان ولا يوجد لحم أفضل من لحم حيوانها ولا يوجد قوم لهم سعة ونعيم مثل أهلها لأن ساحة المدينة وضواحيها واسعة وفيها النعم من كل الأشكال، ومنذ أن خلقوا أكلوا وأعطوا وكان الكرم عادتهم ومازال موجوداً حتى قيام الساعة وبالله التوفيق.[1]

ومن العجائب الأخرى التى كانت فى سجستان والتى أرى بعضاً منها الآن :

يقول أبو المؤيد البلخى وبشر المقسم فى كتاب البر والبحر، إنه كان فيها عجائب لا وجود لها فى موضع آخر، منها : أن ينبوعاً ظهر فى أعلى الجبل فى منطقة فراة، وارتفع فى الجو اثنى عشر فرسخاً، وهبط فى هذا المكان على هيئة مدينة وخرج ثانية من شارستان وكان لها أرض زراعية تبلغ أربعة فراسخ، وإلى الآن مازال المكان الذى ظهر فيه الينبوع والمدينة والحقل موجوداً، وهذا الينبوع حاول أفراسياب[2] أن يغلقه، فجاء غلامان صغيران فتدبرا أمره، ولما انتهى من العمل قتل الطفلين ومازال قبرهما على رأس هذا الينبوع ظاهراً.

فضل آخر:

وبفراة جسر من الجبل يقال له " مسو" به ماء يقطر فإذا كان المرض شديداً واغتسلت بمائه الذى يقطر من أعلى الجبل فإنك تشفى، ومن العجيب أنه إذا كان الإنسان حسن السيرة عفيفاً صالحاً فإن الماء يقطر عليه، أما إذا كان رجلاً مفسداً وسئ العمل فلا ينزل الماء عليه، ومهما حاول المفسد أن يستمر طويلا فإن الماء لا ينزل، وإذا ما نهض فإن الماء يقطر (ينزل).

---

(١) تاريخ سيستان : صـ ٢٤

(٢) (أفرسياب يسمى فى القصص الإيرانية ملك التوارنيين الذى دخل فى حروب مع إيران لمدة طويلة من الزمن و أسر و قتل فى عصر كيخسرو.د. محمد معين : فرهنگ فارسى ، ج ٥ ص ١٥٨ .

فضل آخر:

بفراة أيضاً جبل حرون ويقع على يساره ثقب بحيث لا يصل إليه السهم، ولا يمكن أن يصل إلى أحد هناك، وتخرج من ذلك الثقب حية منذ ألف سنة بحيث ترى عينيها ووجهها ولسانها، ولها قرنان مثل الغزال، وهى حية، ولا يعرف أحد ما غذاؤها ومم يكون إلا الله تعالى.

فضل آخر:

و فى ناحية رون وجول[1] رملة كبيرة ارتفعت فوق الجبل، فإذا اقترب منها إنسان ولم يلق عليها شيئاً ملوثاً فإنها تنوح كما ينوح الرعد، وهذا من العجائب[2]، و هكذا يقولون، يفتح من الرملة طريق تحت الأرض حتى جبل دماوند[3] حيث أسر أفريدون الضحاك هناك وسجنه، وجاء فى الخبر أن الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان هو الضحاك نفسه ومازال حياً حتى يخرج، ويهبط عيسى عليه السلام من السماء إلى الأرض ويهلكه.. وسألوا الحسين بن على عن حديث الدجال، فأجاب بهذين البيتين:

وفى سجستان رمل نحو كورتها ... مسجن فى تحتها أى تسجين

إذا ألقيت عليها جيفة نطقت ... سمعت منها انيناً مثل تنين

و غير ذلك من الفضائل، ويظهر أن نهر هيرمند ونهر رخد ونهر خاش ونهر راة ونهر خشك ونهر هروت ومياه الصحارى والجبال تأتى كلها من أطراف سجستان من ألف فرسخ، وهناك ثقب يقولون له فم الأسد وليس كبيراً، إلا أن كل هذه المياه تنصب فيه، ولا يعلم أحد إلى أين تذهب إلا الله تعالى وتقدس ؛ وهذه من العجائب.

---

(١) ذكرت فى الكتاب مرة أخرى صد ١٥٦ ، و لكن لا يوجد فى الكتب الجغرافية القديمة و الجديدة ذكر لهذين المحلين ، و يحتمل من لفظ جول إنها الجيم ذات الثلاث نقاط ، و يظن أن هذا الموضع على حافة الصحراء المالحة، لأن جول المستخدمة فى خراسان الآن بمعنى الصحراء المالحة والصحراء الفقيرة ، و يسمون الصحراء السبخة الكبيرة (جول) البستان أو الحديقة التى خلت من الفاكهة أو المكان الذى نهب تماماً.(من تعليقات بهار ، صد ١٥ حاشية١)

(٢) (نقلا عن كتاب : تاريخ سيستان : ص ٢٥

(٣) دماوند : اسم مدينة مشهورة فى مازندران ، واسم جبل ينسب إلى تلك المدينة، و قيل إن الضحاك حبس فى هذا الجبل. (ابن خلف التبريزى :برهان قاطع، صد ٥٠٤) تهران ١٣٣٦ هـ.ش

فضل آخر:

يقول أبو المؤيد البلخى وكتاب ابن دهشتى المجوسى(١): إنه فى شارستان التابعة لسجستان بركة حول الفلك، حيث إنها كانت نبعاً وكانت تفيض من الأرض على الدوام(٢)، حيث إن أفراسياب لجأ إليها وكان يفعل ذلك ببست، وهكذا يقولون : إنه بعد ألف سنة حتى الآن كان قد وصلها وعاد إليها عندما رأى بها منفعة بمشيئة الله.

فضل آخر:

ذكروا فى كتاب البلدان ومنافعها ما يستخرج من كل مدينة قالوا : يستخرج من سجستان الذهب الخالص، وأصله ليس معروفاً لدينا الآن، حيث يقول أبو المؤيد البلخى فى كتاب " ابن دهشتى المجوسى" : إنه كان نبعاً فى هيرمند المقابلة لبست، وتأتى المياه باستمرار فتختلط بالرمل والذهب وكان عائده لا يقل عن ألف دينار من الذهب إلا أن أفراسياب عقد عليها بالسحر وقال : إنه خزانة وقد قيل إنه يعيد الكرة ثانية فى ثلاثة آلاف عام بعد زرادشت(٣) وصارت صالحة للمنفعة بإذن الله، ومن المعروف والمشهور أن جبل توجكى تستخرج منه الفضة، والآن لو أرادوا لخرجت لهم أيضا.

---

(١) البندهش كتاب مقدس باللغة و الخط البهلوى و يحتوى على قصص و روايات دينية و تاريخية ، و الزردشتين معناه أصل الخلقة حيث أن (جه) بمعنى الأصل (يغ دشهن) بمعنى الخلقة و هذا النوع من قبيل المصادر التى جاءت بالتاء المثناه و تستعمل اليوم بدون نون و تاء ، و بما أنه أضيف إلى الزردشتيى(كبركان) و لا شك أنها نفسها (بندهش).

(٢) سقط ربع سطر من المتن ، و فى بندهش و الأوستا ، إشارات كثيرة إلى سجستان و بحيراتها و أنهارها و جبالها و يقرران أن سجستان كانت مركزا الدين الزرادشتى.

(٣) بعد مرور ثلاثة آلاف سنة بعد زردشت و فى روايات الزرادشتين أن العالم منذ بدء الخليفة قسم إلى إثنى عشر قسماً ، وفى آخر ألف منها يتغلب الله (الصدق) على أهريمن)الكذب) يقول المسعودى: (إن كيومرث ملك أربعين سنة و قيل ثلاثين قبل الهزاريكة الأولى فى بدء النسل و تغير ذلك الألف سنة ، و فى العشرة من الألف الف و بعده بألف هوشيد آخر و آخر سوشبانسى (واحتمال أن يكون المسيح) و هم حفدة زرادشت الذين خرجوا من سجستان و يبدأ يوم القيامة و تتطهر الدنيا من الشياطين و يقف كر و ثمان)الملكون) مع الشياطين متقابلين و تمتلئ جهنم من قادة الشر و الشيطان يظهر عدم الموت و الدنيا (كتب السنن البهلوية) . (من تعليقات بهار على الكتاب).

فضل آخر :

يجرى نبع سمور من سنة إلى سنة فى الصيف والشتاء وهو ذو منفعة ويقول أبو المؤيد البلخى :إن فى سجستان جبلاً كالقبة الحديدية[١]، وتظهر من هذا الجبل كل قبة حديدية جميلة فى ذلك العصر، ولكنها ليست معروفة لأهلنا، وهناك عجائب كثيرة لم نذكر منها شيئاً فى الأماكن الأخرى..[٢]

والآن نذكر بعض الأسماء التى عظم قدرها بعد الإسلام وعرفهم الناس بفضلهم:-

عن عكرمة الفقيه[٣] مولى ابن العباس الذى تروى عنه أكثر الروايات فى الفقه أن المهدى فوض لمعاذ بن مسلم ولاية خراسان وسجستان كلها، وتولى من بعده يحيى بن معاذ بن مسلم ومن بعده مسلم مولى[٤] الليث بكر بن عبدمناف بن كنانة الذى وصل إلى تلك المكانة لغزارة علمه فقد اشتراه من مولاه بمائة ألف دينار.

فقالوا : ألا تريد شيئاً آخر، قال: لا حيث إن قيمتى (قدرى) أكبر من هذا ودفع فيه مبلغاً جزيلاً وأعطاه، وكان إبراهيم بن بسام بعظمته هو ابنه، وفيروز مولى الحصين بن أبى الحر العنبرى[٥] من سجستان حيث كان يحارب الحجاج باستمرار، وفى يوم وضع الحجاج إمارته مع سبعين شخصاً وأعطى قواد جيشه، ولكن فيروز قتل الجميع، وكان آخر صوت يردد :كم حجاجكم[٦]، فنادى الحجاج

---

(١) خم آهن وخم آهان حجر فى غاية الصلابة و السواد ، و لونه قريب من الحمرة و هو نوعان ذكر و أنثى و إذا لمس الماء الذكر فإنه يشبه الشنجرف الأحمر و أنثاه كذلك تصبح مثل الزرنيخ الأصفر، و يقال إنه نوع من الحديد و يقال له بالعربى : إنه صندل حديدى ، و يقول البعض إنه حجر أسود و أبيض يصنعون منه الخواتم (من تعليقات بهار)

(٢) تاريخ سيستان : ص ٢٨

(٣) عكرمة مولى ابن عباس : روى عنه و عن عائشة وأبى هريرة و غيرهم، و تفقه على يد ابن عباس و قيل لسعيد بن جبير أتعلم أحداً أعلم منك قال: نعم عكرمة ، و عن الشعبى قال: ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة ، ومن ثم لم يخرج له مالك الإمام ولا مسلم بن الحجاج ، وتوفى سنة ١٠٧هـ .(محمد الخضرى : تاريخ التشريع الإسلامى : صـ ١١٦ ــ صـ ١١٧ القاهرة١٩٩٠م)

(٤) سقط شئ فى هذين المكانين يقول البلاذرى إن جد إبراهيم بن بسام أسر فى قرية شروانة و هى من قرى سجستان أو أصبح عبداً لابن عمير الليثى (فتوح البلدان، طبع مصر، صـ ٤٠١) ومن تعليقات بهار.

(٥) (الصحيح الحر العنبرى من بنى العنبر بن عمرو بن تميم و كان من أسره مشهورة و كريمة و كبيرة (فتوح البلدان للبلاذرى ، جـ ١ ، صـ ٤٠٣، القاهرة ١٩٣٢).

(٦) فى المتن جاءت الجملة باللغة العربية و جاءت من بعدها ترجمتها إلى الفارسية و فعل ذلك فى جملتيى من بعدها.

قائلاً: من جاءنى برأسه أعطيته عشرة آلاف درهم، وقال يزيد للمهلب: تقدم ولك عشرة آلاف درهم، فأجاب تقدم أنت ولك عشرون ألف درهم، فأنا وهو ذو رأس واحد، فسمع فيروز ونادى فى جيشه أن من يحضر رأس الحجاج سأعطيه مائة ألف درهم، وقامت فى ذلك اليوم حرب ضروس، وفى النهاية هزم الحجاج وكان فيروز هذا عالماً شجاعاً وزهير بن نعيم وعفاف بن محمد وعثمان بن عفان وأبو حاتم السجستانى وسليمان بن الشعث وعثمان بن العبد وأبو بكر بن أبى داود وأبو يعقوب الزاهد والخليل بن أحمد[1] وأبو حاتم بن حسان ونصر بن جيك وياسر بن عمار وعبيد القوفى[2] وعمير بن يحيى وأبى نصر بن حمدان الجوينى وأبو إسحاق الجاشنى[3] وشاهين بن العنبر وبكر بن جعد وغالب بن شارك ورونك القروى وأبو الحسين بن محمد بن أحمد بن يحيى الذى ألف غريب القرآن وهلال بن حويص وأبو عامر ابن حبان والامام أبو جعفر فاخر بن هانى وأبو ذكريا يحيى ابن عمار والقاضى أبو الحسن والأستاذ أبو العباس وأبو سعيد بن عمرالنوقانى[4] وأحمد السمورى وأبو أحمد القصار وأبى جعفر بن أبى منصور بن أبى سعيد الوزير[5].

و كان هؤلاء قد وصلوا إلى مرتبة فى العلم والعظمة بحيث لم ينكر أحد فى العالم فضلهم، وهم كثير ولم نذكر أسماءهم وهم الآن موجودون، ولما كان الشرط فى جمع هذا الكتاب الاختصار حتى لا تطول القصة، وقد ذكرت من كل طائفة قدراً والقليل يدل... وقد ذكروا أنه من شروط تعمير سجستان وقد وضعت على أسس ثلاثة : التحكم فى الماء والرمل والمفسدين. وكلما كان التحكم فى هذه الأسس فلن توجد مدينة فى الدنيا مثل سجستان فى نعمة العيش وعندما يحكمون أمرها بهذا الشكل كان لزمانها قوام.

---

(١) الخليل بن أحمد غير الخليل المعروف و لكنه الخليل بن أحمد السجستانى المعاصر للملك مظفر صالح ابن نوح السامانى ، وكان من رواة الحديث، و لم يكن له مثيل فى الفقه.

(٢) القوفى : اسم قرية من قرى سجستان و نسب إليها أناس كثيرون و ذكرت هكذا فى كل الكتاب .

(٣) جاشن و كاشن اسم محلة فى سجستان و ذكر هذا الاسم نسبة إليها .

(٤) نسبة إلى نوق محلة من محلات سجستان و يسميها الناس نوها و عربها نوقان ونسب إليها أبو عمر بن أحمد النوقانى صاحب التصانيف فى الأدب و ابنه عمر و أخيه أبو سعيد عثمان (ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ ٣ صـ ١٩٣).

(٥) يوجد فى المتن : ثلاثة أسطر بيضاء ، ولعل هذا كان من أجل كتابة بقية عظماء سجستان فى هذه الأماكن الخالية

ونحن إذا نظرنا إلى بعض المناقب التى يراها صاحب " تاريخ سيستان " - نقلا عن حكماء ورواة - مدعاة لتقدير أهلها ؛ نجد قد حَمَّلَ الأمور أكثر مما يحتمل، بل قدلوى عنق الحقيقة ليثبت قيمة سجستان الفارسية من ناحية، وميله إلى مذهب الخوارج من ناحية أخرى. ولا فرق بين الإثنين، فما الثانية إلا نتاجاً مباشراً للأولى(١).

فبالنسبة للاتجاه الأول، يقول الله عز وجل فى محكم آياته : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم)(٢) وليس من المطلوب أن يدعى كل من يتعصب لدياره، أن الأنبياء قد نزلوا أو طوفوا بها تحت تأثير رواية أو أخرى سواء أكانت من فعل التراث الشعبى أو من ابتكار الخيال وصولاً إلى اعطاء القيمة لديار أو أخرى. ومازلنا نرى الكتب التى تتحدث عن النبوة والأنبياء(٣) تقتصد فى الحديث عن تجوالهم عليهم السلام أو الطرق التى سلكوها تجنباً للوقوع فى خطأ. مكتفية فى ذلك بما أورده القرآن الكريم من نصوص، وما أوضحته الأحاديث النبوية(٤) الشريفة، وما رآه السلف الصالح من صحابة ومفسرين وفقهاء ومؤرخين.

و كمثال على ما نذهب إليه ؛ أن الله تبارك وتعالى أباح لآدم وحواء جميع أشجار الجنة وثمارها إلا شجرة واحدة نهاهما عنها ابتلاء منه جل وعلا، ولم يذكر القرآن الكريم هذه الشجرة ما هى ؟ وما أسمها؟ ومن ثم لا حاجة إلى الخوض فيها بغير بينة ولا برهان. يقول الحافظ بن كثير: (وقد أبهم الله ذكر الشجرة وتعيينها، ولو كان فى ذكرها مصلحة تعود إلينا لبينها لنا(٥)).

---

(١) تاريخ سيستان : صـ ١٠

(٢) سورة البقرة ٢١٣.

٣) من أمثلتها قصص الأنبياء تأليف عبدالوهاب النجار . و النبوة و الأنبياء من تأليف الشيخ أبو الحسن الندوى و الشيخ محمد على الصابونى.

(٤) هذه التعليقات بالنص من كتاب الأستاذ الدكتور أحمد الخولى " سجستان بين العرب و الفرس " و ذلك اعتباراً من هذه الصفحة حتى نهاية الفصل الخاص بمدينة سجستان فله الشكر.. المؤلف .

(٥) ابن كثير : البداية و النهاية نقلاً عن محمد على الصابونى : النبوة و الأنبياء صـ ١٢٠ حلب ١٩٧٥ م.

أمـا أن يـرد مـؤلـف (تـاريخ سـيسـتـان) بعضـاً من تـاريخ الأنـبـيـاء بـدليل آخـر الروايات، فهذا فى رأينا تزيد لا محل له من القبول[1].

وبالنسبة للرواية الثالثة التى حملها - المؤلف - فرقاً بين العدل والجور كمبدأ من مبادئ الخوارج - بحكم انتمائه إليهم - فلم تكن أرض سجستان - بالنسبة لهم منطلقاً لابتكار نظرياتهم المذهبية أو السياسية. بقدر ما كانت قاعدة يشنون منها حروبهم المضادة. فقد ارتحلوا إليها بفكرهم ونظريتهم كمقر بعيد عن العاصمة دمشق أو بغداد. صحيح أن الخوارج - بفرقهم المتعددة - قد ألقوا تغييراً على نظرياتهم بمرور الوقت، ولكن كان ذلك لما وقع بينهم من خلاف[2]. حتى أن الفرقة الواحدة ولدت فرقاً. وإلا لما وصلوا إلى العشرين. ولم يكن لسجستان فى ذلك دخل. وهذا ما سيستبين كلما أخذنا الحديث قدماً.

ونتاج هذه المناقشة أن المؤلف أراد أن يسلك من هذه المناقب المدعاه طريقاً يصل إلى الارتفاع بقيمة سجستان فى تاريخها قبل الإسلام وبعده، أو الربط بينهما على الأقل بغض النظر عن توخيه الحقيقة العلمية.

هذا.. ومن المعروف أن الإيرانيين لجأوا إلى الأسطورة لكى يعوضوا النقص الواضح الذى اكتنف تاريخهم المبكر، وانعدمت فيه الوثائق التاريخية من أى نوع كانت، ولسنا هنا بحاجة إلى ذكر ماأرادوا تطويعه لما يشبه الحقيقة، وصاغوا من أجله أساطير كثيرة حبكوها إلى حد دخلت معه مرحلة التثبت والتصديق، فآدم

---

(١) حتى العبد الصالح ذو القرنين الواردة قصته فى القرآن الكريم ، احتار المفسرون و المؤرخون القدامى فى تحديد زمانه و مكانه و شخصه . فمن قائل إنه شارك إبراهيم الخليل (عليه السلام) فى بناء الكعبة . ومن قائل إنه الإسكندر المقدونى . و قد أغرت هذه الحيرة باحثاً محددا هو أبو الكلام أزاد ، فأخرج بحثه الذى تكبد فيه مشقة كبيرة . و وصل إلى نتيجة مؤداها أن قورش مؤسس الدولة الأخمينية فى إيران هو ذو القرنين و بدا له أن زمانه و مكانه و شخصه قد أصبح من الأمور الميسورة على الأقل (أنظر عبدالمنعم النمر (دكتور) فى بحثه و يسألونك عن ذى القرنين) و أيضاً عبدالعليم خضر فى بحثه بنفس العنوان و نفس النتيجة. و لعل الجميع قد نسوا أن قورش قد غدر بصديقه و حليفه نيونيد من ملوك دولة بابل ثم أسره (محمد عبداللطيف على (دكتور) مذكرة فى حضارات الشرق الأدنى القديم قبل الإسلام صـ ٧٢ ، ٧٣ الرياض ١٣٩٨-١٣٩٩هـ) و لما كان الغدر ليس من صفة الأنبياء و العباد الصاحين فإن قورش على هذا النحو ليس منهم خاصة إذا أضفنا عوامل أخرى غير المثال السابق ليس موقعها هذا الكتاب . و أن حكم القرآن الكريم على شخص ذى القرنين بأنه عبد صالح نهائى بينما حكم البشر هو نسبى.

(٢) أأحمد محمد الحوفى (دكتور) أدب السياسة فى العصر الأموى . صـ٦٧ و ما بعدها الفصل الخاص بالخوارج (القاهرة ١٩٦٠م).

عليه السلام عندهم هو كيوموث وجمشيد (جم) هو ملك العالم بأسره، يحكم العالم من خلال كأسه التى يرى فيها جميع أنحاء العالم ورستم هو البطل الذى لا يعرف فواصل الزمان ولا حدود المكان.

وإذا كان الاحتفال بذكر التاريخ قد وصل إلى هذا الحد ؛ فما بالنا إذا سجل التاريخ حدثا ذكرته الكتب أو بقيت مع الزمان آثاره ! لا شك أن الاحتفال سيكون أكبر وتأثيره أعمق.

هذا هو ما حدث بالنسبة لسجستان ما دام قد بقى على أرضها معبداً للنار إسمه كركوى أو كركويه(١).

تتدرج العجائب المادية التى تحقل بها أرض سجستان منذ تاريخها القديم - فى نظر أهلها - إلى ما بقى منها شاخصاً لفترة طويلة من الزمن تصل إلى عام (٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) تاريخ الانتهاء من تأليف كتاب (تاريخ سيستان) على الأقل.

بعضها قلاع ؛ أقامها ملوك إيران الأقدمون على مراحل عصورها المختلفة، وحتى الإسكندر المقدونى له نصيب فى إقامة واحدة منها عندما قتل دارا الثالث آخر ملوك الدولة الهخمانشية، وتزوج إبنته روشنك وذهب إلى سجستان(٢) فى طريقه إلى الهند، وهنا أقام قلعته هذه. وكانوا يقولون لهذه القلعة ذا القرنين وغير هذه القلاع ؛ نجد ينابيع طبيعية منها البارد ومنها الحار.

سجستان بعد الإسلام:

ما أن حل عصر الخليفة العباسى المأمون حتى بدأت تظهر فى منطقة بلاد ما وراء النهر مجموعة من الدويلات الإسلامية من طاهرية وصفارية وسامانية فى خراسان وسجستان وما وراء النهر على التوالى. لقد بدأت العدوى من خراسان إذ هى مركز الدائرة وعاملاً الاثنين الأخيرتين يتبعانها من خلال تبعيتها لوالى

---

(١) المناسبة التى بنا فيها المعبد هو أنه عندما ذهب كيخسرو بن سياوش إلى آذربيجان طالباً الثأر لدم أبيه وكان فى معيته رستم بن دستان حل بهما نور فجائى مبدداً ما حولهما من ظلمة ، فواصل كيخسرو المسير صوب التركستان و كان يقتل و يقضى على كل ما يراه من عوامل الشر و مازال فى معيته رستم و سائر أبطال إيران . و عندئذ هرب غريمه أفراسياب متجهاً إلى الصين ، و عرج على السند ثم نزل بسجستان و قال : جئت أطلب الأمان من رستم فأنزلوه فى (بنكوه) و هنا حل بالمكان نور فجائى للمرة الثانية بدد ما حوله و ما صاحبهما من شرور أوجدها الشياطين و السحرة و هذا هو المكان الذى قام عليه بناء معبد النار كركوى أو كركوية . و ظلت إحدى بوابات سجستان تعرف بهذا الاسم حتى بعد دخول الإسلام (تاريخ سيستان صد ٣٥ و ما بعدها).

(٢) الحاشية للدكتور أحمد الخولى فى كتابه : سجستان بين العرب والفرس صد ١٧ .

العراقين والمشرق الإسلامى الذى يعتبر ذراع الخليفة الأيمن. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحروب المتصلة بين عمال سجستان ضد الزانبيل التورانيين راكبى الأفيال لم تكن لتنتهى حتى تبدأ من جديد وكل ذلك ترك بصماته على سجستان سياسياً وعقائدياً واجتماعياً.

و كان لكابل[١] أهمية خاصة بالنسبة لملوك الهند. حيث اعتبرت مدينة معابد الأصنام البوذية التى يزورها الهنود، وكان يتم فى هذه المعابد مراسم تتويج ملوك الهند بالإضافة إلى خصوبة التربة، وكثرة الثروات فى هذه الولاية[٢]. لذلك كان الزنابلة أو الرتابلة - كما يعرفون فى المصادر العربية - يعاودون الهجوم على جيش المسلمين وقاعدته سجستان.

ورغم اهتمام العباسيين بشرق العالم الإسلامى، وإحكام السيطرة عليه إلا أن حكومة كابل بقيت على ما كانت عليه فى العصر الأموى، واستمروا فى دفع الخراج لخلفاء العباسيين مقابل تركهم على مايقولونه[٣].

وأسندت الخلافة العباسية للدولة الطاهرية بعد قيامها مسئولية حراسة هذه الأملاك وحمايتها من الغارات الهندية التى كانت تتعرض لها كابل بين الحين والآخر[٤]. وما أن شعر حكام كابل بضعف الدولة الطاهرين فى مركزها، شرعوا يهاجمون الأملاك الطاهرية فى سجستان أو يقدمون المساعدات المادية والعسكرية لحركات المعارضة بها، فزاد ذلك من عبء الطاهريين فى المنطقة الشرقية[٥].

أما فى سجستان ؛ فقد شاركت بعض القوى المحلية مثل العيارين ؛ والعيارون أصطلاح عرفته النظم الإسلامية وهو أشبه بنظام الفتوة الذى كونه التجار

(١) كابل اسم لعاصمة الإقليم كله . وهى من المدن المشهورة ببلاد الهند . لم تكن إسلامية خالصة حتى بداية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى . و ظل الهنود يتحينون الفرص للسيطرة عليها . و يذكر ابن خرداذابه أن لقب حاكمها هو كابل شاه)المسالك صـ ٣٩) بينما يسميه صاحب تاريخ سيستان زنبيل . أما المصادر العربية فتسميه رتبيل .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان صـ ٤٠٤ وما بعدها

(٣) المرجع السابق و نفس الصفحة حيث ورد أن رتبيل سرعان ماانسحب منهزماً أمام قوة الجيش الإسلامى بقيادة الربيع بن زياد. و يبدو أن هذه الانتصارات أقنعت رتبيل حاكم كابل بمصالحة المسلمين . فتم الاتفاق على التزام رتابلة كابل بدفع مليون درهم مقابل تركهم على ولاياتهم.

(٤) (فتحى أبو سيف : أحوال خراسان السياسية و الحضارية (رسالة الدكتوراه) مقدمة إلى جامعة عين شمس، صـ ٤٨ لم تطبع بعد

(٥) المرجع السابق صـ ٤٩.

وأصحاب الحرف للقيام بأعمال الشرطة خوفاً من إعتداء اللصوص على ما يمتلكونه فى مراحل الفوضى السياسية وضعف السلطة المركزية[1].

الكتب التى ألفت عن سجستان :

كان طبيعياً أن تؤلف الكتب حول سجستان ؛ أو تأتى أخبارها شذرات ضمن المصادر المختلفة عربية كانت أم فارسية، كما أن المستشرقين قد ركزوا عليها فى كتاباتهم باعتبارها بؤرة من بؤر الصراع. وماذلك إلا لأنها أيضا كانت مهمة فى نظر الفرس قبل الإسلام وصارت أكثر أهمية بعده. ومن الكتب التى صُنِّفَتْ عنها (كرشاسب نامه) من وضع أسدى الطوسى[2] وتاريخ سيستان ومؤلفه يكاد يكون مجهولاً.[3]

أصل سكان سجستان :

يرجع إلى سلالات آرية[4] وهند أوروبية، وصفهم صاحب تاريخ سيستان باستواء القد واعتدال فى البشرة من حيث اللون فلاهى بحمرة الروم ولا هى بسمرة الحبش ولا هم فى خشونة الترك ولا فى دمامة أهل الصين.

وكانت قبيلة السكا التى نزحت من غرب بلاد فارس نحو سجستان حول مائة قبل الميلاد كانت أول من استقر فى الإقليم ولم تكن تسمية سيستان سوى اشتقاق من اسمها ويمثل التاجيك النسبة الكبرى من سكان سجستان وهما أصلاً من إقليم تاجاكستان نزحوا إلى الإقليم فى فترات متعددة واستقروا فيه وارتبطوا

---

(١) عبدالمنعم دكتور تاريخ الحضارة الإسلامية . صـ ٥٩ القاهرة ١٩٣٦ م.

(٢) هوابو نصر على بن أحمد أسدى الطوسى من شعراء القرن الخامس الكبار ألف كتابه كرشاسب نامه فى عام ٤٥٨ هـ بإسم أبى دلف حاكم إيران و نخجوان . و فى أثناء غلبه السلاحقة على أزربيجان ، انتقل إليها ، و التحق بخدمة بعض ولاتها ومن آثاره الأخرى كتاب (لغت فرس) . و كان أسدى أستاذاً فى الخط ومن الكتب التى نسخها كتاب الأبذية عن حقائق الأدوية لأبى منصور بن موفق الهروى ونسخته هذه تعد أقدم نسخة لهذا الكتاب وتوجد فى دار الكتب الوطنية بفينا ... زهراى خانلرى (دكتور) فرهنكك أدبيات فارسى درى صـ ٥١ .

(٣) كانت هذه الفقرة هى الأخيرة فيما نقلته من كتاب دكتور أحمد " الخولى سجستان بين العرب والفرس" فله من الله التوفيق ثم منى دعاء الخير والصحة .

(٤) آرى : هو اسم أشهر فرع من فروع الجنس الأبيض استولى الآريون فى قديم الزمان على السهول الشرقية الواقعة على نهر الأندوس بالهند وعلى حوض نهر الجانج ثم توسعوا فى الأراضى القريبة منها .

بظروفه الطبيعية الصعبة، ويتصفون بالجمال والاعتدال فى الجسم وهم من المسلمين السنيين يتكلمون لهجة فارسية خاصة بهم تتسم طبقاً لرأى المقدسى بالخشونة... ومن الملاحظ أن التاجيك لم يكونوا منعزلين عن العناصر السكانية الأخرى بل لقد امتزجوا بها وتزاوجوا معها فظهر المولودون مما ساعد على ربط هذه العناصر ببعضها البعض.[١]

البلوخيون

وهم يتميزون بصفة عامة بالطول حيث تتراوح قامة الواحد ما بين خمسة أقدام وثلاث بوصات وخمسة أقدام وسبع بوصات ومعظمهم من ذوى الرءوس العريضة ويظهر أنهم دخلوا إقليم سجستان رحالة قادمين من بلوخستان.

الترك

يعود أتراك سجستان إلى قبيلة القرق التركية التى نزحت من تركستان[٢] الشرقية لتستقر بين الهند ونواحى سجستان وقد عرف عنهم أنهم كانوا أصحاب نعم

العرب

بعد الفتح الإسلامى توالت هجرات القبائل العربية من العراق نحو سجستان وتمثلت هذه القبائل بخاصة فى قبيلتين : بنى بكر، وبنى تميم.

وبالرغم من كثرة الهجرات العربية إلى سجستان فإن عدد العرب لم يتكافأ مع الأعاجم فى الإقليم ؛ إلا أنهم لم ينعزلوا عنهم بل تأقلموا فى وطنهم الجديد وتعايشوا مع الأعاجم وتزاوجوا معهم واشتركوا فى نسبتهم إلى سجستان.

الموقف الحضارى :

عمل العرب بعد فتحهم بلاد فارس على نشر العقيدة الإسلامية واللغة العربية منذ العصور الأولى للإسلام حيث كانت تدرس فى مختلف مستويات الدرس من اَلْكُتَّابَ إلى المدارس العليا وكان يهتم بها طلبة الدين، كما كان يهتم بها المرشحون للمناصب الحكومية من الكتاب والعمال، وكان الكتاب فى الغالب على جانب كبير

---

(١) هم من إقليم بلوخستان وهو الجزء الغربى من مكران على وجه التحديد : دائرة المعارف مادة بلوخستان .

(٢) تركستان : كلمة فارسية مركبة يقصد بها بلاد الترك ودخلت هذه الكلمة فى اللغة العربية على منطقة غير معينة الحدود ، هى ما تعرف إجمالاً باسم آسيا الوسطى غرباً ومن هضبة إيران جنوباً .

من الثقافة الأدبية العربية بمقتضى مهنهم، وظلت اللغة العربية فى انتشارها حتى اندثرت البهلوية فقد سادت لغة العرب الفاتحين المبشرين بالرسالة المحمدية فى كل الأمصار الإسلامية، وهذا منطق الحضارة والتاريخ إذ أن ابن خلدون يؤكد فى مقدمته هذه المقولة التى رأى فيها أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها والمختطين لها ؛ لذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لكافة العهود عربية.

علماء سجستان :

قدمت سجستان منذ أن دخلها الإسلام فاتحاً البعض ممن خدموا الحضارة الإسلامية فى مناحها المختلفة ؛ نذكر منهم على سبيل المثال - وليس الحصر _ أبا حاتم السجستانى، أبا داود، أبا الحسين بن محمد يحيى الذى ألف غريب القرآن، خليدة السجستانى صاحب تاريخ آل محمد[1] ومنهم كذلك -:

أبو محمد سهل بن عبد الله السسترى :

توفى (سنة ٢٨٣ هـ سنة ٨٩٦ م)، كان قدوة السالكين وحجة على العارفين وله كلام جليل فى السلوك والمواعظ.

أحمد السجزى :

هو أحمد بن يعقوب السجزى المسمى ندانه من تصانيفه " أساس الدعوة وكشف المحجوب وكتاب تأويل الشرائع " ومات (سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م).

دعلج السجزى : (٢٦٠ _ ٣٥١ هـ / ٨٧٤ _ ٩٦٢ م)

أبو إسحق دعلج بن أحمد بن دعلج السجزى وهو محدث وفقيه وكان كثير التنقل من أجل العلم والمعرفة وقد نزل بغداد وسمع بدمشق ومكة وخراسان.. من أهم تصانيفه كتاب " المسند الكبير " الذى نال به شهرة كبيرة داخل وخارج سجستان.

منصور السجستانى :

هو أبو صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أبى جعفر السجستانى عاصر الأميرين يعقوب وعمر الصفاريين وكان فقيهاً أصولياً فى تدريسه وتصنيفه إلى أن توفى (سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م).

---

(١) د/ أحمد الخولى : سجستان بين العرب والفرس : ص ١٩ .

الخليل السنجرى :

هو أبو سعيد الخليل بن أحمد بن محمد الخليل السجزى الحنفى ؛ عالم وأديب وناثر وناظم. ومن أهم تصانيفه كتاب (الدعوات والآداب والمواعظ) توفى سنة (٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م)

هذا وقد حوى مجتمع سجستان علماء آخرين فى مجالات أخرى منها علوم الطب التى بقيت متطورةً استمراراً لتطورها فى العهد الساسانى، فقد وجد أطباء قادرون على علاج مرضاهم بالأعشاب وعمليات جراحية إذا استلزم الأمر.

كما اهتم أهل سجستان بالفنون وذلك لأنها متأصلة عند الفرس منذ العصور القديمة حيث اشتهروا بالزخرفة والعمارة وصناعة التحف النفيسة كما تفننوا فى صناعة الصفر وعرف عنهم جودة صناعة الفخار الصينى.

أهم مدن سجستان :

زرنج : هى عاصمة الإقليم، عليها حصن ولها ربض واسع الأبنية كثير السكان فيه دور الإمارة وغيرها من المحال والفنادق وعليها سور وحصن دائر بالربض وخندق حصين..[1] ولمدينة زرنج خمسة أبواب أحدها الباب الجديد والآخر الباب العتيق وكلاهما يخرج منه إلى فارس، وباب كاركويه يخرج إلى خراسان أما الباب الرابع فيسمى بباب نيشك ويخرج إلى بست.. وأما الباب الخامس فيعرف بباب الطعام ويخرج إلى قرى عديدة، أما الربض فله ثلاثة عشر باباً..

أنهار زرنج : تدخل زرنج أنهار صغيرة قد تكون من روافد نهر الهيلمند، ومنها نهر يدخل من الباب العتيق وآخر يدخل من الباب الجديد، وآخر من باب الطعام لتجتمع مياههم فى حوضين عظيمين عند المسجد الجامع بالمدينة، وهنا يخرج الماء متفرقاً على قنوات ليتوزع على بيوت الأهالى[2]

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٤٩ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٤٩ وما بعدها .

بغنين: كانت على مرحلة من غرب " درتل " تتبعها قرى كثيرة وكان يسكنها بعض الأهالى الأتراك(1).

الزالقان : تقع على مرحلة من " بست " بها فواكه ونخيل وزروع أكثر أهلها حاكة(2).

الطاق : تقع على مرحلة من زرنج على الطريق الرابط بين سجستان وخراسان وهى مدينة صغيرة تتبعها قرى، والطاق مشهورة بإنتاج " الكروم "(3).

قرنين : اعتبرها صاحب تاريخ سيستان(4) قرية صغيرة فى حين قال عنها ابن حوقل والإصطخرى(5)، أنها مدينة صغيرة ويظهر أنها كانت فعلاً قرية فقيرة فى عهد الصفاريين، ثم نمت لتصبح مدينة فى القرن الرابع الهجرى.

وقد صفت فى الكتب الجغرافية على أنه كان بها حصن وجامع ولم يكن بها الخوارج وكانت تنتج الحبوب، ومنها كان بنو الليث الصفار(6). وقد اتفق الرحالة الجغرافيون القريبون من العهد الصفارى(7)، على تبعية منطقة الرخج وبلد الداور لإقليم سجستان.

أما الرخج فيقع فى شرق " بست " بامتداد ضفاف النهرين " ترنك " و" اركنداب "(8) وكانت قاعدة الرخج هى مدينة " بنجواى " أى الأنهار الخمسة.

ويعتبر الرخج منطقة غنية وخصبة يعيش أهله فى غاية الرفاهية والغنى ومن مدنه أيضاً مدينة " كهك "ومدينة " بكراواذ " التى تعرف أيضا باسم " تكى ناباذ».(9)

---

(1) ابن حوقل نفس المصدر والصفحة .

(2) نفسه .

(3) المقدسى : نفس المصدر والصفحة

(4) تاريخ سيستان ص ١٩٨ .

(5) سورة الأرض ص ٣٥٢ الإصطخرى المسالك ص ١٤٢ .

(6) الاصطخرى نفس المصدر والصفحة ، ابن حوقل نفس المصدر والصفحة ، المقدسى أحسن التقاسيم ص ٣٠٦.

(7) (ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص ١٥٠ ، الاصطخرى نفس المصدر ص ٣٠٥ ، ابن حوقل نفس المصدر ص ٣٥٢ ، المقدسى نفس المصدر ص ٣٠٥ .

(8) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٨٥ .

(9) الاصطخرى ، مسالك الممالك ص، ١٤٢ . ابن حوقل : صورة الأرض صـ ٣٥٤ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم صـ ٣٠٥ .

أما بلد الداور الذى يسمى بالفارسية (زمين داور) بمعنى أرض الأبواب، أى دروب الجبال، الذى كان يقع فى الوادى العريض الذى يجرى فيه نهر هلمند منحدراً من جبال هندوكس إلى بست فكانت أرضه خصبه عامرة كثيرة السكان.

هذا وتتبع الإقليم أربعة مدن جليلة هى " درتل " و" درغش " و" بغنين " و " شروان " وكانت مدينة درتل أوتل أكبرها.(١) وهناك مدن أخرى نذكر منها ما يلى:-

أ- كركوية أو كرنك :

تقع على مرحلة من شمال زرنج سمى على اسمها باب زرنك الشمالى بها قبتان عظيمتان وعلى رأسيهما قرنان قد جعل كل واحد منهما مائل نحو الآخر تشبيها بقرنى الثور. ويعد بيت نار كركوية أعظم بيت نار فى مدينة كبيرة(٢)، قد تكون ثانى مدينة فى الإقليم بعد زرنج إذ إن أبن حوقل(٣) يقول عنها أنها أكبر المدن وأنها تشتمل على نحو ستين قرية. سكانها على جانبين : جانب للخوارج وجانب لأهل الجماعة.(٤) بها نخيل وفواكه وزروع، وعليها نهر فره، وأبنيتها من طين وهى أرض سهلة.(٥)

ب _ خـــواش :

تقع على مرحلة من مدينة بست، لها مياه جارية وقنى من تحت الأرض، وبها نخيل وأشجار(٦). تعرف هذه المدينة أيضا باسم خاش.(٧)

---

(١) الإصطخرى ، نفس المصدر والصفحة . ابن حوقل ، نفس المصدر ص ٢٥٤ . المقدسى ، نفسه . لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٨٣ .

(٢) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، صـ ١٠٥ .

(٣) صورة الأرض ، صـ ٢٥٤ .

(٤) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، صـ ٣٠٦ .

(٥) الأصطخرى ، المسالك والممالك ، صـ ١٤٢ .

(٦) ابن حوقل ، نفس المصدر والصفحة .

(٧) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، صـ ٣٨١ .

جـ - جــزة :

تقع على الطريق الذاهب من سجستان إلى خراسان على نحو مرحلة، وهى ناحية مائية صغيرة لها قرى وهى خصبة كثيرة الأشجار والثمار، ماوءها يأتى من قنى عذبة.(١)

د - ســروان :

هى مدينة صغيرة قديمة البنيان وآهلة بالسكان بها فواكه واسعة تحمل، ونخيل وأعناب وكروم تجلب منها وتنقل، وهى من بست على مرحلتين.(٢)

مظاهر الحياة الاجتماعية:

أ _ الدين :

عرف عن المجتمع السجستانى تباين فى عناصر سكانه، كما عرف عنه أيضاً تباين واختلاف فى الديانات والمذاهب التى نذكر من أهمها :

١) الدين الإسلامى :

لقد دخل الإسلام سجستان كغيرها من الأقاليم الأخرى نتيجة للفتوحات الإسلامية التى تمت فى عهد عثمان بن عفان، الخليفة الثالث، وذلك فى سنة (٣٠ هـ / ٦٥٠ م) بعد أن حاول الخليفة عمر بن الخطاب ذلك من قبل.(٣) هذا وقد راج فى سجستان المذهب الحنفى(٤).

---

(١) ابن حوقل ، نفس المصدر ، صـ ٣٥٥ .

(٢) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، صـ ١٤٣ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، صـ ٣٥٢ المقدسى ، أحسن التقاسيم ، صـ ٣٠٦ .

(٣) تاريخ سيستان ص ٨٠ وما بعدها . إبراهيم باستانى باريزى ، يعقوب بن الليث الصفار ص ٦٩ .

(٤) صاحب هذا المذهب هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان ابن ثابت ابن زوطا بن ماه ، فقيه العراق وقدوة أهل الرأى وصاحب المذهب المقتدى به الآن فى أكثر الممالك الإسلامية وأول من فتق الفقه وفصل فصوله وأقسامه وميز مسائله ورتب قياسه . والآشهر أن أصل جده زوطا من فرس كابل ، ولد سنة ٨٠ ونشأ بالكوفة وعاصر بعض الصحابة ونقل عنهم وقد كان كثير من الزنادقة فى عصره يضعون الأحاديث ويقبلها منهم أهل الغفلة ، فحمل أبا حنيفة شدة تورعه واحتياطه على ألا يأخذ فى دينه وفقهه إلا بما لا شك عنده فى صحته وتصعب فى ذلك فلم يصح عنده إلا أحاديث قلائل عمل بها . تمثل مذهبه فى أنه استنبط فقهه من القرآن واستعمل القياس والرأى ، وتابع فى ذلك أكثر أئمة العراق لقلة رواة الحديث بينهم وكثرتهم فى الحجاز. مات أبو حنيفة رحمه الله ببغداد سنة ١٥٠ هـ تاركاً مؤلفات شهيرة منها : كتاب الفقه الأكبر وكتاب العالم والمتعلم وكتاب الرد على القدرية ينظر المنذرى: "الترغيب والترهيب ، ضبط الأحاديث والتعليق مصطفى محمد عمارة _ لبنان (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ، ج ١ ص ١٣ ، الشيرازى : " طبقات الفقهاء " ويليه كتاب طبقات الشافعية لابن هداية الله الحسينى ، العراق ١٣٥٦ هـ ، ص ٣٤ ، السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ط ١ القاهرة (١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م) ج ٢ ، ص ١٦٠ .

الصفرية "(1) والعجاردة(2) وإن غلبت الصفرية. وفضلا عن هذه الفرق الثلاثة فقد ذكر الشهرستانى(3) أن بعض خوارج سجستان كانوا من الأزارقة.(4) ويبدو أن سجستان كانت أهم معقل لفرق الخوارج إذ إنهم كانوا يفرون إليها هروبا من عقاب الحكومة العباسية وظلوا دائما فيها سببا للهرج والمرج.(5)

وقد أشار نظام الملك الطوسى(6) إلى وجود الفرقة الإسماعيلية(7) فى الإقليم، وذكر أن يعقوب دخلها فى أول أمره. إلا أننا نشك فى صحة هذا، ذلك لأن المصادر التى أطلعنا عليها لم تشر إلى هذا وأشارت إلى تبعية يعقوب للمذهب السنى.

والظاهر أن نظام الملك الطوسى انساق إلى الشائعات التى أتى بها الخليفة المعتمد، حينما أعلن أن يعقوب تحول عن المذهب السنى والتحق بالمذهب الإسماعيلى حتى يشوه سمعته أمام تابعيه وجيرانه.

(1) الصفرية : هم أتباع زياد بن الأصفر ، خالفوا الأزارقة فى قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم . انقسمت هذه الفرقة بدورها إلى ثلاث فرق ، فرقة تزعم أن صاحب كل ذنب مشرك . كما قالت الأزارقة ، والثانية تزعم أن اسم الكفر واقع على صاحب ذنب ليس فيه جد ، والمحدود فى ذنبه خارج عن الإيمان غير داخل فى الكفر . أما الفرقة الثالثة فهى تزعم أن اسم الكفر يقع على صاحب الذنب إذا حده الوالى على ذنبه .
محمد أبو زهرة : المذاهب الإسلامية ، ص ١٢٥ وما بعدها .

(2) العجاردة : أتباع عبد الكريم بن عجرد وينقسمون إلى عشر فرق يجمعها القول بأن الطفل يحارب ، إذا بلغ ولا يحارب قبل البلوغ . وفارقوا الأزارقة فى شىء آخر وهو أن الأزارقة استحلت أموال مخالفيهم بكل حال . والعجاردة لا يرون أموال مخالفيهم فيئا إلا بعد قتل صاحبها . ومن أهم فرقها " الحازمية " التى اتبعها أكثر عجاردة سجستان . ينظر عبد القاهر البغدادى ، نفس المصدر ، ص : ٣٨ .

(3) الملل والنحل ، ج (١) ، ص ٣٨ .

(4) الأزارقة : أصحاب أبى راشد بن نافع بن الأزرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى ما خلفها من بلدان كفارس وكرمان فى أيام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحى . ويظهر أن الأزارقة كانت أكبر الفرق الخارجية عددا وأشد منها شوكة . ومما جمع بينهم هو قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون ، وأنهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم . ينظر الشهرستانى ، الملل ، ج ١ ص ٣٨ وينظر أيضا عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ص ٧٨ ، وما بعدها . عامر النجار ، الخوارج عقيدة وفكرا وفسلفة، ط (٢) القاهرة ١٩٨٨ ص ١٦٣ وما بعدها . محمد أحمد أبو زهرة ، المذاهب الإسلامية ص ١١٩ وما بعدها .

(5) يزد انيان ، زندكانى يعقوب ليث صفار ، ص ٢٥ . فتحى أبو سيف خراسان ، ص ٣٦ .

(6) سياست نامه ، ص ٤٠ .

(7) تنتسب الإسماعيلية إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الإمام الشرعى السابع من سلالة فاطمة وعلى . وبعد وفاته تتابع الأئمة من سلالته ، بدون انقطاع ، مع أن بعض المصادر المختصة تشكك فى أن يكون قد أنجب ولدا أو بنتا . ومن أهم مبادئهم وجوب اختيار إمام ليقوم بإرشاد الناس ، وهم يؤمنون بأن للعقيدة ظاهرا وباطنا . فكانوا يدعون لقراءة المعنى الباطن للقرآن . البغدادى . نفس المصدر ص ١٩٧٣ ، ج ٢ ص ٩ . مصطفى غالب ، الحركات الباطنية فى الإسلام ، لبنان (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، ص ٦٣ وما بعدها .

ويذكر صاحب تاريخ سيستان[1] وجود أقليات من اليهود والمسيحيين بدون تحديد مواقع تجمعاتهم فى الإقليم _ كانت لهم محافل وكنائس.

أما عن الديانات الوضعية، فبالرغم من أن زردشت "[2] (٦٦٠ - ٥٨٣ ق م) كان قد هذب كل الديانات الوضعية التى عرفت فى فارس حتى مجيئه والتى كانت تَتَّبِعْ كلها الفكر الطبيعى (أى كان هناك من يعبد الشمس أو الأنهار أو الأشجار أو الأبطال) بجعل فلسفته الزردشتية تدور حول وجود إلهين أو مجموعتين من الآلهة[3]، المجموعة الأولى، آلهة خيرة على رأسها " أهور مازدا "والمجموعة الثانية مجموعة شريرة يتزعمها " اهرمان " والنضال بين هاتين المجموعتين يمثل النضال بين الخير والشر فى الحياة، ذلك النضال الذى لا ينقضى إلا بعد آلاف السنين، حيث ينتصر الخير ويهزم أهورمازدا " " أهرمان ".. ويرمز زردشت "لأهورمازدا" ببعض المواد الصافية كالنار، وقال بالبعث والحياة الأخرى والحساب حيث ينتهى المرء لنعيم دائم أو عذاب مقيم.[4] إلا أن تعاليم هذه الديانة سرعان ما إنهارت بعد موت زردشت[5] وأصبح تعدد المظاهر الثنائية أبرز مظاهرها، فاتجه الفرس إلى النار يعبدونها ويرونها إلها، ويستعملونها فى شعائرهم الدينية متناسين أنها كانت فقط رمزا للصفاء، حتى أصبحوا يعرفون بأنهم عَبَدَهُ النار. فانتشرت فى سجستان بيوت النار مثلما انتشرت فى غيرها من بلاد الفرس، وَاُعْتِبرَ بيت نار مدينة كركويه أعظم بيت فى الإقليم. وكانت نار هذا البيت لا تطفأ أبدا ولها خدم يتناوبون فى إشعال النار، ويقعد الموسوم مع الخدمة على بعد النار عشرين ذراعا ويغطى فمه وأنفاسه، ويأخذ

---

(١) تاريخ سيستان ، ص ١٠٨ .

(٢) هو ابن " بورشب " من أذربيجان " وهو مؤسس الديانة الزردشتية فى بلاد فارس ، شلبى ، موسوعة ، ج٨، ص ٤٥ . محمد فريد وجدى ، دائرة ، ج ٤ ، مادة زرادشت " .

(٣) فى اتجاه زردشت تعدد الآلهة وفيه آلهة أولية كـ " أهور مازدا " و " أهرمان " وفيه آلهة ثانوية أخرى . وبرغم هذا يوجد الكثير من الباحثين يعدّون الزرادشتية دين توحيد ، لأن " مازدا " سيبقى فى النهاية ،بعد أن ينتصر على آلهة الشر كلهم . ينظر كريستنسن إيران فى عهد الساسانيين ص ١٣٤ وما بعدها . أحمد شلبى الموسوعة ج ٨ ، ص ٤٥ .

(٤) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ج ٢ ، ٦٩ . كريستنسن ، نفس المرجع ، ص ١٣٢ وما بعدها .

(٥) لقد أتاح البعد عن التعاليم الزردشتية للكهنة المجوس ، الذين كان لهم السلطان الدينى قبل زردشت ، أن يظهروا من جديد وسطاء بين الناس وبين الآلهة ، ومسيطرين على وسائل التطهير متخذين من أنفسهم وسائل لإرضاء الآلهة ، وسرعان ما أحيا الكهنة الطقوس التى كانت موجودة من قبل ، مثل عبادة الأصنام وتقديم القرابين وبخاصة للاله " مترى " الذى أصبح أبرز الآلهة بعد أن كان فى الزردشتية أقلها شأنا . ينظر كريستنسن، إيران ص ١٣٦ وما بعدها . شلبى الموسوعة ج ٨ ، ص ٤٥ .

بكلبتين من فضة عودا من الطرفاء نحو شبر يقلبه فى النار وكلما همت النار بالخبو يلقى خشبة خشبة[1] وفى هذه الأثناء كانت تقرأ بعض التراتيل من أجمل وأروع ما يؤثر فى النفوس.[2]

ب _ العادات والتقاليد :

مع دخول الإسلام إلى أرض سجستان ظلت معظم العادات والتقاليد الاجتماعية فيها فارسية متأصلة وليدة التاريخ الطويل والظروف الإقليمية العميقة.

لقد وصف المجتمع السجستانى بميله إلى الطبع الفكه والفرحة والسرور[3]، وهذه الطبيعة ناتجة، على حسب قول ابن خلدون[4]، عن حرارة الإقليم.

وَوَصِفَ المجتمع أيضا بميله إلى الصدق فى التعامل والبعد عن الغش لدرجة أن المعاملة التجارية فى أسواقهم إعتُبِرَتْ من أصدق المعاملات فى كل بلاد العالم.[5]

ووصف أيضا بالشهامة والهمة والعقل والفطنة والحكمة.[6] والإسراع لإغاثة الضعيف وأمرهم بالمعروف والنهى عن المنكر.[7] كما وصف أيضا بالكرم، ووصف السجستانيون أيضا بحبهم للتعاون فيما بينهم حيث كانوا يجتمعون لبناء السدود والحواجز لمنع دخول الرمال إلى المدن والقرى.

وَعُرِفَ السجستانيون أيضا بطاعة لا مثيل لها نحو المَلكِ أو الحَاكم[8] فالملك يُجَازَىَ دائما، برفع الحجاب عنه واتهام الُوشَاةِ عليه، وإفشاَء السر إليه.[9]

---

(١) القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٤٧ ، وما بعدها .

(٢) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ج ٢ _ ص ٦٩ وما بعدها .

(٣) إبراهيم باستانى باريزى ، يعقوب بن الليث الصفار ، ص ٧٠ .

(٤) المقدمة ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٥) انظر Barbier , (C) .Dictionnaire geo .Hist .P ٣٠٢ .

(٦) القرمانى ، أخبار الدول ، ص ٢٥٨ .

(٧) الحموى معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٨ .

(٨) لقد جاء القرمانى بقصص تبين مدى طاعة الرعية ليعقوب ومنها " أن يعقوب كان بأرض فارس وقد أباح للناس أن يربعوا دوابهم ثم حدث أمر أوجب الرحيل عن تلك المنطقة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الربيع ، فشوهد رجل من أصحاب يعقوب مسرعا إلى دابته وهى ترعى والحشيش فى فمها فأخرجه من فم الدابة ومنعها أن تلوكه بعد سماعه للنداء قائلا : - " لقد أمر الأمير بقطع الدواب عن الرطبة . كما شهد يعقوب فى عسكره _ فى غير هذا الوقت _ رجلا من قواده ودرع الحديد على يديه لا ثوب تحته فقيل له فى ذلك فقال ، نادى منادى الأمير " البس السلاح " وكنت عريانا أغتسل من جنابة فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب فلبست الدرع امتثالا لأمره .

وينظر كتابه " أخبار الدول وآثار الأول " ص ٢٥٨ وما بعدها .

(٩) الجهشيارى الوزراء والكتاب ، ص ١٠ .

وَعُرِفَ عن السجستانيين أيضا أنهم كانوا أشداء فى تعاملهم مع النساء. فلم تكن تخرج لهم امرأة من المنزل، وإن أرادت زيارة أهلها فبالليل فقط[1]، كما أن التعليم إقتصر على الذكور فقط، فلم تذكر المصادر شيئا عن المرأة فى سجستان. وربما إقتصر تعليمها على التدبير المنزلى وتربية الأطفال اللذين كانت تتلقاهما من أمها فى البيت.[2]

وكان زواج البنت فى سجستان مبكرا جدا حيث كانت تتزوج وهى فى سن العاشرة أو الحادية عشرة من عمرها. وكان الرجال عادة ما يتزوجون قبل سن العشرين.[3] وقد عَرَفَ السجستانيون تعدد الزوجات، وحسب ما يبدو أن هذا التعدد لم يكن قد جاء به الإسلام بل لقد عرف عند الفرس منذ العهد الساسانى حيث يُذْكَرُ أن كسرى كان قد عدد الزوجات.[4]

أما عن طريقة كلام السجستانيين فقد ذكر عنهم أنهم كانوا فى كلامهم قساة[5]، وكأنهم فى خصومة، حتى قيل عن لسانهم أنه يصلح للقتال.[6]

أما لغة أهل سجستان فلقد وصفت على أنها نوع من اللغة الفارسية المنحطة تشبه بعض الشىء اللغة التى يتكلمون بها فى خراسان.[7]

ويبدو أن هذه القساوة فى الكلام جاءت متأثرة بقساوة الظروف الطبيعية التى تعانى منها سجستان، أما إنحطاط لغتهم فقد يكون ناتجا عن تجمع العيارين واللصوص والملاحقين من السلطات فى الإقليم.

وقد عُرِفَ عن السجستانيين أيضا اعتقادهم الكبير فى الخرافات وأقوال المنجمين والمتنبئين.

---

(٢) الحموى ، معجم البلدان ، ج ٥ ـــ ص ٣٨ .

(٣) كريستنسن : إيران فى عهد الساسانيين ، ص ٤٠٢ .

( )انظر : _ La Grande Encyclopedie , Paris le edition (1885 ١٩٠١ (. Tome 26 , P. ٤٤٩ .

(٤) كريستنسن ، نفس المرجع ، ص ٤٥٨ .

(٥) عن طريقة كلام السجستانيين ذكر المقدسى فى أحسن التقاسيم ص ٣٣٤ وما بعدها هذه القصة :

"لقد أمر أحد ملوك خراسان وزيره أن يجمع رجالا من خمسة أقاليم فلما تكلم النيسابورى . قال الملك هذا يصلح للتقاضى ، ولما تكلم المروى قال : هذا يصلح للوزارة ، ولما تكلم البلخى قال : هذا يصلح للكنيف ، ولما تكلم السجستانى ، قال : هذا يصلح للقتال .

(٦) العمرى ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ص ٣٩٦ ، المقدسى ، نفسه .

(٧) دائرة المعارف الإسلامية ج ١١ ، مادة " سجستان"

ويظهر أن هؤلاء المنجمين كان لهم رواد كثيرون، فمثلما كانت تزورهم المرأة لكسب زوجها وكانت تزورهم للعلاج من الأمراض العضوية وغير العضوية، كالحسد والعين، بالطلاسم والبخور والدعاء.[١]

وكانت قراءة الطالع من الأمور المشهورة بين أوساط مجتمع سجستان. وأشتهر بها المجوس الذين كانوا يحسنون التحدث عن الغيب وهم ينظرون إلى النار المقدسة.[٢]

وقد حلل أحمد أمين[٣] هذا الأمر _ قاصدا المسلمين _ قائلا : " إن الفرس عملوا على صبغ الإسلام الذى اعتنقوه بصبغتهم الفارسية فلم يتجردوا من عقائد دينهم القديم وتقاليده. وفهموا الإسلام بالقدر الذين يسمح به الدين القديم الذى اعتنقه قومهم أجيالا ونشأ فيه ناشئتهم وشبوا عليه ".

هذا كما عَرَفَ المجتمع السجستانى مرض انتهاك الحرمات والسرقة والصراعات العرقية وكانت هذه الصراعات تمس الأطفال أيضا، إذ إنهم كانوا يجتمعون للعب على اختلاف أعراقهم وقت التآلف ويتخاصمون ويتضاربون وقت الصراعات.[٤]

وانتشر فى الإقليم حانات كان يكثر فيها الفساد. وأحيانا كانت تنشب فيها صراعات كبيرة.[٥] وهناك من ذكر أن سجون سجستان كانت مليئة بالمساجين[٦]. واشتهر لذلك قضاة كانوا ينفذون ما تقضى به الشريعة الإسلامية من أحكام دنيوية ودينية.[٧]

أما عن العادات فى الملبس والمأكل فهى، بطبيعة الحال، لم تكن موحدة عند كل الأهالى السجستانيين، ذلك لأن هذا الأمر يكون مرتبطا دائما باختلاف الطبقات والعمل والذوق والمواسم.

أما عن الملبس، فلم يكن الملبس السجستانى يخرج عن القالب العام للألبسة التى عرفت فى هذه الفترة الزمنية فى العصر العباسى فى الدول الإسلامية.

---

(١) محمد نور الدين عبد المنعم ، دراسات فى الشعر ، ص ٢٨ .
(٢) كريستنسن ، إيران فى عهد الساسانيين ص ١٦٧ .
(٣) فجر الإسلام ، ص ٧٨ .
(٤) تاريخ سيستان ص ٢٦٧ .
(٥) العمرى مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ص ٣٦٩ .
(٦) اليافعى ، مرآة الجنان ج ٢ ــ ص ٢٠١ .
(٧) فتحى أبو سيف ، أحوال خراسان السياسية والحضارية ص ١٩٣ .

أما عن الألبسة الرجالية، فقد ذكرت المصادر أن الرجل السجزى اختص ببعض ما ميزه عن غيره فى نفس العصر فيذكر أنه كان يعتم بثلاث عمائم أو أربع كل واحدة من لون ما بين الأحمر والأصفر والأخضر والأبيض، وغير ذلك من الألوان على قلانس(١) له شبيهة بالتيجان يلفها لفا يظهر ألوان كل واحدة منها. وكان طول كل عمامة ما بين ثلاثة وأربعة أذرع.(٢)

كما تميز السجستانى بلبس السراويل وحمل سيوف فى يديه(٣)، وتفضيله للبس الخفاف فى رجليه عن لبس النعال صيفا وشتاء.(٤)

أما ما يخص أكل السجستانيين فنذكر أنهم كانوا يكثرون من أكل الحلتيت الذى كان ينتج بكميات كبيرة فى الإقليم. وكان يغلب على طعامهم ويستعمل أيضا كتوابل فى الأطعمة الأخرى.(٥)

ويذكر عنهم أيضا الإكثار من أكل اللحوم المجففة _ ما يسمى بالقديد _ وخصوصا فى الأشهر الشتوية الثلاثة(٦)، والفواكه المجففة كاللوز والخوخ والجوز، والأسماك الطازجة أو المجففة التى كانت تصطاد من نهر هلمند وبحيرة زره.

وما نستنتجه عن السجستانيين هو أنهم قد التزموا بتجفيف كل ما يمكن تجفيفه لوجوده وقت الطلب. وكأنهم يتقون بذلك شح الطبيعة السجستانية.

ومن عادات السجستانيين أيضا، تحايلات فرضتها عليهم الظروف الطبيعية الصعبة التى من بينها تحايلهم مع الرياح السوافى بأن يجعلوا زَرْبَاً وَسِيَاجاً، كالحائط من خشب وشوك أو غيرهما مما يجدونه حول الرمل الذى يريدون

---

(١) قلانس : لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال ، مجموعة من الأساتذة : المعجم الوسيط ، ج ٢ مادة " قلانس.

(٢) أذرع : حدد الذراع الشرعى بـ ٤٩,٨٧٥ سم فالترهنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى ، ص ٩٣ .

(٣) الحموى ، معجم البلدان ج ٥ ، ص ٣٨ .

(٤) صلاح حسين العبيدى ، الملابس ص ٦٥ .

(٥) الإصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ١٤١ .

(٦) كان السجستانى يعمل على تسمين الأغنام فى البساتين ثم يذبحها فى بداية فصل الشتاء ، ثم يطبخ اللحم والشحم معا فى أوعية كبيرة حتى يجف ماؤها تماما ، ثم يضع هذا اللحم المطبوخ فى جلود نفس هذه الأغنام المذبوحة بعد غسلها وتنظيفها جيدا لتوضع فى أماكن باردة وتستهلك فى الشتاء .
ينظر تاريخ سيستان ، ص ١٨٦ .

نقله، ويفتحوا فى أسفله بابا من تلقاء الريح فتدخله الريح وتطير به وتصير بأعلاه كالزوبعة ويرتفع إلى حيث يؤثرون نقله إليه.[1]

كما أن الحرارة القوية دفعتهم إلى التوصل إلى اختراع بسيط يتمثل فى إقامة نوع من الأخصاص فى وسط فناء المنزل أو فى العراء تُبْنَىَ من أعواد الخشب وتُغَطَّى بنوع من العشب الشوكى الصحراوى الذى يسمح بدخول الهواء إلى هذه الأخصاص فيلطفون هواء هذه الغرفة برش الماء على العشب من الخارج باستمرار. والذى يحدث هو أن الهواء عندما يتخلل العشب المبلل أثناء مروره إلى الداخل تنخفض الحرارة بتأثير الماء ويصبح نسمة لطيفة.[2]

هذا ومن عاداتهم أيضا، أنهم اعتادوا على تنصيب أريحه لطحن قموحهم، فكل طحنهم منها[3]، وهى تعد من العجائب[4] هذا ولكثرة الحيات فى الإقليم إعتاد السجستانيون أيضا على تربية القنافذ فى البيوت، إذ لا يكاد يخلو بيت منها.

وبالرغم من دخول الإسلام إلى إقليم سجستان فإنه ظل دائما محافظا مثل الأقاليم الفارسية الأخرى على أعياده القومية القديمة التى تمثلت، بخاصة فى عيد النوروز[5] وعيد المهرجان.

أما النوروز فإنه يعد أكبر الأعياد الشعبية عند الفرس، وهو يوم رأس السنة، ويعلن عن دخول فصل الحر[6]، ففيه استقبال السنة الجديدة وافتتاح الخراج وتولية العمال وضرب الدراهم والدنانير وتزكية بيوت النيران وصب الماء وتقريب القربان وإشادة البنيان وما شابه ذلك.[7]

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٥١ ، القزوينى ، آثار البلاد ص ٢٠٢ .

(٢) إبراهيم باستان باريزى ، يعقوب ص ٧٨ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٣٥٠ ، الأصطخرى مسالك الممالك ص ١١٤ .

(٤) المقدسى أحسن التقاسيم ص ٢٢٣ .

(٥) نوروز : كلمة فارسية مركبة من لفظين أولها " نو " وثانيهما " روز " ومعناها اليوم الجديد . أما فى الاصطلاح فتطلق على عيد رأس السنة الفارسية الذى يقع فى اليوم الأول من شهر فرودين الموافق لـ ٢١ مارس (آذار)، أى أول فصل الربيع .

ينظر : د / رمضان متولى: عمر الخيام عالم الفلك والرياضيات وكتابه نوروزنامه مصر ٢٠٠٨ ط المركز القومى للترجمة

(٦) كريستنسن ، إيران فى عهد الساسانيين ص ١٦٢ .

(٧) الجاحظ ، التاج فى أخلاق الملوك ، حققه وقدم له .

فوزى عطوى ، العراق ١٩٧٠ ـــ ص ١٤٩ .

خامساً:
مدينة «نيسابور»

نيسابور: واحدة من مدن خراسان الكبيرة بجمهورية إيران الإسلامية وكانت من السعة العظمة حتى أطلقوا عليها أم البلاد.. ويصفها ابنها عمر الخيام بيت من الشعر يقول فيه:

شراب نيسابور وآب دبير — جوانى كند كرخورد مرد بير[1]

ومعناه:

وشراب نيسابور وماء دبير — يردان الشيخ إلى شبابه

ويقول الشاعر الأنورى: حبذا شهر نيشابور كه در بشت زمن × كربهشت أست همين است وكرنه خود نيست ومعناه:

حبذا مدينة نيسابور — إن يكن على ظهر الأرض جنة وإلا فلا

أولا: اسم المدينة: ومؤسسها:[2]

فى الفارسية الحديثة ينطق اسمها: نيشابور. وهى فى العربية نيسابور، وهو مشتق من نيوشاه بور فى الفارسية القديمة ومعناه: شىء أو عمل أو موضع سابور الطيب وقد سميت المدينة بذلك نسبة إلى الملك الساسانى سابور الثانى والذى جدد بناءها فى المائة الرابعة للميلاد إذ إن مؤسس نيسابور كان سابور الأول ابن اردشير بابكان.[3]

ويتحدث المقدسى عن اسمها فيقول. "وأما نيسابور فقد اختلف الناس فى اسم لها وهو إيران شهر، فمنهم من جعله اسما لجميع هذه الكورة مع جابلستان، فتدخل فيه سجستان وما حولها ومنهم من جعله لهذه الكورة ومنهم من أوقعه على القصبة فحسب وبه نأخذ لكون القصبة من إيران شهر بإجماع فلا تحتاج فيه إلى دليل، إذ الدليل واجب على من ادعى الزيادة".[4]

---

(١) عبد الوهاب عزام : رحلات : ص ١٣٨ مطبعة الرسالة ١٩٥٠ م .

(٢) اعتمدت اعتمادا كلياً فى هذا الفصل الخاص بالحديث عن مدينة نيسابور على البحث القيم للأستاذة الدكتورة آمال سلامة عن مدينة نيسابور فجزاها الله عنى وعن : طلبة العلم خير الجزاء .

(٣) لسترتج : بلدان الخلافة الشرقية ت: بشير فرنسيس . ص ٤٢٤ . بغداد . ١٩٥٤ م .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم : ص ٢٩٩ ـ ص ٣٠٠ .

ويتحدث ياقوت الحموى عن اسمها قائلا: نيسابور بفتح أوله والعامة يسمونها نشاور واختلف فى تسميتها بهذا الاسم، فقال بعضهم: إنما سميت بذلك لأن سابور مربها وفيها قصب كثير: فقال يصلح أن يكون مكانها ها هنا مدينة فقيل نيسابور.. وقيل فى تسمية نيسابور وسابور خواست وجند يسابور: إن سابور لما فقدوه حين خرج من مملكته لقول المنجمين خرج أصحابه يطلبونه فبلغوا نيسابور فلم يجدوه فقالوا: نسيت سابور أى: "ليس سابور" فرجعوا حتى وقعوا إلى سابور خواست، فقيل لهم: ما تريدون ؟ فقالوا: معناه سابور تطلب.. ثم وقعوا إلى جند سابور فقالوا وندسابور أى وجد سابور.. ومن أسماء نيسابور أبر شهر وبعضهم يقول: إيرا نشهر، والصحيح أن إيرا نشهر ما بين جيحون إلى القادسية.(١)

هذا كما يطلق عليها أبر شهر أى مدينة الغيم. وقد ظهرت هذه التسمية على الدراهم التى ضربت إبان العصرين الأموى والعباسى.

وتنطق العامة " نيشابور بحذف الياء فيقولون نشابور ".. وفى بحثها القيم عن المدينة تذكر لنا الدكتورة / أمال سلامة نقلاً عن " آنندراج فى معجمه: أن نيشابور بباء أبجد على وزن بيجابور فارسية وهى اسم مدينة فى خراسان يوجد بها منجم الفيروز، وهو اسم لشعبة مشهور نيسابور.(٢)

ويذكر آنندراج فيما يخص كلمة (نه) بكسر النون وظهورها فارسية بمعنى مدينة، ونيشابور كانت فى الأصل (نه شابور) أى مدينة شابور. كما يذكر أيضا أن "نيو " على وزن (ديو) فارسى بمعنى الشجاع الجرىء البطل وقيلت أيضا (نو)...

ثانيا: تأسيس المدينة:

يذكر المرحوم عبد الوهاب عزام أن طهمورث _ ثالث ملوك البيشداديين هو أول من بناها ثم خربها الإسكندر الأكبر وقام شابور الأول _ السيستانى _ باعمارها من جديد.(٣)

ويقول كرستنسن: إنه بموجب الكتاب المسمى شهرستا نهائى: إيرا نشهر مدن إيران " أنه قد هزم وقتل شابور فى خراسان ملك تورانيا " بليزاك "وفى مكان

---

(١) ياقوت الحموى . معجم البلدان ج ٥ ص ٣٣١ .

(٢) د / آمال سلامة : بحث عن مدينة نيشابور ص ٤ .

(٣) عبد الوهاب عزام : رحلات :ص ١٣٨ _ ص ١٣٩ _ مصر ١٩٥٠ م .

الحرب أسس مدينة مستحكمة هى " نيو شاهبور" (شابور خوب) نيشابور الحالية، وصارت مقر ولاية أبر شهر أى ناحية " أبرانها.." ويذكر كرستنس أنه لما ثار أهل سوس القديمة على سابور أعمل فيهم سيوفه وقام بهدمها وبنى مكانها مدينة أخرى أطلق عليها إيرانشهر شابور كما شيد على شمالها مدينة أخرى سماها: إيران _ خورة _ كرد _ شابور.[١]

كما يذكر المؤرخون أن أنوش بن شيس بن آدم هو أول من بنى قلعة بنيشابور ثم خربت بعد ذلك وظلت على حالها حتى زمن أيرج بن أفريدون.. وأثناء تجوال أفراسياب _ بعد انتصاره على إيران طاف بهذه المدينة وأمر بإعمارها _ ولما حل عهد منوجهر زار القلعة وحفر حولها خندقاً _ ولما وصل الأمر لنيشابور أعاد بناء مدينة نيشابور القديمة حول القلعة كما حفر خندقاً حول أطرافها وجوانبها.

ويذكرالكرديزى فى كتابه " زين الأخبار" أن قيصر الروم _ استولى على إيرانشهر زمن سابور بن هرمز حتى نجح شابور فى استردادها وقطع شفتيه وأعاده إلى بلاده[٢] كما يذكر لنا كذلك أنه فى عهد فيروز بن يزد جرد جفت الأمطار وحل القحط بايرانشهر مدة سبعة أعوام لكنه بفضل كياسته وحسن إدارته وشرائه الغذاء من بلاد مجاورة لم يمت أحد من أفرادها.[٣]

ويذكر اليعقوبى فى تاريخه أن نيشابور كانت واحدة من البلاد التى حرص أردشيرين بابكان على إعمارها واخضاعها لسلطانه. وكان عامله على خراسان التى كانت نيسابور إحدى كورها يطلق عليه اسم " إصبهبد خراسان".. وقد حظيت نيسابور بأهمية كبيرة لدى ملوك هذه الفترة بسبب مرور قوافل التجارة بها.

ثالثا: تضاريس نيسابور:

اطلق اسم خراسان "البلاد الشرقية" على جميع الأقاليم الإسلامية فى شرق المفازة الكبرى حتى حد جبال الهند، وعلى هذا فقد كانت تضم كل بلاد ما وراء النهر الواقعة فى الشمال الشرقى، ماخلا سجستان ومعها قوهستان فى

---

(١) كرستنسن : إيران فى عهد الساسانيين : ت يحى الخشب ص ٢٣٩ وما بعدها .

(٢) الكرديزى : زين الأخبار ت : عفاف زيدان . القاهرة ١٩٥٧ م .

(٣) المرجع السابق ص ٥٠ .

الجنوب.. وقد انقسم إقليم خراسان فى القرون الوسطى إلى أربعة أرباع، نسب كل ربع إلى إحدى المدن الكبرى التى كانت على مدار التاريخ عواصم للاقليم منفردة أو مجتمعة. وهذه المدن هى: ينسابور ومرو، وهراة، وبلخ، وبعد الفتح الإسلامى الأول، كانت عاصمتا خراسان فى مرو وبلخ حتى جاء العهد الطاهرى، فنقلوا دار الإمارة إلى ناحية الغرب، واتخذوا من نيسابور عاصمة للاقليم باعتبارها أكبر مدينة فى أقصى الأرباع غربا. (١)

ويتحدث يا قوت عن مساحتها: فيقول: طولها خمس وثمانون درجة وعرضها تسع وثلاثون درجة خارجة من الإقليم الرابع فى الإقليم الخامس طالعها الميزان ولها شركة فى كف الجوزاء مع الشعرى العبور تحت ثلاث عشر درجة من السرطان ويقابلها مثلها من الجدى عاقبتها مثلها من الميزان، بيت حياتها، بيت ملكها ثلاث عشر درجة من الحمل، وقد ذكرنا أنها فى جمل ذكر الأقاليم فى الرابع وفى زيج أبى عمون: أن طول نيسابور ثمانون درجة ونصف وربع وعرضها سبع وثلاثون درجة، وعدها فى الإقليم الرابع.(٢) كما عدها جزءاً من صحراء هموراى.. هذا ويحد نيسابور من الطرف الشمالى جبل بينالود ومن الغرب محافظة سبزوار ومن الشرق قسم من فريمان من مشهد وقسم من كدكن من تربت حيدرية ومن الجنوب كاشمر.

ولسعة امتداد نيسابور وارتفاعها عن سطح البحر نجد هناك تفاوتاً فى طقسها ففى المناطق الواقعة فى جبل ودرات بينالود يتسم طقسها بالبرودة، بينما فى مناطق الجنوب تهب رياح شديدة فى الربيع والخريف... وهى بصفة عامة قوية الهواء.

وفى شمال نيسابور قسم مرتفع باسم بينالود، ومن الشمال الغربى سرولايت. وتمتد حتى سهل رخ والتى هى الحد الطبيعى بين مشهد ونيسابور، والمرتفعات الأخرى فى القسم الجنوبى الغربى باسم طاغنكوه وكوه جسته.. وهى حد فاصل بين سبزوار ونيسابور.(٣)

---

(١) الإصطخرى : مسالك الممالك ص ٢٥٣ ، ص ٢٥٤ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٩١ .

(٣) ده خدا : لغت نامه ص ٢٠٢٩١ .

رابعا: وصف المدينة:

يصفها المقدسى بقوله: " نيسابور عبارة عن كورة واسعة جليلة بالرساتيق والضياع والقنى، ويقال أن أبا بكر العبدوى قال: قست مياه دجله إلى مياه نيسابور فتساويا"[1] وهى قوية الهواء لا ترى فيها مجذوما ومن واظب بها على آكل الدسم ودخول الحمم واستعمل دهن البنفسج فليس يعدها "وهى منبع المال والتجارة لفارس وكرمانه والرى وجرجان وخوارزم ويقول ابن حوقل عنها: " نيسابور أعظم نواحى خراسان وأكثرها جيشا و شحنة، وأجلها منزلة وجباية، وهى مدينة فى أرض سهلة أبنيتها من طين، ومفترشة البناء، وأصح هواء، وأفسح فضاء، وأشد عمارة، وتجارها أهل الثراء، وتؤمها السابلة والقوافل فى كل يوم، ويرتفع منها أصناف ثياب القطن والأ برسيم، ما ينقل إلى سائر البلدان وعرضها نحو فرسخ فى مثله.. وقيل لعبد الله بن طاهر: لما أخذت نيسابور على مرو قال: لثلاثة أشياء: لأنى رأيت هواءها أقوى، وأهلها أوطأ والمعمرين فيها أكثر.[2]

ووصفها الكَرديزى بأنها ذات فضائل حسنة وعمارة، كثيرة الخيرات والفواكه والثمرات جامعة لأنواع المسرات. ويحكى عن حموية أنه قيل له لو اتخذت بنيسابور بيمارستان قال: لا يسع لذلك بيت مالى، قالوا: كيف وأنت صاحب الجيش قال: لأنه ينبغى أن يدار على البلد كله الحائط أى أنهم كلهم يحتاجون إلى البيمارستان لطيشهم وخفة رؤوسهم.[3]

ووصفها ابن بطوطة قائلا: " عندما وصلنا إلى مدينة نيشابور وهى إحدى المدن الأربع التى هى قواعد خراسان، ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياهها وحسنها وتخترقها أربعة من الأنهار وأسواقها حسنة متسعة، ومسجدها بديع، وهو فى وسط السوق. ويعلوه أربع من المدارس يجرى بها الماء الغزير، وفيها من الطلبة خلق كثير يقرأون القرآن والفقه وهى من حسان مدارس تلك البلاد.[4]

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم : ص ٣٣٢

(٢) الإصطخرى : مسالك الممالك ص ٣٠٨ .

(٣) الكرديزى : زين الأخبار ، ت : عفاف زيدان ص ٣٠٠ .

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار فى طرائف الأبصار وعجائب الأسفار ، ص ٤٠١ ط بيروت ١٩٩٢ م..

ويصف المقدسى لغة أهل نيسابور بقوله: لسان أهل خراسان مختلف، فلسان أهل نيسابور فصيح ومفهوم، غير أنهم يكسرون أول الكلام ويضيفون ياء فيقولون مثلا: بيكو وبيشوا، ويضيفون حرف السين دون فائدة فى بعض الكلمات الأخرى مثل: بخردستى وبكَفستى، وبهوخسنتى، ويقول أهل نيسابور: " براى اين " بينما ينطق أهل مرو: " بدون اين ".(١)

ويزيد المقدسى فى وصف قصبتها قائلا: " إيرانشهر هى مصر الجانب، وقصبة نيسابور بلد جليل، ومصر نبيل، لا أعرف له فى الإسلام من عديل لما قد اجتمع فيه من الخلال واتفق فيه من الخصال مثل سعة الرقعة ووسع البقعة، وصحة الماء وقوة الهواء وكثرة العلماء، بلد الأجلة والراسخين من الأئمة، فواكهه واسعة لذيذة ولحوم جيدة رخيصة، ومعايش حسنة مفيدة وأسواق فسيحة ودور فرجة وضياع نفيسة وبساتين نزهة، وتربة علكة وقرائح دقيقة، ومجالس أليقة، ومدارس رشيقة، وظرف ولباقة ورسوم آيين مختارة وصناعة وحذاقة وتجارة وعبارة وهمة ومروة ومعروف وصدقة وحفاظ ومودة فى الآفاق مذكورة، وفى الإسلام مشهورة ثم هى خزانة المشرقين، متجر الخافقين، بضائعه تحمل إلى الآفاق ولبزه نور وإشراق يتجمل به أهل مصر والعراق، يجبى إليه الثمرات، ويرحل إليه فى العلم والتجارات طيب الصيف، كثير الجمد، رخى الشتاء مديد العنب وزاد على المدن محلاته وعلى الأمصار رقعته فهات فى الإسلام مثله يصفها الاصطخرى قائلا:

فأما نيسابور فهى أبرشهر، وهى مدينة فى أرض سهلة أبنيتها طين، وهى مفترشه البناء ومقدار عرصتها نحو فرسخ فى فرسخ ولها مدينة وقهندز وربض وقهندزها ومدينتها عامرتان ومسجد جامعها فى الريض بمكان يعرف بالمعسكر، ودار الإمارة بمكان يعرف بميدان الحسينيين، والحبس عند دار الإمارة، وبين الحبس ودار الإمارة وبين المسجد الجامع نحو فرسخ، ودار الإمارة من بناء عمرو بن الليث وللقهندز بابان وللمدينة أربعة أبواب أحدها يعرف باب رأس القنطرة والثانى بباب سكة، معقل، والثالث ببان القهندز والرابع بباب قنطرة تكين، وقهندزها خارج من مدينتها، ويحيط بالمدينة والقهندز الربض، و للربض أبواب،

---

(١) المقدسى : ص ٣٢٤-٣٢٥ .

- محمد تقى بهار : سبك شناسى جلد أول ، جاب دوم ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧ ، ١٣٣٧ ش .

فأما الباب الذى يخرج منه إلى العراق وجرجان فانه يعرف بباب القباب والباب الذى يخرج منه إلى بلخ وما وراء النهر فإنه يعرف بباب جنك والباب الذى يخرج منه إلى فارس وقوهستان فإنه يعرف بباب حوص اباذ والباب الذى يخرج منه إلى طوس ونسا عدة أبواب فمنها باب سوخته وباب يعرف بسرشيرين وغيرهما.. وأما أسواقها فإنها خارجة من المدينة وأعظم أسواقها سوقان: أحدهما تعرف بالمربعة الكبيرة والأخرى بالمربعة الصغيرة.ويمتد أولها نحو الشرق حتى يتجاوز المسجد الجامع ويمتد الثانى نحو الجنوب إلى قرب مقابر الحسينيين وأكثر مياهها قنى تخرج تحت مساكنهم وتظهر خارج البلد فى ضياعهم و لها قنى تظهر فى البلد وتجرى فى دورهم وبساتينهم داخل البلد وخارجا عنه ولهم نهر كبير يعرف بوادى سغاور يسقى منه بعض البلد و رساتيق كثيرة وعلى هذا الوادى قَوَّمَ وليس لهم فى البلد نهر أعظم منه.

وليس بخراسان مدينة أصح هواء ولا أكبر من نيسابور؛ ويرتفع منها من أصناف ثياب القطن والابرسيم ما ينقل إلى سائر بلدان الإسلام وبعض بلاد الشرك لكثرتها وجودتها.. ولنيسابور حدود واسعة ورساتيق عامرة ولها مدن منها: البوزجان وما لن المعروف بكواخزر وجايمند وسلومك وسنكان وزوزن وكندر وترشيز وخان روان وازاذوار وخسروكرد وبهمناباذ ومزنيان و سابزوار وديوراه ومهرجان و أسفرائين وخوجان ورزيله، وإن جمعنا طوس إلى نيسابور فمن مدنها الراذكان والطابران وبزدغور والنوقان التى بها قبر على بن موسى الرضى وقبر هارون الرشيد وفى جبال نيسابور وطوس يكون الفيروزج.وكانت دار الإمارة بمرو و بلخ فى أيام الطاهرية فقد نقلوها إلى نيسابور فعمرت وكبرت وكثر مالها من توطنهم إياها.(١)

و يبلغ وصف عطا ملك الجوينى لنيسابور مرتبة العشق و الوله بها حين نقرأ قوله عنها:

«إذا كان من الممكن أن تقارن الأرض بالأفلاك، فإن بلادها بمثابة النجوم لها، فإن نيشابور هى زهرة السماء بين كواكب الزهرة و إذا مثلت بالنفس البشرية، فإنها من الممكن أن تكون عين الانسان لما تتمتع به من نفاسة و عزة:

---

(١) المرجع السابق صـ ٢٥٨.

- وماذا يصنع المرء...... ببغداد و كوفان

- و نيشابور فى الأرض..... كالانسان فى الانسان

- ياحبذا مدينة نيشابور التى إذا كانت على الأرض جنة كانت هى، فاذا لم تكن هى لم يكن على ظهر الأرض جنة..(١)

ثم نختم الحديث عن وصف نيسابور برحلة راحلنا العظيم عبد الوهاب عزام ووصفه لها بقوله:-

"ثم استأنفنا السير تلقاء نيسابور والقلوب يملؤها الشوق والفكر يستجمع ما وعى من أحاديث التاريخ عن المدينة العظيمة ذات المياه والقرى والأشجار، المدينة ذائعة الصيت فى العلم والأدب التى نشأت علماء يفتخر بهم المسلمون على الأدهار، بلد مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، و الحاكم المحدث الكبير و أبى القاسم القشيرى صاحب الرسالة ومحى الدين النيسابورى الفقيه، وفريد الدين العطار، وعمر الخيام.

وقد تعاقب عليها البناة من الساسانيين والعرب والغزنوين والسلاجقة. كما توالت عليها النوائب من الزلازل والغارات فى شتى العصور: فقد أصابها زلزال عظيم سنة نيف وخمسمائة من الهجرة وسنة "٦٦٦ " وسنة "٨٠١" ودمرها الغزسنة " ٥٤٨هـ" حين غلبوا السلطان سنجر السلجوقى وأسروه. وهى المصيبة التى نظم فيها الشاعر الفارسى الأنورى " قصيدته المعروفة دموع خراسان " ولكن المدينة رغم كل هذه المصائب كانت فى معظم العهد الإسلامى قبل التتار عامرة مزدهرة حتى سميت: أم البلاد وقبة الإسلام. وقد رووا فى عمرانها ونضرتها ما يستبعده العقل: فمن عجائبها الإثنى عشريه أنه كان بها إثنا عشر معدنا للفيروز والنحاس والمرمر وغير ذلك، واثنا عشر نهرا تنحدر من الجبال، وإثنا عشر مائه مدرسة، أى ألف ومائتان وإثنا عشر مائة قرية واثنا عشر ألف قناة تجرى من إثنى عشر ألف ينبوع(٢). ويصف ياقوت غارات التتار على نيسابور بقوله:-

---

(١) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم : ت: د/ السباعى محمد السباعى : صـ ١٨٦ ط المركز القومى للترجمة ٢٠٠٨م

(٢) د/ عبدالوهاب عزام : رحلات _ مطبعة الرسالة ١٩٥٠م.

«وأصابها الغزو فى (سنة ٥٤٨هـ) بمصيبة عظيمة حيث أسروا الملك سنجر وملكوا أكثر خراسان، وقدموا نيسابور وقتلوا كل من وجدوا واستصفوا أموالهم حتى لم يبق فيها من يعرف، وخربوها وأحرقوها. ثم اختلفوا فهلكوا.. واستولى عليها المؤيد أحد مماليك سنجر فنقل الناس إلى محلة يقال لها شاذياخ وعمرها وسورها وتقلبت بها أحوال حتى عادت أعمر بلاد الله وأحسنها وأكثرها خيراً وأهلا و أموالا لأنها دهليز المشرق ولابد للقوافل من ورودها".

وقال يصفها قبل غارة التتار: وعهدى بها كثيرة الفواكة والخيرات. قال: لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها ".

ثم كانت القارعة التى دمرت حضارة الإسلام كارثة التتار، فكانت كما قيل بالفارسية آمدند وكشتند وسوختند وكندند وبردند ورفتند. أى جاءوا وقتلوا وأحرقوا وهدموا ونهبوا وذهبوا.(١)

ولم تنسها المصائب من بعد فقد أغار عليها الأزبك وغيرهم فى عصور مختلفة.

ويصف البيهقى نيسابور بقوله: " ولما كانت نيسابور أوسع بلاد خراسان جاءت نواحيها أوسع النواحى(٢).. وفيها يقول أبو تمام: -

أيا سهرى بليلة أبرشهر ذممت إلىَّ نوما فى سواها

ويصفها أبو القاسم بن حوقل فى كتابه "صورة الأرض" بقوله:

"هى مدينة فى أرض سهلة أبنيتها من طين وهى كانت مفترشة البناء نحو فرسخ فى مثله إلى سنة تسع وأربعين وخمسمائة عند كسرة الغز للسلطان سنجربن ملكشاه واستيلائهم على خراسان.. وفى هذه السنة دخل الغز إليها ونهبوها وقتلوا أكثر أهلها، وانجلى الباقون، ثم تواترت عليهم نوائب الزمان وصروف الحدثان إلى أن خربت».(٣)

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان مادة نيسابور جـ٥ : ص ٣٣١- ٣٣٢

(٢) البيهقى : تاريخ البيهقى . ت : يحيى الخشاب وصادق نشأت ص ٢٢٢ . نشر مكتبة الانجلو المصرية .

(٣) أبو القاسم بن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٣٠ ، ليدن ١٩٣٨م .

خامسا: أقسام مدينة نيسابور:

تتكون نيسابور من أربعة أقسام وهى: ريواند ومازل وشامات وبشتغروش.

أما ريواند فطبقا لوصف كتاب " بلدان الخلافة الشرقية " فهى مدينة صغيرة بمثابة أرض للخير حافلة بالفواكه والكروم والرياحين. وتقع المدينة على مرحلة غرب نيسابور ويقال أنها من بناء كسرى أنوشروان، وبها مسجد كبير كان عامرا فى أوائل الإسلام.. و تحتوى ريواند على خانقاهات عديدة و يسقيها نهر يروى مزارعها وقد ضربت العملة فى القرن الرابع الهجرى باسماء ثلاثة من حكام ما وراء النهر وهم محمد وعطريف ومسيب.(١)

أما قسمها الثانى فيسمى الشامات: وهو اسم على مسمى حسنها ومزارعها الجميلة وخصوبة أرضها.. ولأنها أرض منخفضة فالماء يجرى إليها ولذلك يسميه الفرس (تك آب).. وأما مساحتها فإنها من حد بيهق حتى سهل (رخ) بطول ١٦ فرسخ وعرض ١٤ فرسخ ومن خلاله كان يمتد الطريق فارس ـ كرمان ـ إلى قاهستان.(٢)

أما قسمها الثالث فيطلق عليه مازل: ويقع فى الشمال من نيسابور ولنفاسته وخصبه وامتلائه بالبساتين والأنهار وندرة شجره قال أهلها لعمرو بن الليث حينما هم بشراء محلة فيها إن كل شجرة من أشجارها تساوى عشرة دنانير وأنهم باعوها له كل واحدة بدينار.. وبمازل أربع محلات تقع كلهافى وسط البساتين والمتنزهات والأنهار ولارتفاع سطحها وطيب هوائها يتخذ منها أهل إيران مصيفا.. وتحتوى مازل على عدة قرى منها فرخك وأبك وبشتقان وهى على بعد فرسخ من نيسابور ويرتفع منها ريباس فائق، وقد أنشأ فيها عمرو بن الليث الصفارى بستانا مشهورا باسمه.

ويشتفروش هو رابع أقسامها: ويمتد مسيرة يوم إلى الشرق من باب جنك فى نيسابور و هو حافل بالمزارع المثمرة وطبقا لما قاله ياقوت فإنه كان يحوى مائة وستة وعشرين قرية ذات غلة كبيرة من المشمش الذى يحمل إلى سائر الأنحاء(٣)

---

(١) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٤٢٨ .
والمقدسى : أحسن التقاسيم : ص ٣١٦ .

(٢) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية . ت بشير فرنسيس ص ٤٢٨ .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٢٠ .

إضافة إلى امتلاكه أكبر مزارع للاعناب حتى أنه دخل فى يوم واحد من باب الجيق عشرة آلاف حمل عنب ويوجد فى موضعها الآن قرية ديزباد.(١)

سادسا: مصادر الخيرات فى نيسابور:

تعد مدن طوس وأبيورد ونسا بمثابة مخازن غلال وزروع لنيسابور و سأحدثك هنا عن اثنين منهما و هما طوس و أبيورد. وأما نسا فسأحدثك عنها باعتبارها موطنا للمحدث والعالم الإمام النسائى رحمة الله عليه. فأما طوس: فقد كانت حافلة بالمزارع يانعة الثمار إلى جانب وفرة فى معادنها وآبارها وقنواتها وأسواقها ورخص فى أسعارها وزيادة وحسن فى ثمارها. حتى وصفها المقدسى بقوله: خزانة جليلة واسعة قديمة، مدينتها الكبرى طبران عليها حصن شبهتها من بعيد بيثرب.(٢)

ومن مدنها كذلك: جرمو كان، تروغبز، سركو، ريكان، برنوخكان، جناور، استروقان، منابر، نوقان، جناوذ، سرك رايكانة وبروعته.. ثم أحدثك عن المخزن الثانى من مخازن نيسابور وهى أبيورد، ذات الأرض الخصبة والماء الجارى جامعها بسوقها ومدينتها، مهنة أو ميهنة ورباطها كوفن، وعليه حصن بأبواب أربعة فى زاويته رباط فيه المسجد الكبير ومن مدنه: بوزجان، قابن، خوست وزوزن، ولها قرى متفرقة وأجنادا كثيرة ونواحى بعيدة.(٣)

سابعا: رساتيق نيسابور:

تضم نيسابور اثنى عشر رستاقا على النحو التالى:

١- رستاق بشت: يعد واحداً من خزائن غلال خراسان الهامة لاعتدال هوائه وكثرة وتنوع خيره وعمارته، تجتمع فيه صنوف عديدة من الخيرات والفواكه والحبوب والأعناب والتين والزيتون وتحمل منه البواكير واسم مدينته طرثيث وهى مدينة جيدة وعامرة وبها جامع حسن نظيف، له سوق بنى جديدا إضافة

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم : ص ٣١٧ ـ ٣١٨ .
(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم : ص ٣١٩ .
(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم : ص ٣١٩ .

إلى ما حوله من الدكاكين ، وقد أضيف إليه مسجد آخر بنى من الآجر والجص جعل عند بابه حوض للماء مدور ينزل إليه بمراق حسن.[1]

٢- رستاق كويان : بلد واسعة كثيرة الخير ، عظيمة الثمار والحبوب والثياب ، أهلها أهل وأصحاب علم وحديث وأدب ولها مدينة " أززوار " آهلة بالسكان والخير الكثير.

٣- رستاق اسفرايين : أجل رستاق فى منطقة نيسابور مشهور بأنه بلد الأعناب الجيدة والأرزار الكثيرة الوفير ومدينته تحمل نفس إسمه عرفت بكثرة العمران والأسواق الحسنة أهلها أصحاب حديث وعلم . . وليس فى رساتيق نيسابور من يفضله فى خيره... .

٤- رستاق استوا : يقع على حدود نسا وهو رستاق كبير عرف بالخصب والنماء ووفرة الحبوب وكثرة الثوم ، وهو يقوم بأغلب ميرة نيسابور، يرتفع منه ثياب كثيرة واسم مدينته خوجان " وهى بلد صغيريقع خلف جبل بعيدة عن الطريق .

رستاق جاجرم : رغم صغره فإنه يضم سبعون قرية . وبه جامع حسن وبه مدينة محصنة تدعى بهذا الاسم .

رستاق اسفند : هو أقرب إلى القرية فى صغره وقلة ثماره تشقه جادة مرو .

رستاق باخرر : رستاق يتسم بصغره وله مدينة عامرة تسمى مالن ، يشتهر بكثرة حبوبه وجودة زبيبه وتنوع صادراته من الثياب .

رستاق خواف : له مدينة تسمى سلومك . وهو رستاق صغير كثير الرمان والزبيب .

رستاق زاوه : لم تذكر كتب البلدان مدينة له...

رستاق رخ: به مدينة تسمى تنفك وهو صغير.

رستاق زوزن : مدينة كبيرة على أربعين فرسخا من المصرى وهو دار عامرة كثيرة الحاكة وصناع اللبود.

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٨ .

إضافة إلى ما ذكرناه من مخازن ورساتيق فهناك ستة آلاف قرية مثل عمواس وتحوى مائة وعشرين منبرا .(١)

ثامنا : خانقاهات نيسابور :

للصوفية وأهلها ومريديها مكانة عالية فى نيسابور تفوق باقى مدن إيران ولذلك رأينا نيسابور عامرة بالخانقاهات يعلم فيها أئمة التصوف محبيهم ومريديهم تعاليم الدين والحديث والتفسير ورسوم الطريقة وأخلاق أئمتها ويعودونهم ويربونهم على تذكية النفس وسموها، وأقاموا لها أماكن مخصصة لأقامتهم وإعاشتهم.

ومن هذه الأماكن ذات الشهرة الواسعة فى نيسابور الخانقاه التى أقامها أبو سعيد بن أبى الخير والخانقاه التى أقامها أبو الفضل العميد الخشاب القشيرى و الأخرى التى أقامها على بن نصر الصدوقى و خانقاه غمشى و خانقاه الإمام أبى عبد الرحمن السلمى، ودويرة نصيبيه التى بناها الإمام سهل بن أحمد الأرغانى ودويرة الإمام القشيرى.

تاسعا : أسواق نيسابور :

تزدحم نيسابور بالأسواق الطويلة المكتظة بالدكاكين والتى تمتد من مربعة إلى أخرى وتقطعها متعامدة مع أسواق أخرى خارجة عن المدينة و حول هذه الأسواق وبجوارها أقيمت خانات وفنادق يقيم فيها التجار والموسرين من ذوى الهامات والقامات العالية والجيوب الممتلئة بالمال وتحتوى هذه الأسواق على أقسام متخصصة بصنوف البضائع ونزل القوافل المختلفة، وتستقل كل فئة من التجار بمنطقة خاصة بها، كما كانت بها أقسام أخرى مخصصة لصناع الأحذية والحزازين والمدادين حيث أعد لكل فئة مبنى مستقل خاص بها .(٢)

عاشرا : نزل القوافل فى نيسابور :

على مر التاريخ كان لنيسابور شهرة عريضة ودورهام فى الرواج التجارى الذى شهدته منطقة خراسان. ولذلك كان من الطبيعى أن تقام بها العديد من محطات

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٣١٩ ـ ٣٢١ .

(٢) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٤٢٥ .

القوافل والنزل.. وقد روعى أن تقام تلك المحطات بجوار الأماكن المخصصة للمهن والمخازن الخاصة بالصادرات والواردات..

وقد اشتهرت أسماء معينة لهذه النزل نذكر منها :

١- نزل سعيد الصباح. ٢ - نزل رخش. ٣- نزل ميكاليان. ٤- نزل بوى آباد فى محلة أبو مسلم المروزى نزل معركبه فى محله ملق آباد..(١)

أحد عشر : بوابات نيسابور القديمة:

تكثر البوابات وتتعدد أشكالها وأحجامها فى مبانى نيسابور فكان للمدينة أربعة أبواب هى :

١- باب القنطرة . ٢- باب سكة معقل. ٣- باب القلعة. ٤- باب قنطرة تكين. أما قلعة نيسابور: القهندز والتى كانت خارج المدينة فقد كان لها بابان.. ويحيط الربض بالمدينة والقلعة _ وكان للربض عدة أبواب. هى :

أ _ باب القباب : وقد أقيم فى غربها وذلك بعد اتساع المدينة ويخرج منه إلى العراق وجرجان.

ب- باب جنك : "الحرب" : ويوجد فى مواجهة بوابة القباب وكانت توجد فى مواجهة ولاية بشفتروش والتى كان قسم منها من أوقاف الاعتاب الرضوية المقدسة وكان يخرج منه إلى بلخ ومنطقة ماوراء النهر.. وكان يوجد فى الغرب حى قد مكاه وذلك على جانب الطريق الممهدة التى تصل نيسابور بمشهد..

جـ - باب أحوص آباذ : ويقع فى جنوب المدينة، وكان يخرج منه إلى فارس وقوهستان.

د _ باب سوخته وباب سرشيرين : وكانا مخصصين للخروج إلى نساوطوس. هذا إلى جانب بوابات أخرى عرفت بـ باب معبر وباب أبى الأسود و باب عروة وباب الدير و باب سخنان الرى وباب زكية وباب عسكر وباب عقيل وباب معاذ.. وقد ذكر الاصطخرى أن العدد الاجمالى لبوابات نيسابور كان تسعة عشر بوابة.(٢)

---

(١) عبد الحميد مولوى ، آثار باستانى خراسان ص ١٢١ ، جلد أول . تهران ١٣٥٤ ش .

(٢) سيد على مؤيد ثابتى ، تاريخ نيسابور ص ٤٠، تهران ٢٥٣٥ ش .

ثانى عشر: مياه وأنهار نيسابور :

يذكر الاصطخرى[1] أن مصادر مياه نيسابور كانت تأتى من القنى التى كانت تجرى أسفل مساكنهم وتظهر فى ضياعهم خارج البلد، كما كان قنى تظهر فى البلد وتجرى فى بساتينهم ودورهم داخل البلد وخارجها، وكان ينزل إليها بسراديب معدة لذلك، وبعضها ليس بصادق الحلاوة.[2] أما عن الأنهار : فقد كان لنيسابور نهر كبير يعرف بوادى سخاور وكان مصدراً لسقيا رساتيق كثيرة، حيث كان هناك قوام وحفظة إضافة إلى قنى أخرى حفرت فى عمق الأرض، وأخرى بينها وبين وجه الأرض مائة درجة أو يزيد أو ينقص.[3]

كما كان لنيسابور نهر آخر دائم الجريان بغير أفرع محلية.. وفى فصل الربيع كانت العيون تأخذ مياهها من جبل بينالود، بينما كانت القرى والقصبات- التى تقع فى مسيرتها كانت تأخذ مياهها من أنهار عديدة منها : نهر فاروب روان ونهر درود ونهر فرزدق ونهر شمس آباد ونهر بوز آباد ونيردباد..[4]

وفى نيسابور قنى أخرى تستمد ماءها من مراق عديدة تبلغ أحيانا سبعين يعتمدون عليها فى سقيا الضياع كما تدور فى المحلات مثل التى بالبحيرة وباب معمر وقناة شادياخ وقدة أبى عمرو الخفاف وزقق الدارين وسوار كلريز وجميعها تجرى على وجه الأرض إضافة إلى آبار حلوة فى بعض المواضع، ويوجد نهر على بعد فرسخ بقرية بوشتقان يدير سبعين رحى.[5]

وينبع من جبل نيسابور عدة أنهار تتدفق وتتحدر نحو فلاة نيسابور ـ وهى : ديزباد ودر رود آباد، خرسفرود وكورنيه وخروا بوزان، وتتدفق أنهار صيفية من الجهة الأخرى من الجبل وهى أكثر طولا وأوفر ماء ولها وديان مليئة بالخضرة كما تنحدر إلى فلاة طوس التى كانت تعد جزءا من نيسابور حتى القرن السابع الهجرى.[6]

---

(١) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ١٤٦.

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ص ٣٣١ .

(٣) ابن خردازبه :المسالك و الممالك . ص ٣١٣ مكتبة الثقافة الدينية .

(٤) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٤٦ .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٣٢٩ .

(٦) عبد الحميد مولوى : آثار باستان خراسان : جـ ١ ص ١٠٧ - تهران ، ١٣٥٤ ش .

ويذكر القزوينى أن نهر شورة رود " النهر المالح " كان من أكبر أنهار نيسابور، وإنه كانت تلتقى فيه مياه النهر الآتى من دزباد بعد أن يسقى رساتيق كثيرة فى المفازة، كما ذكر أنهاراً أخرى منها نهر بشتقان ومخرجه من جهة جشمة سبز، ونهر بشت فروش، ويفيض كلاهما فى فصل الربيع ويلتقى مع نهر شوره رود.(١)

ويذكر المقدسى نهرا آخر باسم " عطش باد " أى : نهر العطش تكثر مياهه فى فصل الربيع بحيث تكون كافية لإدارة عشرين رحى فى مدى عشرين فرسخا من مجراه.. لكنه وعلى مدار الفصول الأخرى من السنة يتبخر رصيده من الماء حتى أنه لا يكفى لرى عطش الإنسان. ولذلك سمى بالمشئوم(٢) إضافة إلى مصادر المياه التى ذكرناها هناك (٦٢٣ قناة) تمد نيسابور بفيض وافر من المياه يصل إلى (١٨٥٢٩٩ متر مكعب) إلى جانب (٣٣٦ حلقة) من الآبار العميقة.(٣)

هذا.. وآخر حديثنا عن جغرافية نيسابور يدور حول جبالها.. وقد ذكر جغرافيو العرب والفرس أنه يوجد بنيسابور سلسلة من الجبال الممتدة من الصين فى اتجاه الغرب من ساحل المحيط الأطلسى على النحو التالى :

أ- الجزء الواقع شمال نيسابور الفاصل بين صحراء طوس وسهل نيسابور يسمى جبل نيسابور أو جبل بينالود حيث تقع نيسابور عند السفح الجنوبى منه وتكسو الثلوج قممه صيفا ويتسم الجبل بقدر من الاغناءات والارتفاعات خاصة فى المناطق القريبة من العمران فى المدينة، لذلك فإن الوقت فيها أطول نسبيا بالقياس إلى سائر مدن إيران لذلك يقال فى تعريفها :" الصباح نيسابور والمساء بغداد ".

ب - هذا ويوجد فى نيسابور جبال أخرى نذكر منها: بى هيم. برفاله كش، جازاندار، زهان، سرآخور، قزل، قوج، خوار، كتل كرماب، لزكى، ما هرخ، معدن، هفت برادر، يولقوم.(٤)

---

(١) حمد لله مستوفى : آثار البلاد وأخبار العباد صـ ١٨٥ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم . ص ٣١٦ إلى ص ٣١٧ .

(٣) ربيع بديعى : جغرافياى مفصل إيران : مجلد أول ص ١٩٠ ـــ ١٩٥ ، جاب إقبال ، بهار ١٣٦٧ ش .

(٤) عبد الحميد مولوى : آثار باستانى خراسان : ص ١٠٧ .

ثالث عشر : أرض نيسابور :

الخصب والنماء سمتان أساسيتان لأراضى نيسابور،ولهذا اشتهرت نيسابور منذ أقدم عصورها بزراعة الحبوب والغلال والخضروات والفواكه التى اشتهر منها التفاح والسفرجل ـ كما تشتهر بساتينها بزراعة التين والكمأة والرواند ونبات الريباس أو " الريواس ". (١)

ويصفه يا قوت بقوله : ليس فى الدنيا مثلة تكون الواحدة منه منأ أو أكثر، وقد وزنوا واحدة فكانت خمسة أرطال بالوافى، وهى بيضاء صادقة البياض كأنه الطلع(٢) ويذكر ابن حوقل أنه بلغ من قيمة نبات الريواس أن كتب أحد القادة إلى الخليفة فى عهده قائلا : ماذا أكتب لك عن نيسابور وعلفها هو الريواس.(٣)

رابع عشر : مصادر الثروة فى نيسابور :

كثيرة ومتنوعة وأهمها الصناعات القطنية والحريرية إذ تعد نيسابور واحدة من أكبر مراكز صناعة القطن والحرير وتصدر منها فاخر الثياب وخاصة الثياب البيضاء والعمائم الشاهجهانية وثياب الشعرُ والقز.

ويصف ابن حوقل ذلك قائلا : إن أقيم الملابس القطنية والحريرية تأتى من نيسابور.. وأقوى أهل خراسان وأغناهم هم النيسابوريين(٤) وحينما زار ابن بطوطة نيسابور أعجب بصناعة النسيج فيها وخاصة الحرير وقال فى ذلك : إنه ينسج فى نيسابور قطع الحرير مثل النخ " قطع حريرية "وكمى وغيره، وتنقل إلى الهند من أجل الفرش والبيرم "وهى قطع تنسج من القطن ليس لها نظير فى الجمال، قيمة كل قطعة منها مائة دينار".(٥)

وهناك صناعة أخرى اشتهرت بها نيسابور وهى صناعة الفخار حتى أنهم ذكروا أنه كان له شخصية وسمات مستقلة، فالأطباق مزينة ومصقولة والسلاطين

---

(١) يعتبر الريواس نوعاً من الدواء المسهل ، وقد جاء به السغديون إلى منطقة خراسان ولهذا سميت منطقة ريواند وجبالها باسم هذا النبات . ويستعمل فى مصر تحت اسم الراوند كدواء يصلح المعدة .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان : جـ ٥ : ص٣٣١ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣١٤ طبع ليدن ١٩٦٧م.

(٤) ابن خرداذبه : المسالك والممالك : ص ٣٢٥ .

(٥) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة : ص ٤٠٢ .

مزخرفة برسوم متنوعة على أرضية بيضاء مصقولة _ وقد تطورت هذه الصناعة تطورا كبيرا فى العصور اللاحقة.[1]

وللمعادن نصيب من الصناعة فى نيسابور، إذا يرفع منها الحديد وما يستخرج منه وما يصنع منه من الإبر إلى الستاكين..[2]

ثم نختتم حديثنا عن مصادر الثروة فى نيسابور بالحديث عن معادنها وفى مقدمتها الأحجار النفيسة وخاصة الفيروز الأزرق الذى يستخرج من رستاق ريواند وهو الأفضل والأكثر طلبا.. وله أنواع متعددة نذكر منها :

أ- أبو اسحاق : وهو فيروز لونه غاية فى الشفافية.

ب- الفيروز الأزهرى ..

جـ - السليمانى - الزرهونى _ الخافى.

هـ - عبد المجيدى. و- العندليبى.

هذا إضافة إلى إحتواء جبالها على معادن كثيرة منها الحديد والنحاس والقصدير والأملاح والياقوت وحجر الفيروز..

ويقول ابن حوقل : وذكر لى غير إنسان أن فيها معادن الذهب غير أنها تقصر على الموزة، ورأيت فيها غير قطعة بلور غير صافية وبها أيضا معادن الحديد. [3]

خامس عشر : الفتح العربى لنيسابور :

جاء فى تاريخ الطبرى[4] ما نصه " فلما استخلف عثمان بن عفان وَلّىَّ عبد الله بن عامر بن كريز البصرة فى سنة ثمان و عشرين، و يقال فى سنة تسع و عشرين و هو ابن خمسة و عشرين سنة فافتتح من أرض فارس ما أفتتح ثم غزا خراسان فى سنة ثلاثين واستخلف على البصرة زياد بن أبى سفيان ثم يقول:

وبعث ابن عامر يزيد الجرشى أبا سالم بن يزيد إلى رستاق زام - من نيسابور - ففتحه عنوة، وفتح باخرز _ من نيسابور، كما وجه الأسود بن كلثوم العدوى إلى بيهق - وهو رستاق من نهسابور- وبعد قتله - قام بأمر الناس بعده أدهم بن كلثوم

(١) دونلد ولبر : إيران ماضيها وحاضرها : ت : عبد النعيم حسنين : ص ٥٨ . القاهرة ١٩٥٨ م .
(٢) ابن حوقل: صورة الأرض : ص ٣١٣ .
(٣) ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٣١٤ .
(٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك جـ ١ ص ٣٩٠ .

فظفر وفتح بيهق وفتح ابن عامر - بست - من نيسابور - ثم أتى أبر شهر - وهى مدينة نيسابور - فحاصر أهلها شهرا _ وكان على كل ربع منها رجل موكل به وطالب صاحب ربع من تلك الأرباع الأمان على أن يدخل المسلمين المدينة فاعطيه وأدخلهم إياها ليلا، ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها فى القهندز ومعه جماعة فطلبوا الأمان على أن يصالحه من جميع نيسابور على وظيفة يؤديها، فصالحه على ألف ألف درهم ويقال سبعمائة ألف درهم، وحين فتح نيسابور ولى عليها قيس بن الهيثم السلمى، ووجه عبد الله بن عامر عبد الله بن حازم السلمى إلى حمراتدز _ وهو رستاق من نسا _ ففتحه، وأتاه صاحب نسا فصالحه على ثلاثمائة ألف درهم ويقال على احتمال الأرض من الخراج على أن لا يقتل أحداً ولا يسبيه.(١)

ومن يقرأ تاريخ اليعقوبى يراه يذهب مذهباً آخر مخالف لما قرأناه فى تاريخ الطبرى وابن الأثيرو البلاذرى.. ومن ذلك قوله : إنها أى نيسابور _ فتحت عنوة، وذلك حين أرسل حاكم خراسان المجوسى إلى عبد الله بن عامر ليحضر إلى نيسابور ولما وصل إليها قام حاكمها المجوسى " برزا نشاد" بقتال العرب، وظل القتال مستعرا بينهما مدة شهر ولما حل فصل الشتاء ببرودته الشديدة، إضطر جيش عبد الله بن عامر للالتفاف حول نيسابور، ونزلوا فى ازغند لإعتدال جوها، وبعد مرور عدة أشهر عاد جيش المسلمين إلى مهاجمة نيسابور بقيادة عبد الله بن خازن، ولحقت الهزيمة بجيش المجوسى برزا نشاه، مما حمل كنازنك حاكم نيسابور إلى التصالح مع المسلمين على أن يدفع لهم خراج سبعمائة ألف درهم وجاء عبد الله بن عامر إلى نيسابور وبنى بها مسجداً وقصراً لنفسه فى منطقة شاه نبير.(٢)

ولما سافر عبد الله بن عامر إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج أسند ولايتها إلى قيس بن الهيثم، مما شجع قارون حاكم قومس وجرجان على الهجوم على نيسابور واحتلالها، لكن عبد الله بن خازن تصدى له وهزمه وقتله وتولى حكم نيسابور بتفويض من الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه.(٣)

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٣٨١ .
(٢) أحمد بن واضح اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : جـ ٢ ص ١٦٦ .
(٣) الكرديزى : زين الأخبار : ص ١٦٦ . ت :د / عفاف زيدان .

وفى عهد الخليفة العباسى أبو منصور هبت نيسابور لطلب الثأر فى مقتل أبى مسلم الخرسانى بتدبير من المنصور، فقد كانت نيسابور قاعدة ومركزاً لحكم ابى مسلم، حيث كان يقضى أغلب أيام ولايته على خراسان فى نيسابور وكان سنباذ أحد قادة أبى مسلم على رأس تلك الثورة وكان سنباذ من قرية أهرواهنه التابعة لنيسابور وقد ناصره عدد من رفاق أبى مسلم إثر عودتهم من المدائن واستطاعوا معا الاستيلاء على الرى وقومس حتى تمت لهم السيطرة على منطقة خراسان، إلى أن بعث إليهم المنصور بجيش قاده جهور بن مرار، والتحم الجيشان فى قتال ضار على حدود الرى وخسر أتباع أبو مسلم عدداً كبيراً من جنودهم.[١] هذا. وقد أسند الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك حكم خراسان إلى خالد بن عبد الله القسرى، فما كان منه إلا أن ولى أخيه أسد بن عبد الله على خراسان وظل حاكما لها مدة أربعة أعوام اعتبارا من سنة (١١٦هـ)، وبنى بها قرية أسد آباد، وظل حكمها لأبنائه من بعده حتى عهد عبد الله بن طاهر[٢] الذى اشترى القرية وأوقفها على أبناء السبيل.[٣]

وقد ظلت نيسابور خاضعة لحكم الطاهريين بداية من جلوس عبد الله بن طاهرعلى سدة الحكم بها (عام٢١٥هـ)حتى دخول يعقوب بن الليث بجيشه إليها (عام٢٥٩هـ) واستيلائه عليها منهيا عهد الدولة الطاهرية بها.. ثم خضعت نيسابور لحكم السامانيين [٤] الذين قضوا على حكم الصفاريين وخضعت مناطق خراسان لحكمهم اعتبارا من عام (٢٨٩هـ).. واستمر الأمر لهم إلى أن قضى

---

(١) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ : جـ ٥ ص ٤٨١ أحداث عام ١٣٧ .

(٢) يعود أصل الطاهرين إلى الفرس وكان " بازان " أول من أسلم منهم ، ثم أتصلوا بالدعوة العابسية فى بداية نشأتها ، وقام الطاهريين الحسين بخدمه المأمون ، واستغل نزاعه مع أخيه الأمين على كرسى الخلافة وناصره وقتل الأمين ، فلما استقر له الأمر ولاه على خراسان ، فقويت شوكته وعلا شأنه واستقل بحكمها هو وأولاده من بعده لكنهم ظلوا تابعين لراية الخلافة العباسية .

(٣) الكرديزى : زين الأخبار : ص ٧٨٦ .

(٤) يرجع نسبهم إلى بهرام جوبين ، الذى كان مرزبانا لخسروبرويز (٥٩٠هـ ــ ٦٢٧ م) على إقليم آذربيجان . ثم أسلم جدهم سامان خدا زمن خلافة الخليفة هشام بنْ عبدالملك و سطع نجمه و شارك فى الدعوة للدولة العباسية الفتية و استمر آل سامان فى خدمة العباسيين وكونوا دولتهم التى دانت بالولاء للعباسيين . وكانت دولتهم أول دولة تحمل طابعا فارسيا . . وكانت مهدا للأدب الفارسى الإسلامى . . إلى أن استطاع السلطان محمود الغزنوى أن يغلبهم على أمرهم وينهى حكم السامانيين ويقيم دولة الغزنويين . ويتخذ شقيقه أبو المظفر نصر من نيسابور عاصمة لحكمه . منهيا بذلك أمر السامانيين حوالى سنة(٣٩١هـ - ١٠٠٠م).

عليهم محمود الغزنوى قضاء مبرماً عام (٣٩١هـ/ ١٠٠٠م) واتخذ شقيقه أبو المظفر نصرمن " نيسابور " عاصمة لحكمه.. واستمر حكمه لها تسع سنوات وبنى فيها المدرسه الصاعدية وأوقف عليها الأوقاف وكانت فترة حكم السلطان محمود[١] وأخيه نصر الدين عاملا هاما فى رقى المدينة وعظمتها وعلو شأنها على سائر مدن خراسان. فقد شهدت عمرانا واسعا حتى يمكن القول أن العهد الغزنوى للمدينة كان أفضل العهود إجتماعياً وسياسياً وعلمياً وكان ذلك راجعا للاستقرار والأمن والأمان الذى نعمت بهم المدينة.

سادس عشر : العلم والعلماء فى نيسابور :

يرى كثير من المؤرخين للدويلات والدول الإسلامية المتعاقبة فى بلاد ما وراء النهر وما جاورها وفى إيران أن نيسابور كانت واحدة من أكبر مراكز العلم فى خراسان فى القرنين الرابع والخامس الهجريين، وكان لتأسيس المدارس ـ بمختلف أنواعها ورسالاتها أثره البالغ فى ازدهار هذه النهضة ورقيها. ومن هذه المدارس التى ذكرها شوقى ضيف فى كتابه " عصر الدول والإمارات[٢] مدرسة أبى حفص الفقيه، وكان يقوم بالتدريس فيها ابن شاهويه سنة ٣٦١هـ) كما بنيت فيها مدرسة للمحدث الكبير (ابن فورك (سنة ٤٠٦هـ) ومدرسة أخرى سميت بـ (دار السنة).[٣]

ومع حلول القرن الخامس الهجرى كثربناء المدارس فى نيسابور إذ بنيت بها مدرسة لأبى عثمان الصابونى شيخ الإسلام (ت ٤٤٩ هـ)[٤] وبنيت بها مدارس أخرى نذكر منها : المدرسة البيهقية ومدرسة الأستراباذى (ت ٤٤٠هـ) والمدرسة

---

(١) تولى محمود الغزنوى العرش بعد أبيه (سبكتكن) فى (سنة ٩٩٨م ـ ٣٨٨هـ)وأرتفعت الدولة الغزنوية إلى الأوج بفضل همة محمود وحسن قيادته ويرجع أصلها إلى (سنة ٩٦٢م ـ ٣٥١هـ) حينما أسسها عبد تركى إسمه " البتكين " من عبيد السامانيين فى غزنة فى وسط الهضاب الأفغانية العالية ، ويعتبر تولى سبكتكن ـ والد محمود ـ الحكم الميلاد الحقيقى لهذه الدولة ـ كما قام محمود بأعمال عظيمة ، فقد أستطاع أن يغلب السامانيين على أمرهم وأن يغزو الهند فى معارك استمرت من(٣٩٢هـ إلى ٤١٥هـ / ١٠٠١م ـ ١٠٢٤ (وتوفى(٤٢١هـ / ١٠٣٠م).

(٢) د / شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات : دار المعارف : ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ .

(٣) تاج الدين السبكى : طبقات الشافعية : جـ ٤ : ص ١٢٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٩٠ .

الصاعدية التى بناها الأمير نصر بن سبكتكين كما بنيت مدرسة لأبى اسحق الأسفرايينى.

وكانت أشهر المدارس التى أقيمت فى نيسابور فى تلك الفترة هى المدرسة النظامية التى أقامها نظام الملك (سنة ٤٥٧هـ).

وقد ألحق بها نظام الملك مكتبة عامرة بعشرات الكتب فى مختلف المعارف والفنون وأوقف عليها الأوقاف.. واختار لها أشهر العلماء للتدريس فيها، فأقبل عليها طلبة العلم من أرجاء المعمورة، كما أقام ابن حبان البستى - عالم الحديث المشهور- والذى سيرد الحديث عنه فى الباب الأخير من هذا الكتاب - أقام خزانة كتب ومساكن للطلاب الغرباء وأجرى عليهم الرواتب(١).. وكان يقوم بالتدريس فى النظامية علماء أجلاء منهم إمام الحرمين الأمام الجوينى الذى كان رئيسالها وحجة الإسلام الإمام الغزالى و الإمام أبو منصور محى الدين محمد بن يحى وكان من كبار أئمة خراسان... وكان هناك مدارس أخرى فى نيسابور مثل المدرسة السلطانية ومدرسة السمعانى ومدرسة الجامع القديم ومدرسة أبو على الدقاق وتنسب إلى العالم الصوفى أبو على الدقاق والذى دفن فى نفس المدرسة (عام ٤٣٥هـ)، ومدرسة الصيفى عند باب الجامع القديم وتنسب إلى أحمد بن محمد بن عبد الله وكان من كبار فقهاء أصحاب الشافعى، كان قد بناها لأهل العلم بالقرب من منزله وأوقف عليها أمواله وتوفى (٤٢٩هـ).

سابع عشر : مساجد نيسابور :

للمساجد فى الدول الإسلامية دور هام فى نشر علوم الدين وعلوم الفقه والحديث والشريعة حيث كانت إلى جانب إقامة الصلوات المفروضة بمثابة مدارس للعلم والمعرفة. وقد بنى عبد الله بن عامر ابن خال الخليفة الزاهد عثمان بن عفان رضى الله عنهما أول مسجد فى نيسابور و ذلك بعد فتح المدينة سنة (٣٢هـ) و قد أقيم المسجد فوق أرض داخل قهندز كانت مخصصة كبيت للنار ولما تولى يزيد ابن المهلب حكم نيسابور شيد منارة للمسجد.. كما قام أبو مسلم المروزى ببناء المسجد الجامع الكبير ومقصورة كبيرة له على مساحة ثلاثين فدانا

(١) د / شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات : ص٥٢٥ .

ولهذا بلغت عمدانه ألف عمود ويسع ما يقارب من ستين ألف مصل، وقد ألحق بالمسجد مبنى أقيم على اثنتى عشر عمود وقواعده على ستة أعمدة منها من حجر المرمر وعمودان آخران يرتكزان على قاعدتين من أخشاب جلبت من شاطئ دجلة بالعراق.أما الأعمدة الأربعة الأخرى فقد بنيت من الآجر و الطوب الأحمر والجص، وكان له قبة مذهبه بلغ وزن الذهب المستخدم فى إقامتها ما يعادل (٢٠ ألف) ألف مثقال..

هذا وبالإضافة إلى المسجد الجامع فهناك فى نيسابور مساجد أخرى عديدة نذكر منها: مسجد المطرز الذى ينسب إلى محمد بن يحيى بن سهل النيسابورى ومسجد الصرافين المعروف بمسجد إصفهانى ومسجد معروف فى محلة رنجاد ومسجد الجامع من آثار عمرو بن الليث الصفارى ومسجد عقيل الواقع فى عطفة حرب والذى ينسب إلى عقيل بن خويلد النيسابورى والمسجد الحاكم وينسب إلى أبى عبد الله الحاكم صاحب تاريخ نيسابور.. هذا ويبلغ عدد الجوامع والمساجد فى نيسابور مايربو على خمس وعشرين مسجدا.

ثامن عشر: المكتبات فى نيسابور:

يذكر لنا حافظ أبرو فى تاريخه " أن نيسابور كانت تضم حوالى ثلاثة عشر إلى أربعة عشر مكتبة عامة يتردد عليها أهل نيسابور إضافة إلى ما كانت تحرص عليه المساجد ودورالعبادة من تزويد رواقها بالمكتبات والكتب وكذلك مدارس نيسابور.. هذا إلى جانب المكتبات الخاصة.

ومن بين مكتبات نيسابور الشهيرة " مكتبة مدرسة متبعى ومكتبة مسجد منيعى ودار كتب مسجد عقيل. ومن بين كتبها كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى والمؤلف فى عام (٣٩٤هـ)، وتفسير القرآن الكريم الذى وضع بأمر من خلف بن أحمد حاكم سيستان وعلى نفقته وكان فى حدود مائة مجلد، وأنفق فى إعداده عشرون ألف دينار ذهبا. ثم نقل بعد ذلك إلى مدرسة الصابونى. وما تزال هذه النسخة الفريدة موجودة فى إصفهان. وقد خربت معظم المكتبات بفعل غارات الغز التركمان سنة (٥٤٨هـ) وغارات المغول المدمرة عام (٦١٨هـ).(١)

(١) عبد الحميد مولوى: آثار باستانى خراسان: جـ ١ ــ ص ١٨٠- ١٨١ تهران ١٣٥٤ ش.

تاسع عشر : آثار نيسابور :

وهى عديدة. منها الآثار الباقية من العهد الساسانى والذى خلد فيه ملوكهم انتصاراتهم على الزمان منها النقش الكبير الذى خلد فيه سابور انتصاره على الأمبراطور الرومانى فاليرين ويرى فيه سابور وهو يهب الحياة فى جلال وعظمة _ لخصمه الإمبراطور المغلوب وقد صورت انتصارات ملوك إيران على نقشين كبيرين فى جوانب من صخور مدينة سابور _ وهناك نقش آخر يظهر فيه بهرام الأول يتلقى تتويجه من يد الإله " أهورا مزدا ".. يضاف إلى ما سبق ففى نيسابور الكثير من الآثار ذات الطابع الإسلامى بهلوان وتتجلى فى مساجدها العظمة وخاصة مسجدها الجامع والذى بنى (سنة ٨٩٩هـ) والذى أقامه على الكرخى ومدفنه فى الزاوية الشمالية الشرقية من المسجد وما يزال قائما فى موضعه.

إضافة إلى المزارات الثلاث لفريد الدين العطار وعمر الخيام والرسام كمال الملك، وهى من آثار التيموريين والصفويين[١] إضافة إلى روضة إمام زاده محمد المحروق وتوجد فى محله تلا كرد فى مدينة نيسابور القديمة، والمزار وملحقاته مبنى داخل حديقة ذات مساحة كبيرة وقد خربت بفعل غارات الغز ثم أعيد بناؤها فى عهد الشاه "سليمان الصفوى ".[٢]

عشرون : العلم والعلماء فى نيسابور :

كانت نيسابور معقلا للعلم والعلماء والفضلاء فى شتى فروع العلوم والمعارف والآداب والفنون. ولذلك فقد تبوأت مكانة عالية بين مختلف بلاد العالم.. وطبقا للاحصائيات العلمية عن علماء نيسابور فقد ذكر أنها خرجت ما يقرب من (٢٦٨٥ عالما) كان من بينهم (١٧٨٩) عالما من أهل نيسابور والقرى والبلدان المحيطة بها، أما من أتى من خارجها فقد بلغ عددهم (٨٩٦) عالما.[٣]

وسنكتفى هنا بعرض جوانب من حياة علماء الحديث فنذكر منهم ما يلى : -

*إسحاق بن منصور بن بهرام النيسابورى (أبو يعقوب) (ت ٢٥١هـ)[٤]:

(١) حسن روملو : أحسن التواريخ : ص ٥ . طبع طهران .

(٢) عبد الحميد مولوى : آثار باستانى خراسان : ص ١٣٤ _ ١٣٥ .

(٣) عبد الحميد مولوى : آثار باستانى خراسان ص ١٣٧ .

(٤) معجم المؤلفين جـ٢ ، ص ٢٣٩ .

من أهل مرو وسكن نيسابور.

من مؤلفاته : له مسند يروى عنه.

- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١هـ)(١):

ولد سنة (٢٠٢هـ أو ٢٠٦هـ)، وتوفى فى مدينة نصر آباد من قرى نيسابور.

مؤلفاته : صحيح مسلم : يكاد يضاهى صحيح البخارى فى كثرة مخطوطاته. (وسيرد الحديث عنه تفصيلا فى الباب الأخير من كتابنا).

- الحسين بن على بن يزيد بن داود بن يزيد النيسابورى الصايغ (أبو على) (ت٣٤٩هـ)(٢):

محدث حافظ، كان مقدما فى مذاكرة الأئمة، كثير التصنيف رحل فى طلب الحديث إلى الآفاق وسمع لدمشق وحدث فى بغداد وتوفى بنيسابور.

- الحسين الماسرجسى : الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عيسى بن ماسجرس النيسابورى (أبو على) (ت ٣٦٥هـ)(٣):

محدث، حافظ جوال، فقيه، أطال المكث بمصر، وكتب الفقه والحديث بها، وخرج على الصحيحين مستخرجا، وعمل المسند الكبير فى ألف وثلاثمائة جزء. وصنف المغازى والقبائل والمشايخ والأبواب، وجمع حديث الزهرى.

- ابن البيع، محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابورى (٤٠٤هـ)(٤):

ولد فى نيسابور يوم ٣ من ربيع الأول سنة (٣٢١ هـ). قدم إلى العراق سنة (٣٤١هـ) ورجع إلى وطنه (٣٥٩هـ). فتولى القضاء بنيسابور، ولكنه إعتزل منصبه ليتفرغ للعلم والتصنيف. وتقلد بعد ذلك قضاء جرجان.

يقول إبن خلدون فى الحاكم النيسابورى ومصنفاته : " وقد ألف الناس فى علوم الحديث وأكثروا، ومن فحول علمائه وأئمتهم أبو عبد الله الحاكم وتآليفه فيه مشهورة، وهو الذى هذبه وأظهر محاسنه.(٥)

---

(١) ريحانة الأدب : جـ ٥ ص ٢٢١ .

(٢) معجم المؤلفين جـ ٣ ص ٣٨ . - الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد دار الكتاب العربى ، بيروت ، جـ ٨ ص ٧١.

(٣) معجم المؤلفين جـ ٣ ص ٤٥ . - إبن كثير : البداية والنهاية فى التاريخ مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٩م ، جـ ١١ ص ٢٨٣ .

(٤) إبن كثير جـ ١١ ، ص ٢١٥ ـ ٢١٧ .

(٥) عبد الرحمن إبن خلدون . المقدمة ، دار الكتب العالمية ، بيروت جـ ١ ، ١٩٩٣م ، ص ٤١٩ .

من مؤلفاته :

١- كتاب المستدرك على الصحيحين : وفيه يدافع الحاكم عن كثير من الأحاديث التى لم يدخلها البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

٢- المدخل إلى معرفة الصحيح والسقيم من الأخبار المروية أو المدخل إلى الإكليل.

٣- معرفة أصول علوم الحديث.

٤- تاريخ نيسابور.

٥- تسمية مِن أخرجهم البخارى ومسلم.

- **عمر العبدوى** : عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدوى بن سدوس بن على بن عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود الهذلى المسعودى العبدوى النيسابورى (أبو حازم) (ت ٤١٧هـ)[١]:

محدث، حافظ، جمع وَخَرَّجَ وَتَمَّيزَ فى علم الحديث.

- **إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عامر النيسابورى الصابونى (أبو عثمان) (ت ٤٤٩هـ)[٢]:**

ولد سنة (٣٧٣هـ) بنيسابور لرجل من الوعاظ وتلقى العلم فى بلده ومات بالطاعون فى رابع شهر محرم سنة (٤٤٩هـ)، فقيه ومحدث، مفسر خطيب، واعظ، سمع بنيسابور وهراة وسرخس والحجاز والشام، وحدث بخراسان والهند وجرجان والشام والحجاز والقدس. توفى فى نيسابور.

من مؤلفاته :

١- ذم الكلام

٢- الفاروق فى الصفات.

٣- كتاب الأربعين فى الحديث.

٤- منازل السائرين فى التصوف.

---

(١) معجم المؤلفين جـ ٤ ص ٢٧٢ - الذهبى سير أعلام النبلاء جـ ١١ ص ٧٤ _ ٧٥ .

(٢) معجم المؤلفين جـ ٢ ص ٢٧٥ .

- الذهبى سير أعلام النبلاء جـ ١ ، ص ١٥٨ .

- السبكى جـ ٣ ، ص ١١٧ .

- كشف الظنون ص ٥٣ .

- بروكلمان ص ٢٢٨ جـ ٦ .

٥- الفصول فى الأصول.

٦- كتاب المائتين : وهو عبارة عن مائة حديث مختارة ومائة حكاية.

- **أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن موسى البيهقى الخسروجردى (٤٥٨هـ)[١]:**

ولد فى شعبان سنة (٣٨٤هـ)، فى خسروجرد قرب نيسابور، وأخلص نفسه لدراسة الحديث، وقام بتعليم الحديث بنيسابور.

مؤلفاته :

١- كتاب السنن والآثار (كتاب السنن الكبرى) : وهى مجموعة من الأحاديث فى عشرة مجلدات.

٢- كتاب السنن الصغرى. ٣- كتاب دلائل النبوة.

٤- كتاب البعث والنشور عن يوم القيامة.

٥- الجامع المصنف فى شعب الإمام.

٦- كتاب الأدب.

٧- كتاب تخريج أحاديث الأم.

٨- كتا فضائل الأوقات.

٩- كتاب نصوص كتاب الإمام الشافعى فى عشرة مجلدات.

- **عبد الرحمن بن عبد الكريم هوزان القشيرى (أبو منصور) إبن الإمام زين الإسلام (ت ٤٨١هـ)[٢]:**

حفيد أبى على الدقاق، إنتقل بين البلاد للإستماع إلى الحديث، جاور فى مكة، ومات ودفن فيها.

*عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين الخزاعى النيسابورى (ت ٥١٠هـ)[٣]:

من مؤلفاته :

١- الأمالى. ٢- سفينة النجاة فى مناقب أهل البيت.

٣- العلويات والرضويات. ٤- العيون والأخبار.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٩ ــ ٢٣٢ .

(٢) ثابتى ص ٢٦٣ .

(٣) معجم المؤلفين جـ ٥ ، ص ١١٧ .

- البغدادى : هدية العارفين جـ ١ ص ٥١٨ .

- عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد عبد الغافر بن محمد عبد الغافر بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الفارسى ثم النيسابورى (ت ٥٢٩هـ)(١):

ولد فى ربيع الآخر سنة (٤٥١هـ) بنيسابور شافعى، محدث حافظ، مؤرخ لغوى، أديب، فقيه، تلقى العلم بالمدرسة النظامية بنيسابور، ولد وتوفى بنيسابور.

من مؤلفاته :

١- مجمع الغرائب فى غريب الحديث ٢- المفهم فى غريب صحيح مسلم.

٣- السياق فى ذيل تاريخ نيسابور : وهو تقليد وتكملة لكتاب تاريخ نيسابور للحاكم النيسابورى.

٤- كتاب الأربعين : وهو عبارة عن مجموعة من أربعين حديثا.

- زاهر بن طاهر بن محمد النيسابورى الشحامى (أبو القاسم محدث (ت ٥٣٣هـ)(٢):

من أشهر مؤلفاته :

١- تحفة عيد الفطر.

٢- السداسيات والخماسيات من مروياته فى الحديث.

٣- الأحاديث الإلهية : وهو عبارة عن أحاديث مع أسانيد دقيقة فى تسعة أجزاء.

- عبد المنعم بن عبد الله بن محمد الفضل بن أحمد الفراوى الصاعدى النيسابورى (الشافعى) (أبو المعالى) (ت ٥٨٧هـ)(٣):

محدث مسند خراسان مؤلفاته : الأربعون حديثا.

---

(١) معجم المؤلفين جـ ٥ ص ٢٦٧ .
- الذهبى سير النبلاء جـ ١٢ ص ١٤٨ _ ١٤٩ .
- كشف الظنون ص ٣٠٨ ، ٥٥٨ ، ١٠١١ ، ١٦٠٢ .
- بروكلمان جـ ٦ ص ٢٤٥ .

(٢) معجم المؤلفين جـ ٤ ص ١٧٩ .
- بروكلمان جـ ٣ ص ٢٤٥ _ ٢٤٦ .

(٣) معجم المؤلفين جـ ٦ ص ١٩٤ .
- الذهبى سير النبلاء ص ١٣ : ١٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٢١٧ _ ٢١٨ .

- أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك الأنصارى الإصبهانى[٤]:

قدم إلى بغداد فى طلب العلم ثم ارتحل إلى الرى، ثم إلى نيسابور، فاستوطنها معلما للأدب، والفلسفة، وخطيبا، ومؤلفا.

مؤلفاته :

١- كتاب الحدود فى الأصول : وهو تعريفات لأسس الفقه الحنفى.

٢- بيان مشكل الحديث ورد على الملحدة والمعطلة والمبتدعة من الجهيمية والجسمية والمعتزلة.

٣- تأويل مشكل الحديث ورد على الملحد.

٤- كتاب أسماء الرجال.

٥- النظامى فى أصول الدين والرد على النظاكية وغيرها من الفرق.

٦- وله رسالة فى علم التوحيد فى مكتبة شيخ الإسلام.

٧- وكتابه طبقات المتكلمين.

- محمد بن على بن محمد بن حسنى النيسابورى الخبازى (أبو عبد الله)[١]:

مقرئ، روى عن أبيه القراءات وتصدر للقراء، وصنف التصانيف وحدث عن أبى محمد الخلدى وطبقته، وروى عنه الفرواى.

---

(١) معجم المؤلفين جـ ٣ ، ص ٥٣٨ .

سادساً:
مدينة «قزوين»

أولا : موقع قزوين :

تقع قزوين ـ المدينة الإيرانية المشهورة على أطراف سلسلة جبال البرز شمالى غرب طهران، وتفصل بينها وبين طهران مائة وثلاثون كيلومترا وبينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخا وبينها وبين أبهر اثنا عشر فرسخا وأما المسافة بينها وبين الرشت فهى(١٨٧ ألف زراع).. وبينها وبين زنجان (١٧٤ ألف زراع) وبينها وبين همدان (٢٢٩ ألف ذراع).

وقد اكتسبت قزوين موقعا فريدا وأهمية كبيرة لكون موقعها ملتقى لمفترق عدة طرق فهى تربط طهران ببحر قزوين وآذربيجان وكردستان وكرما نشاه وغيرها من المناطق الجنوبية... هذا ويبلغ عدد سكانها " سبعون ألف نسمة "(١).

أما عن سطح المدينة فهو يحوى جزئين أحدهما جبلى والآخر هضبة مستوية مرتفعة تستقر على أول الطرق الهامة فى شمال إيران.

ويصف د / عزام موقعها بقوله "قزوين بلد قديم ذكره بطلميوس باسم قسابين، وهى على الجادة العظمى بين بغداد إلى خراسان وتلتقى عندها طرق القوافل الآتية من الشرق والغرب والشمال والجنوب.. من أجل ذلك اتسع عمرانها فى القديم وراجت تجارتها وهى على مقربة من جبال البرز، ويجرى عندها نهر صغير يفضى إلى نهر أبهر وتبعد عن طهران مائة وخمسين كيلاً".(٢)

ثانيا : مناخ قزوين :

يتسم مناخها بالبرودة المعتدلة طوال العام وهى منطقة غزيرة الأمطار على مدار العام وهى مصدر هام ومورد رئيسى لما تحتاجه من مياه إضافة إلى ما تحتويه من آبار والتى تقل مياهها بفعل ارتفاع درجات الحرارة حتى أنه يتعذر وصولها إلى المدينة.

---

(١) يصف ياقوت موقعها بقوله : قزوين بالفتح ثم بالسكون وكسر الواو وياء مثناه من تحت ساكنة ونون : مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرين فرسخا وإلى أبهر اثنا عشر فرسخا ، وهى فى الإقليم الرابع طولها خمس وسبعون درجة وعرضها سبع وثلاثون درجة .

(٢) عبد الوهاب عزام : رحلات : صد ١١٩

ثالثا : أنهار قزوين :

أنهـار قـزوين دائـمـا مجـمـدة المياه بفعل البـرودة الشـديدة.. ولـهـذا فـإنه يبدأ جريانها فى أواخر الشتاء وأوائل فصل الربيع ويوجد بها خمسة أنهار :

الأول : يسمى دزج _ وهو يمر بين جنبات المدينة ويروى أغلب البساتين التى تقع داخل المدينة وخارجها وخاصة مناطق الجوسق وأبهر وأرداق.

أما الثانى فيسمى ارزنك أو ارنوك وهو مصدر لرى البساتين التى تقع داخل حدود الأطراف الشمالية خارج المدينة وكذلك بعض بساتين الأطراف الشمالية والجنوبية التى تشرف على الطرق المؤدية إلى دزج ودستجرد والصامغان والرى.. هذا إلى جانب بساتين المدينة الداخلية. أما النهر الثالث فيسمى زراره، وهو مصدر لرى حدائق وبساتين قزوين الخارجية التى تشرف على طرف أبهر والجوسق.. أما النهر الرابع فهو الذى يتبع منطقتى سامر ورشتقون ومياهه تروى البساتين والحدائق التى تقع بين قند.. والنهر الخامس هو النهر الذى ينسب إلى منطقتى أك وفاسقين.(١)

رابعا : قنوات قزوين :

طبقا لما ذكره "ده خدا "فى كتابه" لغت نامه " فإنه يوجد فى قزوين "٨ قنوات" تستمد مياهها من بئرها الرئيسى والذى يقع فى شمال المدينة، أما القناة الرئيسية بها فتسمى " مبارك آباد " وهى التى حفرها الملك افتخار الدين وأوقفها مع بعض الحدائق على قبره وجعل ماءها سبيلا لأهل قزوين.. وفى عصر السلطان محمود الغرنوى قام واليه على " قم " وكان إسمه حمزة بن اليسع بحفر قناة جديدة غذت مياهها أغلب مناطق المدينة، إلا أنها طمست فيما بعد..

وهناك قناة ثانية تسمى قناة طيفورى وهى التى حفرها الأمير جمال الدين طيفور وتقع فى محله دزج.. وقناة ثالثة تسمى رود بارى وموقعها فى محلة أبهر.. أما الرابعة فتسمى سيدى وتقع فى منطقة دستجرد.. والخامسة هى قناة خاتونى

---

(١) فتحية أمين : حمد الله مستوفى القزوينى وكتابة تاريخ كزيدة ، رسالة ماجستير ، ص ٤٢ _ ٤٥ _ كلية البنات _ جامعة الأزهر .

وتمر بمنطقتى الصامغاى والرى : وقد قامت بحفرها أرسلان خاتون بنت السلطان آلب أرسلان السلجوقى.[1]

خامسا : بساتين قزوين :

تتميز قزوين بتربة خصبة ساعدت على انتشار البساتين والمزارع التى تحيطها من كافة جوانبها.. وذكر " ده خدا " أن مساحة تلك البساتين فى حدود ثلاثة آلاف هكتار وأنه على من يريد الخروج من قزوين أن يسير مسافة طويلة تقدر بنحو من ٢ : ٥ كيلو متر بين خضرة البساتين المفتوحة من كل جانب.. وقد شاهدها وأجاد وصفها، وذكر لنا أنه لا يحيط بها أسوار أو حواجز ولا يمنع من دخولها مانع وسيرى داخلها وزائرها ألوانا من الفاكهة ما بين العنب واللوز والفستق والبرقوق والمشمش والبطيخ الأصفر والأرز، خاصة وأن قزوين تضم أكثر من ثلاثمائة مزرعة.

سادسا : مساجد قزوين :

مساجد قزوين كثيرة أولها مسجد جامع ينسب إلى الإمام الشافعى، ويقال إن هارون الرشيد هو من بنى إيوانه القديم ومقصورة صحنه الصغير التى تقع فى الطرف الغربى، ثم أضيفت إليه مبان عديدة على مر الأزمان، فسمى كل ركن زيد فيه باسم منشئه.. هذا إضافة إلى مساجد أخرى نذكر منها :

أ _ مسجد التوت بابكان : وكان فى البداية معبدا للأوثان ثم حوله محمد بن الحجاج الثقفى إلى مسجد.

ب- مسجد مهر هيرة : وهو أحد المساجد الذى كان فى بدايته معبدا للأوثان.

جـ - مسجد مراديان : وأقامه شخص يدعى مراد، وجدد عمارته فخر الدين المستوفى شقيق العلامة حمد الله مستوفى القزوينى.

د- مسجد طيب آباد : بناه القاضى أبو خليفة، وجدد عمارته خواجة صدر الدين أحمد الخالدى..

هـ - مسجد القاضى إسماعيل المالكى : وموقعه عند أول محلة الصامغان.

و _ مسجد بنى مادا : ويقع فى منطقة دزج.

---

(١) حمد الله مستوفى القزوينى : تاريخ كزيده . ص ٧٨٠ _ ٧٨١ . طبع طهران .

ز ـ مسجد دهك : ويقع على مشارف طريق مقابر المدينة وهو يحوى قبر الصيقلى.[1]

سابعا : مقابر قزوين :

أما مقابر قزوين فعددها خمسة.. تضم رفاة عدد من مشاهير الصحابة والعلماء والأئمة والشهداء.. نذكر منها :

١- مقبرة كهنبر : وتضم قبر العالم : محمد يزيد بن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣هـ إضافة إلى مشهد يخص موسى الرضا وخير النساج والشيخ إبراهيم الهروى والشيخ أحمد الغزالى (ت ٥٢٠هـ) والخواجة إمام الدين الرافعى (ت ٦٢٣هـ).

٢- مقبرة محلة الجوسق : وبها مقبرة علك القزوينى إلى جانب رفاة عدد من الشهداء والصالحين.

٣- مقبرة محلة دزجْ : وتضم رفاة العديد من الشهداء والصالحين.

٤- مقبرة دستجرد : وتضم مقابر السادات العظام وبجوارها هضبة يقال لها "كوهك" يُقْبَلُ عندها الدعاء.

٥- مقبرة محلة أرداق : وتضم مقابر اثنين من السادة العلويين هما :

سيد بهاء الدين وسيد فخر الدين، بالاضافة إلى مزارات وقبور وشواهد مختلفة..

ثامنا : سوق قزوين :

طبقا لما ذكره دهخدا فى " لغت نامه " فإنه يحتوى على (٢٤٠٠) باب لمخازن ودكاكين مختلفة و (٣٦٠٠) خيمة كبيرة و(٥٤٠٠) صهريجا.[2]

تاسعاً : سبب إطلاق ذلك الاسم وسبب إنشائها :

فى كتابه "التدوين فى أخبار قزوين" يروى لنا الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعى قصة تلك التسمية فيقول.. إن قزوين كانت ثغرا، وكان بعض الأكاسرة قد وجه إليها قائدا فى جمع كبير فأتاهم العدو واستعدوا للحرب، فنظر القائد إلى ذلك المكان فرأى فيه خللا، فقال لرجل من أصحابه اين كش

---

(١) الرافعى : التدوين . ص ٥٤ .

(٢) على أكبر دهخذا: لغت نامه : جـ ٣٨ ــ ص ٢٧٩ . مؤسسة لغت نامه دهخذا ــ ١٣٦٥ / هـ / ش .

وين" أى : احفظ ذلك الموضع، فهزموا العدو وبنوا بذلك المكان مدينة سميت كشوين فعربت وقيل قزوين.[1]

أما عن قصة إنشاء قزوين :

فقد ذكر بعض المؤرخين فى شأن إنشائها أن الملك شابور بن أردشير بن بابك الساسانى هو أقدم من أنشأ بناية على أرض قزوين الحالية وأنه قد سماها (شاد شابور) وقد ظلت أطلال هذه المدينة ماثلة حتى عصر حمد الله مستوفى القزوينى بينما يذكر ياقوت الحموى أن الملك شابور ذو الأكتاف هو أول من استحدث مدينة قزوين، وان بنايته التى أنشأها هناك هى المدينة التى تسمى " شهر ستان الصغيرة[2] وكان ذلك عندما فر هاربا من قيصر الروم إلى إيران ونزل بصومعة عبد صوفى تقع على حافة النهر فى منطقة تعرف باسم " قلندر خانه " وهناك جمع أمراءه من حوله وحارب القيصر وانتصر عليه، وما لبث أن إرتقى عرش مملكته حتى أصدر أوامره إلى معمارييه بأن يرسوا قواعد مدينة شهر ستان فوق أرض قزوين وشرعوا فى بنائها سنة (٢٦٣م) وقد ذكر حمد الله مستوفى القزوينى فى كتابه: "نزهه القلوب"أن أطلال هذه المدينة قد ظلت ماثلة حتى وقت تأليفه للكتاب.[3]

عاشرا: وصف قزوين :

يصفها المقدسى ضمن حديثه عن الرى والمدن التابعة لها فيقول : وقزوين كبيرة كثيرة الكروم لها مدينة وعلى الربض حصن. وشربهم من آبار ومطر ونهر. وهى ثغر الكورة.. ومن معادن الفقه والحكمة.[4]

ويصفها محمد بن زكريا القزوينى (ت ٦٨٢هـ) فى كتابة"آثار البلاد وأخبار العباد" بقوله : قزوين مدينة كبيرة مشهورة عامرة فى فضاء من الأرض طيبة

---

(١) الرافعى : التدوين : جـ ١ ، ص ٣٨ -٣٩ ، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

(٢) يقول ياقوت : أول من استحدثها سابور ذو الاكتاف واستحدث أبهر أيضا . قال وحصن قزوين يسمى كشرين بالفارسية وبينه وبين الديلم جبل كانت ملوك الأرض تجعل فيه رابطة من الأساور يدفعون الديلم إذا لم يكن بينهم هدنة ويحفظون بلدهم من اللصوص .. ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٦ من ص ٣٤٢ إلى ٣٤٤ .

(٣) حمد الله مستوفى : نزهته القلوب : صـ٧ _ ليدن ١٩١٣م

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم : صـ ٣٩١ _ إلى صـ ٣٩٢ .

التربة، واسعة الرقعة، كثيرة البساتين والأشجار، نزهة النواحى والأقطار، بنيت على وضع حسن، لم يبن شىء من المدن مثلها وهى مدينتان إحداهما فى وسط الأخرى والمدينة الصغرى تسمى شهرستان، لها سور وأبواب، والكروم والبساتين محيطة بالمدينة العظمى من جميع الجوانب والمزارع محيطة بالبساتين.(١)

ويصفها د / عزام بعد زيارته لها بقوله :

كانت قزوين قبل الإسلام ثغرا لمحاربة الديلم، وقد مصرها سعيد بن العاص بن أميه وجعلها مغزى أهل الكوفة، وأغزى الحجاج ابنه محمد الديلم _ فنزل قزوين وبنى بها مسجداً سمى بمسجد النور، وبنى موسى الهادى مدينة بجوارها عرفت بمدينة موسى. وبنى المبارك التركى _ مولى المأمون أو المعتصم _ حصناً بها سماه المباركية.. وقد ذكرها بديع الزمان باسم الثغر فى المقامة القزوينية التى أولها:

- غزوت الثغر بقزوين * سنة خمس وسبعين.

وقد ذكرت قزوين فى الشعر العربى.... ومن ذلك قول الطرماح ابن حكيم :

- خليلى مد طرقك هل ترى لى.. ظعائن باللوى من عوكلات

- ألم تر أن عرفان الثريا * يهيج لى بقزوين اختزانى(٢)

فتح قزوين :

فى عهد الخليفة الثالث الزاهد عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه قام رحمه الله باسناد ولاية "الرى " إلى البراء بن عامر(سنة ٢٤هـ) وقام البراء على رأس جيش عربى مسلم بفتح مدينة "أبهر " ومنها ولى وجهه شطر قزوين، فأناخ عليها وطلب أهلها الصلح، فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر من الشرائط فقبلوا جميع ذلك إلا شرط الجزية، فأنهم نفروا منها، فقال لابد منها، فلما رأوا ذلك أسلموا وأقاموا مكانهم فصارت أرضهم عشرية(٣) ولما استقر له الأمر بها ودانت له البلاد أسند ولايتها إلى طلحة بن خويلد الأسدى مع خمسمائة من فرسانه

(١) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد : ص ٤٣٤ .

(٢) عبد الوهاب عزام :- الرحلات : صـ ١١٩ _ ١٢١ .

(٣) ياقوت الحموى ، معجم البلدان : جـ٦ ٣٤٢ _ ٣٤٣ .

وأقطعهم العديد من الأراضى والضياع فعمروها وحفروا بها الأنهار والآبار فغدت منطقة تموج بالعمران.(١)

ولما اسندت ولاية الكوفة إلى سعيد بن العاص بن أمية قام بغزو الديلم وعَمَرَّ قزوين واتخذ منها ثغرا لأهل الكوفة وذلك (سنة ٢٩ _ ٣٤هـ) وأحاطها بسور عظيم فعمرت بالسكان.(٢)

ولما آلت الخلافة إلى هارون الرشيد زمن الخلافة العباسية (١٩٣هـ) وخرج فى ركب عظيم قاصدا خراسان، وأثناء عبوره حدود همدان _ إعترض طريقة أهل قزوين وأحاطوه علماً بعداء الديلم لهم، وإغاراتهم المتواصلة عليهم وما حل بهم من تشريد وتشتيت(٣) فرق قلب الرشيد لهم، وخفف عنهم ما فرض عليهم من خراج، وبنى مسجدها الجامع، وأمر بتشييد سور يحيط بمدنها ومحلاتها، وأوقف على عمارتها دخل عدد غير قليل من المحلات..(٤) ولما آلت الخلافة إلى المعتز العباسى أمر باستكمال ما بدأه الرشيد من أبنية وقواعد للسور، وعهد بذلك إلى موسى بن بوقا ففرغ من بنائه عام (٢٥٤ هـ) وبلغ طوله حينئذ " ٣١٠ باعا" وعدد أبراجة " ٢٠٦ " برجاً، وعدد أبوابه سبعة.. وكان ذلك العمران دافعا لإقبال الناس على إعمار المدينة وازدحامها بهم ولما ذاع بين الناس ما ورد بشأن قزوين من أحاديث نبوية عن فضلها وسمو مكانتها وعلو منزلة أهلها والحث على إعمارها والإقامة فيها أن اتجهت الدول المتعاقبة الاهتمام والسعى لأعمارها والعناية بسورها وإعادة بناء ما تهدم منه.. فقام الصاحب إسماعيل بن عباد الرازى ت:(٣٨٥هـ) وزير فخر الدولة الديلمى بإعادة بناء سورها بعد أن كان قد تهدم (٣٧٣هـ) وفى عام (٤١١هـ). قام الأمير أبو على الجعفرى بترميم ما خرب من السور وكان ذلك على أثر النزاع الذى قام بين القائد إبراهيم بن مرزبان الديلمى _ خال مجد الدولة بن فخر الدولة _ مع أهل قزوين (سنة ٤١٠هـ). (٥)

---

(١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان : من ص ٢٨٠ _ ٢٨٢ ، طبع ليدن سنة ١٩٦٧م .

(٢) حمد الله مستوفى القزوينى : نزهة القلوب : ص ٥٧ .

(٣) حمد الله مستوفى القزوينى : تاريخ كزيده : ص ٣٠٧ .

(٤) ابن الفقيه : مختصر البلدان : ص٢٨٢ .

(٥) حمد الله مستوفى القزوينى : نزهة القلوب ص ٥٨ . – الرافعى : التدوين ص ٤٤ .

علماء قزوين :

يأتى فى مقدمة علماء قزوين : محمد بن يزيد بن ماجة أبو عبد الله القزوينى إمام الحديث المعروف المتوفى (سنة ٢٧٣هـ).. وسيأتى الحديث عن سيرته العطرة فى الباب الأخير من هذا الكتاب بإذن الله.

ومنهم محمد بن ذكريا القزوينى صاحب كتاب عجائب المخلوقات، وكذلك كتاب " آثار البلاد وأخبار العباد (ت ٦٨٢هـ).. ومنهم كذلك : أبو القاسم محمد بن عبد الكريم الرافعى (ت ٦٢٣هـ) صاحب كتاب : " التدوين فى أخبار قزوين " ومنهم أيضا : الفقيه الشافعى أبو حاتم محمود بن الحسن القزوينى (ت ٤٤٠هـ) مؤلف كتاب : "الجبل فى الفقه " وهو من أسرة أنس بن مالك رضى الله عنه ومنهم كذلك : العالم الفاضل والأديب الفقيه الأصولى : أبو محمد بن أحمد النجار والشيخ حسنوية بن أحمد بن حسنوية الزيدى المعروف بمعين الدين وكذلك : الشيخ أبو القاسم بن هبة الله الكمونى العالم العابد الورع أحد أفراد أسرة أنس بن مالك والجد الخامس للشيخ ذكريا القزوينى وغيرهم الكثير..

سابعاً:
مدينة «نسا»

نسا : إحدى مدن "جمهورية إيران الإسلامية " تقع على بعد سبع وأربعين فرسخا شمالى سرخس وتعد واحدة من أهم مدن خراسان حيث تتوسط مدينتا أبيورد وسرخس. ويقول بعض المؤرخين أن الإسكندر ذو القرنين هو أول من بنى هذه المدينة ويقول آخرون إن فيروز بن يزدجرد الساسانى هو الذى بناها وعلى ذلك فإن نسا تعتبر مدينة قديمة يعود تأسيسها إلى العصر الإشكانى.

هذا.. ويصفها المقدسى بقوله : بلد رحب نزيه طيب غزير المياه كثير الخيرات، مشتبك الأشجار حسن الثمار، له خصائص وظرائف، وله فقه وأدب، وأصل وحسب، وبأس ومنعة، به بستان وماء جار، وقرى كبيرة، له عشرة أبواب، وقد غابت فى الأشجار، له مدينتان : أسقان وجرمقان، ورباطان : أفراوه وشارستانه، به رجال شهام، وثلاثة حصون متصلة على أحدها خندق، شربهم من عيون.[١] ولها مسجدا وسوقا واسعا فسيحا وحول كل بيت من بيوتها حديقة وماء جار، وعلى أطراف المدينة مجموعة من القرى، ويقول بعض المؤرخين أنها مشهورة بمدينة الفيروز وذلك نسبة إلى ملك قديم يسمى فيروز شاه ".

ويصفها ياقوت[٢] فى معجمه بقوله :

نسا : بفتح أوله، مقصور بلفظ عرق النسا، قال ابن السكيت : هو النسا لهذا العرق ولا يقال عرق النسا، فأما اسم هذا البلد فهو أعجمى، قال أبو سعد : كان سبب تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما وردوا خراسان قصدوها فبلغ أهلها فهربوا ولم يتخلف بها غير النساء، فلما أتاها المسلمون لم يروا بها رجلا فقالوا : هؤلاء نساء والنساء لا يقاتلن فننسا أمرها الآن إلى أن يعود رجالهن، فتركوها ومضوا فسموا بذلك نساء، والنسبة الصحيحة إليها نسائى، وقيل نسوى أيضا، وكان من الواجب كسر النون، وهى مدينة بخراسان، بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام، وبين أبيورد يوم، وبين نيسابور ستة أو سبعة وهى مدينة وبئة جدا يكثر بها خروج العرق المدينى حتى أن الصيف قَلَّ من ينجو منه من أهلها، ويمضى ياقوت فى حديثه عن نسا فيقول : وقال أبو عبد الله محمد

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم : ص ٣١٧ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان : جـ٥ : صـ ٣٨٢ .

بن أحمد البناء : نسا مدينة بخراسان ونسا مدينة بفارس. ونسا مدينة بكرمان ونسا مدينة بهمذان.

ويصفها محمد بن ذكريا القزوينى بقوله :

نسا مدينة بخراسان بقرية سرخس وابيورد، بناها فيروز بن يزدجرد أحد ملوك الساسانين، وكان يقال لها : شهر فيروز، وهى مدينة طيبة كثيرة الأنهار والأشجار، إلا أنها وبئة، ويكثر بها العرق المدينى، حتى أنه فى الصيف قل من ينجو منه.. بها رباط بناه رئيسها عماد الدين حمزة النسوى، وهو رباط عظيم خارج المدينة بين الباغات، ليس فى شىء من البلاد مثله فى عظم العمارة وكثرة الخير حكى عنه أنه قال : كنت على عزم أن ابنى موضعا لأهل الخير مترددا فى أن أجعله مدرسة أو خانقاها،حتى رأيت فى نومى أن قائلا يقول : من أتاه الله روحا فأعطه الخير، فأمر بعمارة بناء عظيم للفقهاء موضعا، وللصوفية موضعا وللقدرية موضعا، وللعلويين موضعا ولدوابهم موضعا، وأجرى الخير والمأكول على كل من له روح، وجعل فيها حمامات ولها بساتين، واشترى لها مماليك برسم الفرش والخدمة وفلاحة البساتين، فكل من نزل يمشى إلى مكانه، ويقوم القوام بخدمته، ولها قراء ومغنون، ولا تزال قدورها على النار، فربما نزل بهم قفل عظيم أو جيش كثيف فاخرجوا وظائفهم حتى لدوابهم وكلابهم، ومن أراد من أهل المدينة خرج إليها وتفرج فى بساتينها واستحم فى حمامها وتغدى أو تعشى فيها وعاد إلى مكانه، وكان الأمر على ذلك إلى ورود التتر. والآن سألت بعض فقهاء خراسان عنها فذكر أنه بقى منها بقية.."(١)

ويصفها ابن حوقل قائلاً : "نسا مدينة جليلة النعم كثيرة الأنهار والقرى الواسعة والجبال العظيمة.. وبها قلعة حصينة معينة.. وبوابات عشر ورباطين وحصون ثلاثة منيعة ومن مدنها أفراوه ورباطها يعد - فى رأى المقدسى _ من عجائب الدنيا ويصفه القزوينى بأنه بناء عظيم قد إستقر خارج المدينة ولا يوجد نظير له فى أى عمارة من مدن إيران. وقد أقام هذا الرباط عبد الله بن طاهر

(١) محمد بن ذكريا القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ٤٦٥ .

فى القرن التاسع الميلادى[1] وفى نسا بناء ذى أضلاع ثمانية من الآجر يقال أنه كان مقبرة عظيمة.

ويذكر عبد الحسين سعيد يان فى كتابه "شناخت إيران"، أن علماء الآثار عثروا فى نسا على (٢٠٠٠ قطعة خزف) تتعلق بالمسرح اليونانى كتب على وجهها بعض"المطالب " وأسماء لشخصيات زرادشتية.[2]

فتح نسا : فتحها العرب سنة (٣١هـ)على يد عبد الله ابن عامر.. وفى سنة (١٢٩هـ) أعاد أبو مسلم الخرسانى فتحها وفى عام (١٨٤هـ) سقطت فى يد على بن عيسى بن ماهان وفى عام(٣٨٤هـ) استولى عليها منصور بن نوح السامانى ؛ وبعد ذلك استولى عليها الخوارزميون إلى أن بسط عليها محمود الغزنوى سلطانه سنة (٤٠٧هـ). وظلت فى يد الغزنوين إلى أن استولى عليها السلاجقة بحلول عام (٥٤٨هـ)على يد السلطان سنجر ثم خربت نسا بفعل حملات جنكيز خان وتيمور لفك على إيران..[3]

علماء نسا:

طبقا لما ذكره ياقوت فقد خرج منها جماعة من أعيان العلماء، منهم : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر بن سنان النسائى القاضى الحافظ صاحب كتاب السنن وكان إمام عصره فى علم الحديث وسكن مصر وانتشرت تصانيفه بها وهو أحد الأئمة الأعلام، صنف السنن وغيرها من الكتب[4].

وأبو أحمد حميد بن زنجويه واسمه مخلد بن قتيبة بن عبد الله وزنجوية لقب مخلد الأزدى النسوى وهو صاحب كتاب الترغيب وكتاب الأموال، وكان عالما فاضلا، سمع بدمشق هشام بن عمار، وبمصر عبد الله بن صالح وسعيد بن عفير، وسمع بقيسارية وحمص وبالعراق يزيد بن هارون والنضر بن شميل وأبا نعيم وأبا عاصم النبيل وحج وسمع بمكة، وروى عنه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وعبد الله بن أحمد ابن حنبل وغيرهم[5].

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض : صـ ٤٥٤ .

(٢) عبد الحى سعيديان : شناحت شهرهاى إيران ص ٨٤٥ : طهران ١٣٧٩ هـ / ش.

(٣) المرجع السابق صـ ٨٤٥ .

(٤) سيرد الحديث عنه فى الباب الأخير من هذا الكتاب .

(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ص٣٨٢ .

ثامناً:
مدينة «بُسْتَ»

بست مدينة قديمة فى جمهورية أفغانستان الحديثة تقع على الشاطئ الأيسر لنهر هلمند إلى الجنوب مباشرة من الموقع الذى يتصل بنهر أرغنداب.

يصفها المقدسى بقوله :

"بست قصبة جليلة أهل دين ومروة ويسار ونعمة طيبة خصبة. ولهم آثين ولباقة واسناد ودراية.. موضوعة بين نهرين وجامعة للفاكهتين، لينة الهوائين نفيسة المعدن، كثيرة القرى، رطب غزير وعنب كثير وسدر وريحان. يصفها أبو منصور ـ فقيه سجستان ـ بقوله ما رأيت بلداً على صغر أخصب ولا أكثر فواكه ونعماً من بست، إلا أنها وبية متطرفة صغيرة الرقعة لها مدينة عامرة والجامع منها وربض الأسواق فيه، شربهم من نهر هيرميد والنهر الآخر اسمه خرد روى يجتمعان على فرسخ، وعلى هيرميد جسر من سفن بقرب موضع مجمع النهرين..

بينما يصفها الاصطخرى بقوله : وأما بست فإنها مدينة ليس فى أعمال سجستان بعد زرنج أكبر منها ؛ إلا أنها وبية وزيهم زى العراق، يرجعون إلى مروة ويسار وبها متاجر إلى بلد الهند والسند وبها نخيل وأعناب وهى خصبة جدا"، وفى موضع آخر من الكتاب يصفها بقوله "وأما بست فإنها اسم القصبة أيضا ومن مدنها جهان كَان.

ثم نصل إلى ما ذكره يا قوت عنها : " بست بالضم مدينة بين سجستان وغزنين وهراة وأظنها من أعمال كابل، وهى من البلاد الحارة المزاج، وهى كبيرة، ويقال لنا حيتها اليوم " كَرم سير" معناه النواحى الحارة المزاج.. وهى كثيرة الأنهار والبساتين إلا أن الخراب فيها ظاهر وهى كتثنيتها يعنى بستان.

ويصفها البستانى فى دائرة معارفة قائلا :

تقع بست بين سجستان وغزنين وهراة، وكانت مدينة كبيرة كثيرة الأنهار والبساتين إلا أنها تخرب بعضها بواسطة الحروب. وقال أبو الفدا إنها على شط نهر هند مند وقال ابن حوقل : إنها مدينة كبيرة كثيرة النخل والعنب وأن بينها وبين غرنة أربعة عشر مرحلة إلا أنها وبيئة. وتعد بست الآن من مدن كابل بأفغانستان على مسافة (٢٤٤ كيلومترا) من قندهار إلى الجنوب الشرقى.. وهى عامرة آهلة.[١]

---

(١) البستانى : دائرة معارف البستانى : المجلد الخامس . ص ٤١٣ طبع بيروت .

وتصفها دائرة المعارف الإسلامية فتقول عنها : بست مدينة قديمة فى أفغانستان الحديثة على الشاطئ الأيسر لنهر هندمند (هلمند) إلى الجنوب مباشرة من الموقع الذى يتصل بنهر أرغنداب. وموقع هذه المدينة حسن جدا لوقوعها فى الزاوية التى بين هذين النهرين حيث تلتقى الطرق الآتية من الغرب أى من هراة وزرنج لتعبر نهر هندمند ثم تتابع سيرها إلى بلوخستان والهند، أضف إلى ذلك أن بست واقعة فى البقعة التى يصبح النهر فيها صالحا للملاحة. وتشهد الأبنية الموجودة فى جوار بست على ما كان لها من ازدهار، فقد كانت مركزا من مراكز الحضارة الإيرانية القديمة، وكانت فى بداية القرن السادس الميلادى فى حوزة الأفساليين ثم استردها منهم خسرو الأول " كسرى أنوشروان " ودخلت بست فى حوزة المسلمين على يد عبد الرحمن بن سمرة[1]، ويظهر أنها كانت فى عهدهم هذا قاعدة حربية ضد الأمراء المستقلين بالبلاد المجاورة لمدينة بست من ناحية الشرق الذين كانوا يلقبون بـ " زنبيل " واعتبر العرب أحيانا مدينة بست من أعمال سجستان. والواقع أن سجستان بمدلولها الضيق لم تكن تمتد كثيرا ناحية الشرق. ويقال إن يعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفارية الإيرانية (٢٥٤ _ ٥٦٥ هـ / ٨٦٨ _ ٨٧٨ م) قدم من سجستان وقضى عاماً فى مدينة بست أثناء غزواته. وفى عام (٣٦٦هـ، ٩٧٦م) استولى سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوبة على مدينة بست وفصلها عن ولاية زرنج وأصبحت بست المقر الثانى لحكام غزنة الذين أقاموا فيها معسكرهم الدائم " العسكر " الذى ذكره المقدسى. وكان العهد الغزنوى أزهى عصور المدينة فى عهدها الإسلامى.

وبعد ذلك بقرن أصيبت أملاك الغزنوين بالضربة القاضية فقد إكتسح علاء الدين جهان سوز الغورى مملكة بهرام شاه وخرب عاصمتها بست وقضى بذلك على ما كان بها من ازدهار.. وكان حسن موقعها هو العامل على بقائها، وإن كانت قد ظلت ضعيفة تتعثر خلال القرون التالية. وفقدت المدينة كل أمل فى سبيل تقدمها بسبب غزوات تيمور فى نهاية القرن السابع الهجرى الرابع عشر الميلادى، وتحولت سجستان إلى صحراء مجدبة بتهدم سد "رستم " لأنها كانت تعتمد فى

---

(١) يذكر الكرديزى فى كتابه زين الأخبار أن بست قد فتحها العرب عام ٤٣هـ وذلك حينما أرسل عبد الله بن عامر القائد مجاشع بن مسعود على رأس جيش فدخل سيستان ثم استولى على بست . صـ ١٦٦ .

رى أراضيها على نهر هندمند وظل حصن بست يقاوم الأحداث بفضل موقعه الحربى إلى أن خربه نادر شاه عام (١٧٣٨م) ولا تزال أسواره قائمة على شاطئ الهندمند.(١)

ويصفها عبد الحى سعيديان فى كتابه " شناخت شهرهاى إيران، بقوله : " أما بست فمدينة جميلة ونزهة وغاية فى الكبر.. من أعمال سجستان بعد زرنج ولا توجد مدينة أكبر منها، ذات طرق عظيمة، ولباس أهلها لباس أهل العراق، وأهلها مشهورون ومعرفون بالمروءة والكرم والإيثار، ويخرج منها أمتعة وأقمشة يتبادل لونها مع مدن الهند والسند وتنتقل منها إلى الآفاق.. يوجد بها النخيل ونباتات آخرى كثيرة وهى حافلة بالنعم مشهورة بالجمال والسعادة، كثيرة الرباط، معتدلة المناخ.(٢)

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : حرف الباء _ مادة بست جـ١ ص ٦٢٥ _ ٦٢٦ .

(٢) عبد الحسين سعيديان : شناخت شهرهاى إيران : صـ ٢١٢ .

منزلة العلم والأدب فى مدينة بست :

خرج من بست جماعة من أعيان الفضلاء نذكر منهم :

"الخطابى أبو سليمان أحمد بن محمد البستى صاحب معالم السنن وغريب الحديث وغير ذلك، وكان من الأئمة الأعيان، ذكرت أخباره وأشعاره فى كتاب الأدباء من جمعى فأغنى. وإسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل أبو محمد القاضى البستى، سمع هشام بن عمار وهشام بن خالد الأزرق وقتيبة بن سعيد وغيرهم روى عنه أبو جعفر محمد بن حبان وأبو حاتم أحمد ابن عبد الله بن سهل بن هشام البستيان وغيرهما، مات (سنة ٣٠٧)؛ وأبو الفتح على بن محمد ويقال ابن أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد العزيز البستى الشاعر الكاتب صاحب التجنيس، سمع أبا حاتم بن حبان، روى عنه الحاكم أبو عبد الله، مات بخارى فى سنة(٤٠٠) ؛ وقال عمران بن موسى بن محمد بن عمران الطولقى فى أبى الفتح البستى :

إذا قيل: أى الأرض فى الناس زينة : أجبنا وقلنا: أبهج الأرض بستها ؟ فلو أنى أدركت يد يوما عميدها × لزمت يد البستى دهراً و بستها. وقال كافور بن عبد الله الإخشيدى الخصى الليثى الصورى :

ضيعت أيامى ببست   وهمتى تأبى المقام بها على الخسران

وإذا الفتى فى البؤس أنفق عمره   فمن الكفيل له بعمر ثان ؟

ونذكر منهم أيضاً أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد ابن شهيد التميمى، كذا نسبه أبو عبد الله محمد بن أحمد محمد البخارى المعروف بغنجار، ووافقه غيره إلى معبد، ثم قال: ابن هدبة بن مرة بن سعد ابن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدّ ابن طابخة بن الياس بن مضر الأمام العلامة الفاضل المتقن، كان مكثرا من الحديث والرحلة والشيوخ، عالما بالمتون والأسانيد، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بحرا فى العلوم، سافر ما بين الشاش والإسكندرية، وأدرك الأئمة والعلماء والأسانيد العالية، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه عن إمام الأئمة أبى بكر ابن خزيمة، ولازمه وتلمذ له، وصارت تصانيفه عدة لأصحاب الحديث غير

أنها عزيزة الوجود، سمع ببلده بست أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضى وأبا الحسن محمد بن عبد الله ابن الجنيد البستى، وبهراة أبا بكر عثمان بن سعد الدارمى، وبمرو أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدى وأبا يزيد محمد بن يحيى بن خالد المدينى، وبقرية سنج أبا على الحسين بن محمد بن مصعب السنجى وأبا عبد الله محمد بن نصر بن ترقل الهورقانى، وبالصغد بما وراء النهر أبا حفص عمر بن محمد بن يحيى الهمدانى، وبنسا أبا العباس الحسن بن سفيان الشيبانى ومحمد بن عمرو بن يوسف ومحمد بن محمود بن عدى النسويين ونيسابور أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج الثقفى وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيروية الأزدى، وبأرغيان أبا عبد الله محمد بن المسيب بن إسحاق الأرغيانى، وبجرجان عمران بن موسى بن مجاشع وأحمد بن محمد بن عبدالكريم الوزان الجرجانيين، وبالرى ابا القاسم العباس بن الفضل بن عاذان المقرى وعلى بن الحسن بن مسلم الرازى، وبالكرج أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ والحسين بن إسحاق الأصبهانى، وبعسكر مُكرم أبا محمد عبد الله بن أحمد بن موسى الجواليقى المعروف بعبدان الأهوازى، بتستر ابا جعفر أحمد بن محمد بن يعقوب الخطيب، وبالأُبلة أبا يعلى محمد بن زهير والحسين بن محمد بن بسطام الأبليين، والبصرة ابا خليفة الفضل بن الحباب الجمحى , وأبا يحيى زكرياء ابن يحيى السباحى وأبا سعيد عبدالكريم بن عمر الخطابى، وباسط أبا محمد جعفر بن احمد بن بنت تميم بن المنتصر، وبقم الصلح عبدالله بن قحطبة بن مرزوق الصلحى، وبنهر سابس قرية من قرى واسط خلاد ابن محمد بن خالد الواسطى، وببغداد أبا العباس حامد ابن محمد بن شعيب البلخى وابا أحمد الهيثم بن خلف الدورى وابا القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوى ن وبالكوفة ابا محمد عبدالله بن زيدان البجلى، وبمكة أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى الفقية صاحب كتاب الأشراف فى أختلاف الفقهاء، وابا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندى، وبسامر على بن سعيد العكسرى عسكر سامراً ن وبالموصل ابا يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى وهارون بن المسكين البلدى وأبا جابر زيد بن على ابن عبدالعزيز بن حيان الموصلى وروح بن عبد المجيب الموصلى،

وببلد سجار على بن إبراهيم بن الهيثم الموصلى، وبنصيببين أبا السرى هاشم بن يحيى النصيبى ومسدد بن يعقوب بن إسحاق الفلوسى، وبكفرتوثا من ديار ربيعة ممد بن الحسين بن أبى معشر السلمى، وبسرغامرطا من ديار مضر أبا بدور أحمد بن خالد بن عبد الملك بن عبد الله بن مسرح الحرانى، وبالرفقة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البغدادى، وبالرقة الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان، وبمنبج عمر بن سعيد بن سنان الحافظ وصالح بن الأصبع بن عامر التنوحى، ويجلب على بن أحمد بن عمران الجرجانى، وبالمصيصة أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيصى، وبأنطاكية أبا على وصيف بن عبد الله الحافظ، وبطرسوس محمد بن يزيد الدرقى وإبراهيم بن أبى أمية الطرسوسى، وبأذنه محمد بن علان الأذنى وبصيدأ محمد بن أبى المعافى بن سليمان الصيداوى وببيروت محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتى المعروف بمكحول، وبحمص محمد بن عبيد الله بن الفضل الكلاعى الراهب، وبدمشق أبا الحسن أحمد ابن عمير بن جوصاء الحافظ وجعفر بن احمد بن عاصم الأنصارى وأبا العباس حاجب بن أركين الفرغانى الحافظ، وبالبيت المقدس عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسى الخطيب، وبالرملة أبا بكر محمد بن الحسن ابن قتيبة العسقلانى، وبمصر أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى وسعيد بن داود بن وردان المصرى وعلى بن الحسين بن سليمان المعدل وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم ؛ روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو عبد الله ابن مندة الأصبهانى وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفنجار الحافظ البخارى وأبو على منصور بن عبد الله بن خالد الذهلى الخروى وأبو مسلمة محمد بن محمد أبن داود الشافعى وجعفر بن شعيب بن محمد المسر قندى والحسن بن منصور الاسفيجابى والحسن بن محمد بن سهل الفارسى وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزنى وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خشام الشروطى وجماعة كثيرة لا تحصى. أخبرنا القاضى الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى الحرستانى أذناً عن أبى القاسم زاهر بن طاهر الشحامى عن أبى عثمان سعيد البحترى قال : سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول : أبو حاتم البستى القاضى كان من

أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال، صنف فخرج له من التصنيف فى الحديث ما لم يسبق إليه، وولى القضاء بسمرقند وغيرها من المدن ثم ورد نيسابور سنة ٣٣٤، وحضرناه يوم جمعة بعد الصلاة فلما سألناه الحديث نظر إلى الناس وأنا أصغرهم سناً فقال : استمل، فقلت : نعم، فاستمليت عليه، ثم أقام عندنا وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها وانصرف إلى وطنه، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته. أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى شفاهاً قال : أخبرنا القاضى ألو بكر محمد بن عبد الباقى أذناً عن أبى بكر أحمد بن على بن ثابت كتابه قال : ومن الكتب التى تكثر منافعها إن كانت على قدر ما ترجمها به واضعها مصنفات أبى حاتم محمد بن حبان البستى التى ذكرها لى مسعود بن ناصر السنجرى ووقفنى على تذكرة بأسمائها، ولم يقدر لى الوصول إلى النظر فيها لأنها غير موجودة بيننا ولا معروفة عندنا، وأنا أذكر منها ما استحسنته سوى ما عدلت عنه واطرحته : عمن ذلك كتاب الصحابة خمسة عشر جزءاً وكتاب تبع الاتباع سبعة عشر جزءاً وكتاب تباع التبع عشرون جزءاً وكتاب الفصل بين النقلة عشرة أجزاء وكتاب علل أوهام أصحاب التواريخ عشرة أجزاء وكتاب علل حديث الزهرى عشرون جزءاً وكتاب علل حديث مالك عشرة أجزاء وكتاب علل مناقب أبى حنيفة ومثالبة عشرة أجزاء كتاب علل ما استند إليه أبو حنيفة عشرة أجزاء وكتاب ما خال الثورى سبعة ثلاثة أجزاء وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن عشرة أجزاء وكتاب ما انفرد به أهل مكة من السنن عشرة أجزاء وكتاب ما عند سبعة عن قتادة وليس عند سعيد عن قتادة جزآن وكتاب غرائب الأخبار عشرون جزءاً وكتاب ما أغرب البصريون عسرة أجزاء وكتاب أسامى من يعرف بالكنى ثلاة أجزاء وكتاب كنى من يعرف الأسامى ثلاثة أجزاء وكتاب الفصل والوصل عشرة أجزاء وكتاب التمييز بين حديث النضر الحدانى والنضر الحزاز جزآن وكتاب الفصل بين حديث أسعت بن مالك وأسعت بن سوار جزآن وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور ابن راذان ثلاثة أجزاء وكتاب الفصل بين مكحول الشامى ومكحول الأزدى جزء وكتاب موقوف ما رفع عشرة أجزاء وكتاب آداب الرجالة جزآن وكتاب ما أسند جناده عن عبادة جزء وكتاب الفصل بين حديث نور بن يزيد ونور بن زيد جزء وكتاب ما

جعل عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر جزآن وكتاب ما جعل شيبان ثلاثة أجزاء وكتاب مناقب مالك بن أنس جزآن وكتاب مناقب الشافعى جزآن وكتاب المعجم على المدن عشرة أجزاء وكتاب المقلين من الحجازيين عشرة أجزاء وكتاب الأبواب المتفرقة ثلاثون جزءاً وكتاب الجمع بين الأخبار المتضادة جزآن وكتاب وصف العلوم وانواعها ثلاثون جزءاً وكتاب الهداية إلى علم السنن، قصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه، يذكر كل اسم فى إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبته ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ثم يذكر ما فى ذلك الحديث من الفقه والحكمة، فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما، وإ، تضاد لفظه فى خبر آخر نلطف للجمع بينهما حتى يعلم ما فى كل خبر من صناعة الفقه والحديث معاً، وهذا من أنبل كتبه وأعزها ؛ قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر يعى السجزى فقلت له : أكل هذه الكتب موجودة عندكم ومقدور عليها ببلادكم ؟ فقال : إنما يوجد منها الشىء اليسير والنزر الحقير، قال : وقد كان أبو حاتم ابن حبان سبل كتبه ووقفها وجمعها فى دار رسمها لها، فكان السبب فى ذهابها مع تطاول الزمان ضعف السلطان واستيلاء ذوى العيث والفساد على أهل تلك البلاد ؛ قال الخطيب :ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ فيتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ويجلدوها إحرازاً لها، ولا أحسب المانع من ذلك كان إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحل العلم وغضلة وزهدهم فيه ورغبتهم عنه وعدم بصيرتهم به، والله أعلم ؛ قال الإمام تاج الإسلام الإسلام : وحصل عندى من كتبه بالإسناد المتصل سماعاً كتاباً التقاسيم والأنواع خمسة مجلدات، قرأتها على أبى القاسم الشحامى عن أبى الحسن النخانى عن أبى هارون الزوزنى عنه، وكتاب روضة العقلاء، قرأته على حنبل السجزى عن أبى محمد النوبى عن أبى عبد الله الشروطى عنه، وحصل عندى من تصانيفه غير مسندة عدة كتب : مثل كتاب الهداية إلى علم السنن من أوله قدر مجلدين، وله، وهو أسهر من هذه كلها، كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شعب الإيمان وكتاب صفة الصلاة، أدرك عليه فى كتاب التقاسيم فقال : فى أربع ركعات يصليها الإنسان ستمائة سنة عن النبى، صلى الله عليه وسلم، أخرجناها بفطوها فى كتاب صفة الصلاة فأعنى

ذلك عن نظمها فى هذا النوع من هذا الكتاب ؛ قال أبو سعد : سمعت أبا بكر وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الريح سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون سمعت عبد الله بن محمد الاستراباذى يقول : أبو حاتم بن حبان البستى كان على قضاء سمر قند مدة طويلة، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار والمشهورين فى الأمطار والأقطار، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم، ألف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب الكثيرة من كل فن ؛ أخبرتنى الحرة زينب الشعرية إذناً عن زاهر بن طاهر عن أحمد بن الحسين الإمام، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التى هى اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها بها من أهل الحديث والمتفقهة، ولهم جرايات يستنفقونها داره، وفيها خزانة كتبه فى يدى وصى سلمها إليه ليبذلها لمن يريد نسخ شىء منها فى الصفة من غير أن يخرجه منها، شكر الله له عنايته فى تصنيفها وأحسن مثوبته على جميل نيته فى أمرها بفضله ورأفته.

وأخبرنى القاضى أبو القاسم الخرستانى فى كتابة قال : أخبرنى وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الريح إذناً سمعت الحسن بن أحمد الحافظ سمعت أبا بشر النيسابورى يقول سمعت أبا سعيد الإدريسى يقول سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابورى الرجل الصالح بسمر قند يقول : كنا من أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة فى بعض الطريق من نيسابورى وكان مهعنا أبو حاتم البستى، وكان يسأله ويؤذيه، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة : يا بارد تنح عنى لا تؤنى، أو كلمة نحوها، فكتب أبو حاتم مقالته، فقيل له :تكتب هذا ؟ فقال : نعم أكتب كل شىء يقوله ؛ أخبرنى الخطيب أبو الحسن السديدى مشافهة بمر وقال : أخبرنى أبو سعد أذناً أخبرنا أبو على إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقى إجازة سمعت والدى سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا على الحسين بن على الحافظ وذكر كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى فقال : كان لعمر بن سعيد بن سنان المنبجى ابن رحل فى طلب الحديث وأدرك هؤلاء الشيوخ وهذا تصنيفه، وأساء القول فى أبى حاتم، قال : الحاكم أبو حاتم كبير فى العلوم وكان يحسد لفضله وتقديمه ؛ ونقلت من خط صديقنا الإمام الحافظ أبى نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بنوهبان السلمى الحديثى، وذكر أنه نقله من

خط أبى الفضل أحمد بن على بن عمرو السليمانى البيكندى الحافظ من كتاب الكذابين، قال : وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستى قدم علينا من سمر قندى سنة ٣٣٠ أو ٣٢٩ ؛ فقال لى :أبو حاتم سهل ابن السرى الحافظ لا تكتب عنه فإنه كذاب وقد صنف لأبى الطيب المصعبى كتاباً فى القراطمة حتى قلده قضاء سمر قند، فلما أخبر أهل سمر قند بذلك أرادوا أن يقتلوه فهرب ودخل بخارى وأقام دلالاً فى البزازين حتى اشترى له ثياباً بخمسة آلاف درهم إلى شهرين، وهرب فى الليل وذهب بأموال الناس ؛ قال : وسمعت السليمن الحافظ بنيسابور قال لى : كتبت عن أبى حاتم البستى ؟ فقلت : نعم، فقال إياك أن تروى عنه فإنه جاءنى فكتب مصنفاتى وروى عن مشايخى ثم أنه خرج إلى سجستان بكتابه فى القراطمة إلى ابن بابو حتى قبله وقلده أعمال سبحستان فمات به ؛ قال السليمانى : فرأيت وجهه وجده الكذابين وكلامه كلام الكذابين، وكان يقول : يابنى أكتب : أبو حاتم محمد بن حبان البستى إمام الأئمة، حتى كتبت بين يديه ثم محوته، قال أبو يعقوب إسحاق بن أبى إسحاق لقراب : سمعت أحمد ابن محمد بن صالح السجستانى يقول : توفى أبو حاتم محمد بن صالح السجستانى يقول : توفى أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان سنة ٣٥٤، وعن شيخنا أبى القاسم الشحامى عن أبى عثمان سعيد بن محمد البحترى، سمعت محمد بن عبد الله الضبى يقول :توفى أبو حاتم البستى ليلة الجمعة لثمانى ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤، ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصفة التى ابتناها بمدينة بست بقرب داره، وذكر أبو عبد الله الغنجار الحافظ فى تاريخ بخارى أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤، وقبره ببست معروف يزار إلى الآن، فإن لم يكن نقل من سجستان إليها بعد الموت وإلا فالصواب أنه مات ببست.

تاسعاً:
مدينة «بيهق»

بيهق: مدينة وسط الإقليم الرابع وهى واحدة من رساتيق نيسابور ومن أسمائها بيهة وبهين وبهتر. ويقال إن خسروجرد هو أول من بناها كما يقال إنه كان فى عهد بمهن شخص يدعى بيهه هو الذى بناها فسميت باسمه.. وتعد بيهق مخزناً للخيرات والخصب والنماء وهى حافلة بالمدن منها سوزوار وخسروجرد وبينهما فرسخ، وهما من المدن العظيمة العمران: كما تحتوى بيهق على عدة قرى مثل جوزينان ونظائرها. ويبلغ عدد قراها ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية.[1]

ويصفها ياقوت الحموى بقوله:

"بيهق بالفتح أصلها بالفارسية بيهه _ يعنى بهاءين ومعناه بالفارسية الأجود.. وهى ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحى نيسابور.. وبين أول حدودها ونيسابور ستون فرسخا.. وكانت قصبتها خسروجرد، ثم صارت سابزوار، والعامة تقول سبزور.. وأول حدود بيهق من جهة نيسابور آخر حدود ريوند إلى قرب دامغان خمسة وعشرون فرسخا طولاً وعرضها قريب منه[2].

هذا.. وتعد بيهق من أوائل المدن الإيرانية التى دخلت فى الإسلام وكانت مقراً للشيعة الإمامية[3].. وهى مدينة وولاية هواؤها معتدل وأسواقها واسعة وجيدة ومنتشرة فى الجهات الأربع، وحاصلاتها كثيرة ومنها الفاكهة والعنب.

ومن قرى بيهق قرية باشتين موطن الأمير عبد الرازق مؤسس أسرة سريدار، كما خرج منها المحدث الشافعى أبو بكر أحمد بن الحسين بن على.. وقد ذكرها الشاعر الحريش بن هلال السعدى وهو يرثى قطن بن عمرو بن الأهتم فى قوله:

قريب منه ؛ قال الحريش بن هلال السعدى يرثى قطن بن عمرو بن الأهتم:

إذا ذكرت قتل الكرام تبادرت ... عيون بن سعد على قطن دما
أتاه نعيم يبتغيه، فلم يجد بيهق ... إلا جفن سيف واعظما
وغر بقايا رمة لعبت بها ... أعاصير نسيابور، حولا مجرما

وقد أخرجت هذه الكورة ما لا يحصى من الفضلاء والعلماء والفقهاء والأدباء؛ ومع ذلك فالغالب على أهلها مذهب الرافضية الغلاة، ومن أشهر أئمتهم: الإمام

(1) عبد الحسين سعيديان : شناخت شهرهيا إيران صد ٢٧٠ _ ٢٧١ .

(2) ياقوت الحموى : معجم البلدان صد ٥٣٧- صد ٥٣٨ _ المجلد الأول _ حرف الباء .

(3) عبد الحسن سعيديان : شناخت شهرهاى إيران : صد ٢٧٠ _ ٢٧١ .

أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله بن موسى البيهقى من أهل خسروجرد صاحب التصانيف المشهورة، وهو الإمام الحافظ الفقيه فى أصول الدين الورع، أوحد الدهر فى الحفظ والإتقان مع الدين المتين من أَجَلّ أصحاب أبى عبد الله الحاكم والمكثرين عنه ثم فاقه فى فنون من العلم تفرد بها، ورحل إلى العراق وطوف الآفاق وألف من الكتب ما يبلغ قريباً من ألف جزء مما لم يسبق إلى مثله، استدعى إلى نيسابور لسماع كتاب المعرفة فعاد إليها فى سنة(٤٤١) ثم عاد إلى ناحيته فأقام بها إلى أن مات فى جمادى الأولى من سنة(٤٥٤): ومن تصانيفه كتاب المبسوط وكتاب السنن وكتاب معرفة علوم الحديث وكتاب دلائل النبوة وكتاب الآداب وكتاب مناقب الشافعى وكتاب البعث والنشور وكتاب فضائل الصحابة وكتاب الإعتقاد وكتاب فضائل الأوقات وغيرها من الكتب ؛ وينسب إليها أيضاً الحسين بن أحمد بن على بن الحسين بن فطيمة البيهقى من أهل خسروجرد أيضاً، وكان شيخاً مسناً كثير السماع من تلاميذ الإمام أبى بكر بن الحسين المذكور قبله، وأصابته علة فى يده فقطع أصابعه فكان يمسك بيده ويضع الكاغذ على الأرض ويمسك برجله ويكتب خطاً مقروءاً وينسخ ؛ ذكره أبو سعد فى التحبير وقال: قدم مرو وتفقه على والدى ثم مضى إلى كرمان وأثرى بها ثم رجع إلى قريته وتولى بها القضاء، قال: ولقيته فى طريقى إلى العراق وقرأت عليه كثيراً من مسموعاته، ورعى لى حق والدى وذكر خبره معه بطوله وقال: وكان مولده فى سنة (٤٥٠ هـ)، ومات بخسروجرد فى سنة(٥٣٦هـ)[1] كما ينسب إليها:

- أبو الحسن على بن زيد المشهور بابن فندق.
- أبو جعفر أحمد بن على بن محمد المعروف بأبى جعفر المقرى البيهقى.

جـ- أبو الفضل محمد بن الحسن البيهقى والذى ولد ببيهق سنة ٣٨٥ هـ ٩٩٥هـ وتوفى سنة ٤٧٠هـ.

وقد عاش فى مطلع حياته فى نيسابور حيث تعلم القرآن الكريم والحديث وقرأ الآداب العربية واستمع إلى كثير من الأحاديث ورواها وصنف كتابه "تاريخ البيهقى» فى ثلاثين جزءًا.

---

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان ــ مادة بيهق : صد ٥٣٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثانى

الفصل الأول

«شروق شمس الدولة الساسانية وغروبها»

كيف نشأت الدولة الساسانية ؟

ومن هو ساسان مؤسس الدولة؟

ساسان هو أحد سدنة بيت نار كان مقاماً فى مدينة اصطخر لعبادة الزهرة ناهيد.وكان قد اقترن بـ " رام بهشت " التى كانت ابنة ملك البازرنكيين. أولئك الذين كانوا يحكمون فى نيسابور المعروفة بالمدينة البيضاء.

اجتهد ساسان فى اتصالاته بـ كوزهر البازركانى حتى نجح فى اقناعه باسناد رئاسة قلعة مدينة داراب لابنه أردشير بينما تولى ابنه بابك حكم مدينة خير الواقعة على شاطئ بحيرة بختكان، وازدادت أطماعه فقتل كوزهر ونصب نفسه ملكاً.وبعد موته أطلق ابنه شابور على نفسه لقب ملك.. ولم يستمر شابور طويلاً فى الحكم إذ توفى تحت أنقاض قبو تهدم فى قصره فورثه أخوه أردشير ونصب نفسه ملكاً (٢١٢ م)... وراودته أطماع الملك التوسعية فقام بحملة على كرمان وهزم ملكها بلاش ونصب ابنه "أردشير" حاكماً عليها.. ونجح فى التصدى لأطماع ملوك خوزستان وعمان.. واشتد بأسه وقويت عزيمته وانتهى صراعه مع اردوان الخامس الاشكانى آخر ملوك الطوائف بنصر مؤزر قتل فيه اردوان (٢٢٤ م).

ونجح جيشه فى الاستيلاء على طيسفون ودخلت إيران تحت حكمه بعد أن بسط نفوذه وسيطرته على خراسان وبلخ وخوارزم وتوران ومكران.

ودفعه ذلك النصر المبين إلى التوجه بجيشه الجرارنحو الهند حيث استولى على البنجاب ووصل قريباً من سيرهند ودفع له ملكها الجزية صاغراً.فعاد أردشير إلى إيران واعتبر نفسه وارثاً لأجداده الهخمانشيين.. وعقد العزم على حرب الروم... وبعد أن أرسى دعائم ملكه عبر بجيشه نهر الفرات وتعددت رسائل التهديد والوعيد بينه وبين اسكندرسور قيصر الروم الذى حاول غزو إيران والنفاذ بجيوشه إلى قلبها، لكن جيوش أردشير تصدت له وهزمت جيوشه التى انسحبت فى خزى ومهانة.. ونتج عن هذا الانتصار أن سقطت نصيبين تحت سيطرة الفرس واستطاعت جيوشهم الاستيلاء على أرمينية بعد مقتل ملكها.. وفرار ابنه..

ولكى يستميل أردشير عواطف الشعب إلى جانبه قام بجمع الأوستا[1] وأكثر من الاستعانة برجال الدين "المغان" وأشعل النار المنطفئة فى بيوت النار، وجعل دين زرادشت هو الدين الرسمى لإيران ورفع قدر الموابذة وعهد إلى رئيسهم "الموبد موبدان" بأعلى منصب فى حكومته.[2] وأرسل قواته تتعقب أمراء الاشكانيين وتعمل فيهم القتل والتشريد ففر من بقى منهم إلى ما بين النهرين والهند ومناطق أفغانستان.

وأقام الدولة الساسانية على عمادين أولهما: وحدةِ الإقليم وثانيهما: دين زرادشت وفى سبيل توطيد أركان مملكته الفتية قام أردشير بالأعمال التالية:

أ) عهد إلى تنسر و تلاميذه بالاهتمام بجمع الأوستا ونشّر تعاليمها بين الناس.

ب) إختار دين زرادشت ديناً رسمياً لمملكته وسمح لرجال الدين بتعقب المرتدين وتقسيم التركات.

ج) تصنيف موظفى إدارات الدولة وتقسيم الشعب إلى طبقات.

د) تشكيل الجيش إلى فرق على نسق جيش داريوش الأول.

هـ) تخفيف العقوبات والغاء عقوبة قطع اليد.

و) رفع شعاراً جديداً مفاده أن الدولة والدين توأمان لا غنى لأحدهما عن الآخر.

الملك الثانى: شابور الأول:

خلف "شابور" سابور أباه على العَرش (٢٤١م) وفى بداية حكمه واجه فى صعوبة بالغة ثورة عاتيه قامت بها أرمينية وحران وكان القدر رحيماً به إذا أرسلت إليه ابنة ملك حران رسالة تطلب منه الزواج بها مقابل تسليم المدينة فأسرع بقبول عرضها.. وتزوج بها ودخل المدينة بمساعدتها وتدبيرها بعد خيانتها لأبيها لكنه نفر منها وكره خيانتها لأبيها وقتلها شر قتلة[3].

---

(١) الأوستا : هى كتاب زرادشت الذى يضم شرائعه وأحكامه وتعاليم دينه .

(٢) حسن برنيا: تاريخ إيران القديم صـ ٢٢٣ ، صـ ٢٢٤ ت د./ السباع محمد السباعى ود / محمد نور الدين.

(٣) ذكر برينا أن شابور لم يكن يود قتلها فى بداية الأمر ، لكنه عندما علم بعد ذلك ان هذه الفتاة كانت قد نشأت فى نعيم ومع ذلك خانت والدها ، أمر بقتلها بعد إحساسه بالنفور منها .. المرجع السابق صـ ٢٢٦ .

الحرب الأولى مع الروم من (٢٤١) إلى (٢٤٢)م.

استغل شابور اضطراب الأحوال الداخلية فى بلاد الروم واتجه بجيشه إلى حصار نصيبين واستولى عليها وعلى أنطاكية فتصدى له كردين امبراطور الروم والحق به هزيمة نكراء واسترد نصيبين وحاصر طيسفون..وفى تلك الأثناء اضطربت أحوال الامبراطورية الرومانية وازدادت القلاقل والفتن وثار الشعب على كردين وقتلوه واغتصب فيليب عرشه وتصالح مع شابور وترك الشرق وعقد معاهدة معه بموجبها أصبحت ارمينية وما بين النهرين جزءاً من إيران.

الحرب الثانية من (٢٥٨) إلى (٢٦٠)م.

قويت شوكة شابور، فعبر بقواته نهر الفرات قاصداً أنطاكية وسرعان ما بسط نفوذه عليها، وتعددت معاركه مع فالرين امبراطور الروم وانتهت جميعها بانتصاره عليه وأسره وإذاقته ألوانا من الذل والمهانة حتى مات من شدة ما قاساه وعاناه من إذلال على يد شابور وبعدئذ عبر شابور نهر الفرات واستولى على أنطاكية وتوجه بقواته إلى آسيا الصغرى واستولى على أغلب مدنها وقلاعها وحصونها وعمد إلى السلب والنهب والقتل وعاد إلى إيران محملاً بالغنائم الوفيرة، إلا أن خصمه آذينه "ملك تدمر" قطع عليه الطريق بقوات لاحقة لها وأنزل به خسائر فادحة واستولى على ما معه من غنائم بل وأسر بعض بناته.ورحل جيش إيران فى نهاية الأمر إلى دجلة بعد عناء كبير وصعوبة بالغة ونجح فى التخلص من مطاردة وتعقب أذينه له.

هذا ويعتبر شابور واحداً من ملوك الأسرة الساسانية المعدودين والمشهورين ويعتبره البعض دارا أو "داريوش" مؤسس الدولة الساسانية خاصة وقد تعددت أعماله وقت السلم ؛ فقد بنى مدينة سابور كما ينسب إليه بناء نيسابور فى خراسان وجندى سابور فى خوزستان، ويرجع الفضل إليه وإلى سلفه أردشير فى وضع دعائم راسخة للدولة الساسانية وإضفاء المهابة والعظمة على أسرة بنى ساسان.[1] وتوفى (٢٧١ م)، ومن الأحداث الرئيسية فى عصره ظهور مانى الذى أتى بدين جديد أعلن مبادئه على الناس أثناء تتويج شابور(سنة ٢٤٢) م.

---

(١) حسن برنيا: تاريخ إيران القديم الترجمة العربية صـ ٢٢٨ _ صـ ٢٢٩

هـذا .. وقد تتابع على عرش الدولة الساسانية ملوك عظام كان لكل واحد منهم فضل ويد طولى فى بناء هذه الدولة وخوض الحروب الطوال مع العدو التقليدى فى دولة الروم _ وتتابعت سلسلة هؤلاء الملوك على النحو التالى:

بعد وفاة شابور خلفه على عرشه هرمز الأول الذى يقال عنه إنه كان شجاعاً وإنه شارك فى حروب شابور مع الروم، وبعد وفاته (٢٧٢م) خلفه شقيقه بهرام الأول وحكم أربع سنوات وكان ضعيف الشخصية ولم تطل مدة حكمه عن أربع سنوات خسرت فيها إيران كثيراً من هيبتها وعزتها وسرعان ما توفى. وتم القبض على مانى(١) وسلخ جلده وهو حى وعلق بسهمين فى جنديسابور.

وتتالى ملوك هذه الأسرة حتى بلغ عددهم خمسة وثلاثون ملكاً وكان آخرهم يزدجرد الثالث الذى جلس على العرش (٦٣٢ م) والذى كان حفيداً لكسرى برويز، وقد تجلت فى عهده كل آثار التدهور والانحطاط بعد أن أضاع أسلافه جهودهم فى حروب مع جيرانهم من الروم والعرب.

وكان نهاية هذه الدولة فى عهد يزدجرد على ما سيأتى ذكره فى الفصل التالى بإذن الله.

ونختم هذا الفصل بملحق خاص بالأسرات التى حكمت فى إيران القديمة ويتضمن أسماء الملوك والوقائع الهامة للعصور والممالك.

---

(١) مان : ذكر ابن النديم أن اسمه مانى بن فتق بابك بن أبى برزام واسم أمه ميس، وأن أصل أبيه من همدان وانتقل إلى بابل وكان نيزل المداين فى المدينة التى تسمى طيسفون أما عن مذهبه فقد قال مانى: إن مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة وكل واحد منهما منفصل عن الآخر فالنور هو العظيم الأول وهو إلاله ملك جنان النور وله خمسة أعضاء الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة _ وخمسة أخرى روحانية : هى الحب والإيمان والوفاء والمروة والحكمة وأنه بصفاته هذه أزلى ومعه شيئان أزليان هما الجو والأرض وأعضاء الجو خمسة الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة وأعضاء الأرض النسيم والريح والنور والماء والنار. والكون الآخر هو الظلمة وأعضاؤها خمسة : الضباب والحريق والسموم والسم والظلمة .
د / حسن برينا: تاريخ إيران القديم صـ ٢١٨ .

- ملحق خاص بالأسرات التى حكمت فى إيران القديمة -

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	عيلام العهد الأول لتاريخ العيلاميين مانيشتو يؤسس حكم أسرة الكيشيين، ويخضع عيلام للأكاديين خضوع أنزان لكود - Goudea - ملك سومر	منذ الأزمنة السحيقة حتى: ٣٢٢٥ - ٢٨٠٠ حوالى ٢٥٠٠
كوردنان - خوندى	ملك عيلام يتم الإستيلاء على مدينة أور ويحمل تمثال نه نه معه إلى شوش استقرار جماعة سامية تعرف بـ نى سين فى سومر	٢٢٨٠ ٢٢٣٥
ريم سين	يقضى على آل نى سين	حوالى ٢١١٥
	العهد الثانى فى تاريخ عيلام استقرار أول جماعة سامية فى بابل قوانين حمورابى حمو رابى يخرج ريم سين من لارسا استقرار آل كاسى فى بابل	٢٢٢٥ - ٧٤٥ ٢٢٢٥ ٢١٢٣ - ٢٠٨٠ ٢٠٩٢ ١٧٦٠ - ١١٨٥

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
شوتروكث - ناخون تا	يستولى على بابل وحمل معه إلى شوش أشياء نفيسة وتاريخية من بينها نرام سين	حوالى ١١٩٠
شيل خاكين - شوش ناك	زد من ازدهار عيلام، ويجدد المبانى القديمة - ويحافظ على الآثار القديمة، ويصل بالآداب العيلامية والصناعات إلى الأوج بداية استقلال اشور ظهور الآراميين وشنهم الحملات على بابل وآشور هجوم الكلدانيين على بابل	حوالى ١١٧٠ بين ١٨٠٠ و ١٥٠٠ حوالى ١٣٠٠ ٩٧٠
	المرحلة الثالثة فى تارخ عيلام الحرب الأولى بين آشور وعيلام ف دوريلو الحرب الثانية والثالثة	٧٤٥ - ٦٤٥ ٧٢٢ - ٧٠٥ ٦٨٨
ت أومان	الحرب الرابعة المعروفة بتوليز الحرب الخامسة	٦٥٩ ٦٥١
خوم بان كالداش	الحرب الأخيرة بين آشور وعيلام وانقراضها.	٦٤٥

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	الأريون الإيرانيين **قدوم الأريين إلى إيران** نقش مضيق كواى ذكر اسم آماد وبازسوا لأول مرة فى نقوش الآشوريين هجوم إداد نيرارى على ماد حرب تكلات بى ليستر مع الميدين والإستيلاء على المزيد من الغنائم والأسرى من الميدين عبور جيش آشور من دماوند فى عهد آشور حيدين	بين ٢٠٠٠ - ١٤٠٠ حوالى ١٣٥٠ ٨٢٧ ٨١٠ ٧٤٤ ٦٧٤
دبا أوكو	**عهد الميديين (الماديون)** وسس دولة الميدين - مدة حكمه	٧٠١ - ٦٥٥
فرورتيش	حارب آشور ويقتل - مدة حكمه	٦٥٥ - ٦٣٣
هووخ شتر	مدة حكمه انتصاره فى حرب الباسكيين، وإخراجهم من إيران الإستيلاء على نينوا وانقراض دولة الآشوريين على يد الميدين	٦٣٣ - ٥٨٤ ٦١٥ ٦٠٥

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	الستة قبل الميلاد
هووخ شتر	الحرب مع لميديا والصلح معها موت هوخ شتر	٥٩١ - ٥٨٥ ٥٨٤
ايخ تووكو	مدة حكمه هزمة ايخ توويكو من كورش وانقراض دولة الميديين	٥٨٤ - ٥٥٠ ٥٥٠
هخمانش	عهد البارسيين (الفرس) الأسرة الهخمانشية أولا: ملوك بارس وانزان يعتقد بعض الباحثين أنه كان رئيسا للطائفة ولم يكن ملكًا	
جيش بش	كان ملكًا فى بارس	حوالى ٧٣٠
كمبوجيه	وكان يحكم فى بارس	
كورش	وكان ملكًا فى بارس	
جيش ش	وكان ملكًا فى بارس	
كوروش		

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
كمبوحيه		
كورش الكبير	ثانيا: مرحلة ازدهار بارس (فارس)	٥٥٩ - ٥٢٩
	حكم فى انزان ثم فى جمع مناطق إران وؤسس الإمبراطورة الإيرانية ومدة حكمه	
	الاستيلاء على همدان وانقراض دولة الميديين	٥٥٠
	الاستيلاء على سارد وانقراض دولة الليديين	٥٤٦
	الاستيلاء عل المستعمرات اليونانية فى اسيا الصغرى	٥٤٥
	حروب كوروش فى الممالك الشرقية	٥٤٦ - ٥٣٨
	الاستيلاء على بابل وتتويج كورش ملكًا عليها	٥٣٨
كمبوحية	موت كورش	٥٢٩
	مدة حكمه	٥٢٩ - ٥٢٢
	حملته الحربية على مصر والاستيلاء عليها	٥٢٤
	إرسال جيش إلى قرطاجنة وغزو الحبشة	٥٢٢ - ٥٢١
	قام برديا المكذوب	

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
داريوش الأول دارى وهش	مدة حكمه الحروب الداخلية وقلع المتمردين وقمعهم (الاستيلاء على بابل) الاستيلاء على البنجاب والسند هجوم داريوش على مملكة السكا الأثينيون خرجون هيب بباس الجبار من أثينا الفرس (البارسيون يستولون من جديد على تراكيه) حرب الماراثون	٥٢١ - ٤٨٦ ٥٢١ - ٥١٧ ٥١٥ - ٥١٢ ٥١٤ ٥١٠ ٤٩٢ ٤٩٠
خشيارشا الأول	مدة حكمه القضاء على تمرد المصريين والاستيلاء على مصر من جديد حملة خشيارشا إلى اليونان - عبور مضيق ترموبيل - الحرب البحرية فى أرتى ميزيوم - الاستيلاء على أثينا حرب سالاميين حرب بلاته مقتل خشيارشا، تولى اردوان السلطة نائبًا عنه.	٤٨٦ - ٤٦٥ ٤٨٤ ٤٨٠ ٤٨٠ ٤٧٩ ٤٦٥ - ٤٦٤

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
اردشير الأول (دراز دست) ارت خشتر	مدة حكمه تمرد المصريين والقضاء على ذلك اتفاقية كيمون ـ مشكلة الاستقلال الداخلى لليونانيين فى آسيا الصغرى التى كانت جزءاً من اتحاد دلوس	٤٦٤-٤٢٤ ٤٦٤ - ٤٥٤ ٤٤٩
خشيارشا الثانى	مدة حكمه ٤٥ وماً ومقتله على يد سغديانس	٤٢٤
سغديانس	حكم ستة أشهر	٤٢٤
داريوش الثانى (داريوهش)	مدة حكمه ثورة مصر	٤٢٤-٤٠٤ ٤١٥
أردشير الثانى	مدة حكمه	٤٠٤ - ٣٦٠
أرت خشتر	حرب كورش الصغير فى كونا - كسا- ومقتله اتفاقية أنتا لسيداس (آنتا لكيداس) وخضوع يونانى آسيا الصغرى خضوعاً تاماً لإيران	 ٤٠١ ٣٨٧

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
اردشر الثالث ارت خشتر	مدة حكمه الاستيلاء على صيدا ومصر من جديد	٤٦٠ - ٣٢٨ ٣٤٥ - ٣٤٤
ارشك	مدة حكمه	٣٨٨ - ٣٣٦
داريوش الثالث	مدة حكمه مجيء الإسكندر لإيران: حرب كرانيك حرب اسوس حرب كوكامل موت داريوش - انقراض الأسرة الهخمانشية	٣٣٦ - ٣٣٠ ٣٣٤ ٣٣٣ ٣٣١ ٣٣٠
الإسكندر	العصر المقدونى والسلوكى مدة حكمه بعد انقراض الأسرة الهخمانشية غزو الإسكندر للهند عودة نه آرخ من الهند بالسفن اليونانية موت الإسكندر وبداية عهد:	 ٣٣٠ - ٣٢٣ ٣٤٥ - ٣٢٧ ٣٢٤ ٣٢٣

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
سلكوس الأول	**الملوك السلوكن** يؤسس الدولة السلوكية - بداية التاريخ السلوكى	٣١٢م
سلكوس الأول	مدة حكمه	٣١٢ - ٢٨١
انطيوخوس الأول	مدة حكمه	٢٨١ - ٢٦٢
انطيوخوس الثانى	مدة حكمه بداية استقلال باختر وبارت	٢٦٢ - ٢٤٦ ٢٥٦ - ٢٥٠
سلوكس الثالث	مده حكمه	٢٢٦ - ٢٢٣
انطيوخوس الثالث	مدة حكمه	٢٢٣ - ١٨٧
سلكوس الرابع	مدة حكمه	١٨٧ - ١٥٧
انطيوخوس الرابع	مدة حكمه	١٧٥ - ١٦٤
انطيوخوس الخامس	مدة حكمه	١٦٤ - ١٦٢

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
دمتروس	مدة حكمه	١٦٣ - ١٥٠
دمتروس الثانى	مدة حكمه	١٥٠ - ١٣٨
انطيوخوس السادس	مدة حكمه	١٣٨ - ١٢٩
ارشك	عصر البارتيين الأسرة الأشكانية أسس دولة بارت - مده حكمه	٢٥٦ - ٢٥٣
تيرداد	حكم الدولة البارتية - مدة حكمه	٢٥٣ - ٢١٤
اردوان الأول	ضم جرجان - مدة حكمه	٢١٤ - ١٩٦
فرى يابت	مدة حكمه	١٩٦ - ١٨١
فرهاد الأول	شيد مدينة خاراكس فى الرى - مدة حكمه	١٧٠ - ١٣٨
مهرداد الأول	حارب السلوكيين وانتصر عليهم مدة حكمه	١٣٨ - ١٢٥

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
فرهاد الثانى	حارب انطهيوخوس س دء السلوكى وانتصر عليه وأبعد السلوكيين عن حدود إيران	١٣٨ - ١٣٥
أردوان الثان	جرح فى حرب مع طائف اليونة جى وتوفى	١٢٥ - ١٢٤
مهر داد الثانى الكبر	انزل بأقوام السك هزيمة ساحقة، وأقامت إيران فى عهده علاقات مع دولة الروم، وبلغ بحدود إيران جبال الهيمالايا فى الشرق وبين النهرين فى الغرب - مدة حكمه	١٢٤ - ٧٨
سندروك	مرت فترة بعد مهرداد الكبير إل أن جلس هذا الملك على العرش فى سنة ٧٧ - مدة حكمه	٧٧ - ٦٩
فرهاد الثالث	مدة حكمه	٦٩ - ٦٠
مهر داد الثالث	مدة حكمه	٦٠ - ٥٦
أرد الأول	مدة حكمه	٥٥ - ٣٧

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
أرد الأول	حرب إيران الأولى مع الروم فتح حران - مقتل كراسوس	٥٣
فرهاد الرابع	مدة حكمه حرب إيران الثانية والثالثة مع الروم - هزائم أنطونيو - يأس الروم من الاستيلاء على إيران - عقدهم للصلح الدائم معها.	٣٧- ١
فرهاد الخامس	حكم سنة ٢ ميلادية	السنة الميلادية
أرد الثانى	مدة حكمه	٢- ٦
وانان الأول		٧- ١٦
أردوان الثالث	كان ملكاً على ميدياً وتابعاً للبارتيين ، ثم استولى على العرش من وانان	
واردان	حروب داخلية	١٦ - ١٥
كودرز	حروب داخلية	

السنة قبل الميلاد	الوقائع الهامة - ملاحظات	أسم الملك
١٦- ٥١	حروب داخلية	وانان الثانى
٥١- ٧٧	مدة حكمه - انتصر فى حربه مع عشيرة دها	بلاش الأول (ولكش)
١٠٧	كان عصر الفطرة الذى استمر حتى سنة ١٠٧ ميلادية	باكر الثانى واردوان الرابع
١٠٧ - ١٣٣	حرب ترجان إمبراطور الروم مع إيران وإنسحابه صلح الروم مع إيران - مدة حكمه	كسرى
١٣٣ - ١٩١		بلاش الثانى
		بلاش الثالث
١٩١ - ٢٠٨	الحرب مع الروم إنسحاب سبتيم سور إمبراطورة الروم	بلاش الرابع
٢٠٨ - ٢١٦	مدة حكمه	بلاش الخامس

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
أردوان الخامس	مدة حكمه مجئ كارا كالا إلى إيران - هزيمة الروم ودفعهم الغرامة لحكومة إيران . إنقراض الدولة الأشكانية	٢١٦ - ٢٢٤ ٢١٧ - ٢١٨ ٢٢٤
	العهد الثانى للبارسيين (الفرس) الأسرة الساسانية	
بابك	كان يحكم فى جزء من بارس (فارس)	
شابور	كان يحكم فى بارس	٢١١ - ٢١٢
اردشير الأول	كان يحكم فى بارس	٢١٢ - ٢٢٦
بابكان	الحرب مع أردوان الخامس ومقتل آخر ملك اشكانى حكم أردشير الحرب مع الروم	 ٢٢٤-٢٢٦ ٢٢٦ -٢٤١ ٢٢٨-٢٣٢
شابور الأول	مدة حكمه	٢٤١ - ٢٧١

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
شابور الأول	الحرب الأولى لشابور مع الروم الحرب الثانية لشابور مع الروم - أسر والرين إمبراطورية الروم إعلان مانى لمذهبه	٢٤١ -٢٤٤ ٢٥٨-٢٦٠ ٢٤٢
هرمز الأول	مدة حكمه	٢٧١ -٢٧٢
بهرام الأول	مدة حكمه* قضى الروم فى عهده على دولة تدمر	٢٧٢-٢٧٥
بهرام الثانى		٢٧٥-٢٨٢
بهرام الثالث	حكم أربعة أشهر	٢٨٢
نرسى	مدة حكمه هزمه كالريوس القائد الرومى الحرب الثانية مع الروم وفقدان خمس ولايات	٢٨٢-٣٠١ ٢٩٧ ٢٩٦
هرمز الثانى	مدة حكمه - قتل فى حرب مع العرب	٣٠١-٣١٠

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
آذر نرسى		٣١٠
شابور الثانى - الكبير ذو الأكتاف	مدة حكمه الحرب الأولى لشابور مع الروم الحرب مع الهون وانتصار شابور حربه الثانية مع الروم وانتصار إيران صلح الروم مع إيران واسترداد الولايات الخمسة التى كانت قد فصلت عن إيران فى عهد نرسى الحرب مع الروم على أرمنستان وكرجستان وعقد معاهدة عدم التدخل مع الدولتين فى شئون هاتين المملكتين	٣١٠ - ٣٨٩ ٣٣٨ - ٣٥٠ ٣٥٠ - ٣٥٧ ٣٥٩ - ٣٦٣ ٣٦٣ ٣٧٦
اردشر الثانى (طيب الفعل)	مدة حكمه	٣٧٩ - ٣٨٢
شابور الثالث	مدة حكمه تقسيم أرمينية بين إيران والروم	٣٨٢ - ٣٨٨ ٣٨٤ - ٣٩٠
بهرام الرابع	كان يلقب بكرمانشاه - مدة حكمه	٣٨٨ - ٣٩٩

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة الميلادية
يزدجرد الأول	كان يلقب بالأثيم - أودع عنده إمبراطورية الروم إبنه وولى عهده آركاديوس ، ورعاه يزدجرد إلى أن جلس على العرش - مدة حكمه .	٣٣٩ - ٤٢٠
بهرام الخامس	الملقب بلقب كور - مدة حكمه الحرب مع بيزنطة دون نتيجة معاهدة الصلح مع الروم - الحرب مع الهياطلة وهزيمتهم	٤٣٠ - ٤٣٨ ٤٢١ ٤٢٥
يزدجرد الثانى	مدة حكمه - المسألة الدينية فى أرمينية	٤٣٨ - ٤٢٥
هرمز الثالث	مدة حكمه	٤٥٧ - ٤٥٩
فيروز الأول	مدة حكمه دخل فى حرب مع الهياطلة وقتل	٤٥٩ - ٤٨٣
بلاش	الصلح مع الهياطلة - إعلان الدين المسيحى ديناً رسمياً فى أرمينية وكرجستان - مدة حكمه	٤٨٣ - ٤٨٧
قباد الأول	مدة حكمه فى المرة الأولى	٤٨٧ - ٤٩٨

السنة الميلادية	الوقائع الهامة - ملاحظات	أسم الملك
٤٩٨	ظهور مزدك - خلع قباد من الحكم وفراره من السجن - ذهاب قباد إلى الهياطلة.	قباد الأول
٤٩٨ - ٥٠٢	مدة حكمه	جاماسب
٥٠١ - ٥٣١ ٥٠٣ ٥٠٣ - ٥١٣ ٥٣١	مدة حكمه فى المرة الثانية الحرب مع بلاد الروم الشرقية - الاستيلاء على دياربكر والصلح مع بزنطة الحرب مع الهياطلة وهزيمتهم الساحقة الحرب الثانية مع الشرق - طلب بيزنطة العون من الماسازتيين والهون - معاهدة استاتوكو (بقاء الشىء على ما كان) أى عودة الطرفين إلى ما كانا عليه قبل الحرب.	قباد الأول
٥٣١ - ٥٧٩	كان يلقب بالعادل - مدة حكمه	كسرى الأول

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة الميلادية
كسرى الأول	القضاء على المزدكية - عمل إصلاحات فى الجيش والضرائب والقضاء - رواج الزراعة والتجارة - الإصلاحات الإدارية تقسيمات إيران الإدارية - إقامة مدرسة الطب فى جندى شابور - ترجمة كتب الفلسفة اليونانية وكتاب بيدبا الهندى (كليلة ودمنة)	٥٣١ - ٥٧٩ ٥٣٢
	عقد معاهدة صلح مع الروم الشرقية	٥٣٩ - ٥٤٠
	تعهد الروم بدفع غرامة الحرب	
	الحرب الثانية مع الروم فى لازيكا - الهدنة مع بيزنطة - الصلح مع الروم لمدة خمسين عاماً - تعهدت فيه بيزنطة بدفع مبلغا سنوياً لإيران لمدة خمسين سنة.	٥٥٧
	الحرب مع الهياطلة وتقسيم مملكتهم بين إيران وأتراك ما وراء سيحون.	٥٥٧ تقريبا
	سفر جيش إيران إلى اليمن وإخراج الأحباش من هناك	٥٧٠

أسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنة الميلادية	
كسرى الأول	الحرب مع الترك - انسحاب خاقان تركستان	فى حدود سنة ٥٧١	
	الحرب الثالثة مع بيزنطة - موت أنوشيروان	٥٧٢ - ٥٧٩	
هرمز الرابع	مدة حكمه	٥٧٩ - ٥٩٠	
ترك زاد	الحرب مع بيزنطة	٥٧٩ - ٥٩٠	
	الحرب مع الترك وهزيمتهم على يد بهرام جوبين القائد الإيرانى- مقتل خاقان تركستان وأسر ابنه - دفع الأتراك الضرائب لإيران		
كسرى الثانى برويز	مدة حكمه	٥٩٠ - ٦٢٧	
	ثورة بهرام جوبين على كسرى - ذهابه إلى الروم ومجيئه إلى إيران مع جيش بيزنطة - موت موريس إمبراطور بيزنطة وعدم إعتراف كسرى بفكاس إمبراطوراً على الروم - حروب كسرى برويز مع الروم - فتوحات كسرى - الاستيلاء على آسيا الصغرى وسورية وفلسطين ومصر على يد شهر براز وشاهين - احضار صليب المسيح	٦٢٢ - ٦٢٧	
	إلى إيران - قدوم هرقل قيصر بيزنطة إلى إيران وانتصاره .	٦٢٦ - ٦٢٧	
	محاصرة القسطنطينية بمعاونه شاهين القائد الإيرانى		
		هـ	م
	موت القائد المذكور - حملة هرقل على دستكرد	٤- ٥	٦٢٦ - ٦٢٧
	خلع كسرى برويز ومقتله	٥ - ٦	٦٢٧ - ٦٢٨

اسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنوات	
		هـ	ميلادى
قباد الثانى شيرويه	أعاد صليب المسيح الذى أحضره الإيرانيون من بيت المقدس إلى الروم	٥-٧	٦١٧ -٦٢٩
أردشير الثالث		٧	٦٢٩
كسرى الثالث		٧	٦٢٩
جوانشير		٧	٦٢٩
بوران دخت	عقدت صلحاً دائماً مع الروم وبقيت نصيبين لإيران	٨	٦٣٠
كشتاسب بنده		٩	٦٣١
آرز ميدخت		٩	٦٣١
هرمز الخامس		٩	٦٣١
كسرى الرابع		٩	٦٣١
فيروز الثانى	كان أبوه مهركشتاسب حفيد قباد الأول وكانت أمه جهار بخت أنوشيروان	٩	٦٣١
كسرى الخامس	الملقب بخور زاد وفرخ زاد	٩	٦٣١

إسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنوات	
		هـ	ميلادى
يزدجرد الثالث	مدة حكمه	١٠-١١	٦٣٢-٦٥٢
	معارك الحدود مع المسلمين (ذات السلاسل - الجسر - البويب وغيرها) معركة القادسية - استيلاء المسلمين على المدائن	١٢-١٤	٦٣٤-٦٣٦
	معركة جلولاء	١٤	٦٣٦
	إرسال يزدجرد برسله إلى الصين وطلبه العون من ملكها	١٦	٦٣٨
	معركة نهاوند	١٦	٦٣٨
	مقتل يزدجرد الثالث وانقراض الدولة الساسانية	٢١	٦٤٢
	إعتراف ملك الصين بفيروز بن يزدجرد ملكاً على إيران	٣١	٦٥٢
	ذهاب فيروز إلى ملك الصين وحصوله على إذن بإقامة معبد نار فى جان كاى	٤٠	٦٦١
		٥٣	٦٧٤
	الأشخاص الذين لم يكونوا من الأسرة الساسانية		
كسرى	استرد منه بهرام الخامس العرش		٤٢٠

إسم الملك	الوقائع الهامة - ملاحظات	السنوات	
		هـ	ميلادى
بهرام السادس	كان يعرف ببهرام جوبين وقد سمى بعد جلوسه على العرش باسم بهرام السادس وحكم عدة أشهر		٥٩٠
بيستام	كانت له إمارة مستقلة فى ميديا لمدة أربع سنوات		٥٩٢-٥٢٦
شهر براز	حكم شهران وأعاد مصر وسورية وآسيا الصغرى إلى الروم	٧	٦٢٩[1]

(١) حسن برنيا: تاريخ إيران القديم من صـ ٣٥٥ إلى صـ ٣٧٨. ت: د/ السباعى محمد السباعى ود/ محمد نور الدين عبدالمنعم

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثانى

"العلاقة بين العرب والفرس قبل البعثة النبوية"

٢١٢ هـ - ٦٥٢ م

يرى كثير ممن أرخوا لهذه الفترة أن الصلات بين العرب والفرس لم تنقطع منذ قيام الدولة الساسانية، وأنها كانت تأخذ شكل العداء حيناً والصداقة حيناً آخر، إلا أنها كانت قائمة فى أغلب الأحوال على استضعاف العرب ونشر الفتنة بينهم والإفساد فى أرضهم(١).. وقد تميزت هذه العلاقات إبان عهد يزدجرد الأول بالمودة وحسن الجوار حتى أنه منح النعمان بن إمرئ القيس إبن عمرو ابن عدى كتيبتين أطلق على إحداهما " دوسر "وخصصت لتنوخ والثانية " الشهباء " وكانت لفارس، وهما اللتان يقال لهما القبيلتان، فكان يغزو بهما باسم يزدجرد بلاد الشام ومن لم يخضع لحكمه ويكن له الولاء من العرب.. كما عهد بتربية إبنه " بهرام " وحضانته إلى المنذر بن النعمان واتخذه ملكاً من قبله على العرب، وخلع عليه بمرتبتين سنيتين " رام أفزود يزدجرد "شارح قلب يزدجرد "والثانية " مهيست " أعظم الخُوَلْ "، كما خلع عليه كسوة وصلة بقدر استحقاقه لذلك فى منزلته، وأمره أن يسير ببهرام فى بلاد العرب(٢). حيث توالى على إرضاعه ثلاث نساء : عربيتان وفارسيه. واستمر يرضع منهن فترة ثلاث سنوات.. وأشرف على تعليمه حكماء العرب والروم. وحين مات يزدجرد الأول رفض عظماء فارس وأهل بيوت النار وأشراف الفرس، تمليك أحد من ذريته، الذين لم يتدربوا على الحكم خاصة وأن بهرام نشأ وتربى بين العرب ولم يتأدب بأدب العجم، ولهذا إسْتُبْعِدَ بهرام من ولاية عرش إيران. ولكن المنذر أرسل إبنه النعمان على رأس جيش من فرسان العرب وفرضوا بهرام على عرش الأكاسرة فى ظل قوتهم وحمايتهم، فما كان من عظمائهم وأهل بيوتا تهم إلا أن سارعوا بإعلان الولاء والانقياد والطاعة له بل وطلب الصفح والمغفرة، فشفع لهم المنذر عنده.

وهكذا اتسمت هذه الفترة التى إمتدت من (٣٩٩م إلى سـ٤٣٨م)، بحسن الجوار والمودة والهدوء طوال عهدى يزدجرد وولده بهرام..

هذا ولم تدم هذه العلاقات الطيبة طويلاً.. ففى عهد الملك الساسانى سابور الأول (٢٤١ _ ٢٧٢م) كان لعرب تدمر شأن آخر معه، فقد نشبت الحرب بين

(١) يحى الخشاب : التقاء الحضارتين العربية والفارسية : صـ ٨٠ نشر : بالقاهرة معهد الدراسات العربية ١٩٦٩م .

(٢) الطبرى : جـ٢ صـ ٦٧- ٦٩ .

ملـــكها " أذينة " وسابور وكانت الغلبة فيها " لأذينة "، وإمتد على أثرها ملك أذينة فشمل الكرخ ونصيبين وأكثر الأقاليم الرومانية فى آسيا الصغرى، وظل الفرس فى حرب مع أذينه حتى قتل (٢٦٥م). إلا أن زوجته "الزباء " نائلة بنت عمرو بن الظرب وكانت وصية على ابنها " وهب اللات " ناوشت الفرس ودخلت فى حروب متصلة معهم بدعم من الروم كان النصر فيها حليفها، وحين شب ابنها عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال نادى بالانفصال عن الروم، فانقلبوا عليه وأوقعوا به هزيمة نكراء وأسروا أمه ورفض سابور الأول _ فى السنة الأخيرة من حكمه _ رجاءها باللجوء إلى كنفه.

كما قام سابور الأول بالهجوم على الضيزن الذى توسع ملكه فشمل أرض الجزيرة ومناطق شاسعة من الشام وظل سابور يحاصره أربع سنوات وأنتهى أمر الحصار باقتحام الحصن وقتل الضيزن بتدبير من ابنته التى أحبت سابور واستولى على مدينة الحضر وقضى على مقاومة أبناء قضاعة وبنى حلوان _ خلفاء الضيزن.

ويروى لنا الطبرى أنه حين طلب زعيم اليمن سيف بن ذى يزن العون من ملك الروم ليطرد الأحباش عن بلاده وقوبل طلبه بالرفض لجأ إلى كسرى أنوشروان بوساطة النعمان بن المنذر "عامل كسرى على الحيرة". وقبل كسرى وساطة عامله وبعث بجيوشه بقيادة القائد الفارسى الشجاع وهرز(١).

وانتصر الجيش العربى الفارسى على الأحباش وطردوهم من اليمن، وَوَلَّى كسرى سيف بن ذى يزن على اليمن وغدر به خدمه من الأحباش وثاروا عليه وقتلوه، فأعاد كسرى وهرز وقواته إلى اليمن، فقضوا على تمرد الأحباش وأصبح واليا على اليمن وظلت اليمن تابعة لحكم الفرس حتى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم. وكان واليها باذان الفارسى سباقاً فى الدخول إلى الإسلام(٢).

وتتعدد مظاهر التعاون بين الفرس والعرب، ويذكر الطبرى حادثة أخرى فى هذا المجال وذلك حين اعتدى خالد بن جبلة _ والى الشام من قبل الروم - على المنذر بن النعمان والى كسرى على الحيرة وأسرع المنذر إلى كسرى طالباً حمايته من أذى خالد فما كان من كسرى إلا أنه كتب إلى جستنيان _ إمبراطور الروم _

---

(١) الطبرى : ج٢ صـ ١٤١ .

(٢) الطبرى : ج٢ صـ ١٤١ وما بعدها .

مهدداً ومنذراً بانتفاض ما بينها من العهد والهدنه، ولما لم يستجب إمبراطور الروم أسرع كسرى بالهجوم على بلاده وأستولت قواته على أغلب مدن الشام وطردت واليها الحارث بن عمرو، وكان فى جيش كسرى جند من العرب فعرفوا مداخل طرق الشام ومخارجها وسلكها إبناؤهم المسلمون فيما بعد فى حروبهم مع الروم والفرس(١).

وتتعدد حوادث الصدام والنزال والقتال بين العرب والفرس ويروى الطبرى وحمزة الاصفهانى أحداثاً كثيرة عن ذلك، منها قيام سابور الثانى والذى حكم من (٣١٠ إلى ٣٧٩) أى قبل الإسلام بنحو(٢٣٢ سنة) قيامه بالإغارة على بلاد البحرين فأفشى فيهم القتل وسفك فيهم الدماء سفكاً سالت كسيل المطر (٢)، وأجلى العرب عن النواحى التى صاروا إليها مما قَرُبَ من نواحى فارس والبحرين واليمامة(٣)، وكان سابور ينقب أكتاف العرب ويجمع بين كتفى الرجل منهم بحلقة ويأسره فسماه العرب " ذو الأكتاف ".. وكان العرب يردون على غاراته وهجومه وينتقمون لأنفسهم على قدر طاقتهم(٤).

وهناك حادثتين مشهورتين بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم. أما أولاهما فقد حدثت أيام كسرى أنوشروان الذى ولد النبى فى عصره وقد أطلقوا عليه حادث المكعبر(٥) والذى كان واليا لكسرى على البحرين. وكان لهذا الحادث دوى وصوت عال بين العرب، وخلاصته أن " وهرز " أرسل أموالاً وطرفاً إلى كسرى، فلما مرت بقبائل تابعة لتميم وثب أفرادها عليها واستولى رجل منهم إسمه النطف على خرج منها ملئ بالجواهر، فقال العرب : أصاب فلان كنز النطف، فصار مثلاً، ثم إن أصحاب العير ساروا إلى هوذة باليمامة فكساهم وحملهم ومضى بهم إلى كسرى، فكافأه على حسن صنيعه ومنحه عقداً من در عقد على رأسه فسمى "هوذة ذو التاج " ولم يكتف كسرى بإشعال نار الفتنة بين

---

(١) الطبرى : تاريخ الطبرى ج٢ صـ ١٤١ .

(٢) الطبرى : ج٢ صـ ٥٥ وما بعدها .

(٣) حمزة الإصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض صفحة ٣٦ طبعة برلين .

(٤) يحيى الخشاب إلتقاء الحضارتين العربية والفارسية صـ ٨٦ .

(٥) وكانت فعلته هذه سبباً فى تسميته بالمكعبر وذلك لأنه حين قتل قيل ما زال يكعبر فسمى المكعبر " ياقوت الحموى" و فتوح البلدان ج٢ صـ ٧٦ .

تميم وقبيلة هوذة ولكنه أمر عامله المكعبر بأن يعمل القتل فى تميم فقتلهم فى الحصن المعروف بالمشقز، ولم يكتف المكعبر بقتل الرجال ولكنه عمد إلى قطع أيديهم وأرجلهم. و استبقى الغلمان وأرسلهم بالسفن إلى كسرى حيث ظلوا أسرى لدى فارس حتى فتح العرب إصطخر فى العهد الإسلامى ورجع بعض هؤلاء الغلمان إلى ذويهم.

أما الحادث الثانى فقد حدث أثناء بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الغلبة فيه للعرب فى اليوم المعروف بيوم " ذى قار" وذلك حين هزمت قبائل ربيعة جيش كسرى برويز وكان سبب هذه الحرب قيام عدى بن زيد العبادى - أحد تراجم كسرى- بالوقيعة بين كسرى برويز وعامله على الحيرة النعمان بن منذر اللخمى وحين علم النعمان بذلك إرتحل بين القبائل العربية طالباً حمايتهم ونجدتهم فخذلوه حتى إستقربه المطاف فى قبيلة بكر بن وائل بذى قار واستودع متاعه ونعمه وسلاحه عندهم، وعهد بها إلى زعيمهم هانئ بن قبيصة بن هانئ وحمله قدره السيئ إلى كسرى فسجنه حتى مات ؛ وعهد كسرى بولاية الحيرة إلى رجل من طئ هو إياس بن قبيصة وبعث إليه يسأله عن تركة النعمان، فأجاب بأنه أودعها لدى قبيلة بكر بن وائل.. وكتب إياس ابن قبيصة إلى هانئ ليبعث إليه بوديعة النعمان، فأبى، مما أثار غضب كسرى وعهد إلى تغلبى فى بلاطه هو النعمان بن زرعه لاستئصال بكر بن وائل، فأسرعت بكر إلى ذى قار ورفض زعيمهم الانصياع لطلب التغلبى بالاستسلام واختار القتال، وأمد كسرى تابعه التغلبى بمدد عظيم من عنده واحتدم القتال بينهما وكانت الغلبة فيه للعرب، وعده النبى صلى الله عليه وسلم يوم انتصاف للعرب على العجم(١).

فى تلك الفترة فترة ظهور الإسلام وبداية إقبال العرب عليه والإيمان به والدخول فيه كان العرب آنذاك صنفان الأول: وهم المشركون العرب وكان هؤلاء ميالون إلى الفرس والثانى المسلمون وكانوا ميالين إلى الروم لأنهم مثلهم أهل كتاب مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان وأنهم لا يستكبرون﴾(المائدة ٨٢)

---

(١) يحى الخشاب : التقاء الحضارتين العربية و الفارسية صد ٨٨ .

وحين وقعت الحرب آنذاك بين الفرس والروم والتى سميت بيوم أذرعات وكانت الغلبة فيها للفرس، شمت المشركون من العرب فى المسلمين، فنزل قول الله تعالى ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الروم (١ _ ٥)

ولما دخل العرب جميعهم فى الإسلام وصارت لهم دولة يشار إليها بالبنان، وإتجهت جيوشهم إلى خارج الجزيرة العربية حاملة لواء الإسلام كانت فارس أول هدف لهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث

"الفتح الإسلامى لبلاد فارس"

يجمع الكثير من المؤرخين على أن الدولة الإسلامية قد تأسست فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه حين قام بتوطيد العقيدة وتسيير البعوث، وشرَّع السُّنة الصالحة فى توطيد العقيدة بين العرب بما صنعه فى حرب الردة التى شنها على العرب المارقين، وشرع السنة الصالحة فى تأمين الدولة من أعدائها بفتح الفتوح فجيش الجيوش وزودها بالإمدادات يتلو بعضها بعضاً لانفاذ سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نشر الإسلام، ولم تكن تلك الجيوش تحمل ديناً جديداً فقط بل وحضارة حديثة نامية بعد أن ألف الإسلام بين قلوب العرب، ووجد أبو بكر فى الدولة العربية الفتية ولعاً بالقتال والجهاد مع ما عليه رجالها من شدة الإيمان والحرص على الاستشهاد فى سبيل نصرة الدين الجديد، وجد فى ذلك كله خير معين على توجيه جيوشها للقضاء على الاستبداد والظلم الذى أشاعه حكام فارس الذين أقاموا أمة مستقلة متجانسة فى جنسيتها ولغتها ودينها. ومن هنا كانت مقاومتهم للعرب قوية هادرة أمام قوة فتية ناشئة. وكان قد انقضى على تأسيس إمبراطورية آل ساسان (٢٢٦ م)، على يد أردشير ابن بابك أربعة قرون وهى فترة طويلة ضعفت فيها أسس الدولة الفارسية واختل نظامها وكثر استبداد حكامها بالشعوب الخاضعة لهم ناظرين لهم نظرة سخط وقنوط وازدراء واستياء، فضعفت أوصال دولتهم وسادها حالة من الوهن السياسى والفساد الأخلاقى والدينى والضعف المعنوى وذلك حين إعتلى عرشها يزدجرد الثالث[١] آخر ملوك الساسانيين (٦٣٢م) مما حفز الخليفة أبو بكر رضى الله عنه إلى توجيه جيش إلى أطراف العراق بقيادة خالد بن الوليد ومعه المثنى بن حارثة فأيدهما الله بالنصر على الفرس واستولى جيش المسلمين على الحيرة والأنبار حتى وصلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب وكانت البداية الطيبة والموفقة والحازمة لابن الخطاب، اسناده قيادة جيوش المسلمين لسعد بن أبى وقاص الذى منَّ الله عليه

---

(١) جلس على العرش سنة ٦٣٢م، ولا يعرف نسبه على وجه التحديد، ويقول الطبرى إنه كان ابنا لشهريار(أى حفيد كسرى برويز) وأن أمه كانت زنجية وقد اضطروا إلى توليته الحكم عندما لم يجدوا أحداً من الأسرة الحاكمة، وحينما وصل يزدجرد إلى الملك تجلت آنذاك كل آثار التدهور والانحطاط، بالاضافة إلى أن يزدجرد كان شاباً غير محنك، ولم يكن هناك من يساعده من أفراد الأسرة الحاكمة بعد مقتل قباد.
(حسن برنيا: تاريخ إيران القديم) ترجمة د / السباعى محمد و د / محمود نور الدين صـ ٢٨٠ طبع مكتبة الانجلو.

وأكرمه بفتح القادسية (١٥هـ/ ٦٣٦م) والانتصار العظيم على الفرس وقتل قائدهم رستم.(١)

معركة القادسية والاستيلاء على المدائن "طيسفون" (١٤هـ / ٦٣٥م)

كانت القادسية تقع بالقرب من مكان عرف بعد ذلك باسم كربلاء. وهناك التقى الجمعان ونشبت معركة حامية الوطيس استمرت أربعة أيام، وكان النصر فيها حليفاً للفرس خلال اليوم الأول بسبب الفيلة فقد تمردت خيول المسلمين نتيجة للذعر الذى أصابها منها. وفى اليوم الثانى وصلت الإمدادات إلى المسلمين من الشام فهزموا فرسان إيران وأنزلوا بهم خسائر فادحة قدرت بحوالى عشرة آلاف فارس ؛ وفى اليوم الثالث فقأ القعقاع بن عمرو- وهو قائد جيش الإمداد _ الذى قد وصل من الشام _ عين فيل أبيض بحربه وفعل نفس الشىء بفيل آخر، فارتدت الفيلة وأصابت صفوف الجيش الإيرانى بالخلل والفوضى.. وفى مساء اليوم الرابع انقسم المسلمون إلى مجموعات متعددة وأغاروا ليلاً على الجيش الإيرانى ولم يتركوا مجالا له حتى يرتاح، إذ استمرت الحرب طوال الليل. وفى اليوم الخامس نشأت معركة شديدة وفى هذه الأثناء هبت ريح عاتية ألقت بتراب ميدان الحرب فى وجوه الإيرانيين وأدت إلى حدوث خلل واضطراب شديدين فى صفوفهم واستفاد المسلمون من هذا الوضع وحملوا بشدة عليهم، فمزقوا قلب الجيش الإيرانى، وألقى رستم بنفسه فى الماء وسبح هارباً، لكن مسلماً يدعى هلال بن علقمة تعقبه وقتله ثم وضع رأسه على حربته وصعد على عرشه وصاح قائلاً: قسماً برب الكعبة لقد قتلت رستم. بعد ذلك نهض الجيش الإيرانى من جديد ولكن وصل إمداد المسلمين وَهَزَمَ الجيش الإيرانى. وفى هذه الحرب سقط علم كاويان (درفش كابيان) فى يد المسلمين ويروى أن جواهره كانت تساوى مائتى ألف تومان تقريباً بعملة اليوم. لكن العربى الذى حصل عليه باعه بخمسة آلاف تومان.

أعطى سعد بن أبى وقاص بعد هذا الانتصار الكبير راحة لجنوده لمدة شهرين بأمر من عمر بن الخطاب، ثم قام بالاستيلاء على البلاد الواقعة بين الفرات

---

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٤ صـ ١٣٢ _ صـ ١٤٠

ودجلة وتحرك بقواته إلى المدائن وبعد الإستيلاء عليها زاده الله نصراً وعزاً بالاستيلاء على طيسفون حيث أصيبت قواته بالحيرة والدهشة حين شاهدوا عظمة هذه المدينة وثراءها وأبهتها ووقعت فى أيديهم غنائم وذخائر لا تحصى ولا تعد(١).. وقد بلغ نصيب كل عربى من الغنائم - التى قسمها المسلمون - إلى ألفين وخمسمائة تومان بعملة.. اليوم كما يقال، فى حين أن عدد المسلمين كان يصل إلى ستين ألف رجل.(٢)

موقعة جلولاء (١٦هـ/ ٦٣٧م) :

بعد قضاء سعد وجنوده صيفهم فى المدائن - بتعليمات وتوجيهات من عمر- نما إلى علمه أن يزدجرد أعد عدته وجيش جيوشه فى منطقة حلوان الواقعة فى جبال كردستان، وأنه يعد عدته لحربه، فما كان من سعد إلا أن إختار قائدين محنكين من قواده وهما هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو وأرسلهما على رأس اثنى عشر ألف مقاتل إلى هناك ونشبت معركة حامية الوطيس بين الطرفين فى جلولاء القريبة من "حلوان"، وكان النصر فيها حليفاً للمسلمين وأصابوا غنائم كثيرة وتمت لهم السيطرة على مدن ما بين النهرين.

وفى سنة (١٧هـ) شيد المسلمون مدينتى البصرة والكوفة فأقيمت البصرة على مدينة الأبلة بينما أقيمت الكوفة بالقرب من مدينة الحيرة القديمة..

وتجددت المعارك بينهم وبين الفرس واستطاعوا سنة (١٩ هـ / ٦٤٠م) استرداد الأهواز من يد الفرس وقتل الهرمزان حاكم خوزستان.

موقعة نهاوند (٣١هـ / ٦٤٢م)

استغل الملك الفارسى يزدجرد توقف جيوش العرب فيما بين النهرين، واشتغالهم بترتيب أمورهم الداخلية هناك واتخذ من نهاوند نقطة ارتكاز

---

(١) يصف بن كثير فى كتابه: البداية والنهاية (جـ ٢ صـ ٦٦ الطبعة الثانية ١٩٧٤م): الغنائم التى غنمها المسلمون فى هذه المعركة فيقول: "واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد فى الدنيا أعجب منه، وكان فى جملة ذلك تاج كسرى، وهو مكلل بالجواهر النفيسة التى تحير الأبصار، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقباؤه وبساط إيوانه وكان مربعاً ستون ذراعاً فى مثلها من كل جانب والبساط مثله سواء وهو منسوج بالذهب واللآلى والجواهر الثمينة وفيه مصور جميع ممالك كسرى بلاده بأنهارها وقلاعها وأقاليمها وكنوزها وصفة الزروع والأشجار فى بلاده...

(٢) حسن برنيا: تاريخ إيران القديم : ت: السباعى ونور صـ ٢٨٧

لمهاجمتهم ووصلت الأخبار بذلك إلى عمر بن الخطاب فأسند قيادة الجيش إلى النعمان بن المقرن الذى تحرك من فوره إلى حلوان ليهاجم الري منها.. ولما علم بتمركز قوات الفرس فى نهاوند أسرع إليها مع ثلاثين ألف مقاتل ونشبت معركة نهاوند واختار الإيرانيون بقيادة فيروزان الحرب الدفاعية مستترين خلف الخنادق ومبتعدين عن الحرب فى مناطق السهول، فطال أمد الحرب، وأوشكت مؤن الجيش العربى على النفاذ، فاستغل النعمان ما به من ذكاء ومكر وحيّلة معلناً انسحابه وذهابه إلى المدينة بعد علمه بوفاة الخليفة، وانطلت الحيلة على جند الفرس وخرجوا من خنادقهم لتعقبه ووصلوا إلى المكان الذى حدده النعمان، وعادت قواته وهاجموهم بشجاعة وشدة وقوة حتى قضوا عليهم، واستشهد النعمان فى المعركة وتولى حذيف بن اليمان قيادة جند الله وانتهى القتال وإنتصر جند الله فى فتح الفتوح[1]. وسقطت نهاوند فى يد المسلمين.

كان فتح الفتوح حافزاً قوياً للمسلمين على مواصلة الجهاد للقضاء على دولة آل ساسان فوجه عمر بن الخطاب القائد العربى الشجاع" أبو موسى الأشعرى" بقومه من جند البصرة - الذين قاتلوا بنهاوند - إلى فتح العديد من بلاد فارس واحتل العرب العراق العجمى، ففى شماله آذربيجان وطبرستان و جيلان وفى شرقه صحراء إيران وفى جنوبه فارس وكرمان وفى جنوبه الغربى العراق العربى وخوزستان.. وتقدمت جيوش المسلمين من همدان إلى الرى ومن نهاوند إلى إصبهان. وتحرك الجيش العربى يقوده عبد الله بن عتبان وبعد معارك طاحنة مع جيوش الفرس تحقق فيها النصر لجند الإسلام فسقطت مدنهم الواحدة تلو الأخرى ثم تقدموا إلى همدان بقيادة نعيم بن مقرن الذى نصره الله بعد عدة معارك ضارية على جيوش الفرس بقيادة اسفنديار الرازى شقيق رستم - وتم الاستيلاء على الرى بعد سقوط همذان ثم تقدم نعيم إلى دنباوند ثم دهستان وجرجان ثم صالحه أهل طبرستان وجبل جيلان على دفع جزية سنوية ؛ وأمر عمر بن الخطاب بأن يتولى "عمر بن فرقد" "وبكير بن عبد الله" إخضاع آذربيجان وتم له ذلك صلحاً من قبل حاكمها اسفنديار.

---

(١) البلاذرى: فتوح البلدان صد ٣١٩ ص - ٣٢٠

وتقدم القائد العربى عبد الرحمن بن ربيعة على رأس قوة من المسلمين إلى فَرضَة وتم إخضاعها صلحاً على جزية يدفعها الفرس.

وفى الوقت الذى كان فيه المسلمون يغزون هذه المنطقة من أرض كسرى كان عثمان بن أبى العاص الثقفى يركب البحر من البحرين ومن البصرة ليغزو ولاية فارس، وبعد حصار طويل سقطت فى يد العرب وتبعها سابور وأردشير فتحا.. ثم تقدم ابن العاص إلى اصطخر وبعد حصار وقتال ضار استسلم الهربز ورضى بالجزية.. وبينما كان جنود عثمان بن العاص يغزون إقليم فارس كان القائد العربى سهيل بن عدى يغزو كرمان فاستسلمت له وقبلت الجزية كما كتب عهداً للاصبهبذ حاكم بلاد طبرستان وأقر به صلحاً مقابل الجزية، مما حفز وشجع الخليفة عمر بن الخطاب على المضى قدماً فى القضاء على ملك آل ساسان.وكان عام (٢٢ هـ) حافلاً بمواصلة جيوش المسلمين ضم بلاد الأكاسرة إلى الدولة الفتية..فقد روى البلاذرى[1] أن المغيرة بن شعبة _ عامل الكوفة _ غزا آذربيجان وفتحها عنوة وفرض عليها الجزية.[2] وكان ذلك دافعاً لسراقة بن عمرو على تكليف عبد الرحمن بن ربيعة للسير إلى بلاد الباب وعضده الخليفة عمر بحبيب بن مسملة _ عامله على بلاد الجزيرة - الذى أقر ملكها شهربراز على عرشه كتابع وناصر للدولة الإسلامية فيما تحت يده من بلاد وحدود.. وبعد موت سراقة خلفه عبد الرحمن بن ربيعة فواصل بتأييد من - عمر _ فتوحاته الإسلامية العظيمة وخاصة بلاد الترك.

وبعث عمر بعاصم بن عمرو إلى سجستان وتحصن أهلها بعاصمتهم زرنج فحاصرها المسلمون حتى طلب أهلها الصلح.

ودخل الأحنف بن قيس خراسان ووصل إلى هراه فاحتلها ثم تقدم إلى مروالشاهجهان حيث كان فيها يزدجرد فلما علم بتحرك الأحنف أسرع بالفرار إلى مرو فتبعه إليها الأحنف فأسرع إلى بلخ، فتابعه الأحنف إليها وحاصر بلخ وفر منها يزدجرد فاحتلها الأحنف.

---

(١) البلاذرى: فتوح البلدان صـ ٣٢٤

(٢) أورد الطبرى شروط الصلح الذى عقد بين المسلمين وأهل آذربيجان فى جـ ٤ صـ ٢٥٦

ورأى عمر بفطنته وحكمته أن يوقف التقدم فى أرض فارس حتى يستتب له الأمر فيها وتستقر أوضاع الحكم فى هذه المناطق.. وأما يزدجرد فقد نزل بسمرقند واستنجد بخاقان الترك الذى حشد جنده وسار بهم ومعه يزدجرد ليلقى جيش المسلمين فى خراسان فعبروا جيمعاً إلى بلخ، فتراجع جند الكوفة إلى مرد الروذ وانضموا إلى جند الأحنف الذى رأى أن عدد قوات عدوه وعدتهم كثيفة وهائلة، فقرر أن ينسحب إلى موضع يجرى نهر مرو الروذ أمامه ويقوم جبل من خلفه ليكون النهر خندقاً بينه وبين العدو ويكون الجبل حصناً فلا يأتى من الخلف. حينئذ تقهقر خاقان الترك بجنده وارتدوا حتى بلخ وغادر بلاد فارس عائداً إلى بلاده.

ووجد يزدجرد نفسه وحيداً فى المعركة فجمع تحت إمرته قوة فارسية تقدم بهم إلى مرو الشهجهان حيث قوات النعمان، فحاصره ومن معه من جند المسلمين، واستخرج من المدينة خزائنه وعندما انسحبت قوات الترك، وأراد الهرب بخزائنه ثار عليه جنده وقتلوه واستولوا على خزائنه، فأسرع بالفرار إلى بلخ ومنها إلى فرغانة.واستسلم الفرس للأحنف وتصالحوا معه وسلموه خزائن كسرى وأمواله، وبعث إلى عمر بن الخطاب مهنئاً ومبشراً بالنصر المبين..فخطب عمر فى الناس: "قائلاً : ألا إن الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم، إلا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون، والله بالغ أمره ومنجز وعده، ومتبع آخر ذلك أوله، فقوموا فى أمره على رجل يوف لكم بعهده، ويؤتكم وعده، ولا تتبدلوا ولا تتغيروا فيستبدل الله بكم غيركم فإنى لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم"(١)

---

(١) محمد فرج: الفتح العربى للعراق وفارس صـ ٢٥٣ ، بيروت ١٩٨٨م

الفصل الرابع

"الفرس تحت راية الدولة الإسلامية"

تعد إيران مهداً لواحدة من الحضارات القديمة ذات الشأن العظيم، يشهد على ذلك ما بقى من التراث الإيرانى من تماثيل ونقوش ونصوص ونقود يعبر عن هذه المدنية أصدق تعبير.. ولقد قامت بين هذه المدنية - من خلال دولها وعهودها المختلفة - وآخرها العهد الساسانى صلات وعلاقات مع جيرانهم العرب.. ووجد فى الجزيرة العربية فرس كثيرون كان منهم زياد شتيون ومنهم زنادقة _ مانوية _ ومنهم مزدكيون.. أما الزراد شتيون فكانوا فى الحيرة والبحرين، حيثما وجد النفوذ الرسمى الفارسى قبل الإسلام وأما أصحاب المانوية، فقد كانوا بالحيرة، ومنها انتقلت تعاليم وقواعد الزندقة إلى قريش"[1]، وأما المزدكيون فكانوا الجنود الذين غزا بهم كسرى أنوشروان اليمن.

هذه الجالية الفارسية، ذات المذاهب المتعددة، اختلطت بالعرب وتأثرت بالدعوة الإسلامية كما تأثر العرب"[2] بهم.. هذا ولقد واجه بعض المستشرقين المهتمين بدراسة هذه الفترة الخصبة من التاريخ الإسلامى صعوبة فى إداراك النجاح العظيم للفتح الإسلامى فى إيران ففى معركة القادسية على سبيل المثال _ انتصر جيش المسلمين المكون من سبعة آلاف أو ثمانية آلاف مقاتل على قوة إيرانية قدرها البلاذرى فى كتابه "فتوح البلدان " بمائة وعشرين ألف مقاتل ومعهم ثلاثون فيلا ورايتهم العظمى التى تدعى " درفش كاويان " وبين أعوام (٦٣٦م إلى ٦٥١م) تمكن جيش المسلمين بأسلحتهم التقليدية من تحطيم واحدة من أقوى الإمبراطوريات فى ذلك العصر. كما يرون أن فتح فارس ودخولها فى الإسلام يعد أمر فريداً من نوعه، خاصة وأنه لم يسبق فى التاريخ أن تخلت إمبراطورية كبيرة ذات تقاليد ونظم وقوانين معقدة لم يسبق أن تخلت عن كل ذلك بهذه السرعة المذهلة فى سبيل اعتناق دين جديد قضى قضاء تاماً على الدين السالف... وفى الصفحات المقبلة نقدم إجابة على ذلك بإذن الله..

ففى بداية حكم يزدجرد الثالث بعث النبى صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبى طالب إلى اليمن سنة ١٠هـ (٦٣٢م)، واستطاع عَلىٌّ بحلمه وحكمته أن يدعو أهل همدان إلى الإسلام فتجاوب معه الجميع ودخلوا جماعات فى دين الله.

---

(١) ابن قتيبة : المعارف صـ ٣٠٤ ، طبع القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

(٢) يحيى الخشاب : إلتقاء الحضارتين العربية والفارسية صـ ٩٦ .

ثم تتابع دخول أهل اليمن فى دين الله الواحد القهار.. وفى نفس العام دخل باذان _ والى كسرى على اليمن فى دين الإسلام، وتبعه الفرس اليمنيون"(١).. وعن طريق اليمن وسكانها من العرب، ثم عن طريق الفرس _ الذين عاشوا فى البحرين والبصرة والحيرة، وغيرها من أنحاء الجزيرة العربية ذاعت فى فارس أنباء هذا الدين الجديد وما يقوم عليه من مبادئ وقواعد وحكم إنسانية رفيعة كان الفرس على مختلف مللهم ونحلهم يتطلعون إليها ويأملون فى ظهورها..

إستوعب الفرس مبادئ الدين الجديد الذى يدعو إلى المساواة (الناس فيه سواسية كأسنان المشط لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى) ولا يعترف ولا يقر نظام الطبقات وإنما يرى فى المساواة بين العباد قمة العدل ؛ فهذه المساواة أعجبت غالبية الفرس الذين كانوا طبقة دنيا"(٢) عرفت بطبقة الحراثين. وكان أهلها محرومين من أبسط حقوق الإنسان، كانوا رقيقا وعبيداً لدى الملاك وما يملكون من أرض.. وكان أصحاب الحرف والتجار منهم لم يكن لهم ما لغيرهم من حقوق، ولم يكن أحد من الفرس يجرؤ على التمرد على نظام الطبقات و إلا لقى المصير الذى لقيه مزدك"(٣) وأتباعه حين ضاقت صدورهم بهذا النظام، فنادوا بالمساواة فى الخيرات وأحرقوا دفاتر الأنساب وسبوا نساء الطبقات العليا.. فوجه إليهم أنوشروان لطمه قاسية، وقتل رئيسهم ومن معه وأخذ يتعقبهم حتى ضاقت بهم سجونه... وقد نصت الأوستا"(٤) على نظام الطبقات وأخذ رجال دين

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الكامل جـ ٣ صـ ٣٠٤ .

(٢) يحيى الخشاب : التقاء الحضارتين العربية والفارسية صـ ٩٧ وما بعدها .

(٣) مزدك كان من أهل نيسابور وقد ظهر فى عهد قباد بن فيروز وكانت ديانته قريبة من عقيدة مانى والتى تقوم ديانته على وجود إلهين : إله الظلمة " الشر" وإله النور " الخير" إلا أن مزدك كان يعتقد أن النور منفصل تماماً عن الظلمة والأول يعمل بحرية وحكمة والثانى يعمل خبط عشواء وبجهل وحرَّم _ ذبح البهائم وإراقه الدماء وفى رأيه أن العالم مركب من ثلاثة عناصر : الماء والنار والتراب والخير والشر من تركيبها وقد قتله كسرى أنو شروان وقتل أصحابه وكان مقتل مزدك فاتحة حكم كسرى " حسن برنيا : تاريخ إيران القديم : ت السباعى ونور صـ ٣٢٠ .

(٤) (الأوستا : هى كتاب زارد شت الذى يحوى تعاليمه وقواعد الدين الزرادشتى ، ويعتقد البعض أنها كتبت بلغة الميدين وفيه علوم مختلفة كالرياضيات وأحكام النجوم والطب وغير ذلك وقد أمر أردشير مؤسس الدولة الساسانية بجمع ما تفرق من الأوستا ثم أمر تنسر بتصنيف هذه النصوص واستنسخ نسخا منها ووزعها على بيوت النار الهامة. وقد أخذت الأوستا الساسانية طابعها النهائى فى عهد شابور الثانى (٣٠٩ _ ٣٧٩م) والذى جعلها كتابا مقدساً للدولة وشريعة رسمية لها .

يحيى الخشاب : التقاء الحضارتين العربية والفارسية من صـ ٢١ _ ٢٣ .

زردشت"[1] يمكنون لأنفسهم بتأييده ويذيعون فى الناس أنهم فى عهد مبارك وزاهر ما حافظوا على نظام الطبقات ولم ينتقلوا من طبقة إلى أخرى.. ولم يدرك رجال الدين أن الزمان قد تغير وأن ما كان مناسباً وصالحاً أيام زرادشت أصبح غير صالح فى زمانهم.. ولما دخل الفرس فى الإسلام أنصتوا جيداً إلى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ودعوته الكريمة المباركة إلى نصرة الضعفاء والمهمشين خاصة وقد بدأ دعوته بتحرير الرق، وقرأوا آيات من القرآن الكريم تؤكد على تحرير الرقبة.. ورأوا فى الدين الإسلامى الحنيف سبيلاً إلى تخليصهم من الرق الذى فرضته الأوستا عليهم..

وأدرك الفرس أن الإسلام يعلى من شأن الأسرة ويقيمها على أسس إنسانية يقرها العقل السليم"[2]، فالزواج عقد له صفة الديمومة التى تصل إلى حد الأبدية وهو معلن ومشهد وللرجل الحق فى الزواج من مثنى وثلاث ورباع، واشترط أن يعدل الرجل بين زوجاته.. ونص على تعذر العدل فى إشارة واضحة إلى الزواج من واحدة فى نهاية الأمر.. واقتضت حكمة التشريع أن يعطى الرخصة مقيدة بعدد وليست مطلقة، كما كان الحال فى التشريعين الفارسى والرومانى.. كما أن الإسلام يساوى بين الزوجات فليس فيه زوج سيدة وأخرى خادمة. وليس فيه هذا الإذلال الذى يدفع الرجل زوجه فيه عند الفرس حين يعطيها لجار له لتكون زوجاً خادمة فى بيته"[3].

ثم إن الإسلام حدد زواج الأقارب وقضى على ما كان يئن منه الفرس فى دينهم من زواج الأم والبنت والأخت. وكان هذا النوع من زواج الأقارب الأدنين أكثر

---

(١) (اتخذ الساسانيون من دين زرادشت دينا رسميا لإيران وطبقاً للروايات التاريخية المختلفة فقد ولد زرادشت فى القرن السابع قبل الميلاد وتوفى فى أوائل النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد وأنه عاش فى بلاط الملك كشتاسب وبسط وزيره جاماسب الحماية على زرادشت وعقيدته وتزوج من ابنته.. واعتنق دين زرادشت . وخلاصة عقيدة زرادشت أن العالم ناشئ من أصلين هما النور والظلمة ولهذا قسم العالم إلى جيش النور أو الخير وجيش الظلمة أو الشر ، وعلى رأس قوى قسم الخير أهورا مزدا . بينما رأس قوى الشر أهرمين والقوتان فى نزاع مستمر والغلبة لهرمز.. ومن تعاليمه أن الروح ليست فانيه وأن على الإنسان لكى يساعد فى انتصار هرمز أن يتبع ثلاثة أصول : الفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب ومن تعاليم زرادشت أن الروح لا تفنى وأنها تنعم بطيبات الحياة أو تشقى بمنحها ثلاثة أيام بعد الموت .

(٢) يحيى الخشاب : المرجع السابق صـ ٩٧ .

(٣) يحى الخشاب : التقاء الحضارتين العربية والفارسية : صـ ٩٨ .

قربى من أهورا مزداً. وكان عامة الفرس يشكون مما فيه من مجافاة للإنسانية. وبما ينتج عنه من أمراض. فلما سمعوا عن هذا التحديد فى الدين الإسلامى هرعوا مقبلين عليه ومؤمنين بتعاليمه وشرائعه..

وحافظ الإسلام بشرائعه العادلة والدقيقة _ على كيان الأسرة المسلمة حين أقر بالنسب الصحيح للأولاد بأن يكونوا جميعاً من صلب الأب، وحين سوى بينهم فى حقوق الميراث والذى فرضت أنصبته بدقة تحقق العدل بين أفراد الأسرة، وحين جعل النسب الصحيح أساساً للصلة بين الولد وأبيه.. أدرك الفرس ذلك كله وقارنوا بين ما كانوا عليه من زواج الإبدال وبين التشريع الإسلامى بعدالته ونزاهته ودقته. فحببهم ذلك كله رجالاً ونساءً - فى هذا الدين الجديد فاقبلوا عليه - وطبقاً لقواعد دين زرادشت فقد كان رجال الدين يتحكمون فى مصائر الناس باعتبارهم واسطة بينهم وبين أهورامزدا، وبموجب تلك المنزلة والواسطة فقد كانوا يتدخلون فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتهم، فهم الذين يجرون أحكام الطهارة والاعتراف والعفو والمغفرة والحكم بالغرامة عقب الإقرار بالذنب وإقامة المراسيم العادية فى المواليد والزواج والجنازات وكافة الأعياد الدينية وفى وضع الحزام المقدس ومحاسبة الناس على أقل هفوة أو غفلة تبدو منهم.. وطبقاً لتلك القواعد الزرادشتية فقد كان على الفرد الفارسى أن يصلى للشمس أربع مرات أثناء النهار وأن يصلى للقمر وللنهار وللماء، وعليه أن يرتل عشرات الأدعية عند النوم وحين الاستيقاظ وأثناء الاستحمام وحين تناول الطعام وحين الذهاب إلى الضرورة وحين آداء السلوكيات الحياتية اليومية. كل هذه التكاليف كانت مجهدة وعسيرة ومتعبة للغاية.. وأدرك المواطن الفارسى فى ظل الإسلام وقواعده السمحة أنه لاواسطة بينه وبين الله وأن رجل الدين المسلم لا دخل له فى حياة الفرد.. بينما رجل الدين الزرادشتى تخلى عن رسالته الدينية واتخذها وسيلة للكسب والثراء الحرام وخاصة حين أسْنِدَ له دور فى حكم إيران ازداد شرهه للمال وراح يرهق أهله وذويه بطلب المال لنفسه باسم الدين.

وعرف الفرس من سيرة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم أنه أعطى ما يملك من مال وجهد وكد للدعوة الإسلامية وأنه لا يسعى للمال قل أو كثر.. حتى حين استقر له الأمر ودانت له الجزيرة العربية وأصبح قائداً وحاكماً لها لم تغره

كثرة الأموال التى كانت ترد إلى المدينة المنورة من أنصبة الزكاة التى كان يدفعها المسلمون ومن الجزية التى فرضت على غيرهم.. وإنما إختص بها بيت مال المسلمين. وذاع بين الفرس أن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم كن يردن التمتع بجزء من هذه الأموال، فأبى صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وسمع الجميع وعرفوا قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾"(١) سورة الأحزاب (٢٨ _ ٢٩) وقد فهم الفرس هذا الدرس الإلهى وأكبروا هذا السلوك النبوى، فأقبلوا على سيرة الرسول ينصتون بفهم وإعجاب بها وتنضوى قلوبهم حبا للإسلام والدين القويم.

وعرفوا من مناقب الرسول وأسوته الحسنة فى حسن معاملة زوجاته والعدل بينهن وأن زواجه بأكثر من واحدة كان لأسباب اقتضتها ضرورات اجتماعية وسياسية. عرف الفرس هذا وغيره الكثير من الصفات والقدوة الحسنة والأسوة الطيبة لرسول الإسلام فأدركوا أن نبى المسلمين شىء وكسرى شىء وآخر وأن الإسلام الذى دعا إليه محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن ملكاً وسلطاناً يفيد منه الحاكم هذا الترف والسفه والسرف الذى كان يعيش فيه كسرى، وإنما هو دين يدعو إلى المساواة والأخوة والتكافل الاجتماعى من خلال فرض الزكاة كأداة لتزكية المال وليساعد الغنى أخاه الفقير، وليدرك القادر أن فى ماله قدراً معلوماً لأخيه المسلم الفقير.. وأن نبى هذا الدين يعيش لأمته ولرسالته ولدينه.. ولا يعيش لنفسه.

ويسمع الفرس أن من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين أحدهما فارسى وهو سلمان وقد اتخذه محمد صلى الله عليه وسلم مستشاراً وقريباً منه وقال فى حقه : " سلمان منا أهل البيت " وثانيهما حبشى أسود _ بلال _ وقد عهد إليه بالآذان، وهو بذلك لا يفرق بين عربى وفارسى ولا بين أبيض وأسود، وإنما معيار الفرق عنده بين الناس بمدى صدق وإخلاص تقواهم لله رب العالمين. وأين ذلك كله من نظام الطبقات عندهم.

---

(١) المرجع السابق صـ ٩٨ _ ١٠٠ .

ويوما بعد يوم تسرى سيرة الإسلام الطيبة بين الفرس، ويكثر حديث الناس عنها وتروى قصص كثيرة حول ملكهم كسرى أبرويز الذى بعث سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فى عهده.. ومنها أن كسرى أصبح ذات غداة وقد انشقت طاق ملكه من وسطها من غير ثقل واتحرقت عليه دجلة العوراء فصاح حزيناً قائلاً بفارسيته : "شاه بشكست" أى أنكسر الملك؛"[1] وأسرع إلى منجميه وكهانه وسحرته سائلاً فأعلموه أن نبيا بعث.

شاعت هذه القصة وغيرها بين الفرس وكان لها تأثيرها القوى فى عقولهم وأتاحت للإسلام تقبلاً حسناً فى نفوسهم..

ورأوا فى تواضع رسول الله وسيرته العطرة : محمد الأمين ثم محمد النبى صلى الله عليه وسلم، بشر مثل سائر الخلق، ولكنه يضرب لهم أحسن الأمثال فى السلوك والعمل بالدعوة التى يدعو لها"[2].

ثم جاء بعده صحابته الذين صدق فيهم قوله " أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" فهذا أبو بكر يهب ثروته كلها للدعوة، ويحرر رقاب عبيده، ويخلف النبى فيتمسك بالدين ويصمد فى حروب الردة، ولا تشغله الدنيا بمفاتنها ومباهجها عن تثبيت دعائم الدولة الإسلامية ؛ وخليفته عمر يقيم العدل بين الرعية، ويوم أثيرت قضية ابن الأكرمين يهب دفاعاً عن كرامة الإنسان قائلاً : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، ويقيم الحد على ولده ويعطيه نصيباً من بيت المال أقل من أبى بكر، ويستحيى أن يبنى بيتاً لنفسه أو أن يأخذ لنفسه شيئاً من بيت مال المسلمين"[3]... ثم إنه حين سمع طفلاً يبكى فسأل أمه ماذا يبكيه قالت : يريد أن يرضع وأريد فطامه، قال لماذا ؟ قالت لأن عمر لا يعطى الطفل من بيت المال حتى يفطم.. فأسرع إلى المسجد باكياً يقول " كم قتل عمر من الأنفس " وعدل عن القاعدة التى وضعها..

---

(١) الطبرى : تاريخ الطبرى جـ ٢ صـ ١٨٨ .

(٢) يحيى الخشاب : إلتقاء الحضارتين العربية والفارسية صـ ١٠٢ .

(٣) نفس المرجع السابق .

أما عن فهم عمر بن الخطاب للإسلام فإن فى القصة التى يرويها أبو يوسف فى كتابه"(١) " الخراج".. ومفادها أن عمر مر بباب قوم ورأى سائلاً عليه يسأل إحساناً، وكان السائل شيخاً كبيراً ضريراً فسأله عمر : من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى، قال فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : إسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه شيئاً مما يحتاجه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال. فقال :" أنظر هذا وضرباءه، فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم، إنما الصدقات للفقراء والمساكين والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب " وأمر بوضع الجزية عنه وعن ضربائه. كان هذا قبل أن يلى إمارة المؤمنين، فما بالك بسعة أفقه وحسن فهمه للإسلام بعد ولايته.. بلغت الدولة العربية فى عهده ما بلغت من بلاد ضمت إليها وأموال أنثالت عليها، ومع هذا كله فإنه لم يأكل الدقيق منخولاً ولا أكل من الغنم إلا مسانها، فلما سئل عثمان فى ذلك، قال "يرحم الله عمر ومن يطيق ما كان عمر يطيق""(٢).

وحين جاءه خبر فتح القادسية إجتمع بالناس وتحدث إليهم قائلاً : " إنى حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما أتسع بعضنا لبعض فإذا عجز ذلك عنا تأسينا فى عيشتنا حتى نستوى فى الكفاف ولوددت أنكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ولست معلمكم إلا بالعمل، إنى والله ما أنا بملك حتى استعبدكم، وإنما أنا عبد الله عرض علَّى الأمانة فإن أبيتها ورددتها عليكم وابتعتكم حتى تشبعوا فى بيوتكم وترووا سعدت وإن أنا حملتها واستتبعتكم إلى بيتى شقيت ففرحت قليلاً وحزنت طويلاً وبقيت لا أقال ولا أرد فاستعتب"(٣).

وهذا عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين، كان أكثرهم مالاً وأيسرهم عيشاً إلا أنه تبع عمر بن الخطاب، فلا يأكل إلا ما يأكله عامة الناس " وهب أمواله للإسلام. ولما حفلت المدينة المنورة بالمهاجرين اشترى لهم من ماله الخاص

---

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج : صـ ١٥١ .

(٢) الطبرى : تاريخ الطبرى جـ٤ صـ ٤٠١ .

(٣) الطبرى : تاريخ الطبرى جـ ٣ صـ ٥٨٤ .

بئراً، فلما طلب إليه النبى صلى الله عليه وسلم ليستقى،إستحى، وقال : حتى يشرب المسلمون. وكان آخر الشاربين.."(١).

وأخيراً هذا رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة بسيرته الطاهرة العطرة وقربه من سيد الخلق، وَلِىَ الخلافة من قبله أبو بكر وعمر وعثمان فلم تكن قرابته للرسول صلى الله عليه وسلم لترفعه إلى خلافة الرسول يوم السقيفة، عُرِف بين المسلمين جميعاً بأنه نفس صافية وقلب كبير وإمام حكيم، استمسك بالحق لا يعرف فيه هوادة ولا مهادنة.

نتيجة لكل ما ذكرنا وغيره الكثير من أمثلة القدوة الحسنة ثم نتيجة للشريعة الإسلامية السمحاء التى تقيم المجتمع الإسلامى على المساواة والعدل بين الناس لتطبيق نظام الطبقات " إنما المؤمنون إخوة " والتى توفر الحياة الكريمة وتكفلها لغير القادرين بصدقات تزكى أموال القادرين، والتى تقيم الأسرة على أساس سليم من زواج ونسب صحيح ثم لاعتزاز المسلمين بالإسلام وإحساسهم الصادق بأثره فيهم.. نتيجة لهذا كله دخل كثير من الفرس الإسلام فى السنوات الأولى من الهجرة وكانوا مؤمنين صادقين..

دخلوا فى الإسلام لما رأوا فيه من المبادئ الطيبة التى تصلح من شأن الأسرة والمجتمع ولما رأوا فيه من صادق الإيمان بهذه المبادئ عند النبى وخلفائه الراشدين أهل القدوة الحسنة.

وطبقاً لما ورد فى كتب التاريخ عن تلك الفترة المتقدمة من ظهور الإسلام وبناء دولته الفتية فإن العرب لم يجبروا الفرس على الدخول فى الإسلام. فمنذ البداية أمر النبى صلى الله عليه وسلم عامله على البحرين أن يأخذ من المجوس الجزية غير مستحل مناكحة نسائهم ولا أكل ذبائحهم، فالذى يفرق المجوس عن أهل الكتاب هو " عدم مناكحة نسائهم ولا أكل ذبائحهم "، فيما عدا هذين فهم يعاملون كأهل الكتاب، أى يدفعون الجزية ويعفى منها المسكين الذى يُتَصَدَّقُ عليه، والأعمى والمقعد المزمن الذين ليس لهم يسار، وكذلك يعفى الشيخ الذى لا يستطيع العمل

---

(١) يحيى الخشاب : التقاء الحضارتين العربية والفارسية صـ ١٠٤ .

ولا شىء له كما يُعفى المغلوب على عقله.."[1] وفى مقابل ذلك أُعْطِىَ المجوس الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم، لهم المنعة ما أدوا الجزية فى كل سنة وما أرشدوا ابن السبيل، وأصلحوا الطرق، وقروا جنود المسلمين من مَرَّبهم فأوى إليهم يوماً وليلة، وحملوا الراية إلى مرحلة ونصحوا، فإن غشوا وبدلوا فذمة المسلمين منهم بريئة"[2].

وهكذا دخلت الإسلام أكثرية من الفرس وعمل الأذكياء منهم جهدهم لتعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم ودراسة الحديث النبوى. وحين التقى الفرس بالعرب كانوا يستندون إلى عماد متين هو القرآن الكريم الذى آتى بشريعة سماوية جديدة تفوق ما فى حضارتهم من تشريع، فالقرآن الكريم الذى درسوه وحفظوه يُذكِّر الله المسلمين بأن من تاب وأقام الصلاة وأدى الزكاة فهو أخ لهم فى الدين﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١١) سورة التوبة.

وفى سورة الحجرات ينص على الأخوة بين المؤمنين " ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٠) سورة الحجرات

وهذه الأخوة الإسلامية التى يؤكد عليها القرآن الكريم تجعل من المؤمنين جماعة متراصة لا يميز بين فرد وآخر منها لنسبه أو للونه أو لجنسه، وفى نفس السورة تأكيد لنفى التفرقة الطبقية، فالناس جميعاً من آدم وحواء، تكاثروا وأصبحوا أمما متفاوتة، وهذا التفاوت لا يفيد طبقية، إنما يتفاوت الناس بقدر تقواهم " ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) سورة الحجرات

وما جاء فى سورتى الأنعام والزخرف من رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات فإنه يستفاد منه التفاوت فى بسطة الرزق وضيقه"[3]، ولكنه لا يعنى ولا يفيد التفاوت الاجتماعى أو الطبقى، فالعبرة فى الإسلام ليست بالغنى وإنما هى التقوى التى تقرب المرء إلى خالقه.. وأما عن الرق فلم يأمر به القرآن ولم يرد

---

(١) الطبرى : تاريخ الطبرى حـ ٤ صـ ١٣٧ _ ١٤١ .
(٢) المرجع السابق صـ ١٤١ .
(٣) محمد عزة دروزه : الدستور القرآنى فى شئون الحياة : صـ ٤١٥ . دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

كشريعة فى دين الإسلام وإنما ظهر الرق ووجد عند الفرس والرومان وغيرهم من الأمم قبل مجىء الإسلام.. وكان للرق عند الرومان أصول ثابتة وقواعد معروفة ومقننة جعلت منه أساساً من أسس الدولة عندهم (١).

أما عندنا فى الدين الإسلامى فقد جعل القرآن الكريم العتق وجها من أوجه مصارف الزكاة، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة التوبة " ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٠) "سورة التوبة" ليس هذا فقط ولكن القرآن الكريم يعطى الرقيق الحق فى أن يشترى حريته وذلك بالتعاقد على العتق، كما حث القرآن الكريم السيد على أن يساعد رقيقه ويعينه حتى يتمكن من إجراء عقد العتق، وذلك بأن يعينه على ذلك بإعطائه من ماله الذى أعطاه الله له.

وقد ورد ذلك فى قوله تعالى فى سورة النور " ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (٣٣) سورة النور.

وأكثر من ذلك فقد نص القرآن الكريم صراحة على الحض على تحرير الرق.. كما ورد فى قوله تعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧) سورة البقرة.

فالقرآن الكريم يجعل من تحرير الرقبة ركناً أساسياً من أركان البر والقربى إلى الله..

وهكذا يتبين لنا ولغيرنا بوضوح وجلاء أن القرآن الكريم يجعل المؤمنين إخوة لا فرق بين عربى وغير عربى ولا أبيض ولا أسود، وإذا كان الرق موجوداً فقدم نص على العتق وجعله كفارة، وجعله من القرب المالية، قربى إلى الله

(١) المرجع السابق صـ ٤٢٠ .

سبحانه وتعالى.[1] كما ينص القرآن الكريم على التسامح واحترام الديانات الأخرى، يقول تعالى ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ (٢٥٦) البقرة.

إضافة إلى ما سبق فقد أحل القرآن الكريم زواج المسلم من كتابية وحرم الزواج بالمشركة.. ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ (٥) سورة المائدة، قوله تعالى ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ (٢٢١) سورة البقرة.. وبَيَّنَ القرآن المحرم من الزواج تفادياً لما كان شائعاً فى بلاد الفرس وغيرها من الزواج بالأقارب الأدنين.. لهذه الأسباب التى ذكرناها فى هذا الفصل - سيطر الإسلام بعقيدته السمحة ومبادئه الحكيمة سيطر على الثقافة الفارسية، حتى أصبحت فارس ولاية إسلامية ودخل الفرس فى دين الله أفواجا، وتعلم كثير منهم العربية حتى كان منهم فى الجيل الثانى من يتكلم العربية كأحد أبنائها، واختلطوا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن اشتهر بالعلم والحكمة ورواية الحديث وتفسير القرآن.ومن أشهر الأمثلة على ذلك ما ذكره أحمد أمين فى " فجر الإسلام "[2] من أن عمر بن الخطاب كتب إلى أهل الكوفة: " أنى بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وآثرتكم به على نفسى فَقَدِمَ الكوفة وابتنى داراً إلى جانب المسجد. هؤلاء الصحابة العلماء الذين تفرقوا فى الأمصار أنشأوا حركة علمية فى كل مصر نزلوا وكونوا مدارس، وكان لهم تلاميذ من العرب والعجم ينقلون عنهم العلم[3]، حتى إذا كان عصر التابعين وتابعيهم كان بعض حملة العلم عرباً وأكثرهم من الموالى أو أبناء الموالى[4] فكان فى المدينة سليمان بن يسار، وكان من أعلم الناس وأفقههم وأبوه مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ونافع مولى عبد الله بن عمر والذى روى عنه أكثر أحاديثه وأصله من الديلم وربيعة الرأى وهو شيخ الإمام مالك وأبوه فروخ من الموالى.

---

(١) يحيى الخشاب : التقاء الحضارتين العربية والفارسية صـ ١٢٠ _ ١٢٢ .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام صـ ٢٤١ _ مكتبة الأسرة.

(٣) المرجع السابق صـ ٢٤١

(٤) المرجع السابق صـ ٢٤٣

جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه: "وقال ابن أبى ليلى: قال لى عيسى بن موسى وكان دياناً شديد العصبية (أى للعرب) من كان فقيه البصرة؟ قلت: الحسن بن أبى الحسن. قال ثم من؟ قلت: محمد بن سيرين قال: فما هما؟ قلت: موليان. قال: فمن هو فقيه مكة؟ قلت: عطاء بن أبى رباح ومجاهد بن جبر، وسليمان بن يسار قال: فما هؤلاء؟ قلت: موالى. قال: فمن فقهاء المدينة؟ قلت: زيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر، ونافع بن أبى نجيح قال: فما هؤلاء؟ قلت: موالى. فتغير لونه، ثم قال: فمن أفقه أهل قباء؟ قلت: ربيعة الرأى وابن أبى زناد . قال فما كانا؟ قلت: من الموالى، فأربد وجهه، ثم قال: فمن فقيه اليمن؟ قلت طاووس وابنه منبه؛ قال: فمن هؤلاء؟ قلت: من الموالى، فانتفخت أوداجه وقام قاعداً، قال: فمن كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبد الله الخراسانى. فقال فما كان عطاء هذا؟ قلت مولى. فازداد وجهه تربداً واسود إسوداداً حتى خفته، ثم قال: فمن كان فقيه الشام؟ قلت مكحول قال: فمن كان مكحول هذا؟ قلت مولى. قال: فتنفس الصعداء. ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟ قلت: فوالله لولا خوفه لقلت الحكم بن عتبه وعمار بن سليمان، ولكنى رأيت فيه الشر. فقلت إبراهيم النخعى والشعبى قال فما كانا؟ قلت عربيان.قال: الله أكبر وسكن جأشه".

ونظير هذا ما جاء فى معجم ياقوت فى مادة خراسان: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما مات العبادلة: عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، صار الفقه فى جميع البلدان إلى الموالى، فصار فقيه أهل مكة عطاء بن أبى رباح، وفقيه أهل اليمن طاووس، وفقيه أهل اليمامة يحيى بن كثير وفقيه أهل البصرة الحسن البصرى، وفقيه أهل الكوفة النخعى، وفقيه أهل الشام مكحول، وفقيه أهل خراسان عطاء الخرسانى، إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقريش فكان فقيه أهل المدينة غير مدافع سعيد بن المسيب.(١)

وهناك أسباب عديدة لظهور عدد كبير من الموالى فى زمرة علماء المسلمين وخاصة أهل الحديث وأئمته، منها ما ذكر فى كتب التاريخ من أن الصحابة

---

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان: مادة خراسان

استكثروا من الموالى يستخدمونهم فى بيوتهم وفى أعمالهم، فإذا كان الصحابى تاجراً فمواليه أعوانه فى التجارة، وإذا كان عالماً كان مواليه تلاميذه وأعوانه فى العلم، ومتى كان عندهم حسن استعداد نبغوا فيه بحكم الإقامة والسفر، والدليل على ذلك: نافع مولى عبد الله بن عمر، فقد أخذ عنه أكثر علمه، وعكرمة مولى بن عباس(١).. ومنها كذلك ما قام به المسلمون الأوائل بجمع الحديث، وفى الحديث مناح شتى من القول ففيه ما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من عبادات وتشريعات فى المعاملات وفيه أقوال للوعظ والإرشاد، وقد نشط نفر من الموالى لتأليف الكتب فى هذا المجال.. ومنها كذلك أن العلماء الأولين من الصحابة ومن يلحق بهم، مع اختلاف شخصياتهم العلمية نزلوا فى البلاد المختلفة، وكونوا فيها مدارس ومذاهب تبعاً لمزاجهم العقلى فتأثرت البلاد التى نزلوا فيها بشخصياتهم ونهجوا فى العلم مناهجهم.

وهناك سبب آخر أنه كان للحديث النبوى _ سواء منه ما كان صحيحاً أو موضوعاً أكبر الأثر فى نشر الثقافة بين الموالى وغيرهم فى أرجاء العالم الإسلامى، فقد أقبلوا عليه يتدارسونه إقبالاً عظيماً، وكانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه، كما كان من أسباب حرص الناس على رواية الحديث رحلة العلماء إلى أقاصى المعمورة بطوافهم فى البلدان يأخذ بعضهم عن بعض _ فكان من ذلك تبادل الآراء العلمية، ووقوف علماء كل مصر على ما عند الآخرين. وكان لعلماء الحديث ممن كان أصلهم من الموالى رحلات وجولات بين ربوع العالم الإسلامى، ولا تكاد تقرأ ترجمة كثير من المُحَدِّثِين مثل البخارى أو النسائى أو الترمذى وابن ماجة إلا وجزء عظيم من حياته يتضمن رحلاته بين بلدان المشرق والمغرب.

وهناك عامل آخر وهو الاختلاط فى السكن، فبعد الفتح صارت البلاد مسكونة بالفاتحين والمفتوحين جميعاً واشتركوا فى الحركة الاجتماعية والاقتصادية حتى أن أكثر من نصف سكان الكوفة _ على سبيل المثال _ كانوا من الموالى، وكان أكثرهم فى جنسهم وفى لغتهم، وكذلك سائر البلاد أصبح فيها العنصر العربى والعنصر الأجنبى ممتزجين تمام الامتزاج وكان من الطبيعى أن

(١) أحمد أمين: فجر الإسلام صـ ٢٤٣ _ صـ ٢٤٦

تتأثر كل مرافق الحياة والنظم السياسية والاجتماعية والطبائع العقلية تأثراً كبيراً بهذا الامتزاج.(١)

فلما استقر هؤلاء الموالى فى الإسلام واطمأنوا إليه أخذوا هم وأبناؤهم يطبقون منهجهم العلمى الذى ألفوه من قبل.. وقد سادت اللغة العربية ممالك الفرس ومدنهم وقراهم وصارت هى لغة السياسة ولغة العلم وأصبح أكثرهم يتكلمون العربية كأحد أبنائها ويكتبون ويألفون فى شتى المعارف والعلوم العربية.

وهناك عوامل أخرى مكملة لما سقناه من عوامل وهو أن القائمين على شئون الدولة والحكم فى مناطق خراسان وغيرها كانوا يستخدمون الإيرانيين من غير المسلمين فى الوظائف العامة، خصوصاً الوظائف المالية إذ كان(٢) الدهاقين فيه من الإيرانيين مهرة فى أعمال الخراج وعلى دراية بالمسائل الإدارية.. وأصبح مألوفا لدى المسئولين عن إدارة الدولة بين العرب الفاتحين استخدام هذه الطبقة فى عهدى الراشدين والأمويين. بل إنهم أبقوا على التنظيمات الإدارية فى الأمصار الإسلامية ومنها " إيران ".. وكان فى المحافظة على النظم الإدارية والإبقاء على الموظفين من أهل البلاد عاملاً هاماً ساهم بدوره فى نشر الإسلام بينهم، ذلك أن أفراد هذه الطبقة وجدوا أن دخولهم الإسلام سيضاعف من حقوقهم ويزيد من تمكنهم فى الناحية الإدارية. ولم يكتف هؤلاء الناس بالدخول فى الإسلام فقط بل اتخذوا لأنفسهم أسماء وألقاباً عربية للمحافظة على أوضاعهم وزيادة حقوقهم، واعتقدوا أن استعرابهم سيزيدهم اتصالاً بالحكومة العربية فتزداد امتيازاتهم ؛ ومن ثم أسلم الكثير من أفراد الطبقات الثرية واتخذ لنفسه أسماءً عربية(٣).

وكانت الهجرات العربية عاملاً من العوامل المهمة على انتشار الإسلام فى إيران (٤) بل واستيطان العرب كدماء جديدة فى هذا البلد الجديد، فقد كان المهاجرون أغلبهم من أهل العطاء والديوان وكانوا يدعون الناس إلى الإسلام..

---

(١) أحمد أمين: فجر الإسلام صـ ١٤١ ـ صـ ١٤٥

(٢) دهقان : معربة : دهكان ـ وهو صاحب القرية ، مالك الأرض . إيرانى حافظ سنن وروايات الإيرانين ـ مؤرخ " المعجم الذهبى : محمد التونجى بيروت : ١٩٦٩م .

(٣) د / أحمد الخولى : فى الصلات بين العرب والفرس صـ ٦ ، القاهرة ١٩٨٢ م .

(٤) د / أحمد الخولى فى الصلات بين العرب والفرس صـ ٧ وما بعدها .

وكانت القوات التى دخلت العراق فى عهد أبى بكر وعمر، وخاضت المعارك الكبرى، واستقرت فى البصرة والكوفة، وما بينهما، هى طليعة المهاجرين الأول الذين أنساحوا فى سهول إيران، واستقر بهم المقام فى ريفها وحضرها على حد سواء(١).. وقد استمرت الهجرة العربية بعد عهد عمر بن الخطاب ووضحت فى عهد عثمان رضى الله عنهما. واستمر تيار الهجرة طوال العصر الأموى وفى عهد معاوية بن أبى سفيان تمت هجرة الأزد، الذين استقروا بخراسان، وأصبحوا عاملاً هاما على مسرح الحياة السياسية والاجتماعية هناك. وتجمعت فى خراسان وحدها مائتى ألف أسرة عربية، وكان طبيعياً أن يمتد هذا الاستيطان على نفس الخط من خراسان حيث آذربيجان فى الشمال الغربى من إيران(٢) فتوطن فيها فريق من العرب من أهل العطاء والديوان وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام.. وكان ذلك من الأمويين سياسة مقصودة فى توطين العنصر العربى فى مختلف أنحاء إيران(٣) ومضت هذه السياسة على الخصوص فى عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى على العراق والمشرق ؛ وما كاد القرن الأول الهجرى ينتهى حتى انتشر العنصر العربى فى إيران من الشرق إلى أقصى الغرب.

وقد حدث التقارب بين العنصرين العربى والفارسى طوال العصر الأموى فى الريف والحضر على حد سواء.. ففى " الرى واصفهان _ مثلاً _ كان العرب الوافدون ينزلون فى المواقع الاستراتيجية، ويتعاونون مع أهل البلاد ويختلطون بهم بمضى الزمن.. أما فى المدن الجديدة التى أنشأها العرب _ فى العراق وإيران _ فرغم أن سكانها كانوا من العرب فإنها شهدت ظهور أحياء جديدة هاجر إليها المسلمون من الفرس ليعملوا فى خدمة الطبقة العربية خصوصاً فى الأعمال اليدوية والمشروعات الصناعية، وكان عدد المهاجرين إلى المدن الجديدة يزداد باستمرار(٤).

---

(١) كرستنسن : إيران فى عهد الساسانيين : ت . يحيى الخشاب صـ ٣١٨ .

(٢) حسن محمود : الإسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى صـ ٥٥ . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢م .

(٣) د / أحمد الخولى: فى الصلات بين العرب والفرس صـ ١٦ .

(٤) المرجع نفسه صـ ١٧ .

وإلى جانب هذه المدن الجديدة والقديمة تم الاختلاط بين العرب والإيرانيين فى الاقطاعات الكبرى المنتشرة فى المناطق الريفية.

وكانت وسيلة الاختلاط بين طبقة العرب من ناحية وأهل البلاد هى الزواج إذ راجت ظاهرة الزواج بالكتابيات. وما لبثت الطبقة العربية الواحدة أن قلدت مظاهر الحياة الاجتماعية فالقبائل التى استقرت بخراسان مثلا سرعان من اتخذت السراويل لباساً واحتفلت بالأعياد الفارسية وتعلمت بعض الألفاظ الفارسية، ولم يقطعوا صلاتهم بأهلهم وذويهم فى البصرة أو الكوفة.(١)

ولعل مما ساعد على هذا الاختلاط بين العنصرين العربى والفارسى سبى المعارك الكبير :وقد نقل أغلب هذا السبى إلى الجزيرة العربية وتقاسمته الأسر العربية الكبيرة.. وكان من جراء ذلك ظهور طبقة جديدة من المولدين، آباؤهم عرب وأمهاتهم أعجميات ؛ وقد ازداد عدد أفراد المولدين حتى صاروا _ فيما بعد _ أساسا وعماداً للحركة الثقافية الإسلامية فى إيران. (٢)

---

(١) المرجع السابق صـ ١٧ .

(٢) المرجع السابق صـ ١٧ ، ١٨ .

الباب الثالث

الفصل الأول

الحديث النبوى

التعريف به و قضية التدوين

أولاً : التعريف بمعنى السنة النبوية :

خير بداية لهذا الفصل الهام أن أعرض عليكم ما اتفق عليه أهل العلم من تعريف لمعنى الحديث.. فهم يقولون إن لكلمة الحديث معنى عام هو " الخبر" أو "المحادثة " دينية كانت أم غير دينية، ثم أصبح له معنى خاص هو ما ورد عن النبى – صلى الله عليه وسلم– وصحابته من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلُقيةً أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها.. وكذلك يقولون : أما الحديث فى الاصطلاح فهو عند العلماء : ما أضيف إلى رسول الله من قول أو فعل أو تقرير أو صفة من صفاته، ويشمل عند الجمهور : ما أضيف إلى النبى أو الصحابى أو التابعى، فينطوى تحته ما رفع إلى النبى، وهو الحديث المرفوع وما أضيف إلى الصحابى وهو الحديث الموقوف وما وقف به عند التابعى وهو الحديث المقطوع.. وقد إعتبر الإمام مالك وأحمد رحمهما الله فتاوى الصحابة من "السنة"(1) وذلك استناداً إلى الحديث الشريف فى قوله صلى الله عليه وسلم :" عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجز "(2)

أما السنة فتطلق على ما دل عليه دليل شرعى سواء أكان ذلك فى الكتاب العزيز أو عن النبى صلى الله عليه وسلم أو إجتهد فيه الصحابة كجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد وتدوين الدواوين؛(3) فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الهادى الذى أخبر أنه أسوة حسنة وقدوة فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا.(4) وللشيخ محمد محمد أبو زهو فى كتابه: "الحديث والمحدثون " تعريف شامل لمعنى السنة النبوية يقول فيه:

---

(1) هذا التعريف يطلق أيضاً على السنة . ويعرفون السنة بقولهم : السنة فى اللغة الطريقة محمودة كانت أو مذمومة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة – محمد أديب صالح : لمحات فى أصول الحديث صـ ٢٧ : دمشق سنة ١٣٩٣هـ .

(2) المرجع السابق صـ ٦٠ .

(3) مصطفى السباعى : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى :صـ ٦٠ .

(4) وللأستاذ فوزى عبد المطلب تعريف للسنة يقول فيه : وقد تطلق السنة ويراد بها عمل الصحابة رضوان الله عليهم أو التابعين سواء كان ذلك مأخوذاً من الكتاب أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم من اجتهادهم وقد ساغ هذا لأن عملهم إتباع لسنة ثبتت عندهم ، لم تنقل إلينا أو اجتهاد مجتمع عليه منهم أو من الخلفاء .

«يختلف معنى السنة عند أهل الشرع حسب اختلاف الأغراض التى اتجهوا إليها من أبحاثهم فمثلاً علماء أصول الفقه عنوا بالبحث عن الأدلة الشرعية وعلماء الحديث عنوا بنقل ما نسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم. وعلماء الفقه عنوا بالبحث عن الأحكام الشرعية من فرض وواجب ومندوب وحرام ومكروه. والمتصدرون للوعظ والإرشاد عنوا بكل ما أمر به الشرع أو نهى عنه. لذلك اختلف المراد من لفظ السنة عندهم بل وقد يقع الاختلاف أيضاً بين علماء الطائفة الواحدة منهم.

فعلماء الأصول يطلقون لفظ السنة على أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته. وبعض الأصوليين يطلق لفظ السنة على ما عمل عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أكان ذلك فى الكتاب العزيز أم عن النبى (ص) أم لا كما فعلوا فى جمع المصحف وتدوين الدواوين ونحو ذلك، ويدل على هذا الإطلاق قوله (ص) فيما رواه مسلم " عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى" وذهب إلى هذا أيضاً طائفة من المحدثين.

وعلماء الفقه يريدون بالسنة :الطريقة المسلوكة فى الدين من غير افتراض ولا وجوب.

وعلماء الوعظ والإرشاد يريدون بالسنة : ما قابل البدعة فيقال عندهم فلان على سنة إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبى صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك مما نص عليه فى الكتاب العزيز أم لا، ويقال فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك.

وعلماء الحديث يريدون بالسنة (على ما ذهب إليه جمهورهم) : أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية وسيره ومغازيه وبعض أخباره قبل البعثة مثل تحنثه فى غار حراء ومثل حسن سيرته لأن الحال يستفاد منها ما كان عليه من كريم الأخلاق ومحاسن الأفعال كقول خديجة أم المؤمنين له صلى الله عليه وسلم : " كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق " ومثل

فوزى عبد المطلب : توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى: صـ ١٣٠ القاهرة سنة ١٩٨١م .

أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وأنه عرف بالصدق والأمانة، وما إلى ذلك من صفات الخير وحسن الخلق فمثل ذلك ينتفع به فى إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم كثيراً كما حصل من هرقل فى حديثه المشهور. والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوى عندهم.(١)

وبالرغم من وجود المعانى السابقة للسنة، فإنهم كانوا يعتبرون ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مميزاً عن غيره وأنه بعد كتاب الله عز وجل، له الأولوية على ما عداه. وأنهم إذا أخذوا بغيره، فلأنهم لم يجدوا ما يغنيهم عن صحيح السنة عندئذ يلجأون إليه، يقول الإمام الشافعى : " والعلم طبقات شتى الأول الكتاب والسنة إذا ثبتت السنة، ثم الثانية الإجماع، فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، والثالثة : أن يقول بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قولاً ولا نعلم مخالفاً منهم والرابعة اختلاف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك، الخامسة القياس على بعض الطبقات ولا يصار إلى شىء غير الكتاب والسنة، وهما موجودان، إنما يؤخذ العلم من أعلى"(٢)

وبناء على كل ما سبق فإنه يجب على المسلم اتباع سنة النبى باعتبارها وحى من الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك باعتبارها ركن أساسى من أركان الدين الإسلامى وأصل من أصوله. خاصة وأن هناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم تؤكد ذلك وتدعو المؤمن إلى اتباع هذه السنة.. ومن الآيات الدالة على ذلك والمؤكدة له :

-قوله تعالى :﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ .

– قوله تعالى : ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

جـ– قوله تعالى:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ .

د – قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

هـ – قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

---

(١) محمد أبو زهو : الحديث والمحدثون صـ ٩ _ ١٠ . طبع مطبعة مصر . لم تذكر سنة الطبع

(٢) محمد بن إدريس الشافعى الأم جـ ٧ ، صـ ٢٤٧ . طبعة دار الشعب .

و - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾.

هذا.. وبعد أن حدثتك عن معنى السنة فإنى أعود فأبين لك أن هناك نوعين من الأحاديث هما : الأحاديث النبوية المنسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم دون إعطائها أى صفة معينة[1]. والأحاديث المسماة بالأحاديث القدسية. وهى تلك الأحاديث التى يحكيها النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل بأسلوب غير أسلوب القرآن الكريم، وتحمل نوعاً من الموعظة التى تدور على تبيان عظمة الخالق، وسعة رحمته بعباده، ودعوتهم إلى أن يكون عملهم على توافق مع العقيدة. وهذه المواعظ وإن كانت على غير ما نعهد من أسلوب القرآن الكريم، ولكن الصحيح منها تبدو عليه سيما الجلال، وتلفه نفحات التقديس والتنزيه مما يشعر المرء بعظمة وجلال المنسوبة إليه سبحانه. كما فى الحديث الذى يرويه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى " أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ".

ولا بد من بيان ماهية الحديث القدسى، والفرق بينه وبين القرآن الكريم وبينه وبين الحديث النبوى لما يترتب على ذلك من نتائج وثمرات.

١- معنى الحديث القدسى :

الحديث القدسى هو الذى يرويه النبى ﷺ، على أنه من كلام الله تعالى، فالراوى حين يرويه، يرويه عن رسول الله مسنداً إلى الله عز وجل. وهكذا ترى أن الحديث القدسى كلام يضيفه النبى ﷺ إلى الله تعالى، فالرسول ناقل لهذا الكلام راو له ولكن بلفظ من عنده هو، يتبدى ذلك صريحاً فيما ينقل الرواة فى آخر سند الحديث. قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى، أو قال رسول الله فيما يرويه عن ربه عز وجل. ويطلق بعض العلماء على الأحاديث القدسية اسم (الأحاديث الإلهية) و(الأحاديث الربانية) والقدسى : نسبة إلى القدس وهى نسبة تكريم وإجلال، لأنها نسبة إلى الطهارة والتنزيه، فالقدس والتقديس لغة : تنزيه

---

(١) محمد أديب صالح : لمحات فى أصول الحديث ص ٤٥ إلى ٥١ .

الله تعالى، والتقديس : التطهير والتبريك، وتقدس : تطهر، ومنه : البيت المقدس لأنه يتقدس فيه من الذنوب وفى القرآن الكريم على لسان الملائكة (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)[1] قال الزجاج : معنى نقدس لك أى نطهر أنفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك، نقدسه : أى نطهره. ويقول ابن الأثير : (ومنه الحديث : لا قدست أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويها، أى لا طهرت)[2] أما نزول الأحاديث على النبى ﷺ: فلا ينحصر بكيفية معينة، بل يجوز أن تنزل بأى كيفية من كيفيات الوحى، كالإلقاء على لسان المَلَكَ، ورؤيا النوم، والإلقاء فى الروع وأما عن روايتها : فقد لوحظ أن لروايتها _ كما أشرنا آنفاً _ صيغتين :

إحداهما _أن يقول الراوى: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل.

والثانية _أن يقول : قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى. كما سنرى أمثلة ذلك فيما بعد. ولئن كان المعنى واحداً فى الروايتين، إلا أن العبارة الأولى هى عبارة السلف، ومن أجل ذلك آثرها الإمام النووى رحمه الله.[2]

٢- الفرق بين القرآن والحديث القدسى :

إذا نظرنا إلى ماهية الحديث القدسى، وإلى خصائص القرآنية فى القرآن وجدنا أن هنالك فروقاً كثيرة بينهما. من هذه الفروق :

١- أن القرآن الكريم موحى به إلقاء على لسان الملك جبريل عليه السلام بلفظه ومعناه، وهو لفظ معجز وقف العرب _ على بلاغتهم وفصاحتهم _ لا يقوون على معارضته أو الإتيان ولو بسورة من مثله، ووقفوا عاجزين عن المعارضة، بعد أن تحداهم رسول الله، وائتمنوا على الحكم فى الموضوع. وهو معجزة باقية على مر الأزمنة والعصور، ووجوه إعجازه كثيرة، والتعدى به قائم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

٢- أن القرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله تعالى، بخلاف الحديث القدسى، فقد يروى مضافاً إلى الله تعالى، وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء، فيقال : قال الله تعالى، أو: يقول الله تعالى، وقد يضاف إلى الرسول ﷺ وتكون النسبة

---

(١) النهاية فى غريب الحديث " مادة " قدس "

(٢) وانظر " قواعد المتحدث " للقاسمى ص ٦٥ .

حينئذ نسبة إخبار لأنه عليه السلام هو المُخْبَرُ به عن الله فيقال : قال رسول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل.

٣- والقرآن جميعه قطعى الثبوت لأنه منقول بالتواتر، وهو محفوظ من التغيير والتبديل، مصداقاً لقول الله جل وعز : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(١)

٤- والقرآن لا يجوز مسه للمحدث، كما لا تجوز قراءته للجنب.

٥- والقرآن لفظه ومعناه من عند الله، لا تجوز روايته بالمعنى ولا تبديل كلمة بكلمة أو حرف بحرف، وأنه لفظ ومعنى، والبشر عاجزون عن القطع بمراد الله تعالى فى القرآن وهم يتلقونه كما هو بلفظه ومعناه.

٦- والقرآن، متعبد بتلاوته، فهو المتعين للقراءة فى الصلاة (فاقرؤا ما تيسر من القرآن)، ومجرد قراءته عبادة، فالتالى عشر حسنات بكل حرف يتلوه من حروفه، كما جاء فى الحديث الصحيح(٢).

٧- والقرآن يمتنع بيعه عند الإمام أحمد، ويكره عند الشافعية.

٨- ويختص القرآن بعد ذلك : بتسمية الجملة منه آية أو سورة.

٩- ثم إن جاحد القرآن يكفر، لما أنه متواتر قطعى الثبوت وهو كلى الشريعة أصل أصول الإسلام.

هذا عن القرآن الكريم. أما الحديث القدسى : فلا يثبت له شىء من ذلك. فليس فيه إعجاز، والمعنى من عند الله. أما اللفظ : فمن عند رسول الله. والأحاديث القدسية ظنية الثبوت لأن أكثرها أخبار آحاد، ويطرأ عليها ما يطرأ على بقية الأحاديث، فقد يكون الواحد منها مقبولاً، وقد يكون مردوداً، فمنها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف، ووصف الحديث بكونه قدسياً لا يعنى أن يكون ذلك عنوان صحة هذا الحديث وصلاحيته للقبول، وإنما يخضع كما تخضع

---

(١) وإن كان من حفظ الله للقرآن أيضاً ما قيض من علماء لخدمة الحديث _ عموماً _ رواية ودراية ، كما أشرنا من قريب .

(٢) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف " رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

الأحاديث النبوية لسلامة النقل عن رسول الله وصحة السند لأن ذلك فى الغالب هو مناط الحكم على الحديث بالقبول أو الرد. ويجوز مس هذا الحديث وتلاوته لمن ذكرنا، كما يجوز روايته بالمعنى عند جمهور من المحدثين، ولا يجزئ فى الصلاة، بل يبطلها، ولقارئ الحديث القدسى العامل بمدلوله ثواب عام، ولكن ليس له بتلاوة كل حرف عشر حسنات، وقل مثل ذلك فى شأن البيع عند أحمد والشافعية، من حيث الحل أو الحرمة، كما لا يسمى بعضه آية ولا سورة باتفاق العلماء، وجاحد غير المتواتر منه لا يكفر ؛ لما فى ظنية الثبوت فى خبر الآحاد من الاحتمال عند الكثير.

الفرق بين الحديث القدسى والحديث النبوى :

يعتبر العلماء كما رأينا عند البحث فى حجية السنة ومكانتها من التشريع، أن ما صح عن النبى ﷺ وحياً غير متلو أخذاً من قوله تعالى فى فواتح سورة النجم: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى).

ولكن هذا الوحى معتبر فى جملة الأحاديث ؛ لأن الرسول ﷺ موكول إليه بيان القرآن الكريم ورسم معالم الشريعة فى ظل هذا الكتاب العظيم، والوحى يقره على الصواب، وإذا وقع خطأ جزئى نرى بأن الوحى كان يصلحه كما ثبت ذلك فى كثير من نصوص القرآن.

وعلى هذا يمكن القول : بأن ما ثبت عنه ﷺ سواء أكان من الأمور التوفيقية التعليمية من الوحى، أو من الأمور الاجتهادية _ ولا يقره الوحى إلا على الصواب _ فمردها جميعاً بجملتها إلى الوحى، وليس معنى ذلك أن كل حديث بعينه موحى به بل إن هذه الأحاديث لا تخرج بجملتها عنه _ كما قلنا _ فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى.

أما الحديث القدسى : فالمعنى من عند الله عز وجل يلقى إلى الرسول بكيفية من كيفيات الوحى _ لا على التعيين _ والألفاظ والصياغة من عند رسول الله صلوات الله عليه، ومن هنا ترى أن المراد بنسبة الحديث القدسى إلى الله تعالى نسبةُ مضمونه لا نسبةُ ألفاظه، واستخدام هذه النسبة كثير فى منابت العربية، ففى القرآن الكريم عديد من المواقف التى يحكى الله تعالى فيها بلسان عربى،

مضمون خطاب كل رسول لقومه، وجواب قومه له، وغير ذلك، وينسب ذلك إليهم مع أنهم لم يكونوا يتكلمون العربية.

ففى الحديث عن نوح عليه السلام مع قومه جاء قوله تعالى : (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذير مبين. أن لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم. فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين)[1] وفى شأن صالح عليه السلام وقومه قال سبحانه : (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب. قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب)[2] وفى طرف من حوار موسى مع العبد الصالح (قال : إنك لن تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً. قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً)[3].

وهكذا نسب الله تبارك وتعالى الكلام إلى من ذكرنا بألفاظ غير ألفاظهم وأسلوب غير أسلوبهم ؛ لأن المراد هو المضمون فحسب وقد حصل. ومن ذلك ما يقال على لسان الشاعر عند دراسة شعره : قال الشاعر كذا، وتكلم بكيت. ومثل ذلك كثير.

٣- أغراض الحديث القدسى :

لا يبدو فى الأحاديث القدسية لون من ألوان الأحكام التكليفية، أو جواب على سؤال معين، أو معالجة لواقعة معينة، وإنما الملاحظ أنها تؤدى نوعاً من التوجيه الربانى العظيم، مما يتعلق بصحة العقيدة بالله عز وجل وكمال قدرته وعظمته وسعة رحمته، وبسلامة السلوك وصحة العمل الذى ينسجم مع تلك العقيدة بينما نجد الأمر فى القرآن الكريم، والأحاديث الأخرى أعم وأشمل، على ما نعلم من طابع الإجمال والعموم فى القرآن على الأغلب، وطابع البيان والتفصيل فيما صح عن رسول الله من قول وفعل وتقرير.

---

(١) سورة هود : ٢٥ _ ٢٧ .

(٢) سورة هود : ٦١ _ ٦٢ .

(٣) سورة الكهف : ٦٧ _ ٦٩ .

ولعل هذا الطابع الذى يحمله الحديث هو الذى يكشف لنا عن الحكمة التى من أجلها سادت إرادة الله أن يلقى هذا النوع من الأحاديث إلى الرسول ﷺ بمعناه فقط، فما ذكرناه عن الحديث القدسى من حيث التوجيه الربانى ومجرد العمل يحصل بإنزاله بالمعنى فقط بينما لا يكفى ذلك فى القرآن الكريم، الذى جاء للتحدى بلفظه ومعناه، والتعبد بتلاوته، مع ما يحمل من خطاب التكليف وخصائص التشريع.

ثانياً : قضية التدوين :

بعد أن تحدثت إليك عن مدلول حديث رسول الله ﷺ وسنته وعن الفرق بين الحديث النبوى والحديث القدسى، فإنى محدثك الآن عن قضية التدوين طارحاً سؤالاً مَفَادُهُ : لماذا لم تدون السنة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهل كتب عنها شىء فى حياته ؟

ولكى أجيبك على هذا السؤال فإنى أعود بك إلى بداية ظهور الدعوة الإسلامية حين جاء الإسلام وليس بمكة ممن يعرف الكتابة سوى سبعة عشر رجلا منهم عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعثمان ابن عفان وأبو عبيدة بن الجراح وطلحة ويزيد بن أبى سفيان ومعاوية إبن أبى سفيان وأبو سفيان بن حرب وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وحاطب بن عمرو وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى. وبعض من نسائهم كن يكتبن أيضاً منهن الشفاء بنت عبد الله العدوية وحفصة بنت عمر زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأم كلثوم بنت عقبة وكريمة بنت المقداد وغيرهن.

أما فى المدينة فكانت الكتابة بين الأوس والخزرج قليلة، وكان بعض اليهود قد علم كتابة العربية، وكان يعلمها الصبيان بالمدينة فى الزمن الأول. فجاء الإسلام وفى الأوس والخزرج عدة يكتبون، منهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبى بن كعب وزيد بن ثابت الذى كان يكتب العربية والعبرانية ورافع بن مالك وأسيد بن حضير. وغيرهم وقد عدهم البلاذرى أحد عشر رجلاً. (١)

---

(١) محمد أبو زهو: الحديث والمحدثون : صد ١٢٠ .

هذا ولما جاء الإسلام أخذ بيد العرب إلى ترقية الكتابة والنهوض بها والعمل على نشرها، وكان للكتابة منزلة عظيمة فى حفظ الوحى وتبليغ الرسالة إلى الملوك وأهل الآفاق. لذا كانت عناية النبى صلى الله عليه وسلم بها شديدة، فقد انتهز أول فرصة لنشر الكتابة بين المسلمين فجعل فداء بعض الأسرى فى بدر ممن يعرفون الكتابة أن يعلم الواحد منهم عشرة من صبيان المسلمين بالمدينة القراءة والكتابة، ولا يطلق إلا بعد أن يتم تعليمهم.

وقد استعمل النبى صلى الله عليه وسلم الكتابة فى تدوين ما ينزل من القرآن، وفى إرسال الرسائل إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، واتخذ لذلك كُتَّاباً من الصحابة. فأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله ابن سعد بن أبى سرح لكنه ارتد وهرب من المدينة إلى مكة ثم عاد إلى الإسلام بعد الفتح. وأول من كتب له بالمدينة أبى بن كعب وكان إذا غاب دعا النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت فكتب له وكان زيد وأبى يكتبان الوحى والرسائل أيضاً. ثم لما فتحت مكة وأسلم معاوية بن أبى سفيان كان يكتب للنبى الوحى، وغير هؤلاء كثير كانوا يكتبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم كالخلفاء الراشدين وآبان بن سعيد وزيد بن أرقم وحنظلة بن الربيع[1].

هذا وقد كُتِبَ القرآن كله بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم على الرقاع والأضلاع والحجارة الرقاق لأن الورق المعروف الآن لم يكن قد وجد عند العرب فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم، وقد كان نزول[2] القرآن متفرقاً على حسب الحوادث والأسئلة، فكانت الآية تنزل على النبى صلى الله عليه وسلم فيأمر كاتب الوحى بكتابتها فى موضع كذا من سورة كذا، وقد مكث الأمر على هذا الحال ثلاثة وعشرين عاماً " على أحد الأقوال " من يوم مبعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى أن توفاه الله.[3]

وهناك عامل آخر ذكره الأستاذ مصطفى السباعى ونقرأ منه قوله " إن العرب لأميتهم كانوا يعتمدون على ذاكرتهم وحدها فيما يودون حفظه، فالتوفر على

---

(١) فتوح البلدان صـ ٤٥٨ .

(٢) محمد ابو زهو : الحديث والمحدثون صـ ١٢١ .

(٣) المرجع السابق صـ ١٢٢ .

حفظ القرآن مع نزوله منجماً على آيات وسور صغيرة ميسور لهم وداعية على استظهاره والاحتفاظ به فى صدورهم، فلو دونت السنة، كما دون القرآن وهى _ أى السنة _ واسعة كثيرة النواحى شاملة لأعمال الرسول التشريعية وأقواله _ منذ بدأ رسالته إلى أن لحق بربه _ للزم إكبابهم على حفظ السنة مع حفظ القرآن، وفيه من الحرج ما فيه عدا عن خوف إختلاط لبعض أقوال النبى ﷺ الموجزة الحكيمة بالقرآن سهوا من غير عمد، وذلك خطر على كتاب الله. وبهذا نفهم سر النهى عن كتابتها الوارد فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تكتبوا عنى غير القرآن، ومن كتب شيئاً فليمحه.. وبصفة عامة فقد أظهر المسلمون منذ صدور الإسلام شوقاً شديداً من أنفسهم إلى ضبط أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلها(١).

وهذا لا يمنع أن يكون قد كتب فى عصر الرسول شىء من السنة. لا على سبيل التدوين الرسمى، كما دون القرآن.. وهناك آثار صحيحة تدل على أنه قد حدث كتابة شىء من السنة فى العصر النبوى كما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى ملوك عصره وأمراء جزيرة العرب كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام (٢)، وكان ينفذ مع بعض أمراء سراياه كتباً ويأمرهم أن لا يقرؤوها إلا بعد أن يجاوزوا موضعاً معيناً. كما ثبت أن بعض الصحابة كانت لهم صحف يدونون فيها بعض ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التى كان يسميها "بالصادقة"، فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : " ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى إلا عبد الله بن عمرو فقد كان يكتب ولا أكتب" وقد إسترعت كتابة عبد الله بن عمرو أنظار بعض الصحابة الذين قالوا : إنك تكتب عن رسول الله ما يقول، ورسول الله قد يغضب فيقول مالا يتخذ شرعاً عاماً، فرجع ابن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له " اكتب عنى فو الذى نفسى بيده ما خرج من فمى إلا حق"(٣).

---

(١) د / مصطفى السباعى : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى صد ٦١ .
(٢) طبقات بن سعد ٢ / ٢٢ / ٥٦ .
(٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ١/ ٧٦.

هذا ويعلق الأستاذ مصطفى السباعى على ذلك بقوله : وقد اختلف العلماء فى التوفيق بين أحاديث النهى عن الكتابة وبين هذه الآثار التى تدل على الإذن به، فالأكثرون على أن النهى منسوخ بالإذن، ومن قائل بأن النهى خاص بمن لا يؤمن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة، وأما الإذن فهو خاص بمن أمن عليه ذلك، وأعتقد أنه ليس هنالك تعارض حقيقى بين أحاديث النهى وأحاديث الإذن، إذا فهمنا النهى على أنه نهى عن التدوين الرسمى كما كان يدون القرآن، وأما الإذن فهو سماح بتدوين نصوص من السنة لظروف وملابسات خاصة أو سماح لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون السنة لأنفسهم، والتأمل فى نص حديث النهى قد يؤيد هذا الفهم، إذ جاء عاماً مخاطباً فيه الصحابة جميعاً. لا يقال إن ذلك يقتضى أن يكون الحكم باقياً على الحرمة ما دام السماح لظروف خاصة ولأشخاص معينين، لأننا نقول : إن سماح الرسول لعبد الله بن عمرو بكتابة صحيفته واستمراره فى الكتابة حتى وفاة الرسول دليل على أن الكتابة مسموح بها فى نظر الرسول(1)، إذ لم يكن تدويناً عاماً كالقرآن، ويؤكد الإذن بالكتابة ما

(1) يرى الأستاذ محمود فاخورى فى كتابه "الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى" صـ ١٦ أن كتابة الحديث كانت موجودة فى عصر النبوة ويسوق الحجج والبراهين التالية:-

١- قوله عليه السلام :" قيدوا العلم بكتاب " رواه بن عبد البر فى جامع بيان العلم ١ : ٧٢ وقد عزا هذا القول نفسه فى مكان آخر إلى ابن عباس وعمر بن الخطاب .

٢- وقد كتب الرسول لعمرو بن حزام عامله على اليمن وغيره كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن . جامع بيان العلم١ : ٧٢..

٣- وكثيراً ما إحتاج النبى إلى أن يكاتب عماله فى أنحاء جزيرة العرب يبلغهم أوامره ، وكذلك كتبوا إليه وسألوه أشياء أخرى فى معضلات الحوادث فأجابهم بالكتابة (صحيفة همام بن منبه ١٣)

٤- قال عبد الله بن عمرو بن العاص : قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمع ؟ قال نعم : قلت فى الرضا والغضب ؟ قال :نعم ، فإنى لا أقول فى ذلك إلا حقاً " جامع بيان العلم ١ : ٧١ .

فعبد الله هذا كان يكتب الحديث وكان مما كتبه أيضاً صحيفة تسمى الصحيفة الصادقة ، وهى التى رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه وهى من أصح الأحاديث ، والأئمة الأربعة وغيرهم احتجوا بها (زاد المعاد : ٢ : ١٨٢) ولعلها أصدق وثيقة تثبت كتابة الحديث فى العهد النبوى ، ولكنها لم تصل إلينا .

٥- وكذلك لما قدم عليه وفد غامد سنة عشر أقروا له بالإسلام " كتب لهم كتاباً فيه شرائع من شرائع الإسلام "زاد المعاد ٢ : ٥٤ .

٦- لما قدم وفد تجيب على النبى صلى الله عليه وسلم سألوه أشياء فكتب لهم بها " زاد المعاد ٣ : ٤٦ .

٧- ما كتبه الرسول من رسائل إلى هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشى وغيرهم .

٨- وكان رجل من الأنصار يسمع حديث رسول الله ولا يحفظه فشكا إليه ذلك فقال : استعن بيمينك " وأومأ بيده الحافظ أى أكتب ما تسمعه .

قال رافع بن خديج : قلت يا رسول الله إنما نسمع منك أشياء أفنكتبها قال : أكتبوا ولا حرج ". التدريب : ١٥٠ .

جاء فى البخارى عن ابن عباس أنه لما اشتد بالنبى عليه الصلاة والسلام وجعه قال : "إئتونى بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده" ولكن عمر حال دون ذلك بحجة أن النبى ﷺ قد غلبه الوجع، وهذا مما يؤيد الرأى القائل بأن آخر الأمرين هو الإذن، لا كما ذهب إليه المرحوم السيد رشيد رضا من أن الإذن وقع أولاً ثم نسخ بالنهى(١).

هذا ويؤيد الرأى(٢) السابق ويذهب مذهبه، ما ورد فى مقال للدكتور على جمعه ننقله هنا بتمامه ونصه : "ونتناول فى هذا المقال دلائل تدوين سنة النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم في عهده والحقيقة الأولى فى هذا الشأن أن التدوين لم يكن زمن الرسول صلى الله عليه وسلم تدويناً رسمياً، بمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر الصحابة رسمياً بتدوين السنة، ولم يعين لذلك كتبة.. مثل كُتَّاب الوحى الذين كانوا يدونون القرآن، غير أنه ورد الأمر النبوى لبعض الصحابة رضوان الله عليهم بالكتابة بصور فردية غير منتظمة، وبإذن خاص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يظن بعضهم أن ذلك الكلام وغيره يتعارض مع قوله صلى الله عليه وسلم : "لا تكتبوا عنى، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه، وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعدة

---

(١) مصطفى السباعى : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى صـ ٧٤ .

(٢) يقول الأستاذ فاخورى فى تأييد التدوين على صفحة ١٩من كتابه " الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى " :
ومع كل هذا فقد كان هناك فريق يرى إباحة الكتابة ويجد الباحث روايات كثيرة تدل على أنهم كتبوا الأحاديث بأيديهم أو أملوها على تلامذتهم أو حثوا على كتابتها ، وإليك بعضا من ذلك :-

١- قال معين أخرج إلىّ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لى أنه خط أبيه "جامع بيان العلم ١ : ١٧٢ .

٢- وكان أنس بن مالك يقول لبنيه : يا بنى قيدوا العلم بالكتاب.

٣- وقد حدثه مرة أحدهم بحديث قال أنس فأعجبنى هذا الحديث فقلت لإبنى أكتبه فكتبه (صحيح مسلم ١ : ٤٥) .

٤- والتقى بعضهم بأبى البشر صاحب رسول الله ، ومعه غلام له معه ضمامة من صحف (صحيح مسلم ٨ : ٣١ .

٥- سأل أبو حجيفة علياً هل عندكم كتاب ؟ قال لا إلا كتاب الله أو فَهْمَ ضمامة رجل مسلم ، أو ما فى هذه الصحيفة فقال : ما فى هذه الصحيفة ؟ قال : العقل أى النية وهناك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر" فتح البارى (١ : ١٨٢) . باب كتاب العلم

٦- وكتب نجده بن عامر الحنفى أحد رؤساء الخوارج إلى ابن عباس يسأله عن مسائل خمس فكتب له ابن عباس ما سأل عنه (صحيح مسلم ٥ : ١٩٧)

من النار" رواه الإمام أحمد فى مسنده فإذن ذلك الحديث كان فى بداية تدوين القرآن، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ينشغل الصحابة رضى الله عنهم بشىء غير القرآن الكريم، وكان ذلك لعدة أسباب منها : عدم إختلاط كلام النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن، وعدم ركون المسلمين إلى الكتابة وترك الحفظ وغير ذلك من الأسباب، ولما زالت تلك الأسباب أذن النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى كتابة الحديث لمن أراد من المسلمين.

ويمضى الدكتور جمعه فى دراسته لهذه المسألة قائلاً : وقد تمثل هذا الإذن النبوى فى مجموعة من الأدلة نوجز بعضها فيما يلى :

- لما فتح الله تعالى مكة للمسلمين خطب النبى صلى الله عليه وسلم فقام رجل من أهل اليمن إسمه أبو شاه. وقال : يا رسول الله أكتبوا لى فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "أكتبوا لأبى شاه" : رواه الإمام أحمد فى مسنده وعند البخارى زيادة، عن الوليد بن مسلم قال : قلت للأوزاعى ما قوله أكتبوا ؟ قال : هذه الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على صريح إذنه بالكتابة.

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم، قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش فقالوا إنك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم : أكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق، وأشار إلى فيه. رواه أحمد فى مسنده وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال : كان رجل يشهد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحفظه فيسألنى، فأحدثه، فشكا قلة حفظه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم إستعن بيمينك وأشار بيده إلى الخط.. أخرجه الترمذى فى سننه.

ويمضى د / على جمعه فى مقاله القيم قائلاً : هناك أدلة كثيرة على إذنه صلى الله عليه وسلم. وقد تعددت آراء العلماء حول العلاقة بين أحاديث الإذن،

وحديث النهى المشار إليه فى أول هذا المبحث.. وأقوى الآراء وأرجحها أن أحاديث الإذن ناسخة لحديث النهى، وعلى ذلك فإن آخر الأمرين منه صلى الله عليه وسلم هو الإذن بالكتابة..

وتلقف الصحابة هذا الإذن النبوى الكريم فشرع كثير منهم فى كتابة الحديث الشريف فمن الصحابة الكَاَتبين : علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه. فقد روى البخارى بسنده إلى أبى جحيفة، قال : قلت لَعَلِّى : هل عندكم كتاب ؟ قال لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه لرجل مسلم أو ما فى هذه الصحيفة، قلت وما فى هذه الصحيفة ؟ قال العقل، وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر.. وهذا الأمر حقيقة علمية توصل إليها كثير من الباحثين، فيقول الأستاذ سيد صقر فى أول سطور تحقيقه" لكتاب فتح البارى": "من الحقائق المطوية فى الكتب أن الأحاديث النبوية قد دونت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفى حياة صحابته، فكان لبعض الصحابة كتب تشمل على ما سمعوا من أحاديث كتبوها بأيديهم وكتبها عنهم من سمعها منهم، وقد شارك الرسول بتدوين سننه بإملائه على كتابه ما أملى من كتب فى الفرائض وغيرها أو أرسلها إلى من رأى أرسالها إليه لتكون تبصرة وتذكرة فيما إفترض من ألوان الفرائض وأدَّبَهُمْ به من سنن الأدب".

ويقول الدكتور صبحى الصالح : ليس علينا إذن أن ننتظر عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حتى نسمع للمرة الأولى كما هو الشائع بشىء إسمه تدوين الحديث، أو محاولة لتدوينه، وليس علينا أن ننتظر العصر الحاضر لنعترف بتدوين الحديث فى عصر مبكر، جريا وراء بعض المستشرقين كجولد تسيهر وشبرنجر، لأن كتبنا ووثائقنا وأخبارنا التاريخية لا تدع مجالاً للشك فى تحقيق تقييد الحديث فى عصر النبى نفسه، وليس على رأس المائة الثانية للهجرة[1].

---

(١) د / على جمعة : مقال منشور بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٠ أكتوبر سنة ٢٠٠٨ م .

الفصل الثانى

موقف الصحابة رضوان الله عليهم
من الحديث النبوى

بعد أن تحدثت إليك عن قضية تدوين السنة فى عهد سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، فإنى أنتقل بك إلى الحديث عن موقف الصحابة من الحديث بعد وفاة النبى بعد أن أوصاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ السنة إلى من وراءهم مع التثبت فيما يروون " كفى بالمرأ إثما أن يُحَدِّثَ بكل ما سمع " مسلم عن أبى هريرة " فلم يكن بد من أن يصدع الصحابة بالأمر ويبلغوا أمانة الرسول إلى المسلمين، خصوصاً وقد تفرقوا فى الأمصار وأصبحوا محل عناية التابعين والصلة إليهم، فكان التابعون يتتبعون أخبارهم ومواطنهم فيرحل إليهم من يرحل على بُعْدَ الشُقَّة وعناء الأسفار..(١) هذا كله كان عاملاً فى انتشار الحديث وانتقاله إلى جمهور المسلمين..

غير أن الصحابة كانوا متفاوتين فى التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلة وكثرة، فمن المقلين، الزبير، وزيد بن أرقم، وعمران بن حصين.. وقد روى البخارى فى "كتاب العلم" عن عبد الله بن الزبير أنه قال لأبيه: إنى لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يحدث فلان وفلان " فقال له: أما إنى لم أفارقه ولكن سمعته يقول: " مَنَ كَذَبَ عَلَّى فليتبوأ مقعده من النار" ويروى ابن ماجة فى سننه أن زيداً بن أرقم كان يقال له: حَدِّثْناَ، فيقول: "كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله شديد" .. ويقول السائب بن زيد: "صحبت سعد بن مالك من المدينة إلى مكة فما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً " وكان أنس بن مالك يُتّبِع الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم بقوله" أو كما قال" حذراً من الوقوع فى الكذب عليه، فما صنعه الزبير، وزيد ابن أرقم وأمثالهما من المقلين إنما كان خوفاً من الوقوع فى خطأ لم يقصدوه، ويظهر أن ذاكرتهم لم تكن من شأنها أن تسعفهم بإيراد الحديث على لفظه أو وجهه الذى سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم فكان الاحتياط فى دين الله عندهم أن لا يكونوا من المكثرين(٢).

ولقد أضيف إلى هذا رغبة عمر رضى الله عنه ألا يكثروا من التحديث عن

---

(١) مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي صـ ٧٥ .
(٢) المرجع السابق صـ ٧٦ .

الرسول صلى الله عليه وسلم كى لا ينشغل الناس بالحديث عن القرآن، والقرآن غض طرى، فما أحوج المسلمين إلى حفظه وتناقله، والتثبت فيه والوقوف على دراسته... روى الشعبى عن قرظه بن كعب قال: "خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر إلى صرار فتوضأ فغسل أثنتين ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم ؟ قالوا: نعم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معنا، فقال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوهم بالحديث فتشغلوهم، جودوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمضوا وأنا شريكم ـ فلما قدم قرظه قالوا: حَدّثنا قال نهاناً عمر بن الخطاب[1].

ومن الصحابة من كان يكثر الحديث عن الرسول ويستكثر منه أيضاً فأبو هريرة رضى الله عنه كان من أوعية الحديث التى فاضت على المسلمين فملأت بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاديثه صدورهم ومجالسهم، وعبد الله ابن عمرو كان يحدث الناس من صحيفته الصادقة، وعبد الله بن عباس كان يطلب الحديث عند كبار الصحابة ويتحمل فى سبيل ذلك عناء ومشقة، أخرج ابن عبد البر عن ابن شهاب أن ابن عباس قال: كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، فلو أشاء أن أرسل إليه حتى يجيئنى فيحدثنى فعلت، ولكنى كنت أذهب إليه فأقيل على بابه حتى يخرج إلى فيحدثنى[2].

وهكذا لقى فى سبيل الحديث من العناء ما لقى إلى أن استوعب ما عند من لقيهم من الصحابة من حديث، فأخذ يبثه غير متزمت ولا مقل، ويظهر أنه أقل من التحديث بعد ذلك حين بدا الوضع فى الحديث، فقد روى مسلم فى مقدمة صحيحه أن بشير بن كعب جاء إلى ابن عباس فجعل يحدثه فقال له ابن عباس: عُدّ لحديث كذا وكذا، فعاد له، فقال: ما أدرى أعرفت حديثى كله ؟ أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟ فقال ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذَب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه.

---

(١) جامع بيان العلم ٢/ ١٢٠.
(٢) نفس المصدر ١ / ٩٤ .

ومهما يكن من إكثار بعض الصحابة التحديث عن رسول الله فقد كان ذلك قليلاً فى عصرى الشيخين أبى بكر وعمر، إذ كانت خطتهما حمل المسلمين على التثبت فى الحديث من جهة، وحمل المسلمين على العناية بالقرآن أولاً من جهة أخرى. قيل لأبى هريرة " أكنت تحدث فى زمن عمر هكذا ؟ قال: لو كنت أحدث فى زمن عمر مثل ما أحدثكم لضربنى بمخفقته(١)..

فقد كان الصحابة يحذرون من وقوع أمرين الأول: الوضع فى الحديث النبوى وكان الخوف من ذلك دافعاً وحافزاً قوياً شحذ همتهم إلى التنبيه والتشديد فى التحرى فى نقل الحديث.

وأما الثانى فإنهم كانوا يخافون أن تؤدى كثرة الرواية إلى أن تزل أقدامهم بالخطأ والنسيان ؛ وإن يؤدى هذا إلى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه من وعيد شديد.. وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل دلالة قوية على ما كان عليه صحابة رسول الله من حرص على التثبت فى قبول الأخبار مخافة الخطأ فى الرواية وحرصاً على الضبط والإتقان وتحفظاً فى الدين حتى لا يتقول أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل: ولذلك رأيناهم يحرصون على عرض المروى على القرآن الكريم فإن كان مخالفاً له تركوا العمل به، ومن ذلك ما ذكر من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان قد أفتى بأن المبتوتة لها النفقة ولها السكنى، ولما روى له حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها أن زوجها طلقها البتة وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته، فقال: والله مالك علينا من شىء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال: " ليس لك عليه نفقة ولا سكنى " وأمرها أن تعتد فى بيت أم شريك _ قال عمر لما رُوِىَ له ذلك: "لا نترك كتاب ربنا لقول امرأة لعلها حفظت أو نسيت ".

والمراد بقولة عمر:" كتاب ربنا " قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ سورة الطلاق (١)

وقوله تعالى:﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾

(١) نفس المصدر ١ / ١٢١ .

سورة الطلاق (٦) فقد فهم عمر من هاتين الآيتين أنه لا فرق بين رجعية ومبتوتة، فجعل للمبتوتة النفقة والسكنى.

وفى المسألة خلاف عند الفقهاء وفيها آراء أحدها: ما ذهب إليه عمر والثانى: لا نفقة لها ولا سكنى، والثالث: لها السكنى دون النفقة.

كما يفهم مما ذكرناه فى بداية هذا الفصل عمل أبى بكر وعمر وعَلّى عملهم بخبر الراوى الواحد فقط وأنه فى الحالات التى اقتضت طلب راوٍ آخر أو استحلافه لا يستلزم ذلك أن يكون مذهباً عاماً وخطة مقررة.. وبهذا التوجيه والتحقيق يلتقى عمل هؤلاء الصحابة الثلاثة الكبار مع عمل الصحابة الآخرين من حيث اكتفاؤهم براوٍ واحد..

رحلة الصحابة إلى الأمصار طلباً للحديث:

انقضى عصر الشيخين والسنة محفوظة فى صدور الصحابة غير شائعة الانتشار كثيراً، لا فى الأقطار، لأن عمر رضى الله عنه منع أكثر الصحابة من مغادرة المدينة إلا لأفراد اقتضت المصلحة خروجهم، ولا فى المدينة نفسها لأن سياسته كما رأيت كانت تقوم على توفر العناية بالقرآن وتقليل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. منعاً للتزيد فيه واحتراساً من الخطأ والوهم فى روايته، فلما كان عهد عثمان سمح للصحابة أن يتفرقوا فى الأمصار واحتاج الناس إلى الصحابة وخاصة صغارهم، بعد أن أخذ الكبار يتناقصون يوماً بعد يوم، فاجتهد صغار الصحابة بجمع الحديث من كبارهم فكانوا يأخذونه عنهم، كما كان يرحل بعضهم إلى بعض من أجل طلب الحديث، فقد أخرج البخارى فى الأدب المفرد وأحمد والطبرانى والبيهقى واللفظ له عن جابر بن عبد الله قال: بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رواه عن رسول الله لم أسمعه منه، فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلى، ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام، فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصارى فأتيته فقلت له: حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المظالم لم أسمعه، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يحشر الناس غُرلاً بُهْماً، قلنا: وما لهم ؟ قال: ليس معهم

شىء، فيناديهم نداء يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقصها منه، ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى أقصه منه حتى اللطمة، قلنا: كيف ؟ وإنما نأتى الله عراة غرلاً بهماً[1]؟ قال: بالحسنات والسيئات، وأخرج البيهقى وابن عبد البر عن عطاء بن أبى رباح أن أبا أيوب الأنصارى رحل إلى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه منه غيره، فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصارى وهو أمير مصر فخرج إليه فعانقه قم قال له: ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ قال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ستر المؤمن فقال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يقول من ستر مؤمناً فى الدنيا على كربته ستره الله يوم القيامة " ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة فما أدركته جائزة مسلمة إلا بعريش مصر.

هذا وقد كان للخلاف بين عَلِّى ومعاوية آثاره فى انقسام المسلمين إلى طوائف، ومن هذه الطوائف من غلا فى التعصب لما ذهب إليه، وحاول أن يدعمه بالقرآن والسنة، فإن لم يجد هذا صريحاً أَوَّلَ القرآن على غير حقيقته، أو حَمَّلَ نصوص السنة ما لا تتحمله، فإذا عز عليه ذلك نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، كالذى وضعه الشيعة فى عَلِّى رضى الله عنه:" من أراد أن ينظر إلى آدم فى عمله، وإلى نوح فى تقواه، وإلى إبراهيم فى حلمه، وإلى موسى فى هيبته، وإلى عيسى فى عبادته، فلينظر إلى عَلِّى " فقابلهم المتعصبون لمعاوية بقولهم:" الأمناء ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية " وبهذا بدأ الوضع فى الحديث.

ثم أخذ الدس على السنة يزداد شيئاً فشيئاً، فهب العلماء لدرء هذا الشر وحماية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بداية عصر صغار الصحابة وكبار التابعين، وعنوا بالبحث فى إسناد الحديث وفحص أحوال الرواة.

عن مجاهد قال: " جاء بشير (بضم الباء وفتح الشين وتسكين الياء) العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال

---

(١) غرلا " بضم الغين وسكون الراء جمع " أغرل " وهو الذي لم يختن ، و " بهما " أي ليس معهم شيء كما جاء تفسيرها في الحديث نفسه : انظر الأدب المفرد ص ٢ _ ٢٥ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ابن عباس لا يأذن(١) لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس، مالى لا أراك تسمع لحديثى ؟ أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول(٢). لم نأخذ من الناس إلا ما من نعرف ".(٣)

وعن محمد بن سيرين قال:" لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى حديث أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم " (٤)

وعن عبدان بن عثمان قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول:" الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ".

وقال ابن المبارك كذلك: " بيننا وبين القوم القوائم " _ يعنى الإسناد(٥).

فنشأ بهذا علم ميزان الرجال: "الجرح والتعديل" و " تاريخ الرواة " وأصبح علم الحديث يشمل موضوعين رئيسيين: علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية.

١- علم الحديث رواية: هو العلم الذى يقوم على نقل ما أضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية (بضم الخاء واللام) أو خلقية (بكسر الخاء وتسكين اللام) نقلاً دقيقاً محرراً.

وموضوعه: أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته من حيث نقلها نقلاً دقيقاً.

وفائدته: حفظ السنة وضبطها والاحتراز عن الخطأ فى نقل ما أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) لا يأذن : أي لا يستمع ولا يصغى ، ومنه سميت الأذن .

(٢) الصعب والذلول : أصل الصعب والذلول في الإبل - فالصعب _ العسر المرغوب عنه و الذلول : السهل الطيب المحبوب المرغوب فيه ، فالمعنى : سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم .

(٣) مقدمة صحيح مسلم .

(٤) المرجع السابق .

(٥) نفس المرجع .

٢- علم الحديث دراية: هو مجموعة القواعد والمسائل التى يُعرف بها حال الراوى والمروى من حيث القبول والرد(١)

*والراوى: هو ناقل الحديث _ والمروى: هو ما أضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم، أو إلى غيره من الصحابة أو التابعين.

والمقصود بحال الراوى من حيث القبول والرد: معرفة حاله جرحاً وتعديلاً، وتحملاً وأداء، وسائر ما له صلة بنقله.

والمقصود بحال المروى: كل ما يتعلق باتصال الأسانيد أو انقطاعها، ومعرفة علل الأحاديث وسائر ما له صلة بقبول الحديث أو رده.

- موضوع علم الحديث دراية: السند والمتن من حيث أحوال كل منهما.
- وفائدة علم الحديث دراية: معرفة المقبول من المردود.

وقد أطلق علماء الحديث على علم الحديث دراسة اسم "علوم الحديث" واسم "مصطلح الحديث" واسم "أصول الحديث" ذلك لأن العناية بعلم "الحديث دراية" نجم عنها عدد من العلوم، حيث رأينا علماء هذا الفن يعنى كل منهم بجانب من جوانبه، ويفرده بالتأليف، فنشأت عدة علوم تحت اسم واحد هو "علوم الحديث" وسنتناول أهم هذه العلوم بإيجاز(٢) بعد الانتهاء من عرض الفصل الثانى عن التدوين الفعلى للسنة النبوية.

(٣)وهكذا بدأت رواية الحديث تأخذ فى السعة والانتشار وبدأت الأنظار تتجه بعناية شديدة أكثر من قبل إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص التابعون على لقياهم ونقل ما فى صدورهم من علم قبل أن ينتقلوا إلى الرفيق الأعلى.. ونتج عن ذلك استقامة أمر الشريعة الإسلامية بتوطيد دعائم السنة، واطمئنان المسلمين إلى حديث نبيهم فَأُقْصِىَ عنه كل مضل وَمُيِّزَ بين الحسن والصحيح والضعيف، وحفظ الله شرعه وصانه من عبث المفسدين، وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة العظيمة المباركة.

---

(١) مناع القطان : مباحث في علوم الحديث صـ ٥١ _ ٥٢ . طبع مكتبة وهبة : ٢٠٠٧ م
(٢) مناع القطان : مباحث في علوم الحديث صـ ٥٣ .
(٣) مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي صـ ٨٥ ، ٨٦ .

الفصل الثالث

التدوين الفعلى للسنة النبوية

ذكرت لك سابقاً أن السنة النبوية لم تدون رسمياً فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دون القرآن إنما كانت محفوظة فى الصدور ونقلها صحابة رسول الله إلى من بعدهم من التابعين مشافهة وتلقينا، وإن كان عصر النبى لم يخل من تدوين بعض الحديث(١)، وانقضى عصر الصحابة ولم تدون فيه السنة إلا قليلاً (٢)، إنما كانت تتناقلها الألسن؛نعم لقد فكر عمر رضى الله عنه بتدوين السنة، ولكنه عدل عن ذلك..

وتتفق أغلب الروايات التاريخية على أن أول من فكر بالجمع والتدوين من التابعين هو عمر بن عبد العزيز (٣) إذ أرسل إلى أبى بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة:"أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عيه وسلم فأكتبه فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء" كما أرسل إلى ولاة الأمصار وكبار علمائها يطلب منهم مثل هذا: أنظروا إلى حديث رسول الله فاجمعوه" وبذلك نَفَذَ عُمَرٌ(٤)

---

(١) في حديثنا عن كتابة الأحاديث وتقييدها وصلنا إلى أن هذا الأمر كان مبكراً من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستمرت الحال كذلك في عهد الصحابة ثم التابعين ، حتى حفظت لنا الروايات الصحيحة تدوين التابعين لعدد من الصحف عن شيوخهم من الصحابة ، حتى أن الصحيفة الصحيحة وهي صحيفة همام بن منبه التي دونها عن شيخه أبي هريرة رضى الله عنه قد دونت في منتصف القرن الأول الهجري . وكل هذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على أن تدوين الحديث من قبل الأفراد على صعيد واسع عريض لم تخل منه فترة من الفترات قبل نهاية القرن الأول الهجري حيث كانت وفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي وافته المنية سنة(١٠١هـ) . وإن من غير المقبول أدعاء أن التدوين إنما بدأه عمر بن عبد العزيز رحمه الله وفي خبر (الصحيفة الصحيحة) وأمثالها الحجة الدامغة عل كل أولئك الذين يلغون في الإثم من مستشرقين ومستغربين فيوق لهم أن يتخذوا من تأخر تدوين الحديث في زعمهم ثغرة للطعن بصحة الحديث. (محمد أديب صالح : لمحات في أصول الحديث صـ ٦٥) طبع دمشق ١٣٩٣هـ

(٢) مصطفى السباعي : السنة ومكانتها ي التشريع الإسلامي :صـ ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه صـ ١٢٢ .

(٤) وهكذا يقارب القرن الأول الهجري على الانتهاء ، وقد توفرت كل الدواعي لأن يكون هنالك تدوين للحديث يأخذ الشكل الرسمي وتتولاه السلطة التنفيذية ، وكان لذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، الذي ــ كان وهو خليفة للمسلمين ، والمسئول عن تدبير شؤون الأمة ــ على علم جم ، وخشية لله ، وحرص صادق على حديث رسول الله أن يتهدده الانحسار والضياع من كثرة الشوائب وموت العلماء ، كما كان رحمه الله على معرفة بأهل زمانة وعلماء عصره ، فكان في مقدوره أن يعطي القوس باريها وأن يأتمن على العمل من هو أهل له ، وجدير بحمل العبء على أكمل وجه وأفضله . بدأ رحمه الله العمل الذي كان الحلقة المضيئة البارزة في سلسلة تدوين الحديث الشريف في استجابة طبيعية لتلك الدواعي التي فرضت نفسها يومذاك ، ففي " الموطأ " للإمام مالك ، و " صحيح البخاري في كتاب العلم " أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن حزم (١٢٠) : (انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم وليفشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لا =

رغبة جده عمر بن الخطاب والتى سبق أن جاشت فى نفسه مدة ثم عدل عنها خوفاً من أن تلتبس بالقرآن أو يصرف الناس إليها:والذى يظهر أن ابن حزم كتب لعمر شيئاً من السنة فقد أنفذ إليه ما عند عمرة والناس والقاسم،ولكنه لم يدون كل ما فى المدينة من سنة وأثر، وإنما فعل هذا الإمام محمد بن شهاب الزهرى (١٢٤هـ) والذى كان عَلَمًا خفاقاً من أعلام السنة فى عصره، والذى كان عمر بن عبد العزيز يأمر جلساءه أن يذهبوا إليه لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم بالسنة منه... والذى ذكر مسلم أن له تسعين حديثاً لا يرويها غيره.. وذكر كثير من أئمة العلم فى عصره أنه لولا الزهرى لضاعت كثير من السنن، هذا مع وجود الحسن وأضرابه فى عصر الزهرى، وكان تدوينه عبارة عن تدوين كل ما سمعه من أحاديث الصحابة غير مبوب على أبواب العلم، وربما كان مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين. وبذلك كان الزهرى أول من وضع حجر الأساس فى تدوين السنة فى كتب خاصة..

ثم شاع التدوين فى الجيل الذى يلى جيل الزهرى وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج (١٥٠) وابن إسحاق (١٥١) وبالمدينة سعيد بن أبى عروبة (١٥٦) والربيع بن صبيح (١٦٠) والإمام مالك (١٧٩) وبالبصرة حماد بن سلمة (١٧٦) وبالكوفة سفيان الثورى (١٦١) وبالشام أبو عمرو الأوزاعى (١٥٦) وبواسط هيثم (١٨٨) وبخراسان عبد الله بن المبارك (١٨١) وباليمن معمر (١٥٣) وبالرى جرير بن عبد الحميد (١٨٨) وكذلك فعل سفيان بن عيينة (١٩٨) والليث بن سعد (١٧٥) وشعبة بن الحجاج (١٦٠) وهؤلاء جميعاً كانوا فى عصر واحد فهم من أهل القرن الثانى الهجرى ولا يدرى أيهم أسبق إلى ذلك[1].

= يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً وأبو بكر هذا تابعي فقيه استعمله عمر بن عبد العزيز على إمرة المدينة وقضائها ولهذا كتب إليه ، قال مالك لم يكن أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما عند أبي بكر بن حزم ، وقد أوصاه عمر أن يكتب له ما عند خالته عمره عبد الرحمن الأنصارية (٩٨) وما عند القاسم بن محمد بن أبي بكر (١٢٠) . ولم ينقل إلينا شيء عن الذي أنجزه أبو بكر بن حزم ، ولعله ضاع فيما ضاع من ثروتنا عبر القرون . وقد كتب عمر بن عبد العزيز أيضاً إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث ، وممن كتب إليهم التابعي محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن شهاب الزهري (١٢٤) المدني الذي كان أعلم أهل الحجاز والشام ، وأحد الأئمة الأعلام الموثقين فكان هو أول من دون بأمر عمر بن عبد العزيز . (محمد أديب صالح : لمحات في أصول الحديث صـ ٦٧)

(١) المرجع السابق صـ ١٢٣ .

وما ذكرناه إنما هو بالنسبة إلى الجمع فى الأبواب أما الحديث فى باب واحد. فقد روى الحافظ بن حجر- سبقه الشعبى (١٠٤هـ) إليه - فإنه روى عنه أنه قال: هذا باب من الطلاق جسيم وساق فيه أحاديث..[1] ويلاحظ أن مما يتميز به هذا التصنيف فى القرن الثانى الهجرى أن جمع الأحاديث، كان جمعاً مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين كما يُرَىَ فى موطأ الإمام مالك.

أما بدأ إفراد الحديث النبوى بالتدوين مجرداً عن فتاوى الصحابة وأقوال التابعين فكان على رأس المائتين للهجرة إذ صنف عبيد الله بن موسى العيسى الكوفى (٢١٣هـ) مسند[2]، وتلاه غيره من معاصريه. وهكذا استمر الأمر على هذه الشاكلة فلم ينتصف القرن الثالث الهجرى حتى أنتهى تدوين الحديث ونقله من الصدور إلى السطور ولم يبق بلا تدوين إلا النذر اليسير ولكن كانوا يجمعون الحديث بلا تمييز من سقيم وصحيح[3].

واستمر الأمر على هذا الحال حتى جاء الإمام البخارى[4] فاختط لنفسه منهج تجريد الحديث الصحيح، وأفرده بالتأليف فجمع فى كتابه " الجامع الصحيح"، ما تبين له صحته فأراح طلاب الحديث من عناء البحث والسؤال، بينما كانت المصنفات من قبل يمتزج فيها الصحيح بغيره بحيث لا يقع الناظر على الحديث المقبول إلا بعد البحث عن أحوال رواته وسلامته من العلل وما إلى ذلك[5] فإن لم يكن من أهل البحث، ولم يتيسر له من يطلعه على ما يريد، ظل أمر الحديث مجهولاً لديه.. واقتفى منهج البخارى وحذى حذوه فى طريقته تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج[6] القشيرى فصنف كتابه "الصحيح" وأشتهر كتاباً البخارى ومسلم بالصحيحين، ثم جاء بعد هذين الإمامين كثيرون، فغنيت هذه الفترة بالكثير الطيب كالسنن الأربعة لأبى داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه..

---

(١) طاهر الجزائري : توجيه النظر صـ ٨ .

(٢) المسند هو الكتاب الذي يرتب الأحاديث النبوية بحسب أسماء الصحابة الراوين لها ، فيذكر لكل صحابي من الأحاديث ، فيقال مثلاً مسند أبي بكر مسند عمر ، مسند على

(٣) محمد أديب صالح : لمحات في أصول الحديث صـ ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) ولد في بخاري ١٩٤هـ ، وسيرد الحديث عن سيرته تفصيلاً في الباب الأخير من كتابنا.

(٥) المرجع السابق صـ ٦٩ .

(٦)ولد بنيسابور سنة ٢٠٤ هـ وسيرد الحديث عن سيرته تفصيلاً في الباب الأخير من كتابنا .

وكان هذا القرن أحفل العصور بجهابذة العلماء والمحدثين وعظيم المصنفات فى الحديث.. ثم جاء دور جديد، فشرع العلماء فى النقد والبحث والتمحيص وكل ما يتعلق بالرواية والرواة والمرويات على أساس القواعد التى وضعوها لعلم أصول الحديث فلم ينقض القرن الرابع الهجرى حتى استوى تحرير الأحاديث على سوقه وتميز المقبول من المردود، وصحيح الحديث من غير الصحيح... وبعد الصحيحين تأتى كتب السنة الأربعة،وهى سنن أبى داوود (٢٧٥هـ) وسنن الترمذى (٢٧٩هـ) وسنن النسائى (٣٠٣هـ) وسنن ابن ماجه ٢٧٧ هـ كتب السنن هذه مع الصحيحين هى التى يطلق عليها العلماء:الكتب الستة.

الفصل الرابع

طرق تدوين الحديث

طرق تدوين الحديث:- يذكر المؤرخون أن طرق تدوين الحديث قد تطورت إلى ثلاث طرق على النحو التالى:-

أ- الطريقة الأولى:- فى هذه الطريقة كان العلماء يجمعون الطعون التى وجهها أهل الكلام إلى أهل الحديث سواء منها ما كان يرجع إلى أشخاصهم من العدالة والضبط أم ما كان يرجع إلى ما حملوه من الحديث من كونه كلام خرافة أو متناقضاً أو مشكلاً ثم يكرون عليها بالابطال وينزهون ساحة الأئمة والأحاديث عن هذه الطعون الزائفة، وكان من هؤلاء الأعلام الإمام ابن قتيبة رحمه الله صاحب كتاب (تأويل مختلف الحديث فى الرد على أعداء الحديث)[1].

ب- الطريقة الثانية:- جمع الحديث على المسانيد وذلك أن يجمع المحدث فى ترجمة كل صحابى ما يرويه عنه من حديثه سواء كان صحيحاً أم غير صحيح ويجعله على حدة وإن إختلفت أنواعه فمثلاً يذكر أبا بكر ثم يسرد ما رواه عنه من الأحاديث وإن اختلفت موضوعاتها ثم عمر كذلك وهلم جرا، ولهم فى ترتيب أسماء الصحابة طرق مختلفة فمنهم من رتبها على القبائل فقدم بنى هاشم ثم الأقرب فالأقرب نسباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من رتبها على السوابق فى الإسلام فقدم العشرة المشهود لهم بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح ثم أصاغر الصحابة سنا ثم النساء ومنهم من لم يراع شيئاً من ذلك، والمسانيد التى ألفت فى هذا العصر كثيرة جداً منها:

مسند عبيد الله بن موسى المتوفى سنة (٢١٣) ومسند الحميدى (٢١٩) ومسند مسدد بن مسرهد (٢٢٨) ومسند اسحاق بن راهويه (٢٣٧) ومسند عثمان بن أبى شيبة (٢٣٩)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١)، ومسند عبد ابن حميد (٢٤٩)، والمسند الكبير ليعقوب بن شيبة (٢٦٢)، ولم يؤلف[2] أحسن منه لكنه لم يتمه، ومسند محمد بن مهدى (٢٧٢)، والمسند الكبير لبقى بن مخلد القرطبى (٢٧٦) رتبه على أسماء الصحابة ثم رتب حديث كل صحابى على أبواب الفقه

---

(١) ومنهم على بن المديني فقد صنف كتاب (اختلاف الحديث) في خمسة أجزاء .

(٢) لأنه جمع الأحاديث وأبان عن عللها .

ومجموع من روى عنه من الصحابة فيه (١٦٠٠) فجاء كتاباً حافلاً مع ثقة مؤلفه وضبطه واتقانه وقد فضله ابن حزم على مسند الإمام أحمد بن حنبل. قال ابن كثير فى التاريخ "وعندى فى ذلك نظرو الظاهر أن مسند أحمد أجود منه وأجمع".

وهذه الطريقة من التصنيف لا تخلو عن عيوب فإن المطلع على المسانيد إذا لم يكن من أهل الفن المتضلعين فيه الواقفين على أحوال المتون والأسانيد تعذر عليه الوقوف على درجة الحديث من الصحة والضعف والاحتجاج به أو عدمه إذ كل حديث فى نظره يحتمل الصحة والضعف. هذا إلى أن الوقوف على الأحكام الشرعية منها شاق على غير الحفاظ المتقنين لعدم التناسب فى جمع الأحاديث بين موضوعاتها، ومهما يكن من شىء فلأصحاب المسانيد الفضل الأكبر فى تجريد الأحاديث النبوية عن غيرها وجمعهم كثيراً من متونها وأسانيدها ولهم فى تدوين الأحاديث التى لم تبلغ مرتبة الصحة مقاصد جليلة منها أن طرقه قد تتعدد فيبلغ مبلغ الصحيح ومنها أنها تصلح للإعتبار بها ومنها ما تتبين صحته فيما بعد لأهل الحديث ونقاده، فلا يخطرون ببالك أنهم كانوا فيما جمعوا كحاطب ليل. بل كانوا على علم تام بصحيحها وضعيفها وأسانيدها وعللها كيف لا وقد رحلوا فى سبيلها إلى الأقطار المختلفة وأفنوا أعمارهم فى جمعها وتمحيصها حتى كانوا صيارفة الحديث بحق. وقد رأيت أن بعض أصحاب المسانيد لم يقتصر على جمع الأحاديث من غير أن يبين حال متونها وأسانيدها وأن بعضهم قد جمع إلى ترتيبها على أسماء الصحابة ترتيبها على أبواب الفقه كما فى المسند الكبير لبقى بن مخلد. والمسند الكبير ليعقوب بن شيبه فإن الأول رتب حديث كل صحابى على أبواب الفقه، والثانى ألف مسنده معللاً فجمع فى كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه.

جـ- الطريقة الثالثة:- التصنيف على الأبواب وهو تخريج الأحاديث على أحكام الفقه وغيرها وتنويعه أنواعاً وجمع ما ورد فى كل حكم وكل نوع فى باب بحيث يتميز ما يتعلق بالصلاة مثلا عما يتعلق بالصيام، وأهل هذه الطريقة منهم من إقتصر على إيراد ما صح فقط كالبخارى ومسلم فى صحيحيهما ومنهم من لم يقتصر على ذلك كأبى داود والترمذى والنسائى.

وكان أول الراسمين لهذه الطريقة المثلى شيخ المحدثين محمد بن إسماعيل البخارى (٢٥٦) فجمع فى صحيحه (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه): ما تبين صحته من الأحاديث مرتبة على الأبواب، وأقتفى أثره فى ذلك الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٦١) فى صحيحه، وكان من الآخذين عن البخارى، وقد اتفق العلماء على أن كتابيهما أصح الكتب المصنفة ثم حذا حذوهما كثير من المحدثين فى مصنفاتهم كالنسائى وأبى داود والترمذى.

وفى هذه الطريقة من الفوائد الوقوف على درجة الأحاديث بسهولة وتيسير الإطلاع على الأحكام الشرعية وغيرها فى الأبواب المختلفة ولذلك جعل العلماء لأحاديث هذه الكتب اَلْمَرْتَبة اَلأُوَلَى فى الإِعتبار ولأحاديث المسانيد المرتبة الثانية.

هذا ويعتبر القرن الثالث الهجرى أجَلَّ عصور الحديث وأسعدها بتدوين الحديث وتقريبه على طالبيه ففيه ظهر كبار المحدثين وحذاق الناقدين ومهرة المؤلفين وفيه ظهرت الكتب الخمسة: الصحيحان للبخارى ومسلم، والسنن لأبى داود والنسائى والترمذى، وقد اعتمدها المحدثون وَعَوَّلَ عليها المستنبطون وحظيت بخدمة العلماء فى جميع العصور ما بين شارح ومختصر وناقد ومنتصر ومستخرج عليها ومؤرخ لرجالها وجامع لأطرافها ومستدرك عليها. قال النووى وغيره: لم يفت الكتب الخمسة من الأحاديث الصحيحة إلا النزر اليسير(١).

وهكذا يجد الباحث ألواناً من المصنفات تتفق وتجتمع كلها على خدمة الحديث النبوى فكان هناك من يصنف لشرح الغريب ومن يصنف للترغيب والترهيب، ومن يقتصر على جمع أحاديث الأحكام، وآخر يهتم بالناسخ والمنسوخ(٢).

بهذا وغيره من الطرق تم تدوين السنة وجمعها وتمييز صحيحها من غيره، ولم يكن لعلماء القرون التالية إلا بعض استدراكات على كتاب الصحاح،

(١) محمد أبو زهو : الحديث والمحدثون : صـ ٣٦٤ إلى صـ ٣٦٦ .
(٢) محمد أديب صالح : لمحات في أصول الحديث صـ ٧١ .

كمستدرك أبى عبد الله الحاكم النيسابورى الذى استدرك فيه على البخارى ومسلم، وأحاديث يرى أنها من الصحاح متفقة مع شرطيهما مع أنهما لم يخرجاها فى صحيحيهما، وقد سلم له العلماء فى قسم منها وخالفوه فى قسم آخر[١].

---

(١) مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي صـ ١٢٥.

الفصل الخامس

علوم الحديث

أولاً:-

علم أصول الحديث

لن تطول بنا الرحلة حتى ندرك من خلال تعريفات العلماء وبحوثهم أن أصول الحديث أو (مصطلحه) هو علم بقواعد وقوانين يعرف بها أحوال سند الحديث ومتنه من حيث القبول والرد. بمعنى أن المعرفة بأحوال السند والمتن على أساس من تلك القواعد المنهجية تجعل هذا الحديث مقبولاً صالحاً للعمل، إذا كانت تلك الأحوال مستوفية شرائط القبول سليمة من المطاعن، أو تجعله فى المقابل مردوداً غير صالح للعمل به، إذا كانت مثوبة بالمطاعن التى تباعد عن الأخذ به والعمل بمقتضاه. كما يقولون كذلك أنه العلم الذى يضع القواعد العلمية لتصحيح الأخبار، فيبحث عن تقسيم الخبر إلى صحيح وحسن وضعيف وتقسيم كل من هذه الثلاثة إلى أنواع وبيان الشروط المطلوبة فى الراوى والمروى وما يدخل الأخبار من علل واضطراب وشذوذ، وما ترد به الأخبار وما يتوقف فيها إلى أن تعضد بمقويات أخرى وبيان كيفية سماع الحديث وآداب المحدث وطالب الحديث وغير ذلك مما كان فى الأصل بحوثاً متفرقة وقواعد قائمة فى نفوس العلماء فى القرون الثلاثة الأولى إلى أن أفراد بالتأليف والجمع والترتيب شأن العلوم الإسلامية الأخرى فى تطورها وتدرجها، وقد كان أول من ألف فى بعض بحوثه على ابن المدينى شيخ البخارى، كما تكلم البخارى ومسلم والترمذى فى بعض أبحاثه فى رسائل مجردة لم يضم بعضها إلى بعض، ولكن أول من صنف فى هذا الفن تصنيفاً علمياً بحيث جمع كل أبوابه وبحوثه فى مصنف واحد هو القاضى أبو محمود الرامهرمزى (٣٦٠هـ) فى كتابه " المحدث الفاصل بين الراوى والسامع " ولم يستوعب فيه كل بحوث هذا العلم، ثم جاء الحاكم أبو عبد الله النيسابورى المتوفى (٤٠٥هـ) فألف فيه كتابه: معرفة علوم الحديث" ثم تلاه العديد من علماء الحديث فى التأليف فى هذا الباب المهم من علوم الحديث. ويتميز بضوابط هذا العلم صحيح الرواية من سقيمها وَيُعْرَفُ بقواعده مَقْبُولُ الأخبار من المردود مما يصلح الاحتجاج به أو لا يصلح..

ثم هناك مصطلح آخر ويطلقون عليه السند بالتحريك ويقصدون به الطريق الموصل إلى المتن، وهذا الطريق هو الرواة الذين نقلوا بالتسلسل واحداً عن الآخر ذلك المتن وهذا المعنى الاصطلاحى للسند وثيق الصلة بالمعنى اللغوى، فالسند فى اللغة الملجأ والمعتمد، وأسندت الحديث إلى قائله رفعته إليه..

وهكذا يتضح لنا أن سلسلة الرواة الذين نقلوا المتن سميت بالسند، لأن الحكم على الحديث من حيث الاطمئنان إلى ثبوته واعتباره مقبولاً، يعتمد إلى حد كبير على حال الرواة ومقدار استيفائهم للشرائط التى يكون المتن بها فى عداد الأحاديث المقبولة، إذ بمقدار توفر الثقة بهم والإطمئنان إليهم أمانة وضبطاً ووثوقاً، تكون طريق الحكم على الحديث بالصحة والقبول، وهكذا كانت سلسلة الرواة معتمد الحكم على المتن فكانت السند(1).

ومن العلماء من يرى أن السند هو الإخبار عن طريق المتن وبهذا يكون مرادفاً للإسناد الذى هو: رفع الحديث إلى قائله لأن كلا منهما تعريف للمعنى المصدرى، فتراهم يقولون: سند الحديث وإسناده والمراد واحد(2).

أما المتن: فهو ما انتهى إليه السند من الكلام، أى: أنه المروى من ألفاظ الحديث التى تتقدم بها المعانى. وفى ضوء ذلك يرى علماء الحديث أن نص الحديث إنما سمى متنا لما أنه هو الناحية المقصودة بالنقل الذى قام به الرواة وأنه المورد الذى يكون معتمد الباحثين فى أخذ الأحكام.. وهكذا يتضح أن سلسلة الرواة هى السند، ونص الحديث الذى كان السند طريق الوصول إليه هو المتن.. والعلاقة فى المعنى اللغوى واضحة فى كليهما. وفى المثالين التاليين شاهد لما نقول:

١- جاء فى الموطأ للإمام مالك: حدثنى يحيى عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يبع بعضكم على بيع بعض"(3).

---

(١) محمد أديب صالح : لمحات في أصول الحديث من صد ١١ إلى صد ١٣ .

(٢) المصدر نفسه صأ ١٢ .

(٣) الإمام مالك : الموطأ ٣ / ٣٢٧ باب ينهي عنه من المساومة والمبايعة .

٢- وفى صحيح البخارى حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها (١).

فالسند من الحديث الأول هو: يحى ومالك ونافع وابن عمر، والمتن منه هو، " لا يبع بعضكم على بيع بعض ".

والسند من الحديث الثانى: عبد الله بن منير وأبو النضر وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار وسهل بن سعد الساعدى ؛ أما المتن منه فهو: "رباط يوم فى سبيل الله" إلى آخر الحديث.

وهكذا ينتهى علماء الحديث إلى القول من أن موضوع علم "أصول الحديث" هو السند والمتن من حيث القبول والرد، لما أن تلك القواعد التى رسمها العلماء لهذا العلم وتلك الموازين التى أقاموا عليها قبول الحديث أو تركه هى التى تضئ السبيل أمام الباحث وتقدم له الدليل على ما يريد من غلبة الظن بصدق نسبة الحديث أو عدم صدق هذه النسبة، ليكون على بينة من أمره فيما يأخذ وفيما يدع، لما أن السنة هى المصدر الثانى من مصادر الشريعة.(٢)

ولابن خلدون رحمه الله رأى واضح فى هذه المسألة ؛ وفيه يقول: "ومن علوم الأحاديث النظر فى الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط،لأن العمل إنما يغلب بما وجب على الظن صدقه من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجتهد فى الطريق التى تحصل ذلك الظن، وهو ما يعرفه رواة الحديث بالعدالة والضبط ؛ إنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين لتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة، ويكون لنا ذلك دليلاً على

---

(١) (الإمام البخاري: الجامع الصغير ٤ / ٣٥ باب : فضل رباط يوم في سبيل الله وقول الله تعالى :- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠) سورة آل عمران

(٢) محمد أديب صالح : لمحات في أصول الحديث صد ١٣ .

القبول أو الترك، وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم فى ذلك، وبتميزهم فيه واحدا واحداً وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن يكون الراوى لم يلق الراوى الذى نقل عنه، وبسلامتها من العلل الموهنة لها، وتنتهى بالتفاوت إلى طرفين فيحكم بقبول الأعلى ورد الأسفل ويختلف فى التوسط بحسب المنقول عن أئمة الشأن. ولهم فى ذلك ألفاظ إصطلحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة، مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمفضل والشاذ والغريب، وغير ذلك من ألقابهم المتداولة بينهم وبوبوا على كل واحد منها، ونقلوا ما فيه من الخلاف لائمة اللسان أو الوفاق، ثم النظر فى كيفية أخذ الرواية بعضهم عن بعض.. بقراءة أو كتابة أو مناولة، أو إجازة، وتفاوت رتبها، وما للعلماء فى ذلك من الخلاف بالقبول والرد، ثم أتبعوا ذلك بكلام فى ألفاظ تقع فى متون الحديث من غريب،أو مشكل، أو تصحيف، أو تفرق، أو مختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه أهل الحديث وغالبه"(١).

ثانياً: علم الجرح والتعديل:(٢)

هو علم يُبْحَثُ فيه عن أحوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان، وهو علم جليل من أَجَلّ العلوم التى نشأت عن تلك الحركة المباركة لا نعرف له مثيلاً أيضاً فى تاريخ الأمم الأخرى، وقد أدى إلى نشأة هذا العلم، حِرصُ العلماء على الوقوف على أحوال الرواة، حتى يميزوا بين الصحيح من غيره، فكانوا يختبرون بأنفسهم من يعاصرونهم من الرواة ويسألون عن السابقين ممن لم يعاصروهم، ويعلنون رأيهم فيهم دون تحرج ولا تأثم إذ كان ذلك ذباً عن دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قيل للبخارى: أن بعض الناس ينقمون عليك التاريخ يقولون: فيه اغتياب الناس فقال:" إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا". وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: " بئس أخو العشيرة":

---

(١) ابن خلدون : المقدمة : صـ ٤٤١ .

(٢) مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي من صـ ١٢٧ ـ صـ ١٢٩ .

وقد ابتدأ الكلام عن الرواة توثيقاً وتوهيناً منذ عصر صغار الصحابة كابن عباس (٦٨) وعبادة بن الصامت (٣٤) وأنس بن مالك (٩٣) ثم من التابعين سعيد بن المسيب (٩٣) والشعبى (١٠٤) وابن سيرين (١١٠) (١٤٨) ثم تتالى الأمر، فنظر فى الرجال شعبة (١٦٠ (وكان متثبتاً لا يروى إلا عن ثقة، والإمام مالك (١٧٩). ومن أشهر علماء الجرح والتعديل فى هذا القرن الثانى معمر (١٥٣) وهشام الدستوائى (١٥٤) والأوزاعى (١٥٦) والثورى (١٦١) وحماد بن سلمة (١٦٧) والليث بن سعد(١٧٥) ونشأ بعد هؤلاء طبقة أخرى كإبن المبارك (١٨١) والفزارى (١٨٥) وابن عيينة (١٩٧) ووكيع بن الجراح (١٩٧) ومن أشهر علماء هذه الطبقة يحيى بن سعيد القطان (١٨٩) وعبد الرحمن بن مهدى (١٩٨) وكانا حجتين موثوقين لدى الجمهور فمن وثقاه قُبِلَتْ روايته، ومن جرحاه ردت، ومن اختلف فيه رجع الناس إلى ما ترجح عندهم(٢).

ثم تلاهم طبقة أخرى من أئمة هذا الشأن منهم يزيد بن هرون (٢٠٦) وأبو داوود الطيالسى (٢٠٤) وعبد الرازق بن همام (٢١١) وأبو عاصم النبيل ابن مخلد (٢١٢).

ثم ابتدأ تصنيف الكتب فى الجرح والتعديل، ومن أوائل الذين ألفوا وتكلموا فى هذه الطبقة يحيى بن معين (٢٣٣) وأحمد بن حنبل (٢٤١) ومحمد ابن سعد كاتب الواقدى وصاحب الطبقات (٢٣٠) وعلى بن المدينى (٢٣٤) ثم تلاهم بعد ذلك البخارى، ومسلم، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، وأبو داوود السجستانى، وتتابع العلماء بعد ذلك حتى أواخر القرن التاسع الهجرى، طبقة بعد طبقة، تؤلف وتبحث فى الرجال، وتتحرى أمر الرواة حتى لا يعسر عليك أن تجد فى مؤلفاتهم تاريخ أى رجل يمر بك إسمه فى كتب الحديث.

وكتب الجرح والتعديل، منها ما أفرد لذكر الثقات فقط، ككتاب الثقات لابن حبان البستى، والثقات لابن قطلو بغا (٨٧٩) فى أربع مجلدات، والثقات لخليل بن شاهين.

---

(٢) نفس المرجع.

ومنها ما أفرد للضعفاء فقط، وممن ألف فيهم البخارى والنسائى وابن حبان والدار قطنى والعقيلى وابن الجوزى وابن عدى. وكتابه أوفى الكتب فى ذلك وقد ذكر فيه كل من تكلم فيه وإن كان من رجال الصحيحين، كما ذكر فيه بعض الأئمة المتبوعين، لأن بعض خصومهم فى حياتهم تكلموا عنهم.

ومنها ما جمع فيها بين الثقات والضعفاء وهى كثيرة جداً من أشهرها تواريخ البخارى الثلاثة: الكبير، وهو مرتب على حروف المعجم، والأوسط، والصغير وهما مرتبان على السنين، وكتاب الجرح والتعديل لابن حبان، والجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى، والطبقات الكبرى لابن سعد، ومن أجود الكتب فى ذلك التكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل للحافظ ابن كثير، جمع فيه بين تهذيب المزى، وميزان الذهبى مع زيادات وتحرير فى العبارات وهو أنفع شىء للمحدث والفقيه التالى لأثره.

هذا وهناك علوم أخرى استلزمتها دراسة السنة وروايتها والدفاع عنها وتحقيق أصولها ومصادرها، وقد أوصلها أبو عبد الله الحاكم فى كتابه " معرفة علوم الحديث " إلى إثنين وخمسين علماً وأوصلها النووى فى "التقريب "إلى خمس وستين علماً.. وقد أوجزها د / مصطفى السباعى فى كتابه " السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى على النحو التالى:

أولاً: معرفة صدق المحدث وإتقانه وثبته وصحة أصوله وما يحتمله سنه ورحلته من الأسانيد وغير ذلك، فعلى طالب الحديث أن يبحث عن أحوال المحدث وتدينه واعتقاده الشريعة فى التوحيد والتزامة بطاعة الأنبياء والرسل فيما أوحى إليهم ووضعوا من الشرع.

ثانياً: معرفة المسانيد من الأحاديث ذلك أن المسند من الحديث هو ما يرويه المحدث عن شيخ يظهر سماعه منه لمن يحتمله وكذلك سماع شيخه من شيخه إلى أن يصل الإسناد إلى صحابى مشهور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ثالثاً: معرفة الموقوفات من الآثار.

رابعاً: معرفة الصحابة من مراتبهم. وهم إثنا عشر طبقة أولها من أسلم بمكة وآخرها صبيان وأطفال رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفى حجة الوداع وعدادهم ثم من الصحابة.

خامساً: معرفة المراسيل المختلف فى الاحتجاج بها.

سادساً: معرفة المنقطع من الحديث: وهو غير المرسل وله شروط ثلاثة:

أ - أن يكون فى السند رجلان مجهولان لم يسميا ولم يعرفا.

ب - أن يكون فى إسناده رجل غير مسمى ولكنه عرف من طريق آخر.

جـ. أن يكون فى الإسناد رواية لم يسمع من الذى يروى عنه الحديث قبل الوصول إلى التابعى الذى هو موضع الإرسال ولا يقال لهذا النوع مرسل إنما يقال له منقطع.

سابعًا: معرفة المسلسل من الأسانيد:

وفيه أنواع: فقد يكون التسلل بلفظ معين عند التحديث فى جميع رجال السند، كأن يقولوا جميعاً "حدثنا " أو: "سمعته يقول"، أو " شهدت على فلان أنه قال "

وقد يكون التسلل بفعل معين يفعله كل شيخ مع تلميذه كالحديث المسلسل بالمصافحة..وهكذا.

ثامناً: معرفة الأحاديث المعنعنة. وليس فيها تدليس، وهى متصلة بإجماع أئمة النقل على تورع رواتها عن أنواع التدليس.

تاسعاً: معرفة المعضل من الروايات:

ويشترط فيه أن يكون بين المرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من رجل وأنه غير المرسل فإن المراسيل للتابعين دون غيرهم.

عاشراً: معرفة المدرج فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلام الصحابة وتلخيص كلام غيره من كلامه صلى الله عليه وسلم.

حادى عشر: معرفة التابعين وقد ذكر أهل العلم أنهم عن خمس عشر طبقة أولهم من ألحق بالعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كسعيد بن المسيب وقيس بن أبى حازم وآخرهم من لقتى أنس بن مالك من أهل البصرة، وعبد الله بن أبى أوفى من أهل الكوفة، والسائب بن يزيد من أهل المدينة وعبد الله بن الحارث بن جرء من أهل مصر، وأبا أسامة الباهلى من أهل الشام.

ثانى عشر: معرفة أولاد الصحابة، وأول من يلزم الحديثى معرفته من ذلك:

أولاد سيد البشر صلى الله عليه وسلم ومن صحت الرواية عنه منهم، ثم بعد ذلك معرفة أولاد كبار الصحابة وغيرهم، ثم معرفة أولاد التابعين وأتباع التابعين وغيرهم من أئمة المسلمين.

ثالث عشر: معرفة علم الجرح والتعديل:

وهما فى الأصل نوعان كل نوع منهما عِلْمٌ برأسه، وهو ثمرة هذا العلم، والمرقاة الكبيرة منه، وقد تكلم عنه كما تكلم عن أصح الأسانيد وأوهاها..

رابع عشر: معرفة الصحيح والسقيم قال الحاكم فيه: أن الصحيح لا يعرف بروايته فقط وإنما يعرف بالفهم والحفظ وكثرة السماع، وليس لهذا النوع من العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة، ليظهر ما يخفى من علة الحديث.

خامس عشر: معرفة فقه الحديث لأنه ثمرة هذه العلوم وبه قوام الشريعة.

سادس عشر: معرفة ناسخ الحديث من منسوخه.

سابع عشر: معرفة المشهور من الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم والمشهور من الحديث غير الصحيح فرب حديث مشهور لم يخرج فى الصحيح..

ثامن عشر: معرفة الغريب من الحديث.

وهو أنواع فنوع منه غرائب الصحيح وهو ما يتفرد به راوٍ ثقه ومنه غرائب الشيوخ وذكر لذلك مثلاً حديث: " لا يبيع حاضر لباد " فقال هذا حديث " غريب لمالك بن أنس عن نافع وهو إمام يجمع حديثه، تفرد به الشافعى وهو إمام مقدم لا نعلم أحداً حَدَّثَ به عنه، غير الربيع بن سليمان وهو ثقة مأمون.

التاسع عشر: معرفة الإفراد من الأحاديث وهو على ثلاثة أنواع:-

الأول: معرفة سنن رسول الله يتفرد بها أهل مدينة واحدة عن الصحابى كأن يرويه كوفيون من أول السند إلى آخره أو مدنيون.

الثانى: أحاديث يتفرد بروايتها رجل واحد عن إمام من الأئمة.

الثالث: أحاديث لأهل المدينة تفرد بها عنهم راوٍ من أهل مكة مثلا.

العشرون: معرفة المدلسين الذين لا يميز غير من كتب عنهم بين ما سمعوه وما لم يسمعوه.

الحادى والعشرون: معرفة علل الحديث وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل.

الثانى والعشرون: معرفة السنن المتعارضة ،

فيحتج بعض المذاهب باحداها ويحتج غيرهم بالأخرى، وقد ذكر لذلك أمثلة من أحاديث صحت عن رسول الله ﷺ أنه كان فى حجة مُفْرِداً وأحاديث أخرى صحيحة أنه كان مُتَمَتِّعاً، وأحاديث أخرى أنه كان قارناً، فاختار أحمد وابن خزيمة التمتع واختار الشافعى الإفراد وأختار أبو حنيفة القِرانَ.

الثالث والعشرون: معرفة الأخبار التى لا معارض لها بوجه من الوجوه.. وذكر لذلك أمثلة كثيرة.

الرابع والعشرون: معرفة زيادات ألفاظ فقهية فى أحاديث ينفرد بالزيادة فيها راوٍ واحد.

وهذا ما يعز وجوده ويقل فى أهل الصنعة من يحفظه وذكر لذلك أمثلة منها حديث بن مسعود: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أى العمل أفضل" ؟ قال الصلاة فى أول وقتها، قلت: ثم أى ؟ قال: الجهاد فى سبيل الله، قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين قال الحاكم: هذا حديث صحيح محفوظ رواه جماعة من أئمة المسلمين عن مالك مغْوَل، وكذلك عن عثمان بن عمر، فلم يذكر أول الوقت فيه غير بندار بن بشار بن راشد والحسن بن مكرم.. وهما ثقتان فقيهان.

الخامس والعشرون: معرفة مذاهب المحدثين وقد ذكر أهل العلم بالحديث نصوصاً كثيرة عن أئمة الحديث يذكرون فيها مذاهب بعض الرواة لتحذير الناس منهم.

السادس والعشرون: معرفة التصحيفات فى المتون فقد زلق فيه جماعة من أئمة الحديث وذكر لذلك أمثلة.

السابع والعشرون: معرفة التصحيفات فى الأسانيد وقد ذكروا لذلك أمثلة كثيرة.

ثم ذكروا أنواعاً كثيرة أخرى من علوم الحديث يرجع أكثرها إلى ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وأعمارهم وزعمائهم وقبائلهم وأقرانهم وكناهم وصناعتهم وغير ذلك مما يدل على بالغ العناية ووافر الضبط والإتقان(١).

(١) مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي من صـ ١٣١ ــ صـ ١٣٩ .

الباب الرابع

أولا
مقدمة عن دور الإيرانيين
فى
النهضة بعلم الحديث

نهض بالحديث النبوى دراية ورواية رجال نابهون من العرب أو من أصول غير عربية كانت على الأغلب الأعم أصولاً أعجمية لكن الإسلام رفع قدرهم وأعلى العلم وذكرهم وبوأهم ما يستحقون من منزلة رفيعة وتقدير سام، فهم شيوخ الحديث وأئمة الهدى ومراجع الناس فيما يستفتون... ومن هنا فقد رأى بعض المؤرخين(١) أن الكثير من الفرس بعد أن دخلوا فى دين الله أفواجاً، خدموا الإسلام خدمة كبرى، وكان إسهامهم فى علم الحديث عن إيمان وإخلاص، وأنه لم يكن لهم دافع آخر سوى خدمة هذا الدين الحنيف... إذ بالإمكان أن تجعل أمة من الأمم تطيع بالقوة ولكن ليس بالإمكان أن يخلق الإيمان والحركة والنشاط بالقوة والقهر والإجبار، ذلك أن منطقة نفوذ الأموال والقدرات محددة بحدود واضحة، وأن عبقريات البشرية لم تنشأ إلا من الإيمان والإخلاص فحسب.. فبعد أن فتح المسلمون الدولة الإيرانية لم يمضى وقت طويل حتى دخل أكثر أهل هذه الدولة فى دين الإسلام، ثم بدأ نشاط هؤلاء الناس فى سبيل نشر الإسلام وتحكيم قواعده ومبانيه المقدسة وسعى عدد كبير منهم _ طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة. والتى كانت _ أغلب أطراف دولتهم تحت حكم خلفاء بنى أمية، ثم بنى عباس فى سبيل شرح أحكام الإسلام السياسية والاجتماعية والأخلاقية سعياً حثيثاً.. وهكذا تأسست علوم الأدب والفقه والحديث والتفسير والكلام والفلسفة والتصوف فى منطقة ما وراء النهر بصفة خاصة _ وذلك فى القرون الإسلامية الثلاثة الأولى، وتصدر العديد من العلماء ذوى الأصول الفارسية هذه الحركة ؛ وأصبحت مدارس نيسابور وهراة وبلخ ومرو وبخارى وسمرقند والرى وإصفهان مراكز علمية ذات نشاط واسع ودائب فى نشر الثقافة والحضارة الإسلامية فى شرق العالم وغربه... وكان علم الحديث واحداً من الموضوعات المهمة التى توجهت إليها الأفئدة والألباب والعقول لا سيما فى منطقة خراسان. وهكذا كان لبعض العلماء ممن ينحدرون من أصول إيرانية النصيب الأكبر فى تدوين الأحاديث بما يتيح لنا تقديمهم كمسهمين فى تأسيس مدرسة علم الحديث... فقد راح جمع من أهل الحديث منهم يسافرون متنقلين بين ربوع العالم الإسلامى يسمعون الأخبار ويجمعون الروايات من مشايخ الحديث

(١) آية الله مرتضى المظهري : الإسلام وإيران : جـ ٣ : صـ ٢٠ ، طبع منظمة الإعلام الإسلامي ١٤٠٥ هـ

ويدونوها فى صحاحهم ومسانيدهم... وتبوأت مدارس الحديث فى بلاد ما وراء النهر منزلة سامية حتى أن الكثير من طلاب هذا العلم كانوا يقصدونها من مصر والحجاز والعراق والشام للنهل من منابعها الفياضة.. والذين درسوا كتب الحديث من الصحاح والمسانيد وأحوال الرجال ومشايخ الرواة والرواية يعرفون أن عدد غير قليل من علماء الحديث ورواته من السنة، إما أنهم إيرانيون بالعصب أو بالمنشأ والبيئة أو من الموالى... وعلى هذا فإنه يمكن لنا القول أن بعض الإيرانيين ممن عظم شأنهم بالإسلام أسهموا كثيراً فى توطيد أصول وقواعد علم الحديث النبوى عبر القرون الإسلامية الثلاثة الأولى للهجرة، مما مهد الطريق أمام الأجيال التالية لمواصلة الجهود العلمية فى هذا العلم وفى الفصول التالية نتحدث عن جوانب من سيرهم وكتبهم... وسيرد الحديث عنهم حسب التسلسل التاريخى لميلاد كل منهم وهم على النحو التالى:

الدارمى السمرقندى - البخارى - الترمذى - أبو داود السجستانى - أبو مسلم النيسابورى - ابن ماجه القزوينى - أحمد ابن شعيب النسائى... ابن خزيمة النيسابورى - ابن حبان البستى - البيهقى.

ثانيا

سير أئمة الحديث ومؤلفاتهم

الفصل الأول

سيرة الإمام
الدَارِمِي السَمَرْقَنْدَي

اسمه:

هو الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمى السمرقندى الدارمى الحافظ[1] رضوان الله عليه.

مولده:

ولد رضوان الله عليه ورحمته عام (١٨١ هـ / ٧٩٧ م).

نسبه:

الدارمى نسبة إلى دارم بفتح الدال وكسر الراء ابن مالك بطن كبير من تميم.

وفاته:

توفى بسمرقند[2] يوم عرفة من عام (٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) وهو ابن خمس وسبعين سنة.

جوانب من سيرة حياته:

يقول السمعانى وينقل عنه الكثيرون: كان أحد الرحالين فى الحديث والموصوفين بجمعه وحفظه والاتقان له مع الثقة والصدق والورع والزهد وانه عُرض عليه منصب قاضى سمرقند فأبى فألح عليه السلطان حتى تقلده وقضى قضية واحدة ثم استعفى فأعفى.. ومن صفاته أنه كان على غاية العقل وفى نهاية الفضل يضرب به المثل فى الديانة،[3] والحلم والرزانة والاجتهاد والعبادة والتقلل والزهادة..[4] قدم بغداد وحدَّث بها وتتلمذ على مشايخ الحجاز وأئمة الحديث فى مصر والشام والعراق وخراسان وغيرها.

---

(١) الدارمي : نسبة إلى دارم بن مالك بطن كبير من تميم الكتاني : الرسالة المستطرفة أما السماعني فيقول عنها الدارمي "بفتح الدال المملة وكسر الراء هذه النسبة إلى بني دارم : وهو دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم . " السمعاني : الأنساب ج ١ : ص ٤٤٠ طبع دار الجنان بالقاهرة .

(٢) يذكر الكتاني أنه توفى بمروبينما يذكر السمعاني في الأنساب صـ٤٤٢ أنه توفي بسمرقند ويتفقان في سنة الوفاة وسنة الميلاد .

(٣) له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٣٤ تهذيب التهذيب ٥ / ٢٩٤ ، خلاصة تهذيب الكمال ١٧٣ ، الرسالة المستطرفة ٣٢ شذرات الذهب ٢ / ١٣٠ ، العبر ٨٢ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٢ .

(٤) السمعاني : الأنساب جـ١ صـ٤٤١ ، ٤٤٢ . وكذلك الخطيب البغدادي : جـ ١٠ صـ ٢٩ .

من حدث عنهم

حَدَّث عن يزيد بن هارون وعبيد الله بن موسى ومحمد بن يوسف الفريابى ويعلى ابن عبيد وجعفر ابن عون وأبى المغيرة الحمصى وأبى اليمان الحكم بن نافع البهرانى وعثمان ابن عمر بن فارس وأشهل بن حاتم وحبان بن هلال وأسود بن عامر وشاذان ويحيى بن حسان ومروان بن محمد الطاهرى وأبو عاصم وأبو نعيم وزيد بن يحيى بن عبيد الدمشقى والنضر بن شميل وغيرهم من أهل العراق والشام ومصر.(١)

من روى عنه:

روى عنه: بندار ومحمد ابن يحيى الذهلى ورجاء ابن مرجى الحافظ والنسائى فى غير سننه ومسلم ابن الحجاج وعبد الله بن أحمد بن حنبل ومطين وعيسى السمرقندى وأبو عيسى الترمذى، وجعفر بن محمد الفريابى قاضى الدينور وجماعة سواهم من أشهرهم أبى داود السجستانى والبخارى فى غير الجامع الصحيح والحسن بن الصباح البزار وأبو زرعة وأبو حاتم وبقى بن مخلد وعمرو بن محمد البحيرى وعبد الله بن واصل البخارى.

مؤلفاته:

صنف الدارمى السمرقندى: المسند والتفسير والجامع المشهور بسنن الدارمى، وقد جمع فيه أحاديث غير متعلقة بالفقه لكنه صنفه على نحو ما فعل الإمام البخارى بعده، فذكر فى كل باب إشارات عملية إلى مصادر الاستنباط الفقهى وطرقه وقد نشر المسند الجامع فى زنبور (١٢٩٣ هـ / ٨٧٦ م) كما صدر فى حيدرآباد عام (١٣٠٩ هـ / ١٨٩ م)، وفى دهلى عام (١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م)، على هامش كتاب لا بن قتيبة. ويقول الكتانى عن كتبه: وله أسانيد عالية وثلاثية أكثر من ثلاثيات البخارى.(٢)

---

(١) السمعانى : الأنساب جـ ١ صـ ٤٤١ .

(٢) الكتانى : الرسلة المستطرفة صـ ٢٥ .

أقوال عن مكانته وفضله:

قال رجاء بن مرجى: ما رأيت أعلم بالحديث من الدارمى السمرقندى..[1] وقال الإمام أحمد بن حنبل عنه: " إمام " وقال لآخر: " عليك بذاك السيد "[2] وقال محمد بن عبد الله بن نمير " غلبنا بالحفظ والورع "

وقال أبو سعيد الأشج: " إمامنا " وقال عثمان بن أبى شيبة: " أمره أظهر مما يقولون من الحفظ والبصر وصيانة النفس "، وعده بندار فى حُفَّاظَ الدنيا.

وقال إسحق بن أحمد بن زيرك بن أبى حاتم الرازى سمعته يقول: " محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق ومحمد بن يحيى أعلم من بخراسان اليوم ومحمد ابن أسلم أورعهم وعبد الله بن عبد الرحمن أثبتهم... وقال ابن الشرقى: إنما أخرجت خراسان من أئمة الحديث خمسة نذكره فيهم...

وقال عنه محمد بن إبراهيم بن منصور الشيرازى: كان على غاية من العقل والديانة ممن يضرب به المثل فى الحلم والدراية والحفظ والعبادة والزهد، أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند وَذَبَّ عنها الكذب، وكان مفسراً كاملاً وفقهياً.. وقال أحمد بن سيار: كان حسن المعرفة قد دَوَّنَ المسند والتفسير[3] وقال أبو حاتم بن حبان: " كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع فى الدين ممن حفظ وجمع وتفقه وصَنَّفَ وحَدَّثَ وأظهر السنة فى بلده، ودعا إليها وذب عن حريمها وقمع من خالفها.. وقال الخطيب كان أحد الرحالين فى الحديث والموصوفين بحفظه وجمعه والإتقان له مع الثقة والصدق والورع والزهد، واستقضى على سمرقند فأبى فالح عليه السلطان فقضى بقضية واحدة ثم أعفى وكان يُضْرَب به المثل فى الديانة والحلم والرزانة "وقال رجاء بن مرجى: " ما أعلم أحداً أعلم بالحديث منه " وقال إسحاق بن إبراهيم الوراق سمعته يقول: " ولدت فى سنة مات ابن المبارك سنة (٨١)، وقال إسحاق بن أحمد بن خلف البخارى: " كنا عند محمد بن

---

(١) ابن عماد الحنبلي : شذولت الذهب في أخبار من ذهب جـ ٢ ، صـ ١٣٠ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب جـ ٥ : صـ ٢٩٤ ــ ٢٩٥ ، طبع دار الكتاب الإسلامي ــ مصر .

(٣) المرجع السابق صـ ٢٩٥ ــ ٢٩٦ .

إسماعيل فورد عليه كتاب فيه نعى عبد الله بن عبد الرحمن فنكس رأسه ثم رفع واسترجع وجعل تسيل دموعه على خديه ثم أنشأ يقول: "إن تبق تفجع بالأحبة كلهم، وفناء نفسك لا أبا لك فافجع.

قال إسحاق وما سمعناه ينشد شعراً إلا ما يجئ فى الحديث قلت، وقال ابن أبى حاتم عن أبيه ثقة صدوق وقال الحاكم أبو عبد الله كان من حفاظ الحديث المبرزين، وروى الخطيب فى تاريخه عن أحمد بن حنبل قال كان ثقة وزيادة وأثنى عليه خيراً.. وقال ابن عدى فى ترجمة سليمان ابن عثمان من الكامل ثنا أبو عبد الرحمن النسائى أخبرنى عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندى فذكر حديثاً وفى الزهرة روى، وقال بنداراً حفاظ الدنيا أبو زرعة والبخارى والدارمى ومسلم. وقال أبو حامد بن الشرقى، إنما أخرجت خراسان من أئمة الحديث خمسة فذكر منهم عبدالله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندى.. رحمه الله رحمة واسعة...

مكانة سنن الدارمى عند المحدثين:

اشتهرت سنن الدارمى عند المحدثين بـ(المسند) على خلاف اصطلاحهم. قال السيوطى فى تقدم تصنيف البخارى على تصنيف الدارمى فعليه البيان أيضاً، وكأنه اغتر الحافظ العلائى بكلام مغلطاى، فإنه قال: ينبغى أن يجعل مسند الدارمى سادساً للخمسة بدل ابن ماجه، فإنه قليل الرجال الضعفاء، نادر الأحاديث المنكرة والشاذة، وإن كان فيه أحاديث مرسلة وموقوفة، فهو مع ذلك أولى من سنن ابن ماجه...) إلى آخر كلامه.

ويحتمل أنه إنما أراد تفضيله على ابن ماجه بخصوصه، وأن ابن ماجه رجاله الضعفاء أكثر، وأن أحاديثه الشاذة والمنكرة غير نادرة..

وأول من أضاف ابن ماجه إلى الخمسة الفضل بن طاهر فتابعه أصحاب الأطراف، والرجال، والناس، وجعل غير واحد السادس الموطأ أو مسند الدارمى. كما قال ابن حجر.

وعن الشيخ العلائى أنه قال: " لو قدم مسند الدارمى بدل ابن ماجه فكان سادساً لكان أولى ".

قال الشيخ عبد الحق الدهلوى: " قال بعضهم كتاب الدارمى أحرى وأليق بجعله سادساً للكتب لأن رجاله أقل ضعفاً، ووجود الأحاديث المنكرة والشاذة نادرة فيه، وله أسانيد عالية، وثلاثياته أكثر من ثلاثيات البخارى: " ومسند الدارمى ليس بمسند، بل هو مرتب على الأبواب "(١)

والمسند يكون مرتباً على أسماء الصحابة، فإطلاق المسند على سنن الدارمى فيه تجوز، والأولى أن يطلق عليه لفظ السنن، لأن السنن فى اصطلاحهم: الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة إلى آخرها.. وليس فيها شىء من الموقوف، لأن الموقوف لا يسمى فى اصطلاحهم سنة، ويسمى حديثاً(٢).

قال العراقى: " اشتهر تسميته بالمسند كما سمى البخارى كتابه بالمسند، لكون أحاديثه مسندة ".

قال: " إلا أن فيه المرسل والمعضل والمنقطع والمقطوع كثيراً ". على أنهم ذكروا فى ترجمة الدارمى أن له الجامع والمسند والتفسير وغير ذلك، فلعل الموجود الآن هو الجامع، والمسند فُقِد(٣).

وأما عن مكانة سنن الدارمى، فقد قال مغلطاى: "إن جماعة أطلقوا على مسند الدارمى كونه صحيحاً ".

ولكن الحافظ ابن حجر قال: " فإنى لم أرَ ذلك فى كلام أحد ممن يعتمد عليه ". ثم قال: " كيف ولو أطلق عليه ذلك من يعتمد لكان الواقع بخلافه، لما فى الكتاب المذكور من الأحاديث الضعيفة والمنقطعة والموضوعة، والموطأ فى الجملة أنظف أحاديث وأتقن رجالاً منه، ومع ذلك كله فلست أسلم أن الدارمى صنف كتابه قبل تصنيف البخارى الجامع، لتعاصرهما، ومن ادعى عليه ذلك فعليه البيان "(٤)

---

(١) الكتاني : الرسلة المستطرفة صد ٢٥ .
(٢) تدريب الراوي ١ / ١٧٣ _ ١٧٤ .
(٣) الرسالة المستطرفة ص ٢٥ .
(٤) انظر توضيح الأفكار ١ / ٣٩ .

الفصل الثانى

سيرة الإمام البخارى
رضى الله عنه وأرضاه

عصر البخارى وبيئته:-

ولد البخارى أواخر عهد الأمين، وعاش فى عهد المأمون والمعتصم والواثق والتوكل والمستنصر والمستعين والمعتز، وبذلك استغرقت حياته النصف الثانى من العصر العباسى الأول، وأوائل العصر العباسى الثانى، وكلاهما كانا من أرقى وأعظم عصور بنى العباسى.

وقد امتاز العصر العباسى الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢ هـ) بقوة سلطان الخلفاء، وانتشار نفوذهم، فقد كانت لهم الكلمة العليا والسيادة التامة، على جميع العلم الإسلامى عدا بلاد الأندلس، وكانت الدولة الإسلامية قوية الشوكة، مهابة الجانب، عزيزة كريمة.

وامتاز هذا العصر أيضاً، بأن أغلب من تولى فيه الخلافة من بنى العباس، كانوا من العلماء، يعقدون مجالس العلم، ويشاركون فيها بالحوار والمناقشة، كما كانوا يكرمون العلماء ويجلونهم ويقربونهم ويعولون على آرائهم[١].

وكان المنصور نفسه من أحسن رواة الحديث، كما روى الجاحظ فى «البيان والتبيين»[٢].

وبلغ الإهتمام بالعلم والعلماء، وانتشار المعرفة والرغبة فيها مداه فى عهد المأمون، حيث كثرت مجالس العلماء والحوار والمناظرة، وكان الخليفة نفسه يشارك فيها مما أدى إلى إطلاق الفكر من قيود التقليد، وانتشار الحرية الدينية، فظهرت البدع والفرق، وتأثر المأمون بآراء المعتزلة فى القول بخلق القرآن وانتصر لهم[٣].

فى هذا العصر الذى تصادمت فيه الملل والنحل، وتكاثرت المذاهب والآراء، وتصارعت الأفكار والمبادئ، وظهر إلى جانب أهل الخير والصلاح فى الدين، جماعات من أهل الشر والفساد والالحاد تحاول الكيد للدين بوضع الأحاديث المختلفة تأكيداً لمذهب أو انتصاراً لفريق.

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ٢١ / ٢
(٢) البيان والتبيين : ١٥٦ / ٢ (ابن الأثير : ٧ / ٦).
(٣) تاريخ آداب اللغة العربية : ٢٢ / ٢ و ٢٣

وفى كنف أسرة فاضلة متدينة خيرة غنية، قوامها والد عالم ورع محدث، ووالدة فاضلة خيرة صالحة من أصحاب الكرامة والولاية، فى هذا العصر وتلك البيئة، ولد البخارى وعاش.

كلمتهم هى العليا، مما أدى إلى انقسامات فى الصفوف بسبب الصراع بين الطبقات، وخاصة بين الموالى العرب الذين ابعدوا عن مناصبهم."(١)

ومن الناحية العلمية، فقد أراح المتوكل الأمة من محنة القول بخلق القرآن، فرفعها وأبطل الجدال فيها"(٢). وأمر العلماء بالحديث واظهار السنة.

كم ظلت العلوم فى ازدهار وتقدم مطرد، وكثرت مجالس العلم وانتشرت، فازدهرت الفلسفة وعلوم الطبيعيات والمنطق خاصة، وبرزت كثير من الآراء والنظريات العلمية، وتولدت مذاهب فقهية، وتفرع مذهب الاعتزال، وازدهر علم الكلام وعلم التفسير ,

وفى هذا العصر بالذات، ازدهر تدوين الحديث وأفرد بالتأليف فيه، خلافاً لما كان عليه الأمر فى القرن الثانى، حيث كانت كتب الحديث تجمع بين الصحيح والسقيم، وبين الحديث والفتاوى وأقوال التابعين وغيرها وكما هو الشأن فى مصنف شعبة بن الحجاج المتوفى سنة (١٦٠ هـ) ومصنف الليث بن سعيد المتوفى سنة (١٧٥ هـ) ومطأ مالك المتوفى سنة (١٧٩ هـ) ومصنف سفيان بن عيينه المتوفى سنة (٧٩٨ هـ) وغيرهم"(٣).

أما فى هذا العصر فقد أفرد الحديث بالجمع والتدوين والتأليف وحده دون سواه، من فتاوى وأقوال الصحابة والتابعين، وأصبح للحديث كتب يستقل بها، وظهر محدثون أئمة كبار، كالامام البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم، حتى يمكننا أن نسمى هذا العصر، عهد ازدهار الحديث والمحدثين، وعصر تدوين الحديث وظهور المحدثين وكتبهم كالصحاح والمسانيد والسنن"(٤).

---

(١) تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها صـ ٢٥٢ ، ٢٥٣
(٢) التنبيه والإشراف صـ ٤٠٠
(٣) مفتاح السنة صـ ٢٨ ، ٢٩
(٤) حياة البخارى صـ ٣ ، ٤

نسب البخارى:-

أبو عبدالله محمد اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة"[1] البخارى مولداً، وموطناً، الجعفى نسباً.

وكان أجداداه فرساً على دين المجوس، على أن التاريخ لم يحفظ لنا من أجداد البخارى أبعد من جده الثالث «بردزبة» فهو رأس أسرته فيما نعلم.

وقد كان بردزبة"[2] هذا فارسى الأصل عاش ومات مجوسى الدين. وأول من أسلم من أجداد البخارى «المغيرة بن بردزبة» كان اسلامه على يد اليمان الجعفى والى بخارى آنذاك فانتمى إليه بالولاء، وانتقل الولاء فى أولاده، وأصبح الجعفى نسباً له ولأسرة البخارى.

أما ابراهيم بن المغيرة «جد البخارى» فلا نعلم شيئاً من أخباره غير انتسابه للمغيرة.

وأما والد البخارى «اسماعيل بن ابراهيم» فقد كانت حياته مطلع النباهة لهذه الأسرة، حيث غير منهج آبائه فى الحياة، وشارك فى الحياة العلمية مختاراً أهم جوانبها فى عصره وهى: دراسة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتدريسه.

كان والد البخارى رحمه الله تقياً عالما محدثاً، اشتهر بين الناس بحسن سلوكه وورعه وسمته.

رحل كثيراً إلى العلماء وأهل الحديث فحدث عنهم وأخذ منهم، روى سماعاً عن «مالك بن أنس» و «حماد بن زيد» وصحب «عبدالله بن المبارك»، كما ذكر ذلك ابن حبان فى كتابه (الثقات).

أما عن والدة إمامنا فيذكر لنا صاحب تاريخ بغداد"[3] أنها كانت سيدة صالحة عابدة تقية نقية صاحبة كرامات، رزقت قسطاً وافراً من الإبتهال إلى الله والدعاء إليه وتجلى ذلك واضحاً فى رؤياها سيدنا إبراهيم عليه السلام يبشرها

---

(١) طبقات الشافعية ٢/ ٢

(٢) بردزبة فارسى معناه الزراع

(٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد : جـ ٢ : صـ ١٠

قائلاً: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك"[1] وبكائك،قالت فأصبحت وقدرد الله عليه بصره"[2]

مولد الإمام:-

شرفت مدينة بخاراً بمولده فى ثالث عشر خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة بعد صلاة الجمعة.. فى أسرة ذات يسار وثراء مما كان حافزاً له على طلب العلم فى عفة نفس.. فقد والده فى صغره وكفلته أمه مع أخ أكبر منه أسمه " أحمد " ويممت الأسرة وجهها شطر أشرف بقاع الأرض وحطت رحالها بمكة وأكرمها الله بحج بيته سنة عشر ومائتين وأقام امامنا فترة من حياته فى مكة.. ورجع أحمد إلى بخارى حيث لقى وجه ربه."[3]

طلبه للعلم:-

أثر عن أبى حاتم الوراق قوله"[4] سمعت البخارى يقول: ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب وسأله الوراق وكم أتى عليك إذ ذاك فقال عشر سنين أو أقل"[5] ومع مرور الأيام نمت هذه الرغبة وازدادت لدى البخارى حتى ألهمه الله هذه القدرة على تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها ومقارنة الأسانيد _ السابقة عليه _ بعضها ببعض، مع استنباط المسائل من الأحاديث وجمعها ومقارنتها بالآيات القرآنية ودراسة سير رواة الحديث والوقوف على عدالتهم وضبطهم وصدقهم وأمانتهم.

شيوخه:-

إرتوى إمامنا من مناهل شيوخ كبار فى عصره فعندما شرع فى طلب العلم هداه الله إلى حلقات إمام من الحديث فى عصره محمد بن سّلام البيكندى"[6]

(١) القسطلانى : المقدمة : ١/ ٢٦.

(٢) يتبين مما حققه الإمام السبكى أن الإمام البخارى فقد بصره مرتين ، الأولى فى صغره وهو ما يذكره المؤرخون عادة فى مناقب والدته ، والثانية : أيام رحلاته العلمية لكثرة قطعه المسافات الطوال فى حر الهجر وشدة حرارة الشمس داخل خراسان ، فنصحه ناصح بأن يحلق رأسه ويستره بالخطمى فأكرمه الله وأعاد إليه بصره . - السبكى : الطبقات الكبرى : صـ ٢ : صـ ٢١٦ .

(٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد : صـ٢ :صـ٦

(٤) هو أبو جعفر ابن حاتم الرواق أحد رواة صحيحه أيضاً ويعد من تلاميذ الإمام البخارى .

(٥) تاريخ بغداد : صـ ٢ : صـ ٦.

(٦) قال عنه الإمام أحمد إن ابن سلام البيكندى روى خمسة آلاف حديث موضوع فقط وأنه توفى ٢٢٥ هـ.

وحلقات الإمام عبدالله بن محمد المسندى"[1] وكان ثالث شيوخه إبراهيم بن الأشقت أحد علماء بخارى المعدودين فى علم الحديث وحفظه وروايته"[2].

ويروى البيكندى لسليم بن مجاهد عن نبوغ إمامنا فى صغره وعن حفظه سبعين ألف حديث وعن معرفته لسيرة كل صحابى من رواة أحاديث رسول الله وكذلك من التابعين، وكيف أن البيكندى نفسه وهو إمام"[3] عصره فى علم الحديث طلب من إمامنا أن يصحح أخطاء كتبه."[4]

رحلات الإمام فى طلب العلم:-

أكرم الله إمامنا بأخذ العلم من مشايخ بخارا وما جاورها فأحرز بشهادة علماء عصره. فضلاً وكمالاً كان حديث الناس وموضع دهشتهم فحاز ثقة واعتماد أهل الرأى وأهل الكمال وبلغ منزلة لم يبلغها كبار الأئمة طيلة حياتهم. ولما بلغ السادسة عشر من عمره خرج للحج مع أمه وشقيقه أحمد وبقى الإمام فى البلد الحرام بينما عادت الأم والشقيق إلى بخارا وشرع إمامنا فى حضور مجالس العلم لشيوخ كبار نذكر منهم الإمام أبو الوليد بن أحمد الأزرقى وعبدالله بن يزيد واسماعيل بن سالم الصائغ وأبوبكر عبدالله بن الزبير والعلامة الحميدى.

وفى عام ٢١٢ هـ وجه إمامنا وجهه شطر المدينة المنورة وبلغ عمره آنذاك الثامنة عشرة.. فتتلمذ فيها على ابراهيم بن المنذر، ومطرف بن عبدالله، وابراهيم بن حمزة وأبوثابت محمد بن عبيد الله وعد العزيز بن عبدالله الأويسى وأيوب بن سليمان بن بلال واسماعيل بن أبى أويس وأكرمه الله بها بالانتهاء من مسودة كتابه " التاريخ الكبير ".

---

(١) ولد سنة ١١٢ هـ وتوفى سنة ٢٢٩ هـ . وقد عرف بالضبط والإتقان وكان أحد أئمة الحديث فى عصره بما وراء النهر .. وهو حفيد اليمان الجعفى الذى أسلم على يديه جد الإمام البخارى .
تاريخ بغداد : جـ ١٠ . صـ ٦٤ - ٦٥

(٢) السبكى : طبقات الشافعية : جـ ٢ : صـ ٢١٣ .

(٣) تاريخ بغداد٢/ ٢٤.

(٤) من المعروف أن البخارى فارق بخارا وله خمسة عشر سنة ولم يره محمد بن سلام البيكندى بعد ذلك .

ثم تعددت رحلات إمامنا إلى البصرة حتى بلغت أربعا، إذ كانت تعد واحدة من المراكز العلمية المهمة آنذاك، ثم طوف مدن العراق ومراكزه العلمية المرموقة.. وكان أشهر أئمته فى بغداد: الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن عيسى الطباع ومحمد بن سابق وسيرج بن النعمان / وعنان وأمم سواهم.. ثم رحل مولانا إلى الشام ونهل العلم هناك عن محمد بن يوسف الفريابى وأبى نصر اسحاق بن ابراهيم وآدم بن أبى إياس وأبى اليمان الحكم بن نافع وآخرين من أئمة ذلك العصر فيها وأحمد بن خالد الوهبى، وأبى مسهر وأمم سواهم. و من الشام سافر الإمام إلى مصر ودرس على شيوخها، وأصبح دائم الارتحال والتنقل للقاء أهل العلم وشيوخه فى مدن خراسان.. وقد أخذ العلم فى مرو من على بن حسن بن شقيق وعبدان و محمد بن مقاتل وأقرانهم، وفى بلخ بن ابراهيم ويحيى بن بشر ومحمد بن إبان وحسن بن شجاع ويحيى بن موسى وقتيبه ومعاصريهم وروى عنهم روايات عديدة.

وفى هراه أخذ العلم من أحمد بن الوليد الحنفى، وفى نيسابور من يحيى بن يحيى وبشر بن الحكم وإسحاق بن راهويه ومحمد بن رافع وآخرين."(١)

وقد أثر عنه قوله إنه أخذ عن آولئك الشيوخ الذين كانوا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه ويعتبرون الأعمال جزءاً من الإيمان كما هو مذهب الصحابة وعلماء التابعين"(٢) وقول بعضهم"(٣): الإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما نقل عنه قوله:"(٤) كتبت عن ألف شيخ من العلماء وزيادة وليس عندى حديث أذكر إسناده» كما ذكر عنه قوله "كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث ".

---

(١) يقول الإمام الحاكم : رحل البخارى إلى هذه البلاد المذكورة فى طلب العلم وأقام فى كل مدينة على مشايخها، قال : وإنما سميت من كل ناحية جماعة من المتقدمين ليستدل بها على عالى إسناده .
الإمام الحاكم : تهذيب الأسماء واللغات . (١ / ١ / ٧٢)

(٢) عبدالسلام المباركفورى : سيرة الإمام البخارى صـ ٦٠ ــ صـ ٦١

(٣) المرجع السابق صـ ٥٧.

(٤) كان ذلك عام ٢١٠ هـ

مكانة الإمام السامية فى علم الحديث:

وهب الله إمامنا مكانة سامية ويداً طولى فى معرفة علل الحديث"[1] ومما يشهد على براعته فى هذا الفن ما أورده الترمذى فى كتابه القيم " كتاب العلل"[2] قوله وما كان فيه من ذكر العلل فى الأحاديث والرجال والتاريخ فهو ما استخرجته من كتاب التاريخ وأكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن اسماعيل ومنه ما ناظرت عبدالله بن عبدالرحمن وأبا زرعة، وأكثر ذلك عن محمد وأقل شئ فيه عن عبدالله وأبى زرعة وقول الترمذى لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخارى.

ومسلك الاحتياط الذى سلكه الإمام البخارى يدل على منزلته العليا من التدين والإخلاص والورع فطريقته فى الجرح أنه يختار كلمات لا يمكن لأى شخص أن يؤاخذ بها المجروح... وكانت من أشد كلمات الجرح عنده أن يقول:"منكر الحديث" وإذا قال عن أحد ذلك فلا تصح الرواية عنه"[3] كما يؤثر عن الإمام أنه كان بالغ الحرص فى الحفاظ على كتبه وصيانتها من أيدى الناس تماماً كما كان يحتاط فى أخذ الرواية فلم يكن يرضى أن تذهب كتبه إلى أيدى كل واحد.

منزلة العلماء الذين أخذ عنهم إمامنا ومراتبهم:

عن محمد بن حاتم عن البخارى قال: كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث..

● وينحصر مشايخ البخارى فى خمس طبقات:

- الطبقة الأولى:

من حدثه عن التابعين، مثل محمد بن عبدالله الأنصارى، حدثه عن حميد ومثل: مكى بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن عبيد أيضاً: ومثل عبدالله بن موسى

---

(١) المباركفورى : سيرة الإمام البخارى صـ ٦٠ ـ صـ ٦١ .

(٢) العلة فى اصطلاح المحدثين هى : الأسباب الخفية الغامضة التى تقدم فى صحة الحديث وقبوله مع كون ظاهرة السلامة منها وتعتبر العلل من أدق وأصعب المباحث فى علوم الحديث وهى تستلزم الإحاطة بألفاظ جميع الطرق بالإضافة إلى البراعة الكاملة فى معرفة مواليد الرواة ووفياتهم وسماعهم وألفاظهم ويتصدى

(٣) العراقى : فتح المغيث : جـ ٢ : صـ ٤٢ ـ ٤٣

حدثه عن إسماعيل بن أبى خالد وهشام ابن عروة، وهما تابعيان وحدثه عن معروف عن على ابن أبى الطفيل عن عن على ابن أبى طالب _ كرم الله وجهه _ ومثل أبى نعيم حدثه عن الأعمش ومثل خلاد بن يحيى حدثه عن عيسى بن طمهان ومثله: على بن عياش وعصام بن خالد حدثاه عن جرير بن عثمان التابعى عن بسر بن عبدالله الصحابى، وشيوخ هؤلاء، كلهم من التابعين.

- الطبقة الثانيـة:

من كان فى عصر هؤلاء، ولكن لم يسمع من ثقات التابعين، كآدم ابن أبى إياس وأبى مسهر عبد الأعلى بن مسهر وسعيد بن أبى مريم وأيوب بن سليمان بن بلال وأمثالهم.

- الطبقة الثالـثة:

هى الوسطى من مشايخه، وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع، كسليمان بن حرب وقتيبة بن سعيد ونعيم بن حماد وعلى بن المدينى ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبى بكر وعثمان بن أبى شيبة وأمثال هؤلاء وهذه الطبقة قد شاركه مسلم فى الأخذ عنهم.

- الطبقة الرابعـة:

رفقاؤه فى الطلب، ومن سمع قبله قليلاً كأبى حاتم الرازى ومحمد بن عبدالرحيم صاعقة وعبد بن حميد وأحمد بن النضر، وجماعة من نظرائهم. وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه أو مالم يجده عند غيرهم.

- الطبقة الخامسة:

قوم فى عداد طلبته فى السن والإسناد، سمع منهم للفائدة، كعبدالله بن حماد الآملى وعبدالله بن أبى العاص والخوارزمى وحسين بن محمد القبانى وأبى عيسى الترمذى وغيرهم.

وقد روى عنهم أشياء يسيرة، وعمل فى الرواية عنهم بما روى عثمان بن أبى شيبة عن وكيع قال: لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو دونه.

وعن البخارى أنه قال: لا يكون المحدث كاملاً حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه.

تلاميذ البخارى والآخذون عنه: "[1]

الآخذون عن البخارى أشهر من أن يذكروا، وأكثر من أن يحصروا. قال الفريرى: سمع كتاب الصيح من البخارى تسعون ألفاً لم يبق منهم أحد غيرى، كان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفاً يأخذون عنه، وروى عنه كثير من مشايخه، منهم: عبدالله بن محمد المسندى، وعبدالله بن المنير، وإسحاق ابن أحمد السرماوى، ومحمد بن خلف بن قتيبة وغيرهم. ومن أقرانه: أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وابراهيم الحربى، وأبوبكر بن أبى عاصم، وموسى بن هارون الجمال، ومحمد ابن عبدالله بن مطين، وإسحاق بن أحمد بن زيرك الفارسى، ومحمد بن قتيبة البخارى، وأبوبكر الأعين.

ومن كبار الآخذين عنه من الحفاظ: صالح بن محمد الملقب بجزرة، ومسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، وأبو الفضل أحمد بن سلمة، وأبوبكر بن إسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزى، والإمام النسائى وأبو عيسى الإمام الترمذى وقد أكثر من الإعتماد عليه، وعمر بن محمد البحيرى، وأبو بكر بن أبى الدنيا، وأبوبكر البوار، وحسين بن محمد القبانى، ويعقوب بن يوسف الأخرم، وعبدالله بن محمد ابن ناجية، وسهل بن شاذويه البخارى، وعبيد الله بن واصل، والقاسم ابن زكريا المطرز، وأبوقريش محمد بن جمعة محمد بن محمد بن محمد بن سليمان الباغندى، وإبراهيم بن موسى الجويرى، وعلى بن العباس التابعى، وأبو حامد الأعمش، وأبو بكر أحمد بن محمد بن صدقة البغدادى، وإسحاق بن داود الصواف، وحاشد بن اسماعيل البخارى ومحمد بن عبدالله بن الجنيد ومحمد بن موسى النهرتبرى، وجعفر بن محمد النيسابورى، وأبو بكر ابن داود، وأبو قاسم البغوى، وهو آخر من حدث عنه ببغداد"[2].

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ : (٢ / ٥٥٥)

(٢) نقلاً عن البحث القيم الذى أعده د/على جمعه مفتى الديار المصرية فى مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى عن الإمام البخارى صـ ٥٥ _ ٥٧ .

جوانب من خصاله وخلقه:

كان إمامنا سمحاً رحيماً كريماً معطاء يساعد أهل العلم وطلبته وشيوخه والمحدثين، كما كان ينفق من دخله الوافر على الفقراء والمساكين ولم يكن يعرف الترف والبذخ فى حياته، فكان الصبر والإحتمال قد أصبحا طبيعة له.. فقد عود نفسه على الإيثار والبعد عن حب المال وشهوات الدنيا. كما اشتهر بغنى النفس والرضا بالقليل كما اشتهر بالورع والتقوى ونقاء النفس والسريرة والبعد عن الغيبة.

وكان يقول " ما اغتبت أحداً قط منذ أن علمت أن الغيبة حرام ""(١)

كما اشتهر إمامنا بالبعد عن التعصب ويتبين ذلك جلياً من مطالعة كتابه " صحيح البخارى " فقد راعى فيه الإمام أقصى ما يمكن من التثبت والإحتياط، وكان من حدود التثبت أنه ما كان يدخل فيه حديثاً إلا بعد تأكده من صحته، وإلا بعد ما يستخير الله سبحانه وتعالى"(٢)

كما كان إمامنا رحمه الله بعيداً كل البعد عن مخالطة الأمراء ومجالستهم وكان يتجنب تملقهم ومدحهم و كان يرى أن من العسير على المرء أن يستقيم على دينه فى صحبة الأمراء.. ويستدل على ذلك أنه حين كان خالد بن أحمد الذهلى أميراً على بخارا من قبل الطاهريين، ولما جلس الإمام البخارى فى بخارا واتجه إليه طلبة الحديث أفواجا طالبين الإستفادة من ينابيع علمه، وطار صيته فى أرجاء العالم، طلب منه خالد بن احمد الذهلى أن يأتى إليه فى قصره لكى يدرسه وأبناءه صحيح البخارى والتاريخ، ولكن الإمام البخارى رفض هذا الطلب وأثبت للعالم أن هناك من يعطى العلم قيمته ويقدره حق قدره كأمثال الإمام مالك، الذين لا يبالون بعداء الناس ولا يغترون بالدراهم والدنانير، ولا يخدعون بالجاه والمال.

فقال للرسول:

"إنى لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين "

(١) السبكى : الطبقات الكبرى : جـ ٢ : صـ ٢٢٣

(٢) السبكى : الطبقات الكبرى : جـ ٢ : صـ ٢٢٠ .

فطلب الأمير مرة أخرى بأنه إن كان لا يحب أن يأتى إلى القصر الأميرى فليعين وقتاً خاصاً للأمراء لا يشترك فيه بقية الناس. ولكن الإمام البخارى أبى ذلك لأن العلم وراثة النبى ﷺ وكل عام وخاص له حقوق متساوية فى هذه العلوم، وطلب منه أن يحضر دروسه فى الدار، أو فى المسجد إن كانت له حاجة إليه:

فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من المجلس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة أنى لا أكتم العلم... "

وبعد هذا الجواب الصريح لم يكن من أمير بخارا إلا أن غضب غضباً شديداً وحاول إخراجه من البلد، إلا أن البخارى كان يملك قلوب المسلمين وحبهم فلم يستطع أن يخرجه بقوة الحكم والإمارة فأوغر إلى أناس"(١) ليتهموه بتهمة تغضب عامة الناس فأفتروا عليه فرية فأمر بعد ذلك أن يترك البلد وسنفصل الكلام فى هذا الموضوع فيما بعد إن شاء الله تعالى.

مكانة الإمام البخارى ومحبته فى قلوب المسلمين:-

كان الإمام البخارى كلما حل مدينة أو نزل أرضاً كان المسلمون يزدحمون حوله حيث يفوق الوصف والبيان. وكان من الناس بعد ما سمعوا تلك الأوصاف الخارقة التى وهبها الله لهذا الإمام الجليل من فقه عديم النظير وذاكرة خارقة وتبحر فى العلم كانوا يتمنون رؤيته فإذا نزل مكاناً تجمعوا حوله بحيث لا يكاد يوجد موضع قدم.

ولما رجع إلى بخارا عائداً من رحلته الدراسية نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور ونثر عليه الدراهم والدنانير"(٢) وجرى معه مثل هذا فى نيسابور. قال الإمام مسلم"(٣):

"لما قدم محمد بن اسماعيل نيسابور ما رأيت والياً وعالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث"(٤)

---

(١) هو حريث بن أبى الورقاء وغيره وقد تكلموا فى مذهبه . " تاريخ بغداد " (٢ / ٣٣)

(٢) «مقدمة الفتح » (٤٩٣) .

(٣) أيضاً . (٤٩٠)

(٤) خلق البخارى نقلاً عن : المباركفورى : سيرة الإمام البخارى صـ ٨٠ _ ٨٣

مؤلفات الإمـــام البخارى:

أولا: كتاب: التاريخ الكبير:-

ألفه إمامنا فى بداية رحلة تلقى العلم وتدوينه وكان آنذاك فى الثامنة عشرة من عمره ويعد كتاباً فريداً كتبه إمامنا عن أسماء الرجال الذين روى عنهم إمامنا الحديث من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين مرتباً أسماءهم على حروف الهجاء فإن وجد أسماء مشتركة راعى ترتيب حروف الهجاء فى أسماء آبائهم، فإن لم يعرف أسماء آبائهم كالموالى وغيرهم كتبهم تحت عنوان من أفناء الناس"(١) عند انتهاء الرديف"(٢)

ثانياً: كتاب : التاريخ الأوسط:-

روى هذا الكتاب عن الإمام البخارى عبدالله بن سلام الخفاف وزنجويه بن أحمد اللباد.."(٣)

ثالثا: كتاب : التاريخ الصغير:-

وهو على ما ذكر البخارى فى مقدمته، كتاب مختصر من تاريخ النبى محمد ﷺ والمهاجرين والأنصار وطبقات التابعين لهم بإحسان، كما ذكر فيه الإمام مشاهير الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وسنى وفاتهم ونسبهم ولقائهم؛ ورتب تأليفه على السنوات، فإذا انتهى من سنة وذكر وفيات مشاهيرها وغيرها من الأمور المهمة بدأ بسنة أخرى"(٤).

---

(١) كان الإمام البخارى يقول : لا أجئ بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم وقال : قل اسم فى التاريخ إلا وله قصة عندى إلا أنى كرهت أن يطول الكتاب)مقدمة الفتح : صـ ٤٨٧ وتاريخ بغداد : جـ ٢ : صـ ٧ .

(٢) طبع هذا الكتاب تحت دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٦٠ هـ وتوجد بعض أجزائه فى مكتبة حيدر أباد .

المباركفورى : سيرة الإمام البخارى : صـ ١٤٧

(٣) هو أبو زنجوية بن محمد بن الحسن عمر الزاهد اللباد من أهل نيسابور توفى سنة ٣١٨ هـ السمعانى : الأنساب : جـ ١ : صـ ١٩٨ .

ولمعرفة المزيد عن هذا الكتاب : يرجع إلى كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى جـ ٣ : صـ ١٧٨

(٤) النسخة المطبوعة لهذا الكتاب من رواية أبى محمد زنجويه بن محمد النيسابورى : المباركفورى : سيرة الإمام البخارى : صـ ١٤٦ إلى صـ ١٥٠ .

رابعاً: كتاب : الجامع الصحيح:-

وهو الكتاب المعروف بصَحيح البخارى ويتبوأ مكانة فريدة سامية بين سائر كتب الإمام إذا أنك تجده أينما ذهبت فى بلاد العالم الإسلامى وغيرها من أمم الأرض، وقد استغرق تأليفه ستة عشر سنة.. وكان إمامنا قد رأى رسول الله ﷺ فى المنام وبيديه مروحة يذب عنه فسأل بعض المفسرين، فقالوا له: أنت تذب عنه الكذب، وذاك ما حمله على إخراج هذا الكتاب.. وقد صنفه إمامنا فى المسجد الحرام بمكة المكرمة وأكمله فى المدينة وبخارى والبصرة.. ويؤكد إمامنا أنه ما أدخل فيه حديثا إلا بعد أن إستخار مولاه جل وعلا واغتسل وصلى ركعتين وتيقن من صحته.. وقد وصفه النسائى بقوله: ما فى هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل البخارى."(١) ولذا عد هذا الكتاب المبارك من أهم وأبرز الأمور التى دعت الأمة الإسلامية إلى تلقيب إمامنا بإمام المحدثين وأمير المؤمنين فى الحديث."(٢) ولم يحصل على امتداد تاريخ الأمة الإسلامية أن نال كتاب آخر لأى محدث أو مؤلف لأى إمام أو فقيه من المتقدمين أو المتأخرين ما ناله هذا الكتاب من المكانة الرفيعة والفضل والرفعة والقبول ما ناله كتاب إمامنا _ عدا كتاب الله عز وجل"(٣) _ حتى قال فيه ابن خلدون فى مقدمته: " ولقد سمعت كثيراً من شيوخنا رحمهم الله ". يقولون: شرح كتاب البخارى دين على الأمة وهو قول حق ؛ فقد جمع فيه الإمام الأحاديث الصحيحة التى لا يشك فيها أحد قط وصنفه الإمام من ستمائة ألف حديث فى ستة عشر سنة وجعله حجة فيما بينه وبين الله"(٤)، ويذكر كذلك أنه كان يصلى ركعتين بين قبر النبى ومنبره لكل ترجمة من تراجم الجامع الصحيح.

وفى أثناء تحويله التراجم كان إذا أخرج حديثاً تحت أى ترجمة اغتسل واستخار الله.

---

(١) تاريخ بغداد : جـ ٢ : صـ ٩

(٢) المبار كفورى : سيرة الإمام البخارى : صـ ١٥٩

(٣) النسخة المطبوعة لهذا الكتاب من رواية أبى محمد زنجوية بن محمد النيسابورى .. المباركفورى : سيرة الإمام البخارى : صـ ١٤٦ إلى صـ ١٥٠ .

(٤) مقدمة الفتح ٤٨٩

أما غرض الإمام من الكتاب فكان رحمه الله يرمى إلى انتخاب وجمع الأحاديث التى اتفق على صحتها المحدثون قبله أو المعاصرون له وكذلك استنباط المسائل الفقهية واستخراج النكات الحكمية ولذلك حرص إمامنا على أن لا يتكرر المتن والإسناد معاً بل التكرار فى مضمون الحديث فقط، وبكثرة الأسانيد المختلفة يرتفع الحديث من الآحاد إلى الشهرة أو التواتر المعنوى، وهذا التكرار يزيده حسناً إلى حسن كما كان يتبع أسلوباً حسناً فى استنباطه للمسائل وهو أنه أول ما يستدل بالآيات القرآنية مع مراعاة التطبيق والتوفيق بين الآية والحديث وفى طيه تفسير الآية بالحديث أو الحديث بالآية"(١).

هذا.. ولما كانت المسائل الفقهية واستنباطها بين أهم أغراضه فقد اكتفى إمامنا ـ فى كثير من الأبواب ـ بالإشارة إلى الحديث، فيقول فيه عن فلان ويشير إلى الحديث الذى سبق ذكره سواء كان قريباً أو بعيداً، وأحياناً يذكر فى بعض التراجم متن الحديث فقط، ويحذف السند أو يذكره معلقاً.. وهذه الأساليب وغيرها تدل على أن استنباط المسائل الفقهية من أهم أهداف صحيح البخارى وغرضاً أساسياً من أغراضه"(٢).

هذا ويعد الإمام أبو عبدالله محمد بن يوسف بن مطر بن بشر الفربرى من أهم رواة الصحيح، ويقول عن نفسه: سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقى أحد يروى عنه غيرى"(٣).

وسمعه من الفربرى الشيخ الحمولى عام (٣١٦ هـ) أبو محمد عبدالله بن أحمد السرخسى وسمعه من الحمولى الداودى (٣٨١ هـ) أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد بن المطفر بن محمد بن داود الداودى البوشنجى، والشيخ أبو الوقف عبد الأول بن عيسى الهروى الصوفى وكان سماعه صحيح البخارى (٥٥٣ هـ) والشيخ أبو طلحة منصور بن محمد بن على البرذوى من أهل بزدة"(٤) ـ وقال

(١) المباركفورى : سيرة الإمام البخارى : صـ ١٧٠ .
(٢) نفس المرجع صـ ١٧١ .
(٣) تاريخ بغداد : جـ ٢ صـ ٩ ـ فربر : قرية من قرى بخارى .
(٤) د / على جمعة : بحث عن الإمام البخارى أمام مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز صـ ٧٦ ، ٧٧ .

محمد بن طاهر المقدسى: روى صحيح البخارى جماعة: منهم الفربرى، و حماد بن شاكر، وإبراهيم بن معقل، وطاهر بن محمد بن مخلد.. أما عن عدد أحاديثه فيقول الإمام النووى: جملة ما فى صحيح البخارى من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكررة وبحذف المكرر نحو أربعة آلاف ثم ذكرها مفصلة لتكون كالفهرس لأبواب الكتاب تبعاً للإمام الحمولى"[1].

فقد أثر عنه قوله أما عن شرط البخارى فى صحيحه: ما أدخلت فى كتابى الجامع الصحيح إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطوال"[2] بحيث يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع، وإن كان للصحابى راويان فصاعدا فحسن، وإن لم يكن إلا راو واحد وصح الطريق إليه كفى كما يشترط كذلك أن يكون راوى الحديث مسلماً غير مدلس ولا مختلط متصفاً بصفات العدالة ضابطاً، متحفظاً سليم الذهن، قليل الوهم، سليم الإعتقاد.. كما كان للبخارى شرط فى المعنعن زاد فيه على مسلم، فإنهما اتفقا على المعاصرة، وزاد البخارى شرط اللقى.. أما عن طبعات صحيح البخارى فإن عدد طبعات بولاق أربع طبعات و مصر ست طبعات و طبعات الهند (٢) وطبعات أوربا (٢) وطبعات الآستانه (١) كما طبع الصحيح مع ترجمة معانيه فى تسعة أجزاء فى بيروت سنة (١٣٩١ هـ) .. كما طبع الجزء الأول منه مترجماً للإنجليزية أيضاً بمجلة الأزهر بالقاهرة.. وتبلغ عدد مختصراته نحو سته وألفت حول بعض المختصرات مجموعة من الشروح بعضها مخطوط وبعضها مطبوع"[3].

---

(١) المرجع السابق : صـ ٧٧

(٢) تاريخ بغداد جـ ٢ : صـ ٩

(٣) للمزيد من معرفة ذلك تفصيلاً يرجع إلى البحث القيم الذى أعده فضيلة د / على جمعة حول مسيرة الإمام البخارى وكتبه وقدمه إلى مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز الذى انعقد بكلية البنات الإسلامية جامعة الأزهر وذلك من صفحة صـ ٨٢ إلى صـ ١٠٦ .

صفاته الشخصية:

وُصِفَ إمامنا وعرف بحسن الرأى والتدبير وقوة الحافظة وإعمال العقل فى كل الأمور وفراسة المؤمن الذى يرى بنور الله جل وعز حتى قال عنه الإمام الذهبى: " وكان راسا فى الذكاء ورأسا فى العلم [(١)] وقال عنه الإمام قتيبة ابن سعيد " جالست الفقهاء والزهاد والعباد ، فما رأيت منذ عقلت مثل بن إسماعيل وهو فى زمانه: كعمر فى الصحابة[(٢)]

منا كان إمامنا على معرفة تامة بالأمور الدنيوية مع إلمامه الكامل بأسرار الشريعة وشئونها مع كراهة للتزلف للأمراء والسلاطين رغم معرفته وإتقانه لأدق القوانين والاحكام والشرائع التى تدور حول شئون الإمارة والحكم... ويتضح ذلك جليا من الإطلاع على مجموعة أحاديثه عن الديانة الإسلامية فى صحيح البخارى والتى تؤكد مهارته التامة فى صياغة القوانين والأحكام[(٣)].

والأمثلة على قوته الخارقة للعادة فى الحفظ كثيرة تحفل بها كتب السير ، ونورد مثلا منها فى شهادة حاشد بن إسماعيل[(٤)] فى قوله:" كان البخارى يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام ، فلمناه بعد ستة عشر يوما ، فقال قد أكثرتم علىَّ فأعرضوا علىَّ ما كتبتم ، فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه[(٥)].. وقال عند أبو الطيب حاتم بن منصور وهو واحد من الأمة المشهورين زمن إمامنا: كان محمد بن إسماعيل آية من آيات الله فى بصره ونفاذه فى العلم "[(٦)] .

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ : جـ٢ : ص٥٥٥ .

(٢) مقدمة الفتح : ٤٨٢ .

(٣) المباركفورى : سيرة الإمام البخارى : ص٨٦ ، ٨٧ .

(٤) هو حاشد بن إسماعيل ابن عيسي الغزال الحافظ محدث الشاش أحد أئمة الأثر ، حدث عنه محمد بن يوسف وبكر ابن منير وغيرهما وتوفى ٢٦١ هـ أو ٢٦٢ هـ . تذكرة الحفاظ : جـ٢ . ص٥٦٤ .

(٥) تاريخ بغداد : ج٢ : ص١٤ .

(٦) ومن ذلك ما رواه فتح بن نوح النيسابورى قال : أتيت على بن المدينى فرأيت محمد بن إسماعيل جالسا عن يمينه ، وكان إذا حدث التفت إليه مهابة له "مقدمة الفتح (٤٨٣)" وكان محمد بن سلام يقول : "كلما دخل على محمد بن إسماعيل تحيرت ولا أزال خائفا منه يعنى يخشى أن يخطئ بحضرته " مقدمة الفتح (٤٨٣)" . وقال أبو عمرو الخفاف : لو دخل من هذا الباب وأنا أُحَدِّث لملئت منه رعباً "مقدمة الفتح (٤٨٥)" .

ويعتبر علماء فى الحديث تصحيح الأسانيد المقلوبة غاية الكمال فى هذا المجال بينما قام الإمام بما هو أجل من ذلك حين أعاد الأسانيد المائة مقلوبة كما كان سمعها مع انه لم كن سمعها إلا مرة واحدة ، ثم أعادها على الترتيب الذى سمع منه وبين لهم ما هو خطأ منها.(١)

إضافة إلى المواهب العديدة التى وهبها الله لإمامنا ، فقد إشتغل الإمام بالتدريس والإفادة ، وأقبل المسلمون من كل صوب إلى مجالس علمه ينهلون من فيوض معارفه فى فن الحديث ومقدرته الفذة فى استنباط نكته وإطلاعه الواسع على ما فيه من علل غامضة وزيادة على هذا فقد كانت ذاكرته الموهوبة وذكاءه النادر وفقهه العميق قد زاد نورا على نور حتى أن الناس كانوا يصححون كتبهم بحفظه.. وتراجم أبواب صحيح البخارى خير شاهد على نبوغه فى الفقه والإستنباط(٢)

تلاميذ الإمام:

يُعَدُّ تلاميذ إمامنا فى علوم الحديث بالآلاف ، ولا يخلو مكان فى الدنيا من تلميذ تأثر وتعلم من كتب الإمام وعلمه جيلا بعد جيل ، والأقوال والأمثلة والشهادات عن ذلك كثيرة ؛ ويكفى أن نذكر شهادة الفربرى والتى يقول فيها: "سمع صحيح البخارى من مؤلفه تسعون ألف رجل(٣). وسنكتفى هنا بذكر الأعلام المشهورة فى علم الحديث والذين بلغوا أوج الشرف وقمة الشهرة وعلى روايتهم جل مدار علم الحديث والفقه الإسلامى منهم: الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح والإمام أبو عبد الرحمن النسائى صاحب السنن والإمام أبو عيسى الترمذى صاحب الجامع والإمام محمد بن نصر المروزى صاحب التأليف والإمام الدارمى والإمام ابن خزيمة الفقيه صاحب الصحيح.. وغيرهم الكثير.. هذا وقد استمر إمامنا رحمه الله يُدَرِّسُ صحيحه فى مدينة بخارا مدة طويلة ليفاجأ

---

(١) مقدمة الفتح ٤٨٦ .

(٢) المباركفوري : سيرة الإمام البخارى : ص٩٥ .

(٣) مقدمة الفتح : ص٤٩١ .

بتدبير مؤامرة من قبل أهل الرأى فى المدينة ضده مع أميرها والذى أصدر أمرا غير منطقى بأن الإمام ليس أهلا للإفتاء بعد أن أشاع حاسدوه فتوى ملفقة إختلقوها مفادها: أن إمامنا قد أفتى بأن طفلين لو رضعا من لبن شاة واحدة ثبتت لهما حرمة الرضاعة واستغلت سلطة حاكم بخارا وقوة أجهزته وبطشها فى عزل الإمام ومنعه من الإفتاء ، كما استغل أمير بخارا خالد بن أحمد الذهلى رفض الإمام طلبا له وإعتبر ذلك إهانة له ولسلطته وسطوته فدبر مؤامرة أخرى ، فأوعز إلى حريث بن أبى الورقاء _ وهو من أحد كبار فقهاء الحنيفية فى بخارا _ وأناس آخرين معه أن يتهموا الإمام بتهمة تمحو أثره ومحبته من قلوب العباد فأشاعوا بين الناس أنه يقول: "إن ألفاظ القرآن مخلوقة" فغلت المدينة وإضطربت على أثر شيوع هذه الفرية الظالمة واستفحلت الفتنة وصدر الأمر إلى إمامنا بأن يترك المدينة.. وأثر عنه قوله آنذاك: "اللهم أرهم ما قصدونى به فى أنفسهم وأولادهم وأهاليهم"(١)

وخرج إمامنا من بخارا ووصل بيكند ، حيث سبقه إليها خبر الإشاعة الكاذبة ، فانقسم أهلها فريقين أحدهما يبرئ الأمام من هذه التهمة ، والأخر ساير المفسدين(٢) فاضطر الإمام إلى مغادرتها إلى سمرقند ، ونزل بقرية "خرتنك" عند أحد أقربائه(٣)

وقال محمد بن أبى حاتم الوراق: سمعت غالب بن جبريل وهو الذى نزل عليه البخارى بخرتنك ، يقول: إنه أقام أياما فمرض حتى وفد عليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم فأجاب(٤) بعد أن علم باتفاق أهل سمرقند على كذب الإشاعة ونقل عن غالب بن جبريل قوله: "وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم ، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها وأنا آخذ

---

(١) مقدمة الفتح : ص٤٩٣ .

(٢) خرتنك : قرية من قرى سمرقند على بعد فرسخين منها .

(٣) تاريخ بغداد : ج٢ ، ص٣٤

(٤) المرجع السابق : ج٢ ، ص٣٤ .

بعضده ، ورجل آخر معى يقود الدابة ، قال: أرسلونى فقد ضعفت" فأرسلنا فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى ثم سال منه عرق كثير..(١)

وكانت وفاته ، ليلة عيد الفطر سنة (٢٥٦هـ) بعد ما عاش اثنين وستين عاما إلا ثلاثة عشر يوما (فإنا لله وإنا إليه راجعون).(٢)

وما زال عرقه يخرج ويسيل حتى غسل وكفن ، وحاول بعض الناس أن يحملوه إلى سمرقند ، واختلفوا فى موضع دفنه ، ثم اتفقوا على أن يدفن فى قرية خرتنك التى توفى فيها ، فدفن يوم عيد الفطر بعد صلاة الظهر.

وهكذا غربت تلك الشمس التى أنارت الدنيا بضيائها الباهر وورى التراب حامل العلوم النبوية وخادم أحاديث رسول الله ﷺ الذى أثقل كواهل أهل الدنيا بإحسانه العظيم عليهم ، نعم قد واراه التراب وكأن الدنيا قد أظلمت(٣).

وما أحسن ما نظمه بعض الشعراء مبينا تاريخ ميلاده ووفاته ومدة حياته فقال:

كان البخارى حافظا ومحدثا

جمع الصحيح مكمل التحرير

ميلاده صدق ومدة عمره

فيها حميد وانقضى فى نور

وبعد ما دفن فى قبره خرجت منه رائحة زكية شبهها المؤرخون بالمسك والعنبر..(٤)

---

(١) مقدمة الفتح " (٤٩٣)، طبقات الشافعية للسبكى ٢/ ٢٣٢ .

(٢) تذكرة الحافظ " (٢/ ٥٦٦)، " مقدمة الفتح " (٤٩٣).

(٣) الفوائد الدرارى " ، " مقدمة الفتح " (٤٩٣)، وفى الطبقات الشافعية (٢/ ٢٣٣) ما نصه : وما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه فى ثيابه _ انتهى : وبين خرتنك وسمرقند نحو ثلاثة أميال (٢/ ٢٣٤).(المراجع).

(٤) فى " مقدمة الفتح " (ص٤٩٣) ما نصه : "وبعد ما دفن فى قبره فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياما ، "الطبقات" للسبكى (٢/ ٢٣٣)، "القسطلانى" ١/ ٣٣.

وقد ثبت مثل هذا فى مواضع أخرى بأسانيد صحيحة ، فقد روى البخارى نفسه فى التاريخ الصغير بأن عبد الله بن غالب قتل فجعل يوجد من تراب قبره ريح ثم غسلت القدح بالماء فوجدت منه ريح المسك ، التاريخ الصغير (٩١) .

واشتهر ذلك حتى أن الناس صاروا يأتون إلى قبره من مسافات بعيدة للتاكد من هذا الخبر وبدأوا يأخذون معهم شيئا من التراب ، حتى خشى اهل القرية ان لا يبقى لا شىء من التراب فأحاطوا قبره حفاظا عليه وخوفا من أن ينكشف..[1]

وذكر الوراق عن غالب بن جبريل مصنف الإمام فى خرتنك: أن الإمام كان وصاهم أن يكفنوه فى ثلاثة أثواب (كما هو السنة ليس فيها قميص ولا عمامة).[2]

وذكر الخطيب البغدادى بسنده عن عبد الواحد بن آدم الطواويسى قال: "رأيت النبى ﷺ فى النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف فى موضع ، فسلمت عليه فرد على السلام فقلت: ما وقوفك هنا يا رسول الله ؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخارى. فلما كان بعد أيام بلغنى موته فنظرت فإذا هو قد مات فى الساعة التى رأيت فيها النبى ﷺ. [3]

ومع أن الرؤيا لا يعتمد عليها تاريخيا إلا أن الشريعة اعتبرت الرؤيا الصادقة جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة ، وخاصة الرؤيا التى رؤى فيها النبى ﷺ وقد أبدى العلماء ألمهم وجزعهم على هذا الحدث الجليل ، حتى أن يحى بن جعفر البيكندى كان يقول:

"موت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم [4]

هل ترك البخارى ذرية ؟

لقد ذكر العلامة ولى الدين الخطيب صاحب مشكاة المصابيح والملاعلى القارى فى شرح المشكاة أن الإمام البخارى لم يترك وراءه ذرية من بعده ؛[5] وتساءل العلامة العجلونى عن سبب تكنيته بأبى عبد الله إذ ؟ ثم أجاب على هذا السؤال بنفسه بأنه لا يشترط للتكنية أن يكون الرجل له أولاد وقد جرت عادة

---

(١) مقدمة الفتح " (٤٩٣)، " الطبقات " للسبكى (٢/ ٢٣٣- ٢٣٤).

(٢) أيضا .

(٣) تاريخ بغداد " ٢/ ٣٤، " مقدمة الفتح " (٤٩٣).

(٤) مقدمة الفتح " (٤٨٤).

(٥) قال القارئ : فمات عن غير ولده ، المرقاة " (١/ ١٥)، وقال صاحب الإكمال : ولم يعقب ولدا ذكرا ، "الإكمال" (١٤٩).

العرب بأنهم كانوا يكنون أولادهم وبناتهم وهم صغار دون أن يولد لهم ، وله أمثلة لا تعد ولا تحصى. والإمام البخارى وإن كان عجمى النسل لكن بلاد خراسان كان فيها أثر لعادات العرب ولاسيما فى أهل العلم.

ولكن للأسف أننا لم نجد فى هذا الباب قولا أقدم من قول ولى الدين الخطيب التبريزى وهو من المتأخرين جدا . أما العجلونى فإنه شك حتى فى النكاح ، فقد قال بأن الإمام لو كان تزوج لوجدنا له ذكرا . ولكن الأسف أن المؤرخين لا يذكرون عادة أحوال الزواج والنكاح ، فكيف يسوغ لنا أن نظن لأجل هذه الإحتمالات الضعيفة أن الإمام البخارى حُرِمَ من سنة مؤكدة حتى يثبت لنا بسند صحيح أنه ترك ذلك.

ولو فرضنا أن الإمام البخارى لم يترك ذرية من صلبه فذريته الروحية تتجاوز مائتى مليون ومائتين وأربعة آلاف نسمة[1] بغض النظر عن أولئك المساكين الذين يشكون فى صحة القرآن لمجرد أن الذى جمعه هو عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ويزعمون أن القرآن الصحيح مخفى ومدفون فى أحد المغارات أو السراديب ، فإن هذا لا يغض شيئا من أولاد الإمام الروحانيين ، والحمد لله فإن عدد أولئك الذين يؤمنون بكونه أصح الكتب بعد كتاب الله يزداد يوما فيوما .

فقه الإمام ومنهجه وإجتهاده وبعض إختياراته:

يجدر بنا أن ننقل هنا ما كتبه الدكتور على جمعة فى بحثه القيم عن الإمام البخارى باعتبار أن هذه الفقرة يجب أن يرجع فيها إلى أهل العلم من الثقات العارفين ويقول فى ذلك ما نصه:[2]

"من تتبع صحيح البخارى وكيفية استنباطه الأحكام الفقهية من الأحاديث والآيات لا يسعه إلا أن يعترف بأن البخارى لا يقل فقهه فى الدين عن روايته للحديث، وليس استنباطه من القواعد والمسائل الفقهية بأقل من حفظه وإتقانه للحديث.

---

(١) هذا هو عدد المسلمين حسب إحصائيات عام ١٨٩٧م (جريدة المؤيد) .

(٢) د / على جمعة : بحث ألقى فى مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز ص٦٥ _ ٦٩ .

قال الحافظ ابن الحجر: " رأى البخارى أن لا يخلى صحيحه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية ، فاستخرج بفهمه من المتون معانى كثيرة فرقها فى أبواب الكتاب بحسب تناسبها ، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك فى الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة ".

مذهبه:

تنازع مذهبه أتباع الأئمة الأربعة ، فقد أدخله ابن السبكى فى رجال الشافعية، وترجمه فى طبقاته ، ولكن من أمعن النظر فى الصحيح نفسه وما اشتمل عليه من المسائل يفهم منه أنه كان (مجتهدا مطلقا) غير مقلد أصلا ، فإن أسلوبه ظاهر للعيان أنه يقيم الحجة تأييدا لمذهبه ، ولكن لشدة ورعه إذا وافق رأيه قول أحد الأئمة فإنه ينسبه للقائل ، وإن كان هو رأيه أيضا ، محافظة لحقوق السابقين ، ولكن لا يفتح بابا ينكر فيه الخلف حق السلف الكرام المؤسسين.

ثناء الناس عليه من مشايخه وأقرانه:

قال النووى: وأعلم أن وصف البخارى بارتفاع المحل والتقدم فى هذا العلم على الأماثل والأقران متفق عليه فيما تأخر وتقدم من الأزمان ، ويكفى فى فضله أن معظم من أثنى عليه ونشر مناقبه شيوخه الأعلام المبرزون المتقنون ، ومناقبه لا تستقصى لخروجها عن أن تحصى ، وهى منقسمة إلى حفظ ودراية ، واجتهاد فى التحصيل ورواية ، ونسك وورع وزهادة ، وتحقق وإتقان و تمكن وعرفان ، وأحوال وكرامات ، وغيرها من أحوال المكرمات.(١)

● وقال بندار محمد بن بشار: عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندى (الدارمى) ومحمد بن إسماعيل البخارى ، وأبو زرعة الرازى غلمانى ، خرجوا من تحت كرسى.(٢)

● وقال الدارمى: محمد بن إسماعيل أعلمنا وأفقهنا وأغوصنا وأكثرنا طلبا.(٣)

---

(١) مقدمة شرح النووى ، ص٣٠ .

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٦ ، ١٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٦).

● قال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى: هو إمام أهل الحديث بلا خلاف بين أئمة النقل[1] .

● وقال موسى بن هارون: عندى لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر ما قدروا عليه. [2]

● وقال حاتم بن مالك الوراق: سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا وفقيهنا وفقيه خراسان.[3]

● وقال أبو حاتم الرازى: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق.[4]

● قال أبو زرعة ، وسئل عن ابن لهيعة ، فقال: تركه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، فسأله السائل عن محمد بن حميد الرازى فقال: تركه أبو عبد الله فذكر ذلك للبخارى فقال: بره لنا قديم.[5]

● قال على بن حجر: أخرجت خراسان ثلاثة: أبا زرعة الرازى بالرى ، ومحمد إسماعيل البخارى ببخارى ، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند ، ومحمد بن إسماعيل عندى أبصرهم وأعلمهم وأفقههم.[6]

● قال أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف: محمد بن إسماعيل أعلم بالحديث من إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وغيرهما بعشرين درجة ، ومن قال فيه شيئا فمنى عليه ألف لعنة ثم قال: حدثنا محمد بن إسماعيل التقى النقى الذى لم أر مثله.[7]

٧ وقال الفربرى: رأيت أبا عبد الله بن منير يكتب عن البخارى ويقول أنا من تلاميذ محمد بن إسماعيل.

---

(١) مقدمة شرح النووى ، ص٣٠ .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٥).
(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٢٣). وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣١).
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٢٣).
(٦) المرجع السابق (٢ / ٢٨).
(٧) المرجع السابق . وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

قال الذهبى: قد روى البخارى أحاديث فى صحيحه عن عبد الله بن منير ، وكان زاهدا عابدا حتى قال البخارى: لم أر مثله.(١)

● قال أبو مصعب أحمد بن أبى بكر المدينى: محمد بن إسماعيل افقه من ابن حنبل. فقال له رجل من جلسائه: جاوزت الحد. فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد فى الفقه والحديث.(٢)

● وعن محمد بن بشار: أنه حين قدم البخارى البصرة قام إليه فأخذ بيده وعانقه فقال: مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين.(٣)

● وعن ابى سهل محمود بن النضر قال: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها ، وكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخارى فضلوه على أنفسهم.(٤)

● وقال إسحاق بن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث اكتبوا عن هذا الشاب، فإنه لو كان فى زمن الحسن البصرى لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه.(٥)

● وعن أبى عيسى الترمذى صاحب السنن قال: لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل.(٦)

● وقال قتيبة بن سعيد: جالست الفقهاء والزهاد والعباد ، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل البخارى ، وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة.

● وعنه أيضا قال: لو كان محمد بن إسماعيل البخارى فى الصحابة لكان آية.(٧)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤١٥).

(٢) تاريخ بغداد (٢ / ١٧). ومقدمة شرح النووى ص٢٦ .

(٣) تاريخ بغداد (٢ / ١٩). ومقدمة شرح النووى ص٢٧ .

(٤) تاريخ بغداد (٢ / ٢٧).

(٥) المرجع السابق . ومقدمة شرح النووى ص٢٨ .

(٦) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣).

(٧) تاريخ بغداد (٢/ ١٨) . ومقدمة شرح النووى ص ٢٦ .

● وقال البخارى: ذاكرنى أصحاب عمرو بن على الفلاس بحديث ، فقلت: لا أعرفه ، فسروا بذلك وصاروا إلى عمرو بن على فقال له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديث فلم يعرفه ، فقال عمرو بن على: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث.(١)

● وقال رجاء بن رجاء الحافظ: فضل محمد بن إسماعيل البخارى على العلماء كفضل الرجال على النساء.(٢)

● وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل.(٣)

● وذكر الحاكم فى تاريخ نيسابور بإسناده عن أحمد بن حمدويه قال: جاء مسلم بن الحجاج إلى البخارى فقبَّل بين عينيه وقال: دعنى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين ويا طبيب الحديث وعلله.(٤)

● وقال أبو معشر حمدويه بن الخطاب: لما قدم البخارى من العراق قدمته الأخيرة ، وتلقاه من تلقاه من الناس وزحموا عليه بالغوا فى بره ، فقيل له فى ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم به. فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة. (٥)

● وقال محمد بن عبد الرحمن الدغولى: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخارى كتابا فيه:

المسلمون بخير ما بقيت لهم... وليس بعدك خير حين تفقد...(٦)

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٥).
(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٥).
(٣) تذكرة الحفاظ : ٢/ ٢٥
(٤) مقدمة شرح النووى على مسلم ص٢٨ ، نقلا عن تاريخ نيسابور للحاكم .
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ١٨).
(٦) نفس المرجع السابق (٢/ ٢٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث

الإمام الترمذى

التعريف بالإمام الترمذى:

فى مطلع القرن الثالث للهجرة. وهو عصر السنة الذهبى، ولد الإمام أبو عيسى الترمذى ونشأ فى أسرة رقيقة الحال بترمذ، ولم يحدثنا المؤرخون عن نشأته، ولا كيف بدأ أن يتعلم كما أنهم إختلفوا فى بعض مسائل من تاريخه.

وهو: محمد بن عيسى بن سورة[1] بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى[2] السلمى الضرير البوغى الترمذى.

والسلمى ـ بضم السين -: نسبة إلى بنى سليم مصغرا، قبيلة من قيس عيلان[3]، وأما البوغى فنسبة إلى بوغ: قرية من قرى ترمذ، نسب إليها أبو عيسى لوفاته فيها.[4]

لكنه اشتهر وعرف بين الخاص والعام بالترمذى نسبة إلى ترمذ: مدينته[5] التى نشأ فيها.

مولده:

لم يبين لنا المؤرخون سنة ولادته، وإنما أرخوها بالعقد الأول من القرن الثالث[6]. والذى يظهر لنا أنه ولد سنة تسع ومائتين ـ كما ذكره بعض المتأخرين[7] ـ لأن الأكثرين اتفقوا على أنه توفى سنة تسع وسبعين، وقد قال

---

(١) بفتح السين وسكون الواو وفتح الراء ، كما ضبطه فى القاموس . وأصلها فى اللغة : الحدة .

(٢) اشتهر بهذه الكنية وعبر بها عن نفسه فى الجامع . وقد كره بعض العلماء التكنى بأبى عيسى لما أخرج إبن أبى شيبة فى مصنفه أن رجلا أكتنى بأبى عيسى ، فقال النبى - ﷺ "إن عيسى لا أب له" فكر ذلك والجواب ما قاله على القارئ : .. تحمل الكراهة على تسميته به ابتداء فاما من اشتهر به فلا يكره ، كما يدل عليه إجماع العلماء والمصنفين على تعبير الترمذى به عن نفسه للتمييز ". انظر شرح الشمائل للقارئ ج١ ص٧ ومقدمة تحفة الأحوذى ص ١٧٠.

(٣) كذا ذكر على القارئ فى شرح الشمائل ج١ ص٧.

(٤) الأنساب للسمعانى (ورقة ١٠٦ أ).

(٥) نور الدين بن محمد عترا : الامام الترمذى الموازنة بين جامعه وبين الصحيحين ص١٠إلى ٣٠ القاهرة١٩٧٠م .

(٦) المرجع السابق (١٠٥ ب) وتذكرة الحفاظ للذهبى ص٦٣٤ ودائرة المعارف الإسلامية ج٥ ص٢٢٣ .

(٧) أنظر سير النبلاء للذهبى ج٩ (٦١ ب) ولفظه " ولد سنة بضع ومائتين ".

الحافظ الذهبى[1] إنه كان من أبناء السبعين، فدل ذلك بظاهره على أنه ولد سنة تسع ومائتين. ولعلهما استنبطوا ذلك من كلام الذهبى.

وتختلف الأقوال فى أن الترمذى أولد أكمه أم ولد مبصرا ؟؟[2].

والراجح أنه ولد مبصرا ـ على ما أختاره الذهبى، وابن كثير، وابن حجر[3] ـ وهو المعتمد وذلك لأمرين:

١- أنهم رووا أنه ذهب إلى شيخ يسأله سماع أحاديث كتبها عنه بالرواية بالواسطة، فلما لقى الشيخ وأجابه لذلك، لم يجد الترمذى أجزاء الحديث مما أغضب المحدث. فحدثه بها الترمذى من حفظه[4].

٢- وقد ذكر الحافظ عمر بن علك (المتوفى سنة ٣٢٥ هـ) وهو ممن أدرك الترمذى كما ذكر غيره أيضا: (أن الترمذى أضر فى آخر عمره) فهذا كله يدل للقول بأنه ولد مبصرا. ثم عمى فى آخر عمره، بعد أن حفظ واكتمل شأنه، وصنف تصنيفه.

ويحدثنا الرواة أن الترمذى بعد أن شب عن الطوق، طلب العلم من الشيوخ فى بلدته وشيوخ خراسان، كإسحاق بن راهويه نزيل نيسابور، ومحمد ابن عمرو السواق، وما لبث أن رحل إلى العراق، فسمع شيوخ الحديث وحفاظه فى ذلك القطر، ثم دخل الحجاز فسمع من العلماء الحجازيين، ورحل إلى غير ذلك من البلاد.

ولكنا نجد الترمذى لم يذهب إلى مصر ولا الشام[5]، بل يروى عن علماء هذين القطرين بالواسطة، ولم نعثر على سبب ذلك، ولعله اضطراب الأحوال

---

(١) محمد بن قاسم جسوس فى شرحه على الشمائل ج١ ص٤ وسليمان الجمل فى شرح الشمائل أيضا (ورقة ٤ أ) ومحمد بن محمد الأمير فى فهرسته ورقة (٩٣ أ) .

(٢) ميزان الاعتدال ج٣ ص١١٧ .

(٣) وقد ذكروا القولين ورجحوا ما اعتمدناه ، انظر الصفحة السابقة فى سير النبلاء والبداية والنهاية ج١١ ص٦٧ ، وتهذيب التهذيب ج٩ ص٣٨٩ ، وممن قال بأنه ولد أكمه جسوس فى شرح الشمائل ج١ ص٤ .

(٤) نفس الصفحة فى تذكرة الحفاظ وفى تهذيب التهذيب . وارجع فى هذا كله وغيره ما سنذكره فى ترجمته إلى كتاب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للحافظ المزى ج ١٠ ورقة ٢١ وما بعدها . فإنه أصل لمن جاء بعده .

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبى ج٩ (٦١ ب).

والفتن، وأغلب الظن أنه لم يدخل بغداد أيضا. إذ لو دخلها لسمع الإمام العظيم أحمد بن حنبل، ولكنه لم يثبت له سمع منه، ويؤيد ذلك أن الخطيب البغدادى لم يذكره فى كتابه " تاريخ بغداد ".

وليس فيما بين أيدينا توقيت لمراحل حياة أبى عيسى، فلا نجد بيانا عن تاريخ رحلته بدء تلقيه عن الشيوخ فى العلم ورحلته فى البلاد... إلخ...

والذى يدلنا عليه الاستقراء أن الترمذى بدأ طلبه للعلم ورحلته حوالى سنة خمس وثلاثين ومائتين، وقد جاوز العشرين من عمره، لأنا نجده روى بالواسطة عن شيوخ توفوا قبل هذا التاريخ: كعلى ابن المدينى المتوفى بسامراء (سنة٢٣٤هـ)

ومحمد بن عبد الله بن نمر الكوفى المتوفى سنة (٢٣٤) أيضا، وكذلك روى بالواسطة عن إبراهيم بن المنذر المدنى المتوفى سنة ست وثلاثين.

وأقدم شيوخه وفاة: محمد بن عمرو السواق البلخى توفى سنة (٣٦هـ) ثم محمود بن غيلان من مرو وتوفى سنة (٣٩هـ) ثم قتيبة بن سعيد المدنى توفى سنة أربعين.

مما يدل على أن تلقيه العلم ورحلته إليه كان فى ذلك الوقت حوالى سنة خمس وثلاثين.

وقد استغرق فى رحلته الوقت الكثير يتلقى عن العلماء ويكتب الحديث. ويظهر لنا أنه عاد إلى بلاده خراسان قبل الخمسين ومائتين، حيث استمر فى الإفادة، وأخذ يناظر الأئمة الكبار ويباحثهم ولاسيما الإمام البخارى(١)، ثم وضع كتابه "الجامع" وسائر مؤلفاته العظيمة، وأصبح كما قال السمعانى(٢): "إمام عصره بلا مدافعة، صاحب التصانيف".

---

(١) وقد ذكر الترمذى ذلك فى كتاب العلل آخر الجامع ج٢ ص٣٣٢ .
(٢) الأنساب (١٩٥ أ) .

شيوخ الترمذى:

طاف أبو عيسى فى البلاد وسمع خلقا كثيرا من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين وغيرهم، وشارك البخارى فى كثير من شيوخه، منهم طائفة حدث عنهم الأئمة الستة كلهم وهم تسعة:

١- محمد بن بشار نبدار المتوفى سنة (٢٥٢هـ).

٢- محمد بن المثنى أبو موسى (٢٥٢هـ).

٣- زياد بن يحى الحسانى (٢٥٤هـ).

٤- عباس ابن العظيم العنبرى (٢٤٦هـ).

٥- أبو سعيد الأشج عبد الله بن سعيد الكندى (٢٥٧هـ).

٦- ابو حفص عمرو بن على الفلاس (٢٤٩ هـ).

٧- يعقوب بن إبراهيم الدورقى (٢٥٢هـ).

٨- محمد بن معمر القيسى البحرانى (٢٥٦ هـ).

٩- نصر بن على الجهضمى (٢٥٠هـ).[١]

وأدرك شيوخا أقدم من هؤلاء وسمع حديثهم وروى لهم فى كتابه، ذكر الذهبى[٢] أسماء كثير منهم على عادة المحدثين فى سرد شيوخ صاحب الترجمة فمنهم:

قتيبة بن سعيد المدنى (٢٤٠)، وإسحاق بن راهويه (٢٣٨)، وإسماعيل ابن موسى الفزارى (245)، وأبو مصعب الزهرى (٢٤٢)، ومحمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة المروزى (٢٤١)، وغير ذلك من شيوخ الذين روى عنهم، فقد توسع الترمذى فى طلب الحديث وتلقيه، حتى لقد روى عن صغار الشيوخ فى زمنه، فكثرت روايته وغزر علمه.

وأسوة بتقسيم الحافظ بن حجر[٣] لشيوخ البخارى إلى طبقات، فقد قسم البعض شيوخ الترمذى فى الجامع إلى ثلاث طبقات على النحو التالى:

---

(١) عن مجموعة حديثة بدار الكتب مكتبة أحمد تيمور واقتبسها من مقدمة الجامع لأحمد شاكر ٨١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ج٩ متى (٦١ ب ـ ٦٢ أ) .

(٣) هدى السارى ج٢ ص١٩٤ .

الأولى: من لهم تقدم فى السماع من الشيوخ كقتيبة بن سعيد، وعلى بن حجر وغيرهما، من كبار الطبقة العاشرة[1]، وهى الطبقة الوسطى من شيوخ البخارى التى روى عنها كثيرا.

الثانية: طبقة تلى هؤلاء فى السن والإسناد، وهم عامة شيوخه الذين روى عنهم، كأحمد بن منيع البغوى (المتوفى سنة ٢٤٤ هـ)، عمرو بن على الفلاس، ومحمد بن أبان المستملى (٢٤٤ هـ)، وغيرهم.

الثالثة: وهى من شيوخ الطبقة الحادية عشرة، مثل الحسن بن أحمد ابن أبى شعيب (٢٥٠)، والبخارى، ومسلم، وقد نزل فى إسناده فروى كثيرا عن شيوخ هذه الطبقة، كأصحاب هشام بن عمار الدمشقى (٢٤٥)، ونحوه من شيوخ البلاد التى لم يدخلها.

وبهذا نجد إسناد الترمذى نازلا(*) بالنسبة لإسناد شيخه البخارى ومسلم، حتى لقد قلَّت عواليه فى الجامع، ويفسر لنا ذلك ثلاثة أسباب:

١ - تأخر طلبه ورحلته للحديث.

---

(١) أنظر فى تقسيم طبقات الرواة تقريب التهذيب لإبن حجر ج١ ص٥ - ٦ .

(*) الإسناد النازل هو ما كثرت رجاله ، ضد الإسناد العالى وهو ما قلت رجاله مع الاتصال .

جدول رقم (١)

بأسماء رواة حدث عنهم الترمذى

بالواسطة(*)

إسم الراوى	بلده	وفاته	سماع البخارى ومسلم عنه
هشام بن عمار	دمشق	٢٤٥	سمع منه البخارى
أحمد بن حنبل	بغداد	٢٤١	سمع منه البخارى ومسلم
على بن بحر بن برى	فارس	٢٣٤	
على بن عبد الله المدينى	المدينة	٢٣٤	سمع منه البخارى فقط
يحى بن معين	بغداد	٢٣٣	سمع منه البخارى ومسلم
إبراهيم بن موسى الفراء	الرى	٢٣٠	سمع منه البخارى ومسلم
عبد الله بن جعفر المسندى	بخارى	٢٢٩	سمع منه البخارى فقط
سهل بن بكار الدارمى	البصرة	٢٢٧	سمع منه البخارى
سعيد بن سليمان الضبى	بغداد	٢٢٥	سمع منه البخارى
عبد الله بن مسلمة القعنبى	البصرة	٢٢١	سمع منه البخارى ومسلم
مكى بن إبراهيم التميمى	بلخ	٢١٥	سمع منه البخارى
عبيد الله بن موسى العبسى	الكوفة	٢١٣	سمع منه البخارى

(*) من هذا الجدول يتبين علو سند البخارى يليه مسلم ثم الترمذى .

جدول رقم (٢)

بأسماء رواة سمع منهم الترمذى

إسم الراوى	بلده	وفاته	طبقته
محمد بن عمرو السواق	بلخ	٢٣٦	الأولى
محمود بن غيلان (نزيل بغداد)	مرو	٢٣٩	الأولى
قتيبة بن سعيد	المدينة	٢٤٠	شيوخ
على بن حجر السعدى	مرو	٢٤٤	الإمام
عبدالله بن معان الحمحى (أكثر من مائة سنة)	البصرة	٢٤٣	الترمذى
أحمد بن منيع البغوى	بغداد	٢٤٤	الثانية
عمرو بن على الفلاس	البصرة	٢٤٩	الثانية
محمد بن أبان المستملى	بلخ	٢٤٤	شيوخ
هناد بن السرى	الكوفة	٢٤٣	الإمام
نصر بن على الجهضمى	البصرة	٢٥٠	الترمذى
محمد بن عبدالرحيم صاعقة	فارس ثم بغداد	٢٥٥	الثالثة
محمد بن إسماعيل البخارى	بخارى ونيسابور	٢٥٦	الثالثة
مسلم بن الحجاج القشيرى	نيسابور	٢٦١	شيوخ
عبيدالله بن عبدالكريم أبو زرعة الرازى	الرى	٢٦٢	الترمذى
محمد بن إسماعيل الترمذى	ترمذ ثم بغداد	٢٨٠	

٢- عدم دخوله بعض البلاد، فروى عن شيوخها بالواسطة.

٣- توسعه فى طلب الحديث واستقصاؤه، وإن كتابه الجامع لذاخر بالعلماء والمحدثين الذين روى عنهم الإمام الترمذى، وشاهد لإطلاعه الغزير على السنة حتى كان فيها وفى علومها البحر المحيط.

ومما أفاد الترمذى الرسوخ فى علم الحديث عنايته بلقى الأئمة الكبار الذين إليهم المنتهى فى حفظ الحديث ودرايته و أخذه عنهم، فاكمل تحصيله وتعمقه، وبرز نبوغه فتقدم إلى محراب الإمامة فى الحديث غير منازع ولا مدافع.

لقى الإمام مسلم بن الحجاج وأخذ عنه.

ولقى أيضا الإمام أبا داود سليمان بن الأشعث السجستانى وروى له فى جامعه؛[١] وأفاد فى علل الحديث والرجال وفنون الحديث من الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى وأبى زرعة الرازى. كما ذكر فى آخر جامعه[٢].

لكن التأثير الكبير والإفادة العظيمة تمت للترمذى على الإمام أمير المؤمنين فى الحديث محمد بن إسماعيل البخارى فقد لازمه الترمذى طويلا وأخذ عنه العلم الكثير حتى تخرج على يديه وعرف به.

قال ابن خلكان[٣]: "وهو تلميذ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى وشاركه فى بعض شيوخه" أهـ. وقال الصلاح الصفدى[٤]: "وأخذ علم الحديث عن أبى عبد الله البخارى".

ولم تقتصر إفادته على الحديث وعلومه. بل إنه أفاد منه فقه الحديث كما قال الذهبى "وتفقه فى الحديث بالبخارى"[٥] أهـ. وحسبك بالبخارى إماما فقيها فى الحديث غواصا على خفايا فقهه والاستنباط منه.

---

(١) انظر روايته فى الجامع (باب ما جاء فى الرجل ينام عن الوتر أو ينساه ج٢ ص٩٣ .

(٢) ج٢ ص٣٣٢ .

(٣) وفيات الأعيان ج٣ ص٤٠٧ .

(٤) نكت الهميان فى نكت العميان ص١٧٠ .

(٥) تذكرة الحفاظ ص٦٣٤ .

والذى أستظهره أن لقيه للبخارى كان فى المدة التى استقر فيها البخارى بنيسابور حيث عاد من رحلاته وقد اكتمل له التقدم، وصنف تصنيفاته، وشدت إليه الرحال، فأقام بنيسابور خمس سنوات من سنة خمسين إلى خمس وخمسين يحدث فيها على الدوام[1]. وكان الترمذى فى ذلك الوقت قد لقى الشيوخ وحفظ الحديث فعرف للبخارى قدره ووجد فيه أمنيته، فأكب يناظره ويباحثه فى علل الحديث والجرح والتعديل والرجال، ويغوص معه فى هذه المعارف التى لا يجودها إلا الأفذاذ. فصقلت مواهبه ونمت، واكتمل تحصيله العلمى، وأشرب عبقرية شيخه الإمام البخارى، وأصبح خريجه والحقيقة أنه خير من خلف البخارى فى حمل علمه وفضله، وقد ظل معتزا به، يظهر علمه وفضله للناس، وهذه كتبه ملأى بالنقل عنه، وقد صرح فى آخر كتاب " الجامع "بأن أكثر ما ذكره فيه من العلل والكلام فى الرجال والتاريخ فإنه مما نظر به محمد إسماعيل، كما اعترف له بالفضل وشهد له بالتفوق على أئمة العصر فقال[2]:

"ولم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كثيرا أحد أعلم من محمد بن إسماعيل ".

وكذلك كان شعور البخارى نحو أبى عيسى تقديرا وإكبارا لعلمه وذكائه، وقد ألحقه بشيوخه ومفيديه، على حين كانت تخضع له العلماء وتصغر عنده الأئمة، فأخذ عن الترمذى بعض الأحاديث وسمع منه، كحديث أبى سعيد الخدرى أن النبى r قال لعلى: "لا يحل لأحد يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك" أخرجه الترمذى، وقال: "سمع منى محمد بن إسماعيل هذا الحديث.

وفى ذلك تكريم للترمذى ودلالة على سعة علمه وحفظه، حتى يسمع منه البخارى ويجد لديه فى العلم مفيدا له، وجديدا، وقد صرح هو بما يفيد ذلك فقال للترمذى كما نقل عنه الترمذى نفسه: "ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بى".

وفى هذا دليل على مكانة الترمذى العلمية العظيمة.. وأية مكانة كانت له رحمه الله.

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ج٨ ورقة (٢٣٧ أ ــ ب) فهو الذى ذكر هذه الفائدة التاريخية الهامة .

(٢) ج٢ ص٣٣٢ .

ولقد ضم الترمذى إلى علمه بالحديث وروايته تعمقه فى معناه، والتفقه فيه، ومعرفة مذاهب العلماء، وكان له فى البخارى المرشد الحاذق فى فقه الحديث، واستنباط دقائق المعانى، ولطائف الإشارات، وهو الإمام الفطن الغواص، فتكونت ملكة الترمذى فى فقه الحديث على البخارى كما قال الحافظ الذهبى: "وتفقه فى الحديث بالبخارى".

وفى عصره دب التقليد فى الأمة، وانتشر العمل بالمذاهب الفقهية، فاستوعب الترمذى المذاهب المشهورة فى عصره، وأحاط بها.

إطلع على فقه أهل الرأى، أهل الكوفة كأبى حنيفة وأصحابه، وابن أبى ليلى، وغيرهم من فقهاء الرأى. وأخذ فقه أهل الحجاز فتلقى فقه الإمام مالك عن إسحاق بن موسى الأنصارى وعن أبى مصعب الزهرى الشافعى فى القديم. وأخذ قوله الحديد عن الربيع بن سليمان تلميذ الشافعى، وكذلك عنى بآراء المحدثين الفقهية. فدرس أقوال أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وسفيان الثورى وغيرهم، واطلع عليها إطلاعا عظيما[1] فجمع بذلك الفقه فى الحديث. والأقوال والمذاهب المتعددة المشارب، جمعا لا نظير له، فكان معلمة[2] الفقه الإسلامى، كما كان معلمة فى الحديث وعلله وأسانيده وسائر فنونه. وقد ذكر أنه ألف فى الفقه كتابا أشار إليه فى آخر الجامع[3] وكتابه الجامع دليل كاف على تفقه الترمذى فى الحديث، واطلاعه على المذاهب. فقد أورد فيه عقب حديث كل باب من أقوال العلماء والترجيح ما يدهش القارئ ويحيره، حتى لا يسع أحداً إلا أن يشهد له بالأمانة فى الفقه كما أنه إمام فى الحديث.

وقد كان للإمام الترمذى من الصفات والأخلاق ما كان له أثر كبير جدا فى إمامته وتقدمه. فقد كان قوى الحافظة، حاضر الذهن، يضرب به المثل فى الحفظ والضبط[4]، حَدَّثَ عن نفسه أن أحد الشيوخ ألقى عليه أربعين حديثا من

---

(١) جامع الترمذى ج٢ ص٣٣٢ .

(٢) الاشتقاق من العلم للتعبير عن قولهم (دائرة المعارف).

(٣) ج٢ ص٣٣٢ .

(٤) شروط الأئمة الستة المقدسى ص١٧ وتذكرة الحفاظ ص ٦٣٤ وتهذيب التهذيب ج٩ ص٣٨٨ .

غرائب حديثه امتحانا له، قال الترمذى: (فقرأت عليه من أوله إلى آخره كما قرأ، ما أخطأت فى حرف. فقال لى: "ما رأيت مثلك"[1] وحقا إنه لحفظ عزيز نادر أوتيه أبو عيسى، وهو ألزم ما يكون لعالم الحديث، وبه يتفاضلون.

وكان الترمذى فى مرتبة عالية من الورع والاحتياط لدينه، يبتعد عن أدنى شبهة ويستبرئ لدينه وعرضه من أدنى شائبة، وكذلك كان زاهدا فى حطام الدنيا، معرضا عنها، مقبلا على الآخرة، حريصا على بث العلم ونشره امتلأت نفسه خشوعا وخشية ومهابة من الله عز وجل فكان كثيرا البكاء أواباً متعبداً منيباً.

وهكذا كان أسلافنا _ رحمهم الله _ وإنهم لنعم القدوة والأسوة لنا نحن حفدتهم وحملة رسالتهم، والترمذى فى ذلك كله صورة لأستاذه الإمام البخارى، وقد كان النهاية التى يبلغها إنسان فى عصره فى هذه الفضائل والصفات فخلفه الترمذى فى فضله كما خلفه فى علمه، وما أحسن قول الحافظ عمر بن علك: "مات البخارى فلم يخلف بخراسان مثل أبى عيسى فى العلم والحفظ والورع والزهد. بكى حتى عمى وبقى ضريرا سنين"[2].

وبجده فى طلب لعلم وامتيازه بهذه الصفات العظيمة، نبغ فى العلم، وبلغ مبلغا عظيما قدمه على أقرانه، وقد جمع علم حديث زمانه إلى عبقرية الأئمة الذين تلمذ لهم، وخاصة الأستاذ العظيم الإمام البخارى. فأصبح علم زمانه فى الحديث، وعلله، والمعرفة بهذا الشأن، حجة يهتدى به، وقدوة يحتج به، وقد بدأ ظهوره وتفوقه علمه، وهو لا زال يتلقى علمه على الشيوخ، فمنذ ذلك الوقت سمع منه كبار شيوخ عصره، واعترفوا له بالعلم والحفظ، كالإمام أبى عبد الله البخارى حيث سمع منه، وشهد له، فلا غرو أن يصبح الترمذى مقصد العلماء والحديث وطلابه يفدون عليه للسماع منه، ومنهلا يرحلون إليه لينهلوا من علوم الحديث، فتلمذ له الكثيرون، وأفاد منه الجم الغفير، وكثر الرواة عنه الناشرون لعلمه.

روى عن أبو بكر أحمد بن إسماعيل بن عامر السمرقندى، وأبو حامد أحمد بن عبد الله بن داود المروزى التاجر، وأحمد بن على المقرئ / وأحمد ابن يوسف

---

(١) انظر التذكرة ص٦٣٥ وشروط الأئمة الستة ص١٧ _ ١٨ وتهذيب التهذيب ج٩ ص٣٨٨ _ ٣٨٩ .
(٢) التذكرة ص٦٣٤ .

النسفى، وأبو الحارث أسد بن حمدويه النسفى، والحسين بن يوسف الغريرى وحماد بن شاكر الوارق وداود بن نصر بن سهيل اليزدوى، وعبد بن محمدبن محمود النسفى، وأبو الحسن على بن عمرو بن كلثوم السمرقندى، والفضل بن عمار الصرام، وأبو جعفر محمد بن سفيان بن النصر النسفى _ والمعروف بالأمين _ وأبو الفضل محمد بن محمود بن عنبر النسفى. وأبو الفضل المسبح بن أبى موسى الكاجرى، ومكى بن نوح التسقى المقرئ، وإبنه محمد بن مكى، والهيثم بن كليب الشاشى _ الحافظ راوية الشمائل، وغيرهم كثير ممن أخذ عنه، ونشر علمه(١).

ثم لم يزل الإمام أبو عيسى الترمذى _ فى كل الأزمان _ علما يقتدى به، وإماما ينتفع بعلمه وكتبه،، أجمع العلماء على إكباره، والثناء عليه، وشهدوا له بالتقدم فى العلم والحفظ والإتقان(٢).

قال الحافظ العالم أبو سعيد الإدريسى: "أحد الأئمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث، صنف الجامع، والتواريخ، والعلل، تصنيف رجل عالم متقن، كان يضرب به المثل فى الحفظ(٣).

وقال الحافظ المزى(٤): (أحد الأئمة الحفاظ المبرزين، ومن نفع الله به المسلمين).

وقال الذهبى(٥): "محمد بن عيسى بن سورة الحافظ العلم، أبو عيسى الترمذي صاحب الجامع، ثقة مجمع عليه، وقال مبارك الجامع، ثقة مجمع عليه".

وقال مبارك بن الأثير فى جامع الأصول وطاش كبرى فى مفتاح السعادة(٦): "وهو أحد العلماء الحفاظ الأعلام، وله فى الفقه يد صالحة".

وغير ذلك كثير من ثنائهم عليه وتعظيمه رضى الله عنه.

---

(١) انظر تهذيب الكمال ج١٠ (٢٢ أ) وسير أعلام النبلاء (ج٩ ٢٦٢ أ) وتهذيب التهذيب (ج٩ ص٣٨٧).

(٢)شروط الأئمة الستة ص ١٧ وتهذيب التهذيب إبن حجر ص٣٨٨ .

(٣) اللباب ج١ ث١٧٤ .

(٤) تهذيب الكمال ج ٢٢١ .

(٥) ميزان الاعتدال ج٣ ص١١٧ .

(٦) جامع الأصول ج١ ص١١٤ ومفتاح السعادة ج٢ ص١١ .

كتب الترمذى:

اشتهر أبو عيسى بتصانيفه، فكان المؤرخون يعرفونه بها، ويشيدون بجودتها، ويستدلون على إمامته بها، فقد كانت غزيرة العلم والفائدة ضمنها من علم شيوخه وأقوالهم غزير الفوائد وعزيزها، وأتى فيهما بالعلوم الكثيرة متبعا طريق السهولة والوضوح، حتى إن كتبه لتوضح لقارئها العلم وتجعله فى متناول يده، فهى أستاذ صامت، بعلم ويبين، وقد وجدت له بعد التتبع المؤلفات الآتية:

١- كتابه العظيم " الجامع " المشتهر باسم " سنن الترمذى ".

٢- الشمائل النبوية والحصائل المصطفوية. المعروف بشمائل الترمذى وهو كتاب عظيم جدا فى بابه.

٣- كتاب " العلل المفرد " أو " العلل الكبير " وهو كتاب فى علل الحديث غير بحوث العلل التى ذكرها فى آخر كتاب الجامع وينقل فيه عن البخارى كثيرا[١].

٤- كتاب " الزهد " (المفرد) قال ابن حجر ولم يقع لنا[٢].

٥- "التاريخ [٣].

٦- (أسماء الصحابة)[٤].

٧- "الأسماء والكنى "[٥].

٨- كتاب فى الآثار الموقوفة. اشار إليه الترمذى فى آخر الجامع[٦].

وهى مجموعة تآليف جيدة، وإن كانت لم تقع لنا جميعا فالموجود منها كاف فى الشهادة له بالإمامة وأنه عالم متقن.

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ج١ ص٢٣٢ والبداية ج١١ ص٦٦ وكشف الظنون ج٢ ص١٣٢٥ الطبعة الثانية والرسالة المستطرفة ص ١١١ .

(٢) التهذيب ج٩ ص٣٨٩ .

(٣) الفهرست نفس الصفحة وهدية العارفين للبغدادى ج٢ ص١٩ .

(٤) البداية : نفس الصفحة .

(٥) التهذيب نفس الصفحة السابقة .

(٦) ج٢ ص٣٣٢ حيث قال ــ بعد أن ذكر أسانيده فى قتل مذاهب الفقهاء ــ : "وقد بينا هذا على وجهه فى الكتاب الذى فيه الوقوف" .

وهكذا قضى الترمذى عمره فى خدمة السنة وعلومها، وكان مثال الورع وخشية الله تعالى، عظيم الخشوع غزير الدمع، حتى لقد أدى به بكاؤه إلى أن كف بصره فعمى فى آخر عمره وبقى ضريرا سنين، إلى أن انتقل إلى جوار ربه.

وقد ذكر الجمهور أنه توفى بترمذ بلدته ولكن السمعانى نص فى نسبة الترمذى من كتابه _ وتبعه ابن الأثير _ على أنه توفى فى بوغ من قرى الترمذ، على ستة فراسخ من ترمذ. وليس بين الكلامين تناقض. لأنه يضاف إلى المركز والعاصمة ما هو لبعض القرى التابعة له، فمن قال ترمذ ذكر المدينة التى تعرف بها قريته، ومن قال فى بوغ فقد توخى الدقة وذلك معروف يجرى على الألسنة.

وقد كانت وفاته ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وقد خلف علما نافعا، وكتبا خالدة باقية، نفع علمه المسلمين على مر العصور رضى الله عنه وأجزل مثوبته ووفقنا للسير على سنته سنة سلفنا الصالح وما استفاده من علوم أساتذته وشيوخه فى رحلاته وأسفاره العديدة وتوخى فى كتبه السهولة والوضوح لتكون مفيدة للطالب والعالم يجد فيها كل منهما بغية وروى بها ظمأه للعلم والمعرفة.

الفصل الرابع

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني*

(*) له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٩/ ٥٥ ـ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٨

أولاً: اسمه ونسبه:

هو سليمان بن الاشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمروا بن عمران الإمام الجليل أبو داود السجستانى الأزدى محدث البصرة صاحب السنن ولد سنة اثنين ومائتين للهجرة.(١)

يقول ابن الاثير(٢) السجستانى بكسر السين والجيم وسكون السين الثانية وبعدها تاء مفتوحة معجمة باثنين من فوقها وبعد الألف نون هذه نسبة إلى سجستان وهى البلد المعروفة ينسب إليها هذه النسبة جماعة من العلماء منهم الإمام أبو داود الأشعث السجستانى صاحب السنن مسكنه البصرة وتوفى بها سنة خمس وسبعين ومائتين.(٣)

ثانياً: رحلاته فى طلب العلم:

عرف إمامنا رحمه الله بالحرص والدأب على طلب الحديث من مصادره فجاب أرجاء الدنيا سعياً إليه ورغبة جامحة صادقة فى الاستزادة منه فاتصل بكل مدارس العلم فى دأب ونشاط لا يعرف الكلل فسعى إلى كبار شيوخ الحديث ليتصل سنده بالأماثل الأماجد الثقات الأثبات حتى بوأه علمه و حرصه ودأبه على الإجادة منزلة سامية فى علوم الحديث وأصبح إمام عصره فيه... قال الحاكم أبو عبد الله:كان أبو داود صاحب السنن أحد من كتب وصنف ورحل وطوف عن العراقيين والخراسانيين والمصريين.

ثالثا: شيوخ السجستانى:

قال: وتبعت عمر بن حفص بن غياث إلى منزله ولم أسمع منه وسمعت من سعيد بن سليمان مجلساً واحداً، ومن عاصم بن على مجلسا واحداً

---

(١) تاريخ بغداد :جـ٩ :ص٥٥ :ص٥٧ :دار السعادة ١٩٣١م

(٢) ابن الأثير اللباب في تهذيب الإنساب ،جـ١ ص٥٣٣

(٣) له ترجمة في البداية والنهاية لابن كثير :١١/ ٥٤ تاريخ بغداد لابن الخطيب البغدادي ٩/ ٥٥ ذكرة الحفاظ٢/ ٥٩ تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/ ١٦٩ الرسالة المستطرفة للكتاني:١١-شذرات الذهب ١٦٧/٢ طبقات الحنابلة :١/ ١٥٩ طبقات الشافعية للسبكي :٢/ ٢٩٣ طبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٠١ العبر ٥٤/٢ اللباب ٥٣٣/١ مرآة الجنان لليافعى :١٨٩/٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١٣٥/٢ وفيات الاعيان لابن خلكان : ١/ ٢١٤ طبقات الحفا ظ للسيوطى ٢٦٥-ص٢٦٦

قلت: وسمع بمكة من القعنبى وسليمان بن حرب وسمع من مسلم بن ابراهيم، وعبد الله بن رجاء وأبى وليد الطيالسى وموسى بن اسماعيل وطبقته بالبصرة ثم سمع بالكوفة من:الحسن بن ربيع البورانى[1] وأحمد بن يونس اليربوعى، وسمع من أبى توبة الربيع بن نافع بحلب، و من أبى جعفر النفيلى وأحمد بن أبى شعيب وعدة بحران. ومن خيوة بن شريح ويزيد بن عبد ربه وخلق بحمص. ومن صفوان بن صالح وهشام بن عمار بدمشق ومن إسحاق بن راهويه وطبقته بخراسان ومن أحمد بن حنبل وطبقته ببغداد ومن قتيبة بن سعيد ببلخ ومن أحمد بن صالح وخلق بمصر ومن إبراهيم بن بشار الرمادى وإبراهيم بن موسى الفراء وعلى بن المدينى والحكم بن موسى وخلف بن هشام وسعيد بن منصور وسهل بن بكار وشاذ بن فياض وأبى معمر وعبد الله بن عمر و المقعد وعبد الرحمن بن المبارك العيشى وعبد السلام بن مطهر وعبد الوهاب بن نجدة وعلى بن الجعد وعمروبن عون وعمروبن مرزوق[2] ومحمد بن الصباح الدولابى ومحمد بن المنهال الضرير، ومحمد بن كثير العبدى ومحمد بن مسرهد ومعاذ بن أسد ويحيى بن معين وأمم سواهم.

رابعاً: تلاميذه:

حدث عنه: أبو عيسى فى "جامعه" والنسائى فيما قيل وإبراهيم بن حمدان العاقولى وأبو الطيب أحمد بن إبراهيم الأشنانى البغدادى نزيل الرحبة، راوى"السنن" عنه وأبوحامد أحمد بن جعفر الأشعرى الأصبهانى وأبو بكر النجاد وأبو عمرو أحمد بن على بن حسن البصرى راوى السنن عنه وأحمد بن محمد بن داود بن سليم، وأبو سعيد بن الأعرابى راوى السنن بفوت له وأبو بكر محمد بن محمد الخلال الفقيه وأحمد بن محمد بن ياسين الهروى وأحمد بن المعلى الدمشقى وإسحاق بن موسى الرملى وإسماعيل بن محمد الصفار وحرب بن اسماعيل الكرمانى و الحسن بن صاحب الشاشى والحسن بن عبد الله الذراع[3]

---

(١) هذه النسبة إلى عمل البواري من الحلفاء والقصب ويقال لمن يعملها ببغداد البوارئي والبوارني أيضاً (الأنساب : ١/ ٤٠٩)

(٢) الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٠ : صـ ٥٦٩

(٣) هذه النسبه من الذرع للثياب والأرض(الأنساب ٣/ ٥)

والحسين بن إدريس الهروى وزكريا بن يحيا الساجى وعبد الله بن أحمد /الأهوازى عبدان وابنه أبو بكر بن أبى داود وأبوبكر بن أبى الدنيا وعبدالله بن أخى أبى زرعة وعبد الله بن محمد بن يعقوب وعبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزى وعلى بن حسن بن العبد الأنصارى أحد رواة السنن وعلى بن عبد الصمد ما غمه.[1] وعيسى بن سليمان البكرى والفضل بن عباس بن أبى الشوارب وأبو بشر الدولابى الحافظ وأبو على محمد بن أحمد اللؤلؤى راوى السنن ومحمد بن أحمد بن يعقوب المتوثى البصرى راوى كتاب القدر له ومحمد بن بكر بن داسة التمار من رواة السنن ومحمد بن جعفر الفريابى ومحمد بن عبد خلف بن المرزبان ومحمد بن رجاء البصرى وأبو سالم محمد بن سعيد الأدمى وأبوبكر بن محمد بن عبد العزيز الهاشمى المكى وأبو أسامة محمد بن عبد الملك الرواس راوى السنن بفواتات،[2] وأبوعبيد محمد بن على بن عثمان[3] الأجرى الحافظ ومحمد بن مخلد العطار الخضيب ومحمد بن المنذر شكر، ومحمد بن يحيى بن مرداس السلمى وأبوبكر محمد بن يحى الصولى وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني.

وقد روى النسائى فى سننه مواضع يقول:حدثنا أبو داوود حدثنا سليمان بن حرب و حدثنا النفيلى وحدثنا عبد العزيز بن يحيى المدنى وعلى بن المدينى وعمرو بن عون ومسلم بن ابراهيم وأبو الوليد، فالظاهر أن أبا داوود فى كل الأماكن هو السجستانى فإنه معروف فى الرواية عن السبعة، ولكن شاركه داود بن سليمان بن سيف الحرانى فى الرواية عن بعضهم والنسائى فمكثر عن الحرانى.. وقد روى

---

(١) ويلقب أيضاً ماغمها .

(٢) هذه النسبة إلى متوث وهي بليدة بين قرقوب وكور الاهواز)الانساب:٥/ ١٩٣) وفي معجم البلدان لياقوت (متوث : قلعة حصينة بين الاهواز وواسط) وموقعها اليوم قرب الحدود الإيرانية الواقعة قرب الخليج .

(٣) رواة السنن عن أبي داود كما ذكرهم بن حجر في تهذيب التهذيب(٤/ ١٧٠) وهم: أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي وابو الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الاشناني وأبو عمرو أحمد بن علي بن الحسن البصري وأبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الاعرابي وأبو بكر محمد بن عبد الرازق بن داسة وأبو الحسن علي بن الحسن بن العبد الانصاري وأبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرملي وراقه وأبو أسامة محمد بن عبد الملك بن يزيد الرواس .

النسائى فى كتاب " الكنى " عن سليمان بن الأشعث، ولم يكنه وذكر الحافظ بن عساكر فى " النبل "[٤] أن النسائى يروى عن أبى داود السجستانى.

خامساً: مذهبه:

ذكـــره فى طبقات الحنابلة القاضى أبو الحسن محمد بن القاضى المتوفى (٥٣٦ هـ). ولعل ذلك لأن الإمام أحمد كان من شيوخه..[١] وقيل أنه كان شافعيا والأغلب والأعم أنه كان مجتهداً كما يدل على ذلك صنيعه فى سننه ولا سيما أن الاجتهاد كان صفة من صفات أئمة الحديث فى العصور الأولى...[٢]

سادساً:إشادة العلماء به:

قال أبو بكر الخلال: أبو داود الإمام المقدم فى زمانه رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره فى مواضعه أحد فى زمانه، رجل ورع مقدم سمع منه أحمد بن حنبل حديثاً واحدا كان أبوداود يذكره..

قلت: هو حديث أبى داود عن محمد بن عمرو الرازى عن عبد الرحمن بن قيس عن حماد بن سلمة عن أبى العشراء عن أبيه"أن النبى - صلى الله عليه وسلم _ سئل عن العتيرة فحسنها ".

وهذا حديث منكر تكلم فى ابن قيس من أجله، وإنما المحفوظ عند حماد بهذا السند حديث "أما تتكون الزكاة إلامن اللبة".

ثم قال الخلال: وكان ابراهيم الاصبهانى بن أورمة وأبو بكر بن صدقة يرفعون من قدره ويذكرونه بما لا يذكرون به أحداً من زمانه مثله.

وقال أحمد بن محمد بن ياسين. كان أبو داود أحد الحفاظ فى الإسلام لحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وعلمه وعلله وسنده، فى أعلى درجة النسك والعفاف والصلاح والورع من فرسان الحديث.

---

(١) شيوخ النبل لابن عساكر،طبع في دار الفكر بدمشق ١٩٨٠م واختصره الذهبي وزاده محاسن وفوائد

(٢) د/عبدالنعيم نجم:سنن أبو داود السجستاني منهجه ومنزلته

(٣) د/عبدالنعيم نجم:سنن أبو داود السجستاني منهجه ومنزلته ص٩٦-١١٠" رسالة دكتوراه - كلية أصول الدين _ جامعة الأزهر .

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق الصاغانى وإبراهيم الحربى: لما صنف أبو داود كتاب السنن ألين لابى داود الحديث كما ألين لداود - عليه السلام - الحديد.

الحاكم: سمعت الزبير بن عبد الله بن موسى سمعت محمد بن مخلد يقول: كان أبو داود يفى بمذاكرة مائة ألف حديث ولما صنف كتاب السنن وقرأه على[1]. الناس، صار كتابه لأصحاب الحديث كالمصحف، يتبعونه ولا يخالفونه، وأقر له أهل زمانه بالحفظ والتقدم فيه.

وقال الحافظ موسى بن هارون: خلق أبو داود فى الدنيا للحديث، وفى الآخرة للجنة.

وقال علان بن عبد الصمد: سمعت أبا داود، وكان من فرسان الحديث.

قال أبو حاتم بن حبان: أبو داود أحد / أئمة الدنيا فقها وعلما وحفظا، ونسكا وورعا وإتقانا، جمع وصنف وذب عن السنن.

قال الحافظ أبو عبد الله بن مندة: الذين خرجوا وميزوا الثابت من المعلول، والخطأ من الصواب أربعة: البخارى، ومسلم، ثم أبو داود والنسائى.

وقال أبو عبد الله الحاكم: أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعه، سمع بمصر والحجاز، والشام والعراقين[2] وخراسان. وقد كتب بخراسان قبل خروجه إلى العراق، فى بلده وهراة. وكتب ببغلان[3] عن قتيبة، وبالرى عن إبراهيم بن موسى، إلا أن أعلى إسناده: القعنبى، ومسلم بن إبراهيم... وسمى جماعة. قال وكان قد كتب قديما بنيسابور، ثم رحل بإبنه أبى بكر إلى خراسان.

روى أبو عبيد الآجرى، عن أبى داود، قال: دخلت الكوفة فى سنة إحدى وعشرين، وما رأيت بدمشق مثل أبى النضر الفراديسى، وكان كثير البكاء، كتبت عنه سنة اثنتين وعشرين.

قال القاضى الخليل بن أحمد السجزى: سمعت أحمد بن محمد بن الليث

---

(١) الذهبيك سير أعلام النبلاء: جـ :ص٥٧٣

(٢) العراقان هما : البصرة والكوفة .

(٣) بغلان : بلدة بنواحى بلخ . انظر معجم البلدان لياقوت .

قاضى بلدنا يقول: جاء سهل بن عبد الله التسترى إلى أبى داود السجستانى، فقيل: يا أبا داود: هذا سهل بن عبد الله جاءك زائرا، فرحب به، وأجلسه، فقال سهل: يا أبا داود ! لى إليك حاجة. قال: وما هى ؟ قال: حتى تقول: قد قضيتها مع الإمكان. قال نعم. قال: أخرج إلىَّ لسانك الذى تحدث به أحاديث رسول الله ﷺ حتى أقبله. فأخرج إليه لسانه فقبله.

روى إسماعيل بن محمد الصفار، عن الصاغانى، قال لين لأبى داود السجستانى الحديث، كما لين لداود الحديد[1] وقال موسى بن هارون: ما رأيت أفضل من أبى داود.

قال إبن داسة: سمعت أبا داود يقول: ذكرت فى " السنن " الصحيح وما يقاربه، فإن كان فيه وهن شديد (بينته)[2].

قلت: فقد وَفَّى ـ رحمه الله ـ بذلك بحسب اجتهاده، وبين ما ضعفه شديد ووهنه غير محتمل، وكاسر[3] عن ما ضعفه خفيف محتمل فلا يلزم من سكوته ـ والحالة هذه ـ عن الحديث أن يكون حسنا عنده، ولاسيما إذا حكمنا على حد الحسن باصطلاحنا المولد الحادث، الذى هو فى عرف السلف يعود إلى قسم من أقسام الصحيح، الذى يجب العمل به عند جمهور العلماء، أو الذى يرغب عنه أبو عبد الله البخارى، ويمشيه مسلم، وبالعكس، فهو داخل فى أدنى مراتب الصحة، فإنه لو إنحط عن ذلك لخرج عن الاحتجاج، ولبقى متجاذبا بين الضعف والحسن، فكتاب أبى داود أعلى ما فيه من الثابت ما أخرجه الشيخان، وذلك نحو من شطر الكتاب، ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخين، ورغب عنه الآخر، ثم يليه ما رغبا عنه وكان إسناده جيدا، سالما من علة وشذوذ، ثم يليه ما كان إسناده صالحا، وقبله العلماء لمجيئه من وجهين لينين فصاعدا، يعضد كل إسناد منهما الآخر، ثم يليه ما ضعف إسناده لنقص حفظ راويه، فمثل هذا يمشيه أبو داود، ويسكت عنه غالبا، ثم يليه ما كان بين الضعف من جهة راويه فهذا لا يسكت عنه، بل يوهنه غالبا، وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونكارته، والله اعلم.

---

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء : جـ ١٠ ص٥٧٤ .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من طبقات السبكى (٢/ ٢٩٤) .

(٣) كاسر : غض .

قال الحافظ زكريا الساجى: كتاب الله أصل الإسلام، وكتاب أبى داود عهد الإسلام.

قلت:(١) كان أبو داود مع إمامته فى الحديث وفنونه من كبار الفقهاء، فكتابه يدل على ذلك، وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن دقاق المسائل فى الفروع والأصول.

وكان على مذهب السلف فى إتباع السنة والتسليم لها، وترك الخوض فى مضائق الكلام.

روى الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة، قال: كان عبد الله بن مسعود يُشبَّه بالنبى ﷺ فى هديه ودله. وكان علقمة يشبه بعبد الله فى ذلك.

قال جرير بن عبد الحميد: وكان إبراهيم النخعى يشبه بعلقمة فى ذلك، وكان منصور يشبه بإبراهيم.

وقيل: كان سفيان الثورى يشبه بمنصور، وكان وكيع يشبه بسفيان، وكان أحمد يشبه بوكيع، وكان أبو داود يشبه بأحمد.

قال الخطابى: حدثنى عبد الله بن محمد المسكى، حدثنى أبو بكر بن جابر خادم بأبى داود _ رحمه الله _ قال: كنت مع أبى داود ببغداد، فصلينا المغرب، فجاءه الأمير أبو أحمد الموفق _ يعنى ولى العهد _ فدخل، ثم أقبل عليه أبو داود، فقال: ما جاء بالأمير فى مثل هذا الوقت ؟ قال: خلال ثلاث. قال: وما هى ؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطنا، ليرحل إليك طلبة العلم فتعمر بك، فإنها قد خربت، وانقطع عنها الناس، لما جرى عليها من محنة الزنج. فقال: هذه واحدة قال: وتروى لأولادى " السنن "؟ قال: نعم، هات الثالثة. قال وتفرد لهم مجلسا، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة. قال: أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس فى العلم سواء.

قال ابن جابر: فكانوا يحضرون ويقعدون فى كم حيرى، عليه ستر، ويسمعون مع العامة.

---

(١) الإمام الذهبى : سير أعلام النبلاء : ص٥٧٥ .

قال إبن داسة: كان لأبى داود كم واسع وكم ضيق، فقيل له فى ذلك، فقال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه[1].

قال أبو بكر بن أبى داود: سمعت أبى يقول: خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن، قال أبو عبيد الآجرى: سمعت أبا داود يقول: الليث روى عن الزهرى، وروى عن أربعة، عن الزهرى، حدث عن: خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، عن إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن الزهرى.

وسمعت أبا داود يقول: كان عمير بن هانئ قدريا، يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة، قتل صبرا بداريا أيام يزيد بن الوليد، وكان يحرض عليه.

قال أبو داود: مسلمة بن محمد حدثنا عنه مسدد، قال أبو عبيد: فقلت[2] لأبى داود: حدث عن هشام بن عرورة، عن أبيه عن عائشة: " إياكم والزنج، فإنه خلق مشوه "[3]؟ فقال: من حدث بهذا، فاتهمه.

وقال أبو داود: يونس بن بكير ليس هو عندى حجة، هو والبكائى سمعا من ابن إسحاق بالرى.

قال الحاكم: سليمان بن الأشعث السجستانى مولده بسجستان، وله ولسلفه إلى الآن بها عقد وأملاك واوقاف، خرج منها فى طلب الحديث إلى البصرة، فسكنها، وأكثر بها السماع عن سليمان بن حرب، وأبى النعمان، وأبى الوليد، ثم دخل غلى الشام ومصر، وأنصرف إلى العراق، ثم رحل أبى بكر إلى بقية المشايخ، وجاء إلى نيسابور، فسمع ابنه من إسحاق بن منصور، ثم خرج إلى سجستان. وطالع بها أسبابه، وانصرف إلى البصرة واستوطنها.

---

(١) أورده الذهبى فى ميزان الاعتدال (ترجمة رقم ٤٠٨١) والألبانى فى السلسلة الضعيفة (ص٧٣٠) وأبو نعيم فى تاريخ إصفهان (٢/ ٥٨) والدارقطنى فى سننه(٣/ ٣٩٩) وابن الجوزى فى الموضوعات (٢/ ٢٣٣) والعلل المتناهية (٢/ ١٢٤) وابن عدى فى الكامل فى الضعفاء (٥/ ١٧٣٧) وابن القيم فى المنار المنيف (ص١٠١).

(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء : ص٥٧٦ .

(٣) هو زياد بن عبد الله بن الطفيل أبو محمد العامرى الكوفى البكائى .

وحدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الأصفهانى، حدثنا أبو بكر بن أبى داود، حدثنا أبى، حدثنا محمد بن عمرو الرازى، حدثنا عبد الرحمن بن قيس، عن حماد بن سلمة، عن أبى العشراء الدارمى، عن أبيه: " أن النبى ﷺ سئل عن العتيرة، فحسنها [١].

قيل: إن أحمد كتب عن أبى هذا، فذكرت له، فقال: نعم. قلت: وكيف كان ذلك ؟ فقال: ذكرنا يوما أحاديث أبى العشراء، فقال أحمد: لا أعرف له إلا ثلاثة أحاديث، ولم يرو عنه إلا حماد حديث اللبة[٢]، وحديث: رأيت على أبى العشراء عمامة فذكرت لأحمد هذا، فقال: أمله على. ثم قال: لمحمد بن أبى سمينة عند أبى داود حديث غريب. فسألنى، فكتبه عنى محمد بن يحى بن أبى سمينة.

قال الحاكم: وأخبرنا أبو حاتم بن حبان: سمعت إبن أبى داود، سمعت أبى يقول: أدركت من أهل الحديث من أدركت، لم يكن فيهم أحفظ للحديث، ولا أكثر جمعا له من أبن معين، ولا أورع ولا أعرف بفقه الحديث من أحمد، وأعلمهم بعلله على بن المدينى، ورأيت إسحاق _ على حفظه ومعرفته _ يقدم أحمد بن حنبل، ويعترف له.[٣]

سابعا: سنن أبى داود ومكانته العلمية:

جمع إمامنا فى سننه أحاديث الأحكام التى هى أصل أدلة المذاهب الفقهية ومرجع ومناط استدلال العلماء على اختلاف مذاهبهم.

فقد أعتبر معينهم الذى لا ينضب لأنه مرتب ترتيبا فقيها، جعله قاعدة وأصلا يعتمد عليه الأئمة، وكان يخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد فى الباب غيره لأنه أقوى عنده من رأى الرجال، فكان فى ذلك مثل أستاذه أحمد بن حنبل يرحمه الله[٤].

---

(١) تقدم تخريجه قبل صفحات .

(٢) أنظر ترجمته فى الإصابة (٤/ ٣٣).

(٣) الإمام الذهبى : سير أعلام النبلاء : جـ ١٠ ص٥٧٧ .

(٤) د / الحسينى هاشم : أئمة الحديث النبوى : ص١٢٢ . طبع مطابع الأزهر .

ثامنا: مؤلفاته:

كان إمامنا رحمه الله نموذجا ومثلا فى الرواية والحديث والتدريس ورائدا فى تآليفه. ومن أشهر مؤلفاته:

كتاب: السنن[1] _ الناسخ والمنسوخ _ المسائل _ الزهد _ دلائل النبوة _ الدعاء _ ابتداء الوحى _ أخبار الخوارج _ فضائل الأعمال _ المراسيل.

وأعتبر كتاب السنن من أجل مؤلفاته وأرقاها.. وكونت مؤلفاته فى مجموعها ثروة علمية متكاملة.

تاسعا: وفاته:

توفى أبو داود فى سادس عشر من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين.

---

(١) حرص إمامنا فى كتاب السنن على التركيز على أحاديث الأحكام ، فكانت عنايته بفقهية الحديث أكثر من عنايته بالأسانيد ، ولهذا كان يبدأ بالصحيح من الأسانيد .

د / عبد المنعم نجم : سنن أبى داود ومنهجه ومنزلته : ص١٣٢ ، رسالة دكتوراه بالأزهر .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الخامس

الإمام مسلم

أولاً : عصره :-

عاش الإمام مسلم[1] فى عصر الدولة الطاهرية التى اتخذت من خراسان مقراً لها والتى أسسها القائد المظفر طاهر بن الحسين، وكان الخليفة العباسى المأمون قد ولاه خراسان سنة ٢٠٥ هـ فجعل مرو عاصمة لولايته واستقل هناك، وتتابع على الحكم جماعة من أهل بيته دانوا للخلافة العباسية اسمياً، ووسعوا نطاق حكمهم حتى حدود الهند، ونقلوا قاعدتهم إلى نيسابور" مسقط رأس الامام مسلم " _ وظلت لهم السلطة حتى (عام ٨٧٢ م). حتى أزاحهم الصفاريون ما بين أعوام (٢٥٣) حتى نهاية (سنة ٢٥٧ هـ[2])، وقد عاصر الإمام مسلم أزهى عصور الدولة العباسية ابتداءاً من عصر المأمون وانتهاء بعصر المعتمد العباسى وذلك ما بين أعوام (١٩٨ هـ - ٢٧٩ هـ / ٨١٣ م _ ٨٩٢ م). وكانت ولادة إمامنا فى خلافة المأمون العباسى.

ثانياً : مولده ونسبه :-

هو : أبو الحسن، مسلم ابن الحجاج بن مسلم بن وَردْ بن كوشاذ القشيرى النيسابورى[3]. ويقول الإمام الذهبى عن نسبه : " فلعله من موالى قشير ". وقشير قبيلة عربية هى بطن من بنى عامر بن صعصعة اشترك بنوها فى الفتوحات الإسلامية، و أقام بعضهم فى خراسان و تولوا حكمها حيناً من الوقت[4]. ونسبة الإمام مسلم إلى قشير نسبة ولادة لا نسبة قرابة ولا نسب[5].

---

(١) له ترجمة فى : تاريخ بغداد : ٣/ ١٠٠ _ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٨.
تهذيب الأسماء واللغات للنووى : ٢/ ٨٩ خلاصة تذهيب الكمال : ٣٢٠
الرسالة المستطرفة للكتانى ١١ . شذرات الذهب ٢/ ١٤٤ عبر ٢/ ٣٢ وتهذيب الكمال فى أسماء الرجال للامام المزى جـ ٢٧ : صـ ٤٩٩
وفيات الأعيان لابن خلكان : ٢/ ٩١.
(٢) ميرخواند : روضة الصفا : ت. أحمد الشاذلى . صـ٥٧-٥٨ _ مصر ١٩٨٨م
(٣) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب : صـ ١٤٤ ، طبع دار الفكر
- وابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ : صـ ٣٣ _ مطبعة السعادة
- محمد بن جعفر الكتانى : الرسالة المستطرفة : صـ ٩طبع مكتبة الكليات الأرقوية .
- الإمام الذهبي :سير أعلام النبلاء جـ ١٠ (١٨٢)
(٤) محمد قاسم أمين : الإعلام لبعض رجالات تركستان :صـ ٢٦ _ صـ ٢٧
(٥) المرجع السابق

كنسبة أمير المحدثين الإمام عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله إلى جعف، ويقال له الجعفى.. فقد آخى الفاتح العربى قتيبة بن مسلم الباهلى _ فاتح ما وراء النهر _ آخى المهاجرين العرب مع أهل البلاد لحكمة بالغة، وكان الوحد من أهل البلاد يفتخر بأخيه وجاره العربى ويسمى أولاده بأسمائهم، بل كان يكلفهم أن يسموا أبناءهم عند ولادتهم تبركاً بهم(١) والنيسابورى نسبة لحقت باسمه لولادته وإقامته بمدينة نيسابور. وأما عن تاريخ ولادته فان أغلب المصادر تجمع على أنه ولد (سنة ٢٠٤(٢) هـ / ٨١٩ م) إلا أن ابن خلكان _ وهو أقرب عهداً بمسلم ممن ترجموا له.. يذكر أنه ولد (سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١ م(٣)) أما تاريخ وفاته فالاجماع منعقد على أنها وقعت (سنة ٢٦١ هـ) ويذكر ابن كثير أن سبب موته رحمه الله أنه عقد له مجلس للمذاكرة فسئل يوماً عن حديث فلم يعرفه فانصرف إلى منزله فأوقد السراج وقال لأهله : لا يدخل أحد الليلة عَلىَّ، وقد أهديت له سلة من تمر فهى عنده يأكل تمرة و يكشف عن حديث ثم يأكل أخرى ويكشف عن آخر، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح وقد أكل كل تلك السلة وهو لايشعر، فحصل له بسبب ذلك ثقل مرض ومن ذلك حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد، ودفن يوم الإثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور(٤) وأن قبره يزار فيها. وطبقا لما ذكر صاحب تذكرة الحفاظ(٥) فقد بدأ إمامنا طلب العلم وهو فى الثانية عشرة من عمره. وأغلب الظن أن والده الحجاج بن مسلم كان من شيوخه، كما سمع فى خراسان من يحيى بن يحيى التميمى واسحاق بن راهويه وحج فى سنة عشرين وهو أمرد، فسمع بمكة من القعنبى، فهو أكبر شيخ له وسمع بالكوفه من أحمد بن يونس، وجماعة. وعاد إلى وطنة بنيسابور، ثم ارتحل بعد أعوام قبل بلوغه سن الثلاثين. وأكثر التردد والسماع

---

(١) المرجع السابق جـ ٢٦ - ٢٧

(٢) ابن حلكان : البداية والنهاية : جـ ١١ صـ ٣٤ وآخرين

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان . جـ ٢ : صـ ٥٢٧

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ ١١ : صـ ٣٤ .

وكذلك : جلال الدين السيوطى : طبقات الحفاظ : صـ ٢٦٤ . بيروت ١٩٨٣ .

(٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ : جـ ٢ : صـ ١٥٠ .

على مجلس الشيخ على بن الجعد. وسمع فى الرى من عمر بن مهران وأباغسان وآخرين وبالعراق : أحمد بن حنبل وعبدالله بن مسلمة وآخرين(١).

ثالثاً : شخصيته وعلمه :-

وأما عن صفاته الجسدية. فقد ذكر الذهبى فى " سير أعلام النبلاء " أنه كان تام القامة، أبيض الرأس واللحية، يرخى طرف عمامته بين كتفيه. وأما عن مصدر رزقه فيقول : " وقال الحاكم : كان متجر مسلم خان مَحْمِشْ ومعاشه من ضياعه بأستوا (٢) ويذكر صاحب " تهذيب التهذيب "أنه كان بزازا وأنه كان صاحب تجارة بخان محمش بنيسابور وله أملاك وثروة(٣) ويذكر كذلك أنه رأى من أعقابه من جهة البنات فى داره(٤). والأوصاف السابقة لأمامنا تتناسب مع مكانته ويساره وما تركه وقاره وهيبته ورزانته فى نفوس الناس.. وأنه كان إماماً جليل القدر، ثقة، لقب من علماء عصره بالحافظ، وأنه كان أحد حفاظ الدنيا الأربعة وهم : أبوزرعة، وعبدالله الدارمى السمرقندى والبخارى. ولقب الحافظ، لاينساله إلا من حفظ مقداراً عظيماً من الأحاديث أدناه ألف حديث وأعلاه ثلاثمائة ألف. كان مسلم صنو البخارى فى الحفظ العجيب، شجاعاً مقداماً وفياً مخلصاً، آزر شيخه البخارى فى محنته وجهر بموافقته له، وكان ورعاً محتاطاً لدينه، يجله الناس ويرجون به الخير، لماجمع من صفات الفضل والصلاح والعبادة والعلم وكان أحد أركان النهضة الحديثة فى عصره عنى بالمحافظة على السنة وعلومها والتقدم بها كل العناية فاجتهد فى المحافظة على الحديث وصيانته من الجهلة الذين شوهوا جماله وانتصب للرد على الشبهات التى أثيرت ضد المحدثين وعلومهم. وينقل الإمام ابن كثير فى البداية والنهاية قول إمامنا : " صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة "وأن إمامنا ذُكِرَ عند إسحاق بن راهويه فقال بالعجمية ما معناه : "أى رجل كان هذا "، وقال

(١) محمد قاسم أمين : الإعلام لبعض رجالات تركستان :صـ٢٩

(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ١٠ : ماده رقم ٢١٨٢ . صـ٢٨٧ -٢٨٩

(٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب صـ١٠ ، صـ١٢٧ .

(٤) سير أعلام النبلاء جـ ١٠ صـ٢٨٧ . وأستوا : كوره من نواحى نيسابور تشتمل على ثلاث وتسعين قرية وقصبتها خوشان ، ياقوت : معجم البلدان ١: ١٧٥.

إسحاق بن منصور لمسلم : لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين[1]. وينقل الإمام الذهبى عن مكانته على لسان معاصريه قولهم : " قال أبو عبدالله محمد بن يعقوب بن الأخرم الحافظ : إنما أخرجت نيسابور ثلاثة رجال : محمد بن يحيى ومسلم بن الحجاج وابراهيم بن أبى طالب " _ كما ينقل قول الحاكم : " سمعت أبا عبدالرحمن السُّلمى يقول : رأيت شيخاً حسن الوجه والثياب عليه رداء حسن، وعمامة قد أرخاها بين كتفيه". فقيل : " هذا مسلم ". فتقدم أصحاب السلطان، فقالوا : " قد أمر أمير المؤمنين أن يكون مسلم بن الحجاج إمام المسلمين "، فقدموه فى الجامع، فكبر وصلى بالناس. كما ينقل قول أحمد بن سلمه : كنت مع مسلم فى تأليف " صحيحه " خمس عشرة سنة[2]، قال وهو إثنى عشر ألف حديث[3] ويروى ابن كثير فى ذلك مؤكداً المكانة السامية لإمامنا فيقول : وروى الخطيب قائلاً : حدثنى أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن على السودرجانى _ بإصبهان _ سمعت محمد بن اسحاق بن منده سمعت أبا على الحسين بن على النيسابورى يقول : ما تحت أديم السماء أصلح من كتاب مسلم بن الحجاج فى علم الحديث[4].. ووصفه اليافعى فقال : أحد أركان الحديث، وصاحب الصحيح وغيره، ومناقبه مشهورة وسيرته مشكورة[5].

رابعاً : من روى عنهم :

شارك البخارى فى الأخذ عن جماعة من كبار الأئمة فى عصره وكان من شيوخه ابراهيم بن موسى الفراء وعلى بن الجعد ومحمد بن مهران الجمال وعبيد الله القواريرى، قتيبة، وعمرو الناقد، وابن المثنى، وابن يسار وأحمد ويحيى واسحاق وغيرهم كثير.. [6]. وبلغ عدد الذين روى عنهم فى صحيحه فقط : مائتين وعشرين من الشيوخ الأماثل.

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ، صـ ٣٣

(٢) فى مقدمة صحيح مسلم بالنووى : ست عشرة سنة .

(٣) الذهبى : سير أعلام النبلاء : مادة رقم ٢١٨٢ صـ ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ١١ ، ٣٣

(٥) اليافعى مرآة الجنان : جـ ٢ ، ١٧٤

(٦) السيوطى : طبقات الحفاظ : صـ ٢٦٤ .

خامساً : من سمع منه وروى عنه :

تلقى الحديث ورواه عن الإمام مسلم كثيرون من كبار أئمة عصره منهم : محمد بن اسحاق بن خزيمة والبخارى وأبوداود والنسائى

وابن ماجه، كما روى عنه : على بن الحسن بن أبى عيسى الهلالى، وهو أكبر منه، ومحمد بن عبدالوهاب الفراء شيخه، ولكن ما أخرج عنه فى ((صحيحه)) , والحسين بن محمد القبانى، وأبوبكر محمد بن النضر بن سلمه الجارودى، وعلى بن الحسين بن الجنيد الرازى، وصالح بن محمد جزرة، وأبو عيسى الترمذى فى ((جامعه)) , وأحمد بن المبارك المستملى، وعبدالله بن يحيى السرخسى القاضى، وأبوسعيد حاتم بن أحمد بن محمود الكندى البخارى، وإبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه راوى ((الصحيح))، وأبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف، وأبو على عبدالله بن محمد بن على البلخى الحافظ، وعبدالرحمن ابن أبى حاتم، وعلى ابن إسماعيل الصفار، وأبو حامد أحمد بن حمدون الأعمشى، وأبو حامد أحمد بن محمد الشرقى، وأبو حامد أحمد بن على بن حسنويه المقرئ أحد الضعفاء، وأحمد بن سلمة الحافظ، وسعيد بن عمرو البرذعى، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن الشرقى، والفضل بن محمد البلخى، وأبوبكر بن خزيمة، وأبو العباس السراج، ومحمد بن عبد بن حميد، ومحمد بن مخلد العطار، ومكى بن عبدان، ويحيى بن محمد بن صاعد، والحافظ أبو عوانة، ونصر بن أحمد بن نصر الحافظ[(١)].

سادساً : صلة مسلم بالامام البخارى وأثرها -:

يروى العماد الحنبلى فى كتابه : " شذرات الذهب فى أخبار من ذهب " عن عبدالله بن محمد بن يعقوب الحافظ قوله " لما استوطن البخارى نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف إليه " وقال الخطيب البغدادى : كان مسلم يناضل عن البخارى حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلى[(٢)] بسببه، ويقول :

---

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء . جـ ١٠ : صـ ٣٧٩ وما بعدها .

(٢) هو أبو عبدالله الذهلى ، من أهل نيسابور ، ومن حفاظ الحديث ، ثقة ، انتهت اليه الصدارة فى العلم . روى عنه البخارى وأبو داودوالترمذى والنسائى عدداً من الأحاديث وتوفى سنـ٢٥٨ـهـ

وقطعه أكثر الناس غير مسلم فانه لم يتخلف عن زيارته وقال له : "لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس فى الدنيا مثلك "، فأنهى إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن الحجاج على مذهبه قديماً وحديثاً، وأنه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ولم يرجع عنه، فلما كان مجلس محمد بن يحيى قال فى آخر مجلسه : إلا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على سنة رؤوس الناس وخرج عن مجلسه، وجمع كل ما كتب عنه وبعث به على ظهر حمال إلى باب محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب السهلى النيسابورى _ كان أحد الحفاظ الأعيان.[1]

وكان أمامنا قد اتصل بالإمام البخارى وتلقى عنه، ويظهر أن ذلك كان سنة (٢٥٠ هـ) عندما قدم الإمام البخارى مدينة نيسابور، وتلقى مسلم عنه، ويؤكد ذلك قول يعقوب الحافظ : رأيت مسلم بن الحجاج بين يدى البخارى يسأله سؤال الصبى لمعلم[2].. ويقال إن الإمام مسلم كان يحب البخارى ويوقره، وأنه جاء إليه مرة فقَّبل بين عينيه وقال له : " دعنى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث فى علله.. "

سابعاً : مؤلفات الإمام مسلم :

ألّف الإمام مسلم كتباً عديدة أغلبها فى علم الحديث.. بعضها مطبوع وبعضها ما زال مخطوطاً. .ومنها ما لم يعلم عنه المؤرخون شيئاً سوى اسمه وهى على النحو التالى :

- الكتب المطبوعة :

١ _الكتاب الصحيح :

وهو المشهور باسم ((صحيح مسلم)). أحد الأصول الستة وأهم كتب مسلم وأعظمها نفعاً وإسمه الأصلى (المسند الصحيح) كما ذكره بعض العظماء فى

---

(١) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب : جـ١ : صـ١٤٤ - ١٤٥

(٢) مقدمة الفتح البارى : صـ ٤٩١ .

فهرست مروياتهم وكما يؤخذ من كلام مسلم نفسه أيضاً. وقد طبع مراراً فى مصر والهند والآستانة وغيرها، منذ سنة ١٢٦٥هـ حتى اليوم، كما صدرت بعض طبعاته بطريقة التصوير.

٢ _المنفردات والوحدان : (فى رواة الحديث)

أى معرفة من لم يروِ عنه إلا راوٍ واحد، ويكون فى الصحابة ومن بعدهم. فالمسيب مثلاً لم يروِ عنه إلا ابنه سعيد. وقد طبع هذا الكتاب فى الهند (حيدر آباد) سنة ١٣٢٣هـ ويقع فى (٣٤) صفحة، وطبع معه أيضاً كتابا ((الضعفاء الصغير)) للبخارى، و ((الضعفاء والمتركين)) للنسائى.

ب- الكتب المخطوطة :

١- كتاب الكنى والأسماء[1]:

وهو يبين أسماء من اشتهروا بكناهم، وكُنَى من اشتهروا بأسمائهم. وهذا مما تدعو إليه الحاجة، لأن الراوى قد يذكر مرة باسمه، ومرة بكنيته أو لقبه، فيتبادر إلى الذهن أنهما إثنان.

وهذا الكتاب : منه نسخة خطية فى المكتبة الظاهرية بدمشق، وهو مجلد مع مجموعة أخرى من الرسائل، برقم (مجموع ١) الأوراق (٤٣ _ ١٠٤) وقد كُتِبَ فى القرن الخامس للهجرة.

ومنه نسخة أخرى فى مكتبة ((باتنه)) فى الهند، وثالثة فى مكتبة شهيد على بتركيا[2].

٢ - كتاب التمييز :

ومنه نسخة فى ((الظاهرية)) برقم (مجموع ١١) ، الأوراق (١ _ ١٥) ويعود زمن كتابتها إلى القرن السادس الهجرى. وهى ناقصة من آخرها. وكتب على غلافها الخارجى : ((الجزء الأول من كتاب التمييز لمسلم)) ولكن لم يتضح من

---

(١) في المنتظم والوافي بالوفيات " كتاب الأسامي والكنى " . وفي طبقات الحفاظ ٢٦١ : " الأسماء والكنى " ومثله في فهرست ابن خير ٢١٢ .

(٢) انظر بروكلمان ٣ : ١٨٥ وتاريخ التراث العربي ١ ٣٦٩.

كلمة ((التمييز)) سوى حرف الزاى. وجاء ناسخ معاصر لم ينتبه إلى تلك العبارة، فجعل العنوان خطأ : ((رسالة فى المصطلح)).

وقد شرح مسلم موضوع كتابه هذا، فقال فى مقدمته : ((... أما بعد، فإنك يرحمك الله ذكرت أن قبلك قوماً ينكرون قول القائل من أهل العلم إذا قال : هذا حديث خطأ، وهذا حديث صحيح. ..وذكرت أنهم استعظموا ذلك من قول من قاله، ونسبوه إلى اغتياب الصالحين من السلف الماضين،وحتى قالوا : إن من ادعى تمييز خطأ روايتهم من صوابها متخرص بما لا علم له به، ومدعى علم غيب لا يوصل إليه...

وبعد، فإن الناس متباينون فى حفظهم لما يحفظون... فمنهم الحافظ المتقن... ومنهم المتساهل المشيب حفظه بتوهم يتوهمه، أو تلقين يلقنه من غيره، فيخلطه بحفظه ثم لا يميزه عند أدائه إلى غيره...) إلخ.

٣- رجال عروة بن الزبير :

ومنه نسخة فى ((الظاهرية)) برقم (مجموع ٥٥/ ١١ الأوراق (١٣٩ _ ١٤٧)، وقد كتبت سنة ٤٦٣ هـ بخط الخطيب البغدادى[1]...

٤- كتاب الطبقات :

يتناول فيه مسلم معاصرى الرسول ﷺ الذين رأوه، ورووا عنه، ومن هذا الكتاب نسخة فى (سراى، أحمد الثالث) بتركيا، برقم (٦٢٤ / ٢٦) الأوراق (٢٧٩ - ٢٩٧) وقد كُتِبَتْ سنة ٦٢٨ هـ[2].

ب- الكتب التى فقدت :

أذكر منها :

١- الأفراد.

٢- أفراد الشاميين.

---

(١) تاريخ التراث العربي ١ : ٣٦٩ ، وذكره بروكلمان أيضاً ٣ : ١٨٥ .

(٢) تاريخ التراث العربي ١ : ٦٣٩ ولم يرد ذكره في كتاب بروكلمان . وفي بعض المصادر (طبقات التابعين)

٣- الأقران.

٤- الانتفاع بأهب السباع[١].

٥- أولاد الصحابة فمن بعدهم من المحدثين.

٦- أوهام المحدثين.

٧- الجامع الكبير : (على الأبواب). قال الحاكم : رأيت بعضه.

٨- حديث عمرو بن شعيب : (عن أبيه عن جده)[٢].

٩- سؤالات أحمد بن حنبل.

١٠- العلل.

١١- كتاب التاريخ.

١٢- المخضرمون.

١٣- المسند الكبير : على أسماء الرجال. قال الحاكم : ما أرى أنه سمعه منه أحد.

١٤- مشايخ الثورى.

١٥- مشايخ شعبة.

١٦- مشايخ مالك بن أنس[٣].

١٧- من ليس له إلا راو.

ثامناً :

منهج الإمام مسلم فى صحيحه :

كان الإمامان الجليلان البخارى ومسلم أول من سبق إلى تصنيف كتاب فى

---

(١) الأهب : ج إهاب وهو الجلد . وفي تهذيب التهذيب : الانتفاع بجلود السباع

(٢) فى المنتظم : ((كتاب عمرو بن شعيب ، يذكر من لم يحتج بحديثه وما أخطأ فيه)) . وفي الوافي ((كتاب عمرو بن شعيب)) .

(٣) مؤلفات الإمام نقلاً عن كتاب : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري من ص ٥٠ ـ إلى ص ٥٤ . محمود فاخورى ولمؤلفه جزيل الشكر .

الصحيح وقد سبق الإمام البخارى مسلماً فى ذلك. ومع أن كتاب مسلم عرف باسم الصحيح، فقد أطلق عليه فى عصر مسلم اسم " المسند " ويعده الإمام " الكنانى " ثانى كتب الصحاح الستة تالياً لصحيح الإمام البخارى.. ويقول عن الصحيحين أما صحيح البخارى : " وهو أصح كتاب بين أظهرنا بعد كتاب الله، وصحيح أبى الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى "(١).. ويقول الإمام الذهبى عنه: قال أحمد بن سلمة : سمعت مسلماً يقول : إذا قال ابن جريح : حدثنا وأخبرنا وسمعت، فليس فى الدنيا أثبت من هذا.

قال مكى ابن عبدان : سمعت مسلماً يقول : لو أن أهل الحديث يكتبون الحديث مائتى سنة، فمدارهم على هذا المسند(٢) قلت : عنى به المسند الكبير.

وعن ابن الشرقى عن مسلم قال : ما وضعت فى هذا المسند شيئاً إلا بحجة ولا أسقطت شيئاً منه إلا بحجة(٣) "

أما ابن كثير فيقول عن منهج الإمام مسلم فى صحيحه: «وأما مسلم فَقَلَّ ما يقع له الغلط لأنه كتب المقاطيع والمراسيل. قال الخطيب : " إنما قفا مسلم طريق البخارى ونظر فى علمه وحذا حذوه. ولما ورد البخارى نيسابور فى آخر أمره لازمه مسلم وأدام الإختلاف إليه.

أما عن الزمن الذى استغرقه الإمام فى تأليف مسنده فمن المرجح أنه بدأ بتأليفه (سنة ٢٣٥ هـ) وعمره آنذاك تسع وعشرون عاماً، لأن مسلماً فى هذه السنة كان قد هيأ نفسه وثقفها بهذه الصناعة ثقافة كاملة وأصبح جديراً للقيام بهذا العمل(٤).

ويقول الإمام مسلم عن منهجه : " ليس كل شىء عندى صحيح وضعته هاهنا _ يعنى فى كتابه _ إنما وضعت هاهنا ما أجمعوا عليه ".

---

(١) محمد بن جعفر الكتاني : الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة ص ٩

(٢) المسند عند أهل الحديث هو الذي اتصل إسناده من راويه إلى منتهاه أو هو ما رفع إلى النبي ﷺ، فإذا أطلق ذلك على صحيح مسلم فالمقصود به الأحاديث التي فيه باعتبارها مرفوعة إلى النبي ﷺ، كما أن بعضهم يطلق عليه اسم "الجامع" . تاريخ بغداد جـ ١٣ : صـ ١٠١ ، وعلوم الحديث صـ ٤٩ .

(٣) الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء : جـ ١٠ صد ٣٩١

(٤) محمود فاخوري : الإمام مسلم بن الحجاج صد ٥٩ _ ٦٢ .

كما أثر عنه قوله : " إنما أخرجت هذا الكتاب وقلت هو صحاح أو صحيح ـ ولم أقل ان مالم أخرجه من الحديث فى هذا الكتاب فهو ضعيف وإنما أخرجت هذا الحديث من الصحيح ليكون مجموعاً عندى وعند من يكتبه عنى ولايرتاب فى صحته.(1) قال عنه الإمام النووى : " وأصح مصنف فى الحديث بل فى العلم مطلقاً الصحيحان للأمامين القدوتين أبى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى رضي الله عنه وأبى الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى رضي الله عنه فلم يوجد لهما نظير فى المؤلفات.

و يصفه محمد بن تركستان بقوله : " صحيح مسلم " من أجل الكتب وثانى كتاب فى حديث الرسول ﷺ ضمنه إثنى عشر ألف حديث استغرق جمعه وترتيبه وتبويبه خمسة عشر عاماً. وقد شرحه كثيرون من أهل الحديث وفطاحل العلماء منهم الإمام النووى وهو محى الدين بن يحيى بن شرف الدين بن مرى الخزامى الحواربى مروزى المولد سنة (٦١٣ هـ) المتوفى (سنة ٦٧٦ هـ) وكان إماماً حافظاً ...(2).

ويصفه نور الدين بن محمد عتر قائلاً :

وأهم كتبه وأعظمها نفعاً كتابه المعروف بـ (صحيح مسلم) واسمه الأصلى (المسند الصحيح). كما ذكره بعض العلماء فى فهرست مروياتهم(3) وكما يؤخذ من كلام مسلم نفسه أيضاً.(4) وقد اقتفى أثر البخارى حيث اشترط فيه الصحة، فجاء كتابه تالياً كتاب البخارى فى الصحة على المعتقد المشهور.

ولكن أبا الحسين لم يتبع طريقة الإمام البخارى الفقيه، بل سلك طريقة الصناعة وفن الإسناد، فعنى بالمتابعات والشواهد، وبين مافى الحديث من لفظة زائدة، أو اختلاف بين الثقات، أو علة، وجعل الأحاديث ثلاثة أقسام والرجال ثلاثة أصناف من حيث العدالة والضبط والاتقان، كما ذكر فى مقدمته لصحيحه(5) فصدر أحاديث القسم الأول وهى فى الدرجة الأولى من الصحة، ثم

---

(١) النووي : شرح صحيح مسلم : ج ١ ص ٢٥ ـ ٢٦

(٢) محمد أمين : الأعلام لبعض رجالات تركستان ص ٢٩ .

(٣) كالعلائى فى ((إثارة الفوائد المجموعة)) قـ ١٨ بـ ولفظه (المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل عن رسول (ﷺ وأراد بقوله نقل العدل عن العدل تفسير المسند بالمعني العام الذى هو راوية الحديث بإسناده .

(٤) حيث قال : (صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة) تاريخ بغداد .

(٥) جـ ٣ ـ صـ ٥ .

يتبعها بأحاديث القسم الثانى، ولم يلتفت إلى أحاديث من اتهم بوضع الأخبار، ومن الغالب على حديثه المنكر والغلط.

وبين طريقته فى تخريج أحاديث الطبقات أنه لا يكرر إلا لفائدة فى السند أو المتن فقال(١) : «فنقسمها (أى الأحاديث) على ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس، على غير تكرار، إلا أن يأتى موضع لا يستغنى فيه عن ترداد الحديث فيه زيادة معنى، أو اسناد يقع إلى جنب إسناد لعلة تكون هناك».

فهذه طريقته فى كتابه، وقد عنى كل العناية فى إخراج كتابه حتى لم يدانيه كتاب، وقد شهد له الأئمة بذلك، وأثنوا على ما أودعه من الفوائد الحديثية العظيمة، ومن ذلك قول النووى(٢) فى بيان صنيعه وفوائده والثناء عليه :

«كتابه الصحيح الذى لم يوجد فى كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان، والاحتراز من التحويل فى الأسانيد عند اتفاقها من غير زيادة وتنبيه، على ما فى ألفاظ الرواة من اختلاف فى متن أو إسناد، ولو فى حرف، واعتنائه بالتنبيه على الروايات المصرحة بسماع المدلين وغير ذلك مما هو معروف فى كتابه، قال وعلى الجملة فلا نظير لكتابه فى هذه الدقائق وصنعة الإسناد..»(٣)

هنا.. ونختم هذا الفصل عن الإمام مسلم وكتابه " الجامع الصحيح بتقديم بيان عن العلماء الذين ترجموا للإمام مسلم فى مؤلفاتهم(٤):

١ _ الإمام الحافظ أبو محمد عبدالرحمن بن أبى حاتم الرازى (ت : ٣٢٧ هـ):

فى كتابه «الجرح والتعديل» (٢/ ١/ ١٨٢) ؛ ط ١ / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد / الهند ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢م تصوير الكتب العلمية _ بيروت / بتحقيق عبدالرحمن بن يحى المعلمى رحمه الله تعالى.

---

(١) المقدمة صـ ٣

(٢) تهذيب الأسماء واللغات جـ ٩ صـ ٩٠

(٣) نور الدين عترا : الإمام الترمذى الموازنة بين جامعه وبين الصحيحين صـ ١٨ -٣٩ .

(٤) النووى : صحيح مسلم : من صـ ١٩ إلى صـ ٢١ .

٢ _ الإمام الحافظ أبوبكر أحمد بن على الخطـيب البغدادى (ت : ٤٦٣ هـ) :

فى كتابه «تاريخ بغداد» (٥/ ١٩٤). دار الكتاب العربى / بيروت، عنى بتصحيحه الأستاذ : السيد محمد سعيد العرفى رئيس العلماء بتصرفية دير الزور.

٣ _ الإمام القاضى أبو الحسين محمد بن أبى يعلى (ت : ٥٢٦ هـ) :

فى كتابه «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٣٧) دار المعرفة / بيروت.

٤ _ الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن على الجوزى :

فى كتابه «المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم» (٥/ ٣٢) ط١ / مطبعة دار المعارف العثمانية _ حيدر آباد الهند / الدكن _ ١٣٥٩ هـ.

٥ _ الإمام الصَّفدى :

فى كتابه (الوافى بالوفيات) (٥/ ١٩٤).

٦ - الإمام الذهبى :

فى كتابه «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٥٨٨) دار إحياء التراث العربى / بيروت ط ٤.

٧ _ الإمام الذهبى :

فى كتابه (العبر، فى خبر من غبر) (٢/ ٢٣) الكويت ١٩٦٠ م / تحقيق صلاح الدين المنجد.

٨ _ الإمام الذهبى :

فى كتابه (الكاشف، فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة) (٣/ ٣٣) دار الكتب الحديثة ط ١ ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م تحقيق عزت على وموسى محمد.

٩ _ الإمام جلال الدين السيوطى (ت : ٩١١ هـ) :

فى كتابه (طبقات الحفاظ) (٢٦٠) / مكتبة وهبة / القاهرة ط ١ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م تحقيق على محمد عمر.

١٠ _ الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت : ٨٥٢ هـ) :

فى كتابه (تهذيب التهذيب) (١٢٦/ ١٠) ط ١ / مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد / الهند / ١٣٢٥ هـ - دار صادر بيروت.

١١ _ الإمام اليافعى :

فى كتابه (مرآة الجنان وعبر اليقظان) (١٧٤/ ٢) ط دار المعارف النظامية الهند ١٣٣٧ هـ.

١٢ _ الإمام أبو الحسين جمال الدين يوسف ابن تغرى بردى (ت : ٨٧٤ هـ) :

فى كتابه (النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة) (٣/٣٣) ط ١ / المطبعة الإستقامة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

١٣ _ الإمام طاش كبرى زاده :

فى كتابه (مفتاح السعادة) (١٣٤/ ٢).

١٤ - الإمام عز الدين بن الأثير الجزرى (ت : ٦٣٠ هـ).

فى كتابه (اللباب فى معرفة الأنساب) (٣٨/ ٣) دار صادر بيروت.

١٥ _ الإمام أبو زكريا محى الدين بن شرف النووى (ت : ٦٧٦ هـ) :

فى كتابه (تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٨٩) الطباعة المنيرية / دار الكتب العلمية / بيروت.

١٦ _ الإمام أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت : ١٠٨٩) :

فى كتابه (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب)/ (٢/ ١٤٤) دار المسيرة _ بيروت ط ٢٣ _ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

١٧ _ الإمام أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (ت : ٦٨١ هـ) :

فى كتابه «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) (٢/ ٩١) دار الثقافة / بيروت / تحقيق د. إحسان عَبَّاس.

وأما كتب الشروح على صحيح مسلم فهى كالتالى :

١ - تفسير غريب ما فى الصحيحين[١]:

تأليف محمد بن أبى نصر الحميدى (ت ٤٨٨ هـ).

٢ - " شرح مسلم " :

لأبى عبدالله محمد بن إسماعيل بن محمد الأصفهانى (ب ٥٢٠ هـ)[٢].

٣ - " المفهم فى شرح مسلم " :

للإمام عبدالغافر بن إسماعيل الفارسى (ت ٢٩ هـ).[٣]

٤ - " الإيجاز والبيان لشرح خطبة كتاب مسلم مع كتاب الإيمان " :[٤]
لابن الحاج قاضى قرطبة (ت : ٥٢٩ هـ).

٥ - " شرح مسلم " :

للإمام أبى القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن على بن أحمد بن طاهر العلمى الأصبهانى (ت : ٥٣٥ هـ) [٥]

٦ - " المعلم فى شرح مسلم " :[٦]
لأبى عبدالله المازرى محمد بن على ابن عمر المالكى (ت : ٥٣٦ هـ).

---

(١) سزكين : ١ / ٣٤٤ ، بروكلمان : ١ / ١٦٧ .

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة : (١ / ٣٣٨ _ ٣٣٩) حيث قال فى ترجمة والده إسماعيل بن محمد (ت ٥٣٥)، وشرح صحيح البخارى وصحيح مسلم _ وكان ابنه شرع فيهما فمات فى حياته فاتمهما .

(٣) تذكرة الحفاظ : ٤ / ١٢٧٥ ، شذرات الذهب : ٤ / ٩٣ ، وسماه حاجى خليفة : ٥٥٧ (المفهم فى شرح غريب مسلم)

(٤) فهرست ابن خير : ١٩٦ ، ٢١٦ .

(٥) طبقات ابن قاضى شهبة : (١ م ٣٣٨ _ ٣٣٩) شذرات الذهب ٤ / ١٠٦ ، حاجى خليفة .

(٦) شذرات الذهب : ٤ / ١١٤، الديباج المذهب : ٢ / ٢٥١ ، سزكين : ١ / ٢٥٤ وسماه (المعلم بفوائد مسلم).

٧ _ " إكمال المعلم بفوائد مسلم " : (١)

للإمام أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى (ت : ٥٤٤ هـ).

٨ _ " الإفصاح عن معانى الصحاح " :

أو " شرح الجمع بين الصحيحين(٢) " الوزير أبو المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة (ت : ٥٦٠ هـ).

٩ _ " شرح مسلم " : (٣)

لعماد الدين عبدالرحمن بن عبدالعلى المصرى (ت : ٦٢٤ هـ).

١٠ _ " صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط " :(٤)

لأبى عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزورى (ت : ٦٤٣ هـ).

١١ _ " المفصح المفهم، والموضح الملهم لمعانى صحيح مسلم:(٥)

لأبى عبدالله محمد بن يحيى الأنصارى (ت : ٦٤٦ هـ).

١٢ _ " شرح مسلم " : (٦)

لشمس الدين أبى المظفر يوسف بن فرغلى سبط بن الجوزى (ت : ٦٥٤ هـ)

١٣ _ " المفهم فى شرح مختصر مسلم " :(٧)

لأبى العباس أحمد بن إبراهيم القرطبى (ت : ٦٥٦هـ).

---

(١) فهرست ابن خير : ١٩٦ ، تذكرة الحفاظ : ٤ / ١٣٠٦)الإكمال فى شرح مسلم) سزكين : ١/ ٣٥٤، بروكلمان : ٤ / ١٨ .

(٢) وفيات الأعيان : ٦ / ٢٣٣ .

(٣) حاجى خليفة : ٥٥٨ .

(٤) سزكين : ١ / ٣٥٦ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .

(٥) سزكين : ١ / ٣٥٩ .

(٦) حاجى خليفة : ٥٥٨ .

(٧) شذرات الذهب : ٥ / ٢٧٤ ، الديباج المذهب : ١ / ٢٤١ وسماه السيوطى فى حسن المحاضرة : ١ / ٤٥٧ " المفهم فى شرح صحيح مسلم " ، بروكلمان : ٣ / ١٨١ ، سزكين : ١ / ٣٥٦ .

١٤ _ منهاج المحدثين وسبيل تلبية المحققين أو :

"المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج "[١] للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى (ت : ٦٧٦ هـ).

١٥ _ " شرح مختصر مسلم للمنذرى " : [٢]

لفخر الدين أبى عمرو وعثمان بن على بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بخطيب جبرين (ت :٧٣٠ هـ).

١٦ _ " شرح مسلم: [٣]

لعمر بن عبدالرحيم بن يحيى بن إبراهيم القرشى النابلسى (ت : ٧٣٤ هـ).

١٧ _ " شرح مختصر صحيح «مسلم» للمنذرى[٤]: "

لعثمان بن عبدالملك الكردى، المصرى الشافعى (ت : ٧٣٨ هـ).

١٨ _ «إكمال الإكمال»:[٥]

لأبى الروح عيسى بن مسعود الزواوى المالكى (ت ٧٤٤ هـ).

قال ابن فرحون : " فشرح صحيح مسلم فى اثنى عشر مجلداً، وسماه " إكمال الإكمال "، جمع فيه أقوال المازرى، والقاضى عياض، والنووى، وأتى فيه بفوائد جليلة من كلام ابن عبد البر، والباجى وغيرهما ".[٦]

---

(١) شذرات الذهب : ٥ / ٣٥٦ ، بروكلمان : ٣ / ١٨١ ، سزكين : ٣٥٦٨ والكتاب مطبوع عدة طبقات .

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة : ٢ / ٣٥٢ ، الدر الكامنة : ٢ / ٤٤٤ .

(٣) المصدر السابق : ٣ / ٣٦٣ ، وقال ابن قاضى شهبة : " وشرح مسلماً فى مجلدات " .

(٤) كذا قال حاجى خليفة فى " كشف الظنون " : ٥٥٨ ، وتبعه صاحب " معجم المؤلفين " : ٦ / ٢٦١ ولم أقف له على ترجمة .

(٥) الديباج المذهب : (٢ /٧٢ _ ٧٤) الدرر الكامنة: ٣/ ٢١١ ، حسن المحاضرة : ١ / ٤٥٩ _ ٤٦٠ .

(٦) الديباج المذهب : ٢ / ٧٣ .

١٩ - "شرح مختصر مسلم للمنذرى: [١]

لشمس الدين محمد بن أحمد بن على بن عمر الأسنوى (ت : ٧٦٣ هـ).

٢٠ - شرح مسلم : [٢]

لابن المهندس عبدالله بن محمد الصالحى الحنفى (ت : ٧٦٩ هـ).

٢١ - شرح مسلم :[٣]

لمحمد بن محمود البابرتى (ت : ٧٨٦ هـ).

٢٢- شرح مسلم: [٤]

للشيخ شمس الدين محمد بن يوسف القونوى الحنفى (ت : ٧٨٨ هـ) وهو مختصر شرح مسلم للإمام النووى.

٢٣ - شرح زوائد مسلم على البخارى :

لسراج الدين عمر بن على بن الملقن الشافعى (ت : ٨٠٤ هـ) فى أربعة أجزاء.[٥]

٢٤ - إكمال الإكمال :

أو " إكمال إكمال المعلم[٦]" : للإمام محمد بن خلفة بن عمر الوشتاتى الأبى التونسى (ت: ٨٢٧ هـ)، وقد طبع فى القاهرة فى سبعة مجلدات سنة ١٣٢٨ هـ وقد جمع فيه بين المازرى وعياض والقرطبى والنووى مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة.[٧]

---

(١) طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة : ٣ / ١٥٦ ، الدرر الكامنة : ٣ / ٢٤٢ .
(٢) سزكين : ١ / ٣٥٩ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .
(٣) سزكين : ١ / ٣٥٩ .
(٤) كشف الظنون : ٥٥٨ .
(٥) البدر الطالع : ١ / ٥٠٩ .
(٦) البدر الطالع : ٢ / ١٦٩ .
(٧) البدر الطالع : ٢ / ١٦٩ .

٢٥ - " فضل المنعم فى شرح صحيح مسلم " :[١]

لشمس الدين محمد بن عطاء الله الرازى الشافعى (ت : ٨٢٩ هـ).

٢٦ - " شرح مسلم " :[٢]

لتقى الدين أبى بكر بن محمد بن عبدالمؤمن الحصنى (ت : ٨٢٩ هـ).

٢٧ - " تحفة المنجد والمتهم فى غريب صحيح مسلم " :

لمؤلف مجهول، جمع هوامش أستاذه سبط بن العجمى (ت : ٨٤١ هـ).[٣]

٢٨ - " مكمل إكمال الإكمال " :[٤]

لمحمد بن يوسف السنوسى (ت : ٨٩٢ هـ)، وقد طبع بالقاهرة على هامش " إكمال الإكمال " سنة ١٣٢٨ هـ.

٢٩ - " غنية المحتاج فى ختم صحيح مسلم بن الحجاج " :[٥]

لمحمد ابن عبدالرحمن السخاوى (ت : ٩٠٢ هـ).

٣٠ - " الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج " :[٦]

للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت : ٩١١ هـ)، وقد طبع مع كتاب " وشى الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج " لعلى بن سليمان الدمناتى، فى القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ.

---

(١) المصدر السابق : ٢ / ٢٠٧ ، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة : ٤ / ١٣٦ ، سزكين : ١ / ٣٦٠ .

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة : ٤ / ٩٧ ، شذرات الذهب : ٧ / ١٨٩ .

(٣) سزكين : ١ / ٣٥٩ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٢ .

(٤) سزكين : ١ / ٣٥٥ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٢ .

(٥) الذيل على رفع الأصر : ٢٢ ، شذرات الذهب : ٨ / ١٦ ، ١ / ٣٦٢ .

(٦) حسن المحاضرة : ١ / ٣٤٠ .

٣١ - " منهاج الإبتهال بشرح مسلم بن الحجاج " [١]

لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر القبطلانى (ت : ٩٢٣ هـ).

٣٢ - " شرح خطبة مسلم بن الحجاج " :[٢]

لشهاب الدين نفسه.

٣٣ - " شرح مسلم " :

للقاضى زين الدين زكريا بن محمد الأنصارى الشافعى (ت : ٩٢٦ هـ). [٣]

٣٤ - " ختم صحيح مسلم " :

لعبد القادر النادمى (ت : ٩٢٧ هـ). [٤]

٣٥ - " بغية القارئ والمتفهم " :

ليحيى بن محمد السنباطى (تم سنة ٩٥٨ هـ).[٥]

٣٦ - " شرح لشهاب الدين أحمد بن عبدالحق (قبل سنة ٩٦٢ هـ) ". [٦]

٣٧ -" شرح على القارى المتوفى (ت : ١٠١٦ هـ) ". [٧]

٣٨ - " شرح صحيح مسلم " :

لإبراهيم بن محمد العجمى الحلبى. [٨]

٣٩ -" شرح صحيح مسلم " :

لعبد الرؤوف المناوى (ت : ١٠٣١). [٩]

---

(١) كشف الظنون : ٥٥٨ .

(٢) سزكين : ١ / ٣٦٢ .

(٣) كشف الظنون : ٥٥٨ ، معجم المؤلفين : ٤ / ١٨٢ .

(٤) بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .

(٥) سزكين : ١ / ٣٦٠ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .

(٦) سزكين : ٣ / ٣٦٠ .

(٧) حاجى خليفة : ٥٥٨ .

(٨) بروكلمان : ٣ / ١٨٢ .

(٩) سزكين : ١ / ٣٦٠ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .

٤٠ _ حاشية أبى الحسن بن عبدالهادى السّندى (ت : ١١٣٦ هـ). [١]

٤١ - عناية المنعم لشرح صحيح مسلم :

أو " عناية المنعم " : لعبد الله بن محمد يوسف أفندى زادة (ت : ١١٦٧ هـ)[٢]

٤٢ - حاشية شرح مسلم :

لعلى بن أحمد السعيدى (كان يعيش سنة ١١٦٨ هـ). [٣]

٤٣ - وشى الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج :

لعلى بن سليمان المغربى الدمنتى البجمعورى، طبع فى المطبعة الوهبية فى القاهرة سنة ١٢٩٨ هـ. [٤]

٤٤ - السراج الوهّاج من كشف مطالب صحيح بن الحجاج :

لصديق حسن خاى (ت : ١٣٠٧ هـ)، طبع بهوبال سنة ١٣٠٢ هـ، فى جزأين.

٤٥ - فتح الملهم لشرح صحيح مسلم : [٥]

لشبير أحمد الديوبندى العثمانى (ت : ١٣٦٩ هـ)، طبع منه الأول، والثانى والثالث فى دلهى، وتوفى المؤلف قبل إتمامه.

شروح لصحيح مسلم بغير العربية:

٤٦ _ منبع العلم :

لنور الحقّ بن عبد الحقّ الدهلوى (ت : ١٠٧٣) أكمله ابنه فخر الدين محب الله. [٦]

---

(١) سزكين : ١ / ٣٦١ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .
(٢) سزكين : (١ / ٣٦٠ _ ٣٦١) ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .
(٣) سزكين : (١ / ٣٦١) . بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .
(٤) سزكين : (١ / ٣٦٠) ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .
(٥) سزكين : ١ / ٣٦١ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .
(٦) سزكين ١ / ٣٦١ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .

٤٧ _ صحيح مسلم :

مع ترجمة هند ستانية وشرح لمولوى وحيد الزمان، طبع فى لاهور: (١٤٠٣ - ١٣٠٦ هـ).[١]

٤٨ _ " شرح مسلم " :

مع ترجمة إلى لغة البنجاب، وبدون أسانيد، لعبد العزيز ابن غلام رسول، لاهور ١٣٠٧ هـ. [٢]

المصنفات على صحيح مسلم

صنف على صحيح " مسلم " قوم من الحفاظ تأخروا عن مسلم وأدركوا الأسانيد العالية، وفيهم من أدرك بعض شيوخ مسلم، فخرجوا أحاديثه من تصانيفهم تلك بأسانيدهم تلك فالتحقق به فى أن لها سمة الصحيح، وإن لم تلحتق به فى خصائصه جمع، ويستفاد من مَخَرَّجاتهم المذكورة على الإسناد، وفوائد تنشأ من تكثير الطرق ومن زيادة ألفاظ مفيدة، ثم إنهم لم يلتزموا فيها الموافقة فى ألفاظ الأحاديث من غير زيادة ولا نقص لكونهم يروونها بأسانيد أخرى، فأوجب ذلك بعض التفاوت فى بعض الألفاظ. [٣]

فمن ذلك (الخرج على صحيح مسلم) للعبد الصالح أبى جعفر أحمد بن حمدان النيسابورى الزاهد العابد المجاب[٤]، رحل فى حديث واحد منه إلى أبى

(١) سزكين : ٣ / ٢٦١ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ .

(٢) سزكين : ١ / ٢٦١ ، بروكلمان : ٣ / ١٨٣ . وانظر كتاب " الإمام مسلم " للأستاذ محمود فاخورى فصل : " شروح صحيح مسلم (١٢٩ _ ١٣٩) ، ولقد استفدت منه كثيراً ، فجزى الله المؤلف كل خير .

(٣) مثل هذا الكلام فى مقدمة ابن الصلاح : ١٩ .

(٤) هو (أبو جعفر أحمد بن حمدان بن على بن سنان من كبار مشايخ نيسابور ، سمع الذهلى ، وصنف (الصحيح على شرط مسلم) رحل إلى الموصل لأجل حديث محمد بن عباد ، (ت : ٣١١) ، انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ : ٢ / ٧٦١ ، العبر : ١ / ١٤٧ ، شذرات الذهب : ٢ / ٢٦١ .

يعلى الموصلى[1]، ورحل فى أحاديث معدودة منه لم يكن سمعها حتى سمعها، وروينا أنه سمعه منه الشيخ القدوة، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل الزاهد الحيرى[2]، فكان إذا بلغ منه موضعاً فيه سنة لم يستعملها وقف عندها إلى أن يستعملها.

ومنها (المسند الصحيح) لأبى بكر محمد بن محمد بن رجاء النيسابورى[3] الحافظ المصنف على شرط مسلم، وهو متقدم " يشارك مسلماً فى أكثر شيوخه.

ومنها (مختصر المسند الصحيح) المؤلف على كتاب مسلم،تأليف الحافظ أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني[4]، روى فيه عن يونس بن عبد الأعلى[5] وغيره من شيوخ مسلم.

---

(١) هو (الحافظ المحدث أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى التميمى ، قال الذهبى : محدث الموصل ، (ت : ٣٠٧) انظر ترجمته فى دول الإسلام : ١ / ١٤٦ ، الأعلام : ١ / ١٧١ ، وغير ذلك من المراجع .

(٢) هو (أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيرى النيسابورى ، أصله من الري ، (ت : ٢٩٨) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد : ١١ / ١٥ ، البداية والنهاية : ١١ / ١١٥ ، وغير ذلك من المراجع .

(٣) هو (الإمام الحافظ أبوبكر محمد بن محمد بن رجاء الأسفراييني السندى ، مصنف الصحيح ومخرجه على كتاب مسلم ، قال الحاكم : كان ديناً ، ثبتاً ، مأموناً ، مقدماً فى عصره (ت : ٢٨٦) أنظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ : ٢ / ٦٨٦ ، شذرات الذهب : ٢ / ١٩٣ ، طبقات الحفاظ : ٢٩٨ .

(٤) هو (الحافظ الكبير أبو الكبير أبو عوانة) مضت ترجمته .

(٥) هو (يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى ، روى عن ابن عيينة ، والشافعى وغيرهم ، وعنه مسلم ، والنسائى ، وابن ماجه ، وغيرهم ، قال ابن حجر : ثقة من صغار العاشرة) انظر ترجمته فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ٤٠٦ ، وفيات الأعيان ٢ / ٤١٧ ، تقريب التهذيب ٢ / ٣٨٥ .

الفصل السادس

الإمام أبو عبدالله بن ماجه القزوينى

أولا: مولده ونسبه:

هومحمد بن يزيد الربعى[1] مولاهم أبو عبدالله بن ماجه القزوينى الحافظ رحمه الله تعالى ولد بقزوين عام ٢٠٩ هـ. وتكتب "ماجه" بالهاء بدون نقط ثم منقطة، وهى لقب يزيد والد أبى عبدالله، ويعرف يزيد بماجه مولى ربيعه.

ثانيا: نشأة الإمام وعصره:

تزامنت ولادة الإمام رحمه الله مع خلافة المأمون العباسى والذى بويع بالخلافة، ١٩٨هـ وتوفى عام ٢١٨ هـ، والتى حدث خلالها فتنة القول بخلق القرآن الكريم والتى بدأت زمن المأمون واستمر أوارها زمن المعتصم والواثق.. آنذاك كان إمامنا شابا يافعا، وكانت المحنة تحيط بكبار علماء وتلك الفترة كالإمام أحمد بن حنبل، وحينما وقعت المحنة زمن الخليفة المتوكل عام ٢٣٤ هـ، كان عمر امامنا آنذاك خمس وعشرون سنة[2]... هذا وقد اتسم عصر الامام[3] ببزوغ العديد من العلماء فى شتى فروع المعرفة وتنوع المصنفات العلمية وكثرتها كثرة هائلة، وكان لذلك كله أثره فى وجدان الامام وشخصيته العلمية، وقد دفعه ذلك الى التنقل والترحال بين حواضر الأمة الإسلامية ومجالسة علمائها الفضلاء والتتلمذ عليهم والأخذ منهم والتفاعل مع انتاجهم العلمى الغزير.

---

(١) الربعى : بفتح الراء و الباء الموحدة و بعدها عين مهملة نسبة إلى الربعة و هى إسم لعدة قبائل ينسب اليها الامام بالولاء : (محمد قاسم أمين : الأعلام لبعض رجالات تركستان صـ ٤٢)

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٣٠٧

(٣) له ترجمة فى : البداية و النهاية لابن كثير ١١/ ٥٢ تاريخ قزوين للرافعى : ١٦٥- تذكرة الحفاظ للذهبي : ٢/ ٦٣٦ _ تهذيب التهذيب لابن حجر : ٩/ ٥٣٠ خلاصة تهذيب الكمال لابن العماد- الرسالة المستظرفة للكتانى : ١٢ _ طبقات المفسرين للداودى : ٢/ ٢٧٢ العبر : ٢/ ٥١- مرآة الجنان لليافعى : ٢/ ١٨٨ مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده : ٢/ ١٣٩ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى : ٣/ ٧ وفيات الاعيان لابن خلكان : ١/ ٤٨٤ طبقات الحفاظ للأمام السيوطى ص ٢٧٨-٢٧٩ و تهذيب الكمال فى اسماء الرجال للمزى / جـ ٢٧ صـ ٤٠

ثالثا: رحلات الامام فى طلب العلم:

دفع إمامنا شغفه بتحصيل العلوم والمعارف الى الترحال والتنقل والتجول بين أنحاء العالم الاسلامى وقصد مواطن العلم فيه. ويكتب عن ذلك ابن حجر فيقول: سمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام وغيرها من البلاد.(١)

و يؤكد ذلك ابن خلكان قائلا: ارتحل إلى العراق والبصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والرى لكتب الحديث(٢)

و قال طاش كبرى زاده:" سمع أصحاب مالك والليث(٣) وعنه أبو الحسن القطان وخلق سواه(٤)..

رابعا: إشادة العلماء بالامام:

حظى إمامنا - رحمه الله _ بثناء العلماء بعلمه وفقهه ومتانته وعلو منزلته فى علم الحديث وطول باعه فى علم الفقه، مما يعرب عن ذهن يقظ فطن وجد واجتهاد وصبر على طول التحصيل والمذاكرة مع ميل صادق الى تحصيل علوم التاريخ وعلوم التفسير.. ويؤكد ذلك ما نقل عن ابن حجر فى التهذيب " قال الخليلى": ثقة كبير متفق عليه ومحتج به، له معرفة بالحديث وحفظه وله مصنفات فى السنة والتفسير والتاريخ وكان عارفا بهذا الشأن(٥)

وقال بن خلكان: كان إماما فى الحديث عارفا بعلومه وجميع ما يتعلق به، وله تفسير القرآن الكريم _ وكتابه فى الحديث أحد الصحاح الستة.(٦) وقال ابن العماد الحنبلى:" محمد بن يزيد بن ماجه الربعى مولاهم القزوينى أحد الأئمة الأعلام، وصاحب السنن، حافظ ثقة كبير صنف السنن والتاريخ والتفسير(٧)

---

(١) الامام ابن حجر : تهذيب التهذيب : ج ٩ : ص ٥٣١

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٣ : ص ٤٠٧ _ ص ٤٠٨

(٣) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة و مصباح السيادة فى موضوعات العلم ج ٢ : ص ١٢٩

(٤) لمزيد من المعرفة فى هذا الشأن يرجع إلى:تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٢ :ص ٦٣٦ و البداية و النهاية لابن كثير ج ١ : ص ٥٢.

(٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب : ج ٩ : ص ٥٣١

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٣ ص ٤٠٧ - ٤٠٨

(٧) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : ج ٢ : ص ١٦٤

و قال عنه الإمام الذهبى: قد كان ابن ماجه حافظا ناقدا صادقا، واسع العلم وإنما غض من رتبة سنه فى الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات. ويورد قول أبى يعلى الخليلى عنه:" هو ثقة كبير، متفق عليه، محتج به له معرفة بالحديث، وحفظه، ارتحل الى العراق، ومكة والشام ومصر والرى لكتب الحديث. وقول الحافظ محمد بن طاهر:"رأيت لابن ماجه بمدينة قزوين تاريخا على الرجال والأمصار إلى عصره..[1]

ومن روايات هؤلاء الحفاظ عن الامام يتبين لنا أن الإمام ابن ماجه - رحمه الله _ جمع الى جانب علم رواية الحديث علما آخر هو علم فقه الحديث لكونه فى مقدمة العلوم المتعلقة به.[2] كما يستفاد من أقوال الحفاظ عنه أن الإمام ابن ماجه قد اكرمه الله بكثير من الفضائل والشمائل منها التقوى والعمل بما فى السنة بأصولها وفروعها، والحرص على مراقبة مولاه عز وجل والحذر الشديد من الوقوع فى المعاصى والآثام،إلى جانب تمتعه ببصيرة نفاذة عارفة بدقائق الشريعة[3] متبحراً فى جميع أصول هذه الشريعة المشهورة والمعروفة فى الكتاب والسنة وما يدور حولهما من الأصول الأخرى، يؤكد ذلك قيامه بكتابة تفسير القرآن الكريم يضم تاريخا كاملا من لدن الصحابة إلى عصره.

خامسا: شيوخ الإمام:

المشهورون برواية السنن عن الإمام ابن ماجه رحمه الله هم: أبو الحسن بن القطان " على بن ابراهيم بن سلمة القزوينى وسليمان بن يزيد القزوينى، وأبو جعفر محمد بن عيسى المطوعى الأبهرى وأبو بكر حامد بن كينوية الابهرى ومن الرواة عنه كذلك سعدون وابراهيم بن دينار[4].. ويجمل الإمام الذهبى شيوخ ابن ماجه على النحو التالى:سمع من على بن محمد الطنافسى الحافظ،فأكثر عنه، ومن: جبارة بن المغلس، وهو من قدماء شيوخه، ومن: مصعب بن عبدالله الزبيرى،

---

(١) الإمام الذهبى : سير أعلام النبلاء : جـ ١٣ص ٢٧٧

(٢) حسين قاسم محمد : الإمام ابن ماجه فى سننه : رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين بالقاهرة ص ١٤

(٣) المرجع السابق ص ١٤

(٤) الحافظ بن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٩ : ص ٥٣٢

وسويد بن سعيد، وعبدالله بن معاوية الجمحى، ومحمد بن رمح، وإبراهيم بن المنذر الحزامى، ومحمد بن عبدالله بن نمير، وأبى بكر بن أبى شيبة، وهشام بن عمار، ويزيد بن عبدالله اليمامى، وأبى مصعب الزهرى، وبشر بن معاذ العقدى، وحميد بن مسعدة، وأبى حذافة السهمى، وداود بن رشيد وأبى خيثمة، وعبدالله بن ذكوان المقرئ، وعبدالله بن عامر بن براد، وأبى سعيد الأشج، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، وعبدالسلام بن عاصم الهسنجانى، وعثمان بن أبى شيبة، وخلق كثير مذكورين فى «سننه» وتواليفه.

سادسا: تلاميذ الإمام:

حدث عنه: محمد بن عيسى الأبهرى، وأبو الطيب بن روج البغدادى، وعلى بن سعيد بن عبدالله الحذائى وابراهيم بن دينار الجرش الهمذانى، وأحمد بن ابراهيم القزوينى جد الحافظ أبى يعلى الخليلى، وأبو الطيب أحمد بن روح المشعرانى واسحق بن محمد القزوينى، ومحمد بن عيسى الصفار، وأبو الحسن على بن ابراهيم بن سلمة القزوينى الحافظ وأبو عمرو أحمد بن محمد بن حكيم المدنى الاصبهانى وجعفر بن ادريس والحسين بن على بن برانيا وسليمان بن يزيد القزوينى وآخرين غيرهم.

سابعا: وفاة الإمام:

تجمع أغلب الروايات على أنه توفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين لثمان بقين من رمضان...

ثامنا مؤلفات الإمام:

(١) كتاب الطهارة ضمنه الإمام تسعة وثمانين بابا وبلغ عدد أحاديثه (٤٠٠ حديث)

(٢) كتاب الصلاة: تضمن ثلاثة عشر بابا وبلغ عدد أحاديثه ٣٩ حديثا.

(٣) كتاب الأذان: يضم سبعة أبواب وتبلغ عدد أحاديثه ٢٩٩ حديثا.

(٤) كتاب المساجد والجامعات: ويضم تسعة عشر بابا وعدد أحاديثه ٦٨ حديثا.

(٥) كتاب إقامة الصلاة وتضمن مائتين وخمسة أبواب، وبلغ عدد أحاديثه ٦٣٠ حديثا.
(٦) كتاب الجنائز وعدد أبوابه خمسة وستين بابا وعدد أحاديثه ٢٠٥ حديثا
(٧) كتاب الصيام: وفيه ثمانية وستين بابا وعدد أحاديثه ١٤٥ حديثا
(٨) كتاب الزكاة: وقد ضمنه ثمانية وعشرين بابا وقد بلغ عدد أحاديثه ٦٢ حديثا.
(٩) كتاب النكاح: وعدد أبوابه ثلاثة وستين بابا وبلغ عدد أحاديثه ١٧٦ حديثا.
(١٠) كتاب الطلاق: وقد ضمنه ستة وثلاثين بابا وعدد أحاديثه ٧٤ حديثا.
(١١) كتاب الكفارات: وقد ضمنه واحد وعشرين بابا وعدد أحاديثه ٤٧ حديثا.
(١٢) كتاب التجارات: وقد ضمنه تسعة وستين بابا وعدد أحاديثه ١٧١ حديثا.
(١٣) كتاب الأحكام: -أى القضاء-: وقد ضمنه ثلاثة وثلاثين بابا وعدد أحاديثه ٦٧ حديثا.
(١٤) كتاب الهبات: وفيه سبعة أبواب وعدد أحاديثه ١٥ حديث.
(١٥) كتاب الصدقات: ضمنه واحد وعشرين بابا وعدد أحاديثه ٤٦ حديثا.
(١٦) كتاب الرهون: وفيه أربعة وعشرين بابا وعدد أحاديثه ٥٦ حديثا.
(١٧) كتاب الشفعة: وفيه أربعة أبواب وعدد أحاديثه عشرة أحاديث.
(١٨) كتاب اللقطة: وبه أربعة أبواب وعدد أحاديثه عشرة أحاديث.
(١٩) كتاب العتق: وضمنه عشيرة أبواب وعدد أحاديثه ٢١ حديثا.
(٢٠) كتاب الحدود: وقد ضمنه ثمانية وثلاثين بابا وعدد أحاديثه ٨٢ حديثا.
(٢١) كتاب الديات: وبه ستة وثلاثين بابا وعدد أحاديثه ٨٠ حديثا.
(٢٢) كتاب الوصايا: وبه تسعة أبواب وعدد أحاديثه ٢٤ حديثا.
(٢٣) كتاب الفرائض: وبه ثمانية عشر بابا وعدد أحاديثه ٣٤ حديثا.
(٢٤) كتاب الجهاد: وقد ضمنه ستة وأربعين بابا وعدد أحاديثه ١٢٩ حديثا.
(٢٥) كتاب المناسك: وبه مائة وثمانية أبواب وعدد أحاديثه ٢٣٨ حديثا.
(٢٦) كتاب الأضاحى: وقد ضمنه سبعة عشر بابا وعدد أحاديثه ٤٢ حديثا.
(٢٧) كتاب الذبائح: وبه خمسة عشر بابا وعدد أحاديثه ٣٨ حديثا.

(٢٨) كتاب الصيد: وبه عشرين بابا وعدد أحاديثه ٥١ حديثا.

(٢٩) بابا العقيقة: وقد ضمنه اثنين وستين بابا وعدد أحاديثه ١٢٥ حديثا.

(٣٠) كتاب الأسرية: وقد ضمنه سبعة وعشرين بابا وعدد أحاديثه ٦٥ حديثا.

(٣١) كتاب الطب: وقد ضمنه ستة وأربعين بابا وعدد أحاديثه ١١٤ حديثا.

(٣٢) كتاب اللباس: وقد ضمنه سبعة وأربعين بابا وعدد أحاديثه ١٠٧ حديثا.

(٣٣) كتاب الأدب: وبه تسعة وخمسين بابا وعدد أحاديثه ١٧٠ حديثا.

(٣٤) كتاب الدعاء: وبه اثنين وعشرين بابا وعدد أحاديثه ٦٦ حديثا

(٣٥) كتاب تفسير الرؤيا: وبه عشرة أبواب وعدد أحاديثه ٣٤ حديثا

(٣٦) كتاب الفتن: وبه ستة وثلاثين بابا وعدد أحاديثه ١٧٣حديثا

(٣٧) كتاب الزهد: وبه تسعة وثلاثين بابا وعدد أحاديثه ٢٤٢ حديثا....(١)

و فى معرض دراسته لأساليب وخطط الأئمة فى تصنيفهم لكتبهم يذهب الباحث حسين قاسم محمد إلى القول أن فرض الإمام البخارى تخريج الأحاديث الصحيحة المتصلة واستنباطها من الفقه والسيرة والتفسير فذكر عرضا الموقوف والمعلق وفتاوى الصحابة والتابعين وآراء الرجال فتقطعت عليه متون الأحاديث وطرقها فى أبواب كتابه.

بينما قصد مسلمُ تجريد الصحاح بدون تعرض للاستنباط فجمع طرق كل حديث فى موضع واحد ليتضح اختلاف المتون وتشعب الأسانيد على أجود ترتيب ولم تنقطع عليه الأحاديث، وهمه أبى داود جمع الأحاديث التى استدل بها فقهاء الأمصار وبنو عليها الأحكام فصنف سننه وجمع فيها الصحيح والحسن واللين والصالح للعمل وهو يقول:"ما ذكرت فى كتابى حديثا أجمع الناس على تركه وما كان منها ضعيفا صرح بضعفه وما كان فيه علة بينها وترجم على كل حديث ما قد استنبط منه عالم وذهب إليه ذاهب وما سكت عنه فهو صالح عنده. بينما كان ملمح الترمذى الجمع بين الطريقتين فكأنه استحسن طريقة الشيخين حيث بينا وما أيهما وطريقة أبى داود حيث جمع كل ما ذهب إليه ذاهب فجمع كلتا

(١) حسين قاسم محمد : الإمام إبن ماجه فى سننه : رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين ــ ص ٥٤ ــ ص ٥٩

الطريقتين وزاد عليهما بيان مذاهب الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار واختصر طرق الحديث فذكره واحدا وأومأ إلى ما عداه وبين أمر كل حديث من أنه صحيح أو حسن أو منكر، وبين وجه الضعف أو أنه مستفيض أو غريب.. والنسائى على تأخره زمناً ذكره بعضهم بعد الصحيحين فى المرتبة لأنه أشد انتقادا للرجال من الشيخين وأقل حديثا منتقدا بالنظر الى ما بعد الشيخين بحسن بيان العلل.

أما عن شيخنا ابن ماجه فإنه لم يذكر شيئا عن خطته فى كتابه بالنسبة لشروطه فى الأسانيد.. وبالاستقراء والتحرى نجد أن الإمام إبن ماجه قد روى عن كل ما صنف من الرجال أخرج عن الثقات والصدوقين، كما أخرج عن الضعفاء والمتروكين ووالمتهمين بالكذب.. وعن ذلك قال الإمام السيوطى رحمه الله (فإنه أى ابن ماجه - تفرد فى سننه بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث وبعض تلك الأحاديث لا يعرف إلا من جهتهم مثل حبيب إبن أبى حبيب كاتب مالك والعلاء بن يزيد وداود بن المحبر وعبدالوهاب واسماعيل بن زياد السكوتى وعبدالسلام بن أبى الجنوب وغيرهم.

و يعلق الباحث قائلا: فالامام إبن ماجه تساهل فى الرواية من أجل ايجاد طرق جديدة تعود بالنفع والفائدة على الطرق الأخرى التى روى به غيره من العلماء ولذا لم يلزم نفسه بالاخراج عن صنف معين من العلماء[(١)]

هل فى سنن ابن ماجه أحاديث موضوعة؟

قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء:

(قد كان ابن ماجه حافظا ناقداً صادقاً، واسع العلم، وإنما غض من رتبة سننه ما فى الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات.

و قول أبى زرعه - إن صح - فإنما عنى بثلاثين حديثاً، الأحاديث المطروحة الساقطة وأما الحاديث التى لا تقوم بها حجة،فكثيرة لعلها نحو الألف[(٢)]

---

(١) حسين قاسم محمد : الامام بن ماجه فى سننه : ص ٥٢ و ص ٥٣ رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٧٩، ٢٧٨).

هل حدث اختلاف فى إعداد سنن ابن ماجه من الكتب الستة؟

قال اليافعى فى مرآة الجنان(١): كتابه - ابن ماجه- فى الحديث أحد الكتب الستة التى هى أصول الحديث وأمهاته، قلت: - أى: اليافعى _ هكذا قال الذهبى، وهو مذهب بعض المحدثين. ومذهب بعضهم وبه قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله: إن أمهات الحديث خمسة: صحيحا البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى والذين قالوا هى ستة اختلفوا فبعضهم يقول: السادس هى سنن ابن ماجه المذكور وبعضهم يقول: هو الموطأ(٢)

و فى مفتاح السعادة: اعلم أن الإمام النووى -رحمه الله- عد الكتب الأصول خمسة وهى هذه الخمسة: البخارى - مسلم - أبوداود- الترمذى - النسائى- إلا أن الجمهور جعلها ستاً، وقد عد منها موطأ الإمام مالك... وعد بعضهم بدل الموطأ كتاب ابن ماجه(٣).

شروح سنن ابن ماجه:

يتضح من خلال البحث أن هذا الكتاب لم ينل حقه من الشرح والتمحيص والدراسة والتحليل، أعنى بذلك مثل ما اهتم العلماء بكتاب البخارى أو مسلم أو أبى داود وسننه والترمذى... إلخ. فهذه الكتب نالت حظاً أوفر ونصيباً أكبر من العلماء.

فمن شروحه:

١- شرح قطعة منه علاء الدين مغلطاى بن قليج المتوفى سنة ٧٦٢ (الإعلام بسنته عليه السلام).

٢- مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه للحافظ جلال الدين السيوطى.

٣- شرح الحافظ برهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبى سبط ابن العجمى المتوفى سنة (٨٤١ هـ)

---

(١) مرآة الجنان (٢/ ١٨٨).

(٢) مفتاح السعادة (٢/ ١٣٩).

(٣) ابن يزيد القزوينى : سنن ابن ماجه : جـ ١ من صـ ١٨ _ ٢١ بيروت ١٩٩٨م.

٤- الديباجة على سنن ابن ماجه كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى سنة ٨٠٨ فى نحو خمس مجلدات.

٥- شرح زوائده. سراج الدين عمر بن على بن الملقن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤ وهو (ما تمس إليه الحاجة على سنن ابن ماجه) ألحق فى خطبته بيان من وافقه من باقى الأئمة الستة مع ضبط المشكل من الأسماء والكنى وما يحتاج إليه من الغرائب مما لم يوافقه الباقين(١).

٦- كفاية الحاجة فى شرح ابن ماجه (حاشية السندى) لأبى الحسن بن عبدالهادى السندى المتوفى سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٤م.

٧- رفع العجاجة مع ترجمة هندوستانية تأليف مولوى وحيد الزمان طبع بالقاهرة سنة ١٣١٣هـ.

٨- (إنجاح الحاجة) تأليف عبدالغنى الدهلوى طبع فى دلهى سنة ١٢٨٢هـ.

٩- (مفتاح الحاجة) تأليف محمد بن بن عبدالله بنجابى جزاروى طبع فى لكنو سنة ١٣١٥هـ.

١٠- ما تدعو إليه الحاجة على سنن ابن ماجه تأليف شمس الدين أبى الرضا محمد بن الحسن الزبيدى الشافعى.

١١- تعليق الحافظ البرهان الحلبى على سنن ابن ماجه معهد المخطوطات بالقاهرة ضمن مختصر الغوامض والمبهمات.

١٢- مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه تأليف أحمد بن أبى بكر بن اسماعيل الكنانى البوصيرى.

١٣- المجرد فى أسماء رجال كتاب سنن أبى عبدالله بن ماجه كلهم سوى من أخرج له منهم فى أحد الصحيحين(٢). تأليف: شمس الدين الذهبى ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨م.

---

(١) كشف الظنون (٢/ ١٠٠٤).

(١) (تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين (١/ ٢٨٨، ٢٨٧).

وصف كتاب السنن لابن ماجه:

قال الحافظ ابن كثير: يشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً، وألف وخمسمائة باب وعلى أربعة آلاف حديث، كلها جياد سوى اليسيرة[1].

و فى سير أعلام النبلاء للذهبى عدد كتب (سنن) ابن ماجه اثنان وثلاثون كتاباً.

و قال أبو الحسن القطان فى السنن ألف وخمسمائة باب، وجملة ما فيه أربعة آلاف حديث[2].

إحصاء لأحاديث سنن ابن ما جه وتصنيفها:

و لقد وقعت جملة أحاديث السنن فى ٤٣٤١ حديثاً من هذه الأحاديث ٣٠٠٢ حديثاً أخرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم وباقى الأحاديث وعددها ١٣٣٩ هى الزوائد على ما جاء بالكتب الخمسة، أو بعضهم.

و بيان الزوائد:

٤٢٨ أحاديث رجالها ثقات، صحيحة الإسناد.

١٩٩ أحاديث حسنة الإسناد.

٦١٣ أحاديث ضعيفة الإسناد.

٩٩ أحاديث واهية الإسناد أو منكرة أو مكذوبة.

و إن كتاباً يجمع بين دفتيه ٣٠٠٢ حديثاً يرويها أصحاب الكتب الخمسة فى كتبهم. ثم يجئ ابن ماجه يرويها كلها عن طرق غير طرقهم. وكل الطرق يؤيد بعضها بعضاً مما يعطى للأحاديث قوة فوق قوتها، ثم يضيف إلى عددها ٤٢٨ حديثاً صحيحة الإسناد رجالها ثقات و١٩٩ حديثاً حسنة الإسناد - لهو كتاب له قيمته لو اقتصر على هذه المزية فقط.

---

(١) البداية و النهاية (١١/ ٥٢)

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٠).

الفصل السابع

الإمام النسائى

أولاً : اسمه ونسبه :

هو الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار الخرسانى النسائى(١)، القاضى الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام أحد الأئمة المبرزين، والحفاظ المتقنين، والأعلام المشهورين والمقدم على أشكاله وأضرابه وفضلاء دهره.

ثانياً : مولده :

ولد بمدينة نسا(٢) بخراسان _ والذى عليه أغلب المؤرخين وكتاب التذاكر والحفاظ أن " النسائى " نسبة إلى مدينة نسا بخراسان وكان مولده سنة خمس عشرة ومائتين.

ثالثاً : طلبه للعلم :

بدأ إمامنا طلب العلم فى بداية صباه حيث تؤكد المصادر التاريخية التى ترجمت سيرته أنه بدأ رحلاته العلمية فى سنة ثلاثين ومائتين، وكان عمره آنئذ خمسة عشر سنة، وأنه رحل إلى قتيبة بن سعيد محدث خراسان فأقام عنده ببغلان(٣) سنة، فأكثر عنه الرواية حتى بلغت روايته عنه فى " سننه الصغرى " حوالى ٦٨٢ رواية تقريباً (٤) - ثم بدأ رحلاته العلمية - فارتحل إلى الحجاز والعراق والشام والجزيرة والثغور حيث اشتغل بسماع الحديث والاجتماع بالأئمة الحذاق ومشايخه الذين روى عنهم إلى أن أراد له الله جلت حكمته الاستقرار

---

(١) ترجم له في : البداية والنهاية لابن كثير : ١١ / ١٢٣ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ٢ / ٦٩٨ _ تهذيب التهذيب لابن العماد الحنبلي ١ / ٣٦ ، الرسالة المستطرفة للكتاني شذرات الذهب للحنبلي ٢ / ٢٣٩ _ طبقات الشافعية للسبكي ٣ / ١٤ ، طبقات القراء لابن الجزري ١ / ١٦ ، العبر ٢ / ١٢٣ ، العقد الثمين ٣ / ٤٥ ، وفيات الأعيان ١ / ٢١ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٠٦ .

(٢) النسائي : بفتح النون والسين المملة وبعد الألف همزة وياء النسب هذه النسبة إلى بلد بخراسان يقال لها نسا ، والنسبة المشهورة إلى هذه البلدة النسوي والنسائي .. السمعاني : الأنساب : باب النون والسين : ص ٤٨٣ ج ٥ والسيوطي طبقات الحفاظ ص ٣٠٦ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء : جـ ١١ ص ١٩٤ .

(٣) بغلان : بلدة بنواحي بلخ _ نقلاً عن الذهبي : سير أعلام النبلاء : ص ١٩٤ .

(٤) رجاء حزين : النسائي وجهوده في نقد الرجال : جـ ١٠ _ جـ ١١ مصر ١٩٩٦ م .

بأرض الكنانة، وكان قد دخلها طالباً قبل أن يكون عالماً، وطاب له المقام فيها وراح ينهل من علمائها وفضلائها ومحدثيها.. حتى صار أفقه مشايخ مصر فى عصره وأعلمهم بالحديث والرجال(١).

وانتشرت بمصر تصانيفه وعلا صيته وذكره بين العلماء فتوافدوا عليه ليأخذوا منه ويستمعوا له. ويرى البعض أنه ألف كتابه السنن بمصر، وأنه يتبين من حسن تصنيفه له وجودة أسلوبه وترتيبه وتبويبه أنه حذا حذو المصريين فى التأليف والجمع.. ويقول الزر كلى فى ترجمته للنسائى: إنه حينما فاضت فضائله وذاع صيته وعلا مقامه فى مصر وتولى قضاءها ومشيخة الإسلام فيها حسده نفر من مشايخها خاصة بعد أن كثرت فى حقه مقولة التشيع، الأمر الذى عجل رحيله وتسبب فى خروجه، وإضطر أن يترك مصر فى ذى القعدة سنة اثنين وثلاثمائة وتوجه منها إلى دمشق(٢).. ولم تنقطع الرحلة من حياته فقد كان يخرج طالباً للعلم ومجاهداً فى سبيل الله ومعلماً للمجاهدين، قال مأمون المصرى المحدث: خرجنا إلى طرسوس (مدينة فى تركيا) مع النسائى سنة الفداء فاجتمع جماعة من الأئمة: عبد الله بن حنبل، ومحمد بن إبراهيم بن مربع وأبو الآذان وكليجه، فتشاوروا فيمن ينتقى لهم على الشيوخ فأجمعوا على أبى عبد الرحمن النسائى وكتبوا كلهم بانتخابه. (٣)

رابعاً:

شيوخه :

تتلمذ الإمام النسائى على شيوخ عظام فى عصره نذكر منهم: إسحاق بن راهويه، وهشام بن عمار، ومحمد بن النضر بن مساور، وسويد بن نصر، وعيسى بن حماد زغبة، وأحمد بن عبدة الضبى، وأبى الطاهر بن السرح، وأحمد بن

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ١١ ، ص ١٢٤ .

(٢) خير الدين الزركلي : الإعلام : جـ ١ ، ص ١٧١ .

(٣) رجاء مصطفى حزين : النسائي وجهوده في نقد الرجال : ص ١٠ .

منيع، وإسحاق بن شاهين، وبشر بن معاذ العقدى، وبشر بن هلال الصواف، وتميم بن المنتصر، والحارث / مسكين، والحسن بن الصباح البزار، وحميد بن مسعدة، وزياد بن أيوب، وزياد بن يحيى الحسانى وسوار بن عبد الله بن أحمد اليربوعى، وعبد الأعلى بن واصل، وعبد الجبار بن العلاء العطار، وعبد الرحمن بن عبيد الله الحلبى، ابن أخى الإمام، وعبد الملك بن شعيب بن الليث، وعبدة بن عبد الله الصفار، وأبى قدامة عبيد الله بن سعيد، وعتبة بن عبد الله المروزى، وعلى بن حجر، وعلى بن سعيد بن مسروق الكندى، وعمار بن خالد الواسطى، وعمران بن موسى القزاز، وعمرو بن زرارة الكلابى، وعمرو بن عثمان الحمصى، وعمرو بن على الفلاس، وعيسى بن محمد الرملى، وعيسى بن يونس الرملى، وكثير بن عبيد، ومحمد بن أبان البلخى، ومحمد بن آدم المصيصى، ومحمد بن إسماعيل بن علية قاضى دمشق، ومحمد بن بشار، ومحمد بن زنبور المكى، ومحمد بن سليمان لوين، ومحمد بن عبد الله بن عمار، ومحمد بن عبد الله المخرمى، ومحمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة، ومحمد بن عبد الملك بم أبى الشوارب، ومحمد بن عبيد المحاربى، ومحمد بن العلاء الهمدانى، ومحمد بن قدامة المصيصى الجوهرى، ومحمد بن مثنى، ومحمد بن مصفى، ومحمد بن معمر القيسى، ومحمد بن موسى الحرشى، ومحمد بن هشام البعلبكى، وأبى المعافى محمد بن وهب، ومجاهد بن موسى، ومحمود بن غيلان، ومخلد بن حسن الحرانى، ونصر بن على الجهضمى، وهارون بن عبد الله الحمال، وهناد بن السرى، والهيثم بن أيوب الطالقانى، وواصل بن عبد الأعلى، ووهب بن بيان، ويحيى بن درست البصرى، ويحيى بن موسى خت، ويعقوب الدورقى، ويعقوب بن ماهان البناء، ويوسف بن حماد المعنى، ويوسف بن عيسى الزهرى، ويوسف بن واضح المؤدب، وخلق كثير، وآل أن يروى عن رفائقه.

وكان من بحور العلم، مع الفهم، والإتقان، والبصر، ونقد الرجال، وحسن التأليف.

خامساً:

تلاميذه :

توافد على إمامنا تلاميذه من جميع الأعمار والأمصار ينهلون من فضله وأمانته وفقهه وغزارة معرفته بعلم الحديث وعلو إسناده فيه.. وذكرت كتب الطبقات والسير تلاميذ وخلق كثير للإمام نذكر منهم :-

ابنه عبد الكريم بن أحمد بن شعيب (توفى سنة ٣٤٤ هـ)، وأبو بكر أحمد بن عمر بن إسحاق بن السنى (توفى سنة ٣٦٤ هـ) وأبو على الحسن بن الخضر الأسيوطى (توفى سنة ٣٦١ هـ) والحسن بن رشيق العسكرى (توفى سنة ٣٧٠ هـ) وأبو الحسن عمر بن عبد الله بن ذكريا بن حيوية (توفى سنة ٣٦٦ هـ)، ومحمد بن معاوية الأحمر الأندلسى (توفى سنة ٣٥٨ هـ)، ومحمد بن قاسم بن سيار القرطبى (توفى سنة ٣٢٧ هـ) وعلى بن جعفر الطحاوى (توفى سنة ٣٥١ هـ)، وأبو بكر أحمد بن محمد بن المهندس (توفى سنة ٣٨٥ هـ).

كما روى عنه أيضاً أبو بشر الدولابى من أقرانه (توفى سنة ٣١٠ هـ) والإمام الحافظ أبو حاتم بن حبان البستى (توفى سنة ٣٥٤ هـ) والحافظ عوانه يعقوب ابن إسحاق الاسفراييني (توفى سنة ٣١٦ هـ) والعلامة أبو جعفر الطحاوى الحنفى (توفى سنة ٣٢١ هـ) وأبو القاسم الطبرانى (توفى سنة ٣٦٠ هـ) وأبد أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى (توفى سنة ٣٦٥ هـ) وأبو جعفر محمد المعروف بابن النحاس (توفى سنة ٣٣٨ هـ)، وأبو على النيسابورى[(١)] (توفى سنة ٣٤٧ هـ) وقاسم بن ثابت السرقسطى صاحب الدلائل (توفى سنة ٣٠٢ هـ) وأبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلى (توفى سنة ٣٢٢ هـ) صاحب الضعفاء الكبير.

---

(١) الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١١ ص ١٩٥ _ ١٩٦ .

سادساً :

صفاته ومذهبه :

أقام إمامنا أثناء معيشته فى مصر فى زقاق القناديل... ويصفه الإمام الذهبى بقوله: كان نضر الوجه مع كبر السن، جميل المحيا كأن فى وجهه قنديل ـ ورغم شيخوخته فقد كان مهيباً مليح الوجه ظاهر الدم، حسن الشيبة، صحيح الجسم، يؤثر لبس البرود النوبية الخضراء، إعترف له مشايخ مصر بالتقدم والأمانة ويصفون من اجتهاده فى العبادة بالليل والنهار وإقامته السنن المأثورة واحترازه من مجالس السلطان ومواظبته على الجسم والجهاد وقالوا: وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان له أربع زوجات وسرتيان. قال ابن يونس عنه: كان النسائى إماماً فى الحديث ثقة ثبتاً حافظاً[1]. وكان رحمه الله آخر شعلة من أئمة الحديث الستة وأفقه مشايخ مصر فى عصرهم وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال.[2] ووصفه الذهبى بأنه كان أحفظ من مسلم ـ وكان شيخ خراسان فى وقته مقدماً فى فقهه وحفظه وأدبه وثقته وثبته، قلبت عليه أحاديث وعرضت فردها كما كانت ورويت.[3]

سابعاً :

عقيدته :

كان إمامنا على مذهب أهل السنة والجماعة وذكر أغلب كتاب الطبقات أنه كان شافعياً يشهد له بذلك كتبه التى ألفها على مذهب الإمام الشافعى. كما نسب إليه ميل إلى التشيع مع اعتدال فيه، فقد قال الإمام ابن تيمية (توفى فى سنة ٧٣٨ هـ) وتشيع بعض أهل العلم بالحديث، كالنسائى وابن عبد البر وأمثالهما لا يبلغ إلى تفضيل عَلىّ على أبى بكر وعمر، ولا يعرف فى أهل الحديث

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ١١ ص ١٢٣ .

(٢) السيوطي : طبقات الحفاظ : ص ٣٠٦ .

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب : ج ١ ص ٢٤١ .

من يقدمه عليهما[1]، وقد أورد الإمام الذهبى تأكيداً لشافعيته فقال: كان شافعياً له مناسك على مذهب الشافعى، وكان ورعاً متحرياً. قيل إنه أتى الحارث بن مسكين فى زى أنكره، عليه قلنسوة وقباء، وكان الحارث خائفاً من أمور تتعلق بالسلطان، فخاف أن يكون عيناً عليه، فمنعه فكان يجىء، فيقعد خلف الباب ويسمع، ولذلك ما قال: حدثنا الحارث، وإنما يقول: قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع..[2] هذا وكان لكتابه عن عَلىّ بن أبى طالب " خصائص عَلىّ دوى هائل بين فرق الشيعة حتى عدوه من سادتهم وأعيانهم. ولما سئل الإمام عن عقيدته فى الشيخين يوم زار دمشق قال: دخلت دمشق والمنحرف فيها عن عَلىّ كثير فصنفت كتاب " الخصائص " رجوت أن يهديهم الله لكنه وحتى يعرف عنه العدل فى الأقوال والأفعال صنف بعد ذلك كتاباً عن فضائل الصحابة.

ثامناً :

أقوال أهل العلم عنه :

قال الحاكم أبو عبد الله: النسائى أفقه مشايخ أهل مصر فى عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال، ونقل الحاكم عن الدراقطنى أنه قال: أبو عبد الرحمن النسائى مُقَدَّمٌ على كل من يذكر بهذا العلم _ علم الحديث _ من أهل عصره، وكان يسمى كتابه بـ(الصحيح).

وقال أبو على النيسابورى: حدثنا الإمام فى الحديث بلا مدافعة أبو عبد الرحمن النسائى. وكان يقول أيضاً: للنسائى شرطاً فى الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج.

وقال ابن طاهر: سألت سعد بن على الزنجانى عن رجل فوثقه، فقلت قد ضعفه النسائى فقال: يا بنى إن لأبى عبد الرحمن شرطاً أشد من شرط البخارى ومسلم.

---

(١) نقلاً عن : رجاء مصطفى حزين : النسائي وجهوده في نقد الرجال .

(٢) الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء : جـ ١١ ص ١٩٨ .

ويصفه الذهبى فيقول: كان من بحور العلم مع الفهم والإتقان، والبصر ونقد الرجال، وحسن التأليف... ورحل الحفاظ إليه، ولم يبق له نظير فى هذا الشأن.(١)

وقال عنه الحافظ أبو سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر: كان إماماً حافظاً ثبتاً.

والإمام الذهبى يقدمه على مسلم وأبى داود وأبى عيسى الترمذى، ومن باب أولى على ابن ماجه فى معرفة العلل والرجال ويقول: هو جار فى مضمار البخارى وأبو زرعة.(٢)

والإمام النسائى من الذين حملوا لقب شيخ الإسلام الذى لم ينله على مدار التاريخ الإسلامى أيِ من أعلام الأعلام.

كما وصفه ابن كثير فقال: قد أبان فى تصنيفه عن حفظ وإتقان، وصدق وإيمان، وعلم وعرفان(٣).

وقال ابن عدى: سمعت منصوراً الفقيه وأبا جعفر الطحاوى يقولان: أبو عبد الرحمن إمام من أئمة المسلمين(٤).

وقال الدارقطنى: " أبو عبد الرحمن مُقَدَّمٌ على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره "(٥).

وقال ابن منده: الذين أخرجوا الصحيح وميزوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة: البخارى ومسلم، وبعدهما أبو داود والنسائى، وقال حافظ أبو يعلى الخليلى فى الإرشاد: حافظ متقن.. رضيه الحفاظ.. اتفقوا على حفظه وإتقانه، وَيُعْتَمَدُ قوله فى الجرح والتعديل.(٦)

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٩ ص ١٧٢ .

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ج ٢ص ٨٣ ، سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ١٢٥ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ١٢٣ .

(٤) التقييد لابن نقطة ج ١ ص ١٥١ .

(٥) معرفة علوم الحديث للحاكم .

(٦) الإرشاد في معرفة علماء البلاد ج ١ ص ٤٣٦ .

وقال عبد الكريم الرافعى فى التدوين(١): النسائى.. صاحب الكتاب المعروف بالسنن، وفيه دلالة واضحة على وفور علمه وحسن ترتيبه وتلخيصه وقوة نظره فى استنباط المعانى التى تفصح عنها تراجم الأبواب.

وقال المزى " أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين والأعلام المشهورين طاف البلاد.... "(٢).

أما عن مكانته وحذقه لعلم الجرح والتعديل(٣) فقد قال الحاكم: سمعت أبا الحسن الدارقطنى غير مرة يقول " أبو عبد الرحمن النسائى مقدم على كل من يذكر بعلم الحديث ويجرح الرواة وتعديلهم فى زمانه.

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس صاحب تاريخ مصر: " إن النسائى كان إماماً فى الحديث ثقة ثبتاً حافظاً قدم مصر وأقام فيها مدة طويلة ظهر كنذر ضيائه، وانكشف القناع عن رموز خفياته، قدح العلماء زنده فأورى فإنقاد إليه وحظى لديهم بالمنزلة السامية.(٤)

وقال ابن الصلاح(٥): " النسائى إمام حجة فى الجرح والتعديل "، وقال الذهبى عنه: الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام ناقد الحديث، وكان من بحور العلم مع الفهم والإتقان والبصر ونقد الرجال وحسن التأليف.

وقال أيضاً: " ولم يكن أحد فى رأس الثلاثمائة أحفظ من النسائى وهو أحفظ بالحديث، وعلله ورجاله من مسلم، ومن أبى داود ومن أبى عيسى، وهو جار فى مضمار البخارى وأبى زرعة.(٦)

---

(١) التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين ج ٢ ص ١٩٧ .

(٢.) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٢٩ .

(٣) هو علم يبحث في أحوال الرواة جرحاً وتعديلاً بألفاظ مخصوصة لقبول رواياتهم أو ردها . ويذهب هذا المذهب حاجي خليفة فيقول " هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة والجرح عند أهل الحديث : هو الطعن في راوي الحديث بما يخل بعدالته أو ضبطه .. أما التعديل : فهو تزكية الراوي والحكم عليه بأنه عدل أو ضبط وله تعريف آخر : الجرح هو رد الحافظ المتقن رواية الراوي لعلة قادحة فيه أو في روايته من فسق أو تدليس أو كذب أو شذوذ ونحوها .. وأما التعديل : فهو وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته . د / رجاء حزين : النسائي وجهوده في نقد الرجال ص ٢٥ .

(٤) جلال الدين السيوطي : شرح ـ السنن النسائي (ج) طبع دار إحياء التراث العربي .

(٥) مقدمه ابن الصلاح ـ ٤ الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ١٧٠ .

(٦) كتاب تهذيب التهذيب : ج ١ ص ٣٩ .

ويقول عنه الحافظ بن حجر: أمناء الله عز وجل على علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة: شعبة ابن الحجاج ويحيى ابن سعيد القطان ومالك بن أنس قال والثورى إمام إلا أنه كان يروى عن الضعفاء، قال: وما أحد عندى بعد التابعين أنبل من مالك بن أنس ولا أحد آمن على الحديث منه، ثم شعبة فى الحديث، ثم يحيى بن سعيد القطان ليس أحد آمن على الحديث من هؤلاء الثلاثة، ولا أقل رواية عن الضعفاء منهم(1).

تاسعاً :

أهم مؤلفاته :

قال ابن الأثير: " له _ يعنى النسائى _ كتب كثيرة فى الحديث والعلل وغير ذلك " ومن هذه الكتب :

١- السنن الكبرى.

٢- السنن الصغرى المسمى " المجتبى ".

٣- الضعفاء والمتروكين.

٤- كتاب الطبقات.

٥- تفسير القرآن الكريم.

٦- خصائص عَلىّ.

٧- مناسك الحج.

٨- فضائل الصحابة.

٩- عمل اليوم والليلة.

١٠- تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده أهل المدينة.

١١- كتابة الإغراب.

وقد طبع من مصنفات الحافظ النسائى:

- السنن (رواية ابن السنى) طبعة بولاق بمصر سنة ١٢٧٦.

---

(١) نقلاً عن د / رجاء حزين : النسائي وجهوده في نقد الرجال : ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) جامع الأصول ج ١ ص ١١٥ .

ولو كهنو بمصر سنة ١٢٨٥، والمطبعة النظامية بكانفور سنة ١٢٩٩(وهى أصح طبعة) ولاهور سنة ١٣٠٢، والمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٢، ومطبعة مصطفى الحلبى بمصر سنة ١٣٤٨.

٢- خصائص على ابن أبى طالب :

المطبعة السلطانى لاهور سنة ١٣٠٢، المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٨، وعالم الكتب بيروت سنة ١٤٠٣، ودار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٥، ١٤٠٦.

٣- كتاب الضعفاء والمتروكين (رواية ابن رشيق) دار الوعى بحلب سنة ١٣٦٩ هـ، ومؤسسة الكتب الثقافية. بيروت ١٤٠٥ هـ.

٤- تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد (رواية ابن رشيق) المطبعة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٩ هـ، ودار الوعى بحلب سنة ١٣٩٦ هـ ومؤسسة الكتب الثقافية _ بيروت ١٤٠٢ هـ.

٥- ذكر من حدث عنه ابن أبى عروبه ولم يسمع منه (رواية ابن رشيق) دار الوعى بحلب سنة ١٣٩٦ هـ، والمكتبة الأثرية بلا هور - بدون ذكر سنة الطبع ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٤٠٥ هـ.

٦- تسمية فقهاء الأمصار من الصحابة فمن بعدهم (رواية ابن رشيق) مطبعة شمس أكره بحيدر آباد - الدكن - ١٣٢٣ هـ - والمكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٩ هـ.

٧- كتاب الطبقات (رواية ابن رشيق) طبقات الكتاب _ السابق.

٨- السنن الكبرى - الدار القيمة - بمباى سنة ١٣٩١ هـ (الجزء الأول) ثم بدأ فى طبعه كاملاً.

٩- فضائل القرآن الكريم: دار الثقافة بالدار البيضاء ١٤٠٠ هـ وعنها مؤسسة الكتب الثقافية _ بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٠- فضائل الصحابة: دار الثقافة بالدار البيضاء ١٤٠٤ هـ. وعنها دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ.

١١- عمل اليوم والليلة: الرئاسة العامة للإفتاء بالسعودية سنة ١٤٠١ هـ وصورتها: مؤسسة الرسالة _ بيروت ١٤٠٦ هـ وعنها: دار الكتب الثقافية _ بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٢- وفاة النبى صلى الله عليه وسلم: مكتبة التراث الإسلامى.

١٣- عشرة النساء الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ مكتبة السنة.

١٤- تفسير النسائى الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ مكتبة السنة.

١٥- الجمعة: دار التراث الإسلامى(١).

هذا وقد جمع الإمام النسائى فى سننه كل ما يتعلق بالحياة الدينية من أحاديث على وجه التفضيل والاستقصاء. حتى لقد ذكر جميع الأدعية التى تقال فى الركوع والسجود وما بين ذلك، كما روى أحاديث كثيرة لما يقال فى الاستعاذات ونحوها.. وأورد فى أبواب التشريع صيغاً ونصوصاً مما يجرى فى جميع أنواع المعاملات وما شاكل ذلك..(٢)

قال الحاكم: كلام النسائى علىّ فقه الحديث كثير، ومن نظر فى سننه تحير فى حسن كلامه.(٣)

وقال الإمام عبد الله بن رشيد: كتب النسائى أبدع الكتب المصنفة فى السنن تصنيفاً وأحسنها ترصيفاً، وكان كتابه جامعاً بين طريقى البخارى ومسلم مع حظ كبير فى بيان العلل، وفى الجملة فكتاب السنن أقل الكتب بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً ورجلاً مجروحاً، ويقاربه كتاب أبى داود، وكتاب الترمذى(٤).

ونخلص مما سبق إلى أن الإمام النسائى فى كتابه " المجتبى " كان شديد التحرى والحيطة فجاء كتابه أقل السنن الأربعة ضعيفاً، واعتبر كتابه هذا من أجل كتب السنة الموثقة والمعتمدة وأصولها المشهورة الموثوق بها.(٥)

---

(١) د / رجاء حزين : النسائي وجهوده في نقد الرجال : ص ١٩ _ ٢٠ _ ٢١ .

(٢) بر وكلمان : تاريخ الأدب العربي : ت د / النجار ج ٣ ص ١٩٦ دار المعارف .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء : ج ١١ ص ١٣٠ .

(٤) مقدمة سنن النسائي : ص ٤ .

(٥) د / محمد مصطفى سالم : بحوث في مناهج المحدثين : ص ٣٠٢ _ ٣٠٣ ط . مصر ٢٠٠١ م .

عاشراً :

وفاته :

هناك إجماع بين كتاب الطبقات والسير على أن وفاته كانت سنة ثلاث وثلاثمائة _ واختلفوا فى ضربه ومكان دفنه _ ويذكر أن النسائى خرج من مصر أواخر عمره واتجه إلى دمشق حيث سئل عن فضائل معاوية بن أبى سفيان فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتى يفضل؟ وقال أى شىء أخرج معاوية؟ أحديث اللهم لا تشبع بطنه؟ فما زالوا يدفعونه فى خصييه حتى أخرج من المسجد فاعتل على إثر ذلك فقال: إحملونى إلى مكة وتوفى بها ودفن بين الصفا والمروة وذلك فى شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة.. بينما يذكر ابن كثير أن خروجه من مصر كان فى سنة اثنين وثلاثمائة[1] وأن وفاته حدثت عام ثلاث وثلاثمائة.. ويقول الإمام الذهبى عن وفاته: قال الدارقطنى: خرج حاجاً فامتحن فى دمشق، فأدرك الشهادة، فقال احملونى إلى مكة، فحمل وتوفى بها وهو مدفون بين الصفا والمروة، وكانت وفاته فى شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة[2].

رحم الله شيخنا وإمامنا وأسكنه فسيح جناته..

إنه نعم المولى ونعم النصير

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ج١١ ص ٢٠ .

الفصل الثامن

الإمام ابن خزيمة

أولاً :

الحياة السياسية والاجتماعية لعصر الإمام :

اتسم العصر العباسى الذى عاش فيه الإمام ابن خزيمة رحمه الله (٢٢٣ هـ - ٣١٠ هـ) بأنه عهد بداية تفكك الدولة العباسية حيث ازداد فيه تسلط المماليك من الأتراك، الذين اعتمد عليهم الخليفة المعتصم العباسى وولاهم إمرة جيشه وحرسه وإدارة دولته، فاستفحل نفوذهم حتى سيطروا على كافة نواحى الحياة وإدارة الدولة فى العراق واستبدوا بالسلطة، وأصبح خلفاء بنو العباس ألعوبة فى أيديهم يعينون ويختارون من يشاءون ويعزلون وينفون من يغضبون.

وزاد الطين بلة ووحلاً قاتلاً تفاقم خطر الدول المستقلة التى انتزعت _ بقوة السيف من جسد الخلافة الأم، وظهرت عدة دول انتشرت انتشار الهشيم فى أنحاء الخلافة العباسية، وظهرت دولة بنو بويه فى فارس والرى وإصفهان، واستقل الحمدانيون بالموصل وديار بكر وربيعه ومصر، واستقل محمد ابن طخج الإخشيدى بمصر والشام واستحوذ نصر ابن أحمد السامانى على خراسان.

وقد زاد التنازع والتشاحن والاقتتال بين أفراد البيت العباسى زاد من ضعفهم وزوال هيبتهم. فتولى الغلمان أمرها، كما حدث فى عهد المقتدر العباسى فساءت الأحوال وخربت الديار وكان إقليم نيسابور _ حيث مولد الإمام ابن خزيمة، إقليما انفصالياً تعاقبت عليه بعض الدول التى نازعت بنى العباس سلطانهم، وكانت نيسابور _ آنئذ واحدة من مدن إقليم خراسان.. وقد تعاقبت دول عدة على حكم هذا الإقليم أثناء حياة الإمام ومنها الدول الآتية :

١- الدولة الطاهرية (٢٠٥ _ ٢٥٩ هـ / ٨٢٠ _ ٨٧٢ م) :

وهى التى أسسها طاهر بن الحسين أحد قواد المأمون الثقاة، وقد ولاه حكم خراسان (سنة ٢٠٥ هـ) - أى قبل مولد الإمام ابن خزيمة بثمانية عشرعاماً، وصارت خراسان فى عهد الطاهريين مركزاً من مراكز الثقافة الإسلامية، بعد أن ساد الأمن والأمان المنطقة وحكموا بين الناس بما أنزل الله وضربوا على أيدى

المارقين بيد من حديد وأصبحت نيسابور - فى عهدهم قبلة لطلاب العلم والمعرفة، وأثر هذا بدوره على المسيرة العلمية لإمامنا، فنهل من مناهل العلم وينابيع الثقافة التى ولد فى ربوعها إبان عهد هذه الدولة الفتية التى انتهت عام تسع وخمسين ومائتين - إبان ريعان شباب إمامنا رحمه الله وحل محلها الدولة الصفارية (٢٥٤ _ ٢٨٩ هـ / ٨٦٧ _ ٩٠٣ م).

وهى تعد امتداداً لحركات الاستقلال عن الخلافة الأم - والتى بسطت سيطرتها ونفوذها على الشق الجنوبى من إيران - وأسسها يعقوب بن الليث الصفارى الذى انتهز فرصة ضعف الخلافة العباسية واضطراب الأحوال السياسية فغلب على إقليم إيران الجنوبية وضم إليه فارس وخراسان وأسقط الدولة الطاهرية وفتح بغداد ووضع الخلافة تحت نفوذه _ إلى أن تصدى له الخليفة المعتمد العباسى وهزمه واعتبره خارجاً على أمير المؤمنين وساعياً للفساد حتى ظهرت إلى الوجود :

٢- الدولة السامانية (٢٦١ _ ٣٨٩ هـ / ٨٧٤ _ ٩٩٩ م) :

والتى قامت فى إقليم ما وراء النهر وامتدت إلى إيران وبسطت سلطانها على خراسان وضمت إلى حدودها طبرستان والرى وسجستان.

وقد امتاز العصر السامانى بنهضة علمية وأدبية رائعة مكنتهم من لعب دور حضارى وسياسى بارز، وجعلت عاصمتهم بخارى واحدة من أهم المراكز العلمية الإسلامية، واتجهوا إلى إحياء الثقافة الفارسية والأدب الفارسى، وظهرت فى عهدهم الكتابة باللغة الفارسية إلى جانب الكتابة باللغة العربية _ وشهد العصر السياسى لهذه الدولة امتداد النفوذ الإسلامى إلى بلاد الترك كما شهد حرص السامانيين على عدم الخروج يوماً عن تبعية الخلافة العباسية فى بغداد معتبرين أنفسهم أداة طيعة وسيفاً مسلطاً للعباسيين على أعدائهم.

ولهذا فإن فترة حكمهم تعد العصر الذهبى لتاريخ آسيا الوسطى الإسلامية.

وأدى إعتمادهم على العنصر التركى إلى تعرض الدولة لضغط متزايد من جهات عديدة كان أشدها وأكثرها خطراً الديلم والعلويين.. ثم تعرضت من الشرق لضغط خانات الترك الذين دخلوا فى الإسلام على يد حكام بنى سامان لينتهى الأمر بانقسام ملكها بين قوتين : الغزنويين التى اتخذت من الثغور الهندية مجالاً لسلطانها، وقوة خانات الأتراك الذين سيطروا على الثغور الشرقية فى بلاد ما وراء النهر.

وهكذا يتبين لنا الصورة الكاملة للبيئة السياسية التى عاش فيها إمامنا ابن خزيمة، مما كان له أبلغ الأثر فى نبوغه العلمى وتفوقه المعرفى.

كما يتبين لنا مما تقدم أن الإمام ابن خزيمة قد ولد فى نهاية العصر العباسى الأول وبزغت شخصيته بعلمه وفضله ونبوغه فى العصر العباسى الثانى.. حتى أننا نستطيع الزعم بأن القرن الذى عاش فيه ابن خزيمة كان قرناً زاخراً بالعلماء الذين أثروا الدعوة الإسلامية، وحافظوا على علوم الإسلام خاصة فى مدينة نيسابور وما تبعها من مدن وقرى تعاقب على حكمها الطاهريون والصفاريون والسامانيون والدول الثلاث مجتمعة شجعت العلم والعلماء وأثمر ذلك عن ظهور ما لا يحصى من رجال الحديث والفقه من أهل هذه البلاد كان منهم الإمام البخارى والترمذى وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة والبيهقى ومسلم والنسائى والدارمى السمرقندى وغيرهم الكثير.

أولاً :

اسمه ونسبه :

الحافظ الكبير الثبت إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى النيسابورى[1] الشافعى.

(١) له ترجمة في كل من : البداية والنهاية لابن كثير : ج ١١ ص ١٤٩ _ تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ٧٢٠ _ شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ص ٤٤ _ طبقات القراء لابن الجذري ج ٢ ص ٩٧ _ طبقات ابن هداية الله ص ٤٨ _ العبر ج ٢ ص ١٤٩ _ الوافي بالوفيات للصفدي : ج ٢ ص ١٩٦ _ سير أعلام النبلاء للذهبي : ج ١١ ص ٣٦٥ _ السيوطي : طبقات الحفاظ ص ٣١٢ .

ثانياً : تاريخ مولده :

ولد إمامنا سنة اثنين وعشرين ومائتين وفى قول آخر سنة ثلاث وعشرين ومائتين. وعن الاختلاف فى تاريخ مولده يقول الدكتور مصطفى الأعظمى محقق صحيح ابن خزيمة : " ولد إمام الأئمة فقيه الآفاق المجتهد المطلق أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابورى مولى محشر بن مزاحم فى شهر صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين بنيسابور ".. وعلى هذا فالأغلب الأعم أن إمامنا ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين بنيسابور ونشأ فيها وعنى بدراسة علم الحديث وسمع من خلق كثير.

ثالثاً : صفاته :

اشتهر إمامنا رحمه الله بالتقوى والزهد، وكان متخلقاً بأخلاق القرآن الكريم. متأدباً بآداب رسول الله ﷺ متأسياً بسنته وخلقه وسيرته العطرة، كما عرف بالسناء والجود والكرم وحتى أنه كان يتصدق حتى بملابسه حتى قيل أنه لم يلبس القميص الواحد مرتين[1]. كما عرف بالشجاعة حتى أنه رد الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى فى حديث حدثه عن أبيه وهم فى إسناده وقال قولته المشهورة : لا يحل لى أن أسمع حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خطأ أو تحريف ولا أرده.[2]

رابعاً : وفاته :

رحل إمامنا عن الدنيا ليلة السبت الثانى من ذى القعدة سنة إحدى عشر وثلاثمائة عن عمر يناهز تسعة وثمانين عاما.[3]

---

(١) مقدمة كتاب التوحيد _ لابن خزيمة _ تحقيق عبد العزيز الشهواني ص ٢٦ .
(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ١١١ .
(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٣٨٢ .

خامساً :

طلبه للعلم وشيوخه :

حرص إمامنا منذ صغره على الارتحال لطلب العلم ولقاء الفحول من العلماء وكانت بداية رحلاته العلمية وهو فى السابعة عشرة من عمره، فطاف فى بلاد المشرق الإسلامى للسماع من الكبار.

وقال الحسن الدارقطنى : كان ابن خزيمة إماماً ثبتاً معدوم النظير.. يقول الإمام الذهبى عنه : وقد كان هذا الإمام جهبذاً بصيراً بالرجال[1] له عظمة فى النفوس وجلال فى القلوب لعلمه ودينه وإتباعه السنة.

كما يذكر الذهبى أن لابن خزيمة ترجمة طويلة فى تاريخ نيسابور تكون بضعاً وعشرين ورقة من ذلك وصيته وقصيدتان رثى بهما.

سادساً :

آثاره العلمية :

يقول الإمام الحاكم أبو عبد الله النيسابورى: فضائل ابن خزيمة عندى مجموعة فى أوراق كثيرة، ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتاباً سوى المسائل، والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء "، ثم قال : " وله فقه حديث بريره فى ثلاث أجزاء[2] " هذا وقد فقدت مؤلفات إمامنا، فلم يبق منها حتى الآن إلا كتاب التوحيد ومقدار الربع من صحيحه الذى طبع مؤخراً، وكتاب آخر يسمى " شأن الدعاء وتفسير الأدعية المأثورة "، وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق ويقع تحت رقم (٦١٠ من ١١أ، ١٩ ب) من القرن السادس الهجرى، مخطوط، ومنه نسخة أخرى مخطوطة بدار الكتب المصرية وتقع تحت رقم (٢٦١ تصوف ٢٩٥) حديث تيمور ميكرو فيلم (٣٧٠٧)، وكذا بمعهد المخطوطات العربية بالجيزة. هذا وله مؤلفات أخرى يبلغ عددها خمسة وثلاثون كتاباً وهى : ١- كتاب الأشربة -

---

(١) السيوطي : طبقات الحفاظ : ص ٣١٣ .

(٢) الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٣٧٦ .

كتاب الإمامة -كتاب الأهوال - كتاب الإيمان : الإيمان والنذور - البر والصلة. التفسير - التوبة - التوكل - الجنائز - الجهاد - الدعاء - الدعوات - ذكر نعيم الجنة ذكر نعيم الآخرة - الصدقات - الصدمات من كتاب كبير - صفة نزول القرآن - المختصر من كتاب الصلاة - كتاب الصلاة الكبير - كتاب الصلاة - الصيام - الطب والرقى - الظهار - الفتن - فضل على بن أبى طالب - القدر - كتاب الكبير - اللباس - معانى القرآن - المناسك - الورع - الوصايا - وأخيراً كتاب القراءة خلف الإمام.(١)

ويرى الباحث أن هذه الكتب التى ذكرنا قد تكون أجزاءاً من كتاب كبير.. ويأتى كتاب التوحيد فى مرتبة عالية من مؤلفات الإمام خاصة وأنه جاء على الصفحة الأولى منه أنه تصنيف إمام الأئمة أبى بكر محمد بن خزيمة.

ويبحث هذا الكتاب فى عدد من قضايا علم العقيدة مثل إثبات عدد من الصفات الذاتية والفعلية لله عز وجل وإثبات إمكان رؤية الله يوم القيامة للمؤمنين دون الكافرين فى موقف القيامة وفى الجنة، وإثبات رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل وإثبات الشفاعة يوم القيامة ومسائل أخرى كثيرة.

سابعاً : آراء أهل العلم فى الإمام :

يقول عنه الإمام تاج الدين السبكى : هو " المجتهد المطلق، البحر العجاج والحبر الذى لا يخابر فى الحجى، ولا يناظر فى الحجاج، جمع أشتات العلوم وارتفع مقداره فتقاصرت عنه طوالع النجوم، وأقام بمدينة نيسابور إمامها حيث الضراغم مزدحمة، وفردها الذى رفع العلم بين الأفراد علمه والوفود تفد على ربعه لا يتجنبه منهم إلا الأشقى، والفتاوى تحمل عنه براً وبحراً، وتشق الأرض شقاً، وعلومه تسير فتهدى فى كل سوداء مدلهمة، وتمضى علما تأتم الهداة به، وكيف لا وهو إمام الأئمة.(٢)

---

(١) إبراهيم شعيب زيدان : قضايا العقيدة في فكر الإمام ابن خزيمة : ص ٢٥ رسالة ماجستير _ كلية الدعوة الإسلامية بالأزهر _ ٢٠٠٨ م .

(٢) السبكي: طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٠٩ .

ويقول القفاش الشاشى : سمعت أبا بكر الصيرفي، يقول سمعت ابن سريج يقول : ابن خزيمة يخرج النكت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنقاش وقال الربيع بن سليمان : " استفدنا من ابن خزيمة أكثر مما استفاد منا»[1]، وقال أبو الحسن الدارقطنى : " كان ابن خزيمة إماماً ثبتا معدوم النظير»[2]، وسئل عبد الرحمن بن أبى حاتم عن أبى خزيمة فقال: ويحكم، هو يسأل عنا ولا نسأل عنه وهو إمام يقتدى به.[3]

وقال السبكى : " من أراد الإحاطة بترجمته فعليه بها فى تاريخ نيسابور للحاكم أبى عبد الله.[4]

وقال الحافظ أبو على النيسابورى، لم أر أحداً مثل ابن خزيمة. وقال أبو على الحافظ : كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة.

وقال أبو حاتم ابن حبان التميمى : ما رأيت على وجه الأرض من يحفظ صناعة السند، ويحفظ ألفاظها الصحاح، وزياداتها حتى كأن السنة كلها بين عينيه الأحمدين إسحاق بن خزيمة فقط[5].

وهكذا يتبين لنا أن ابن خزيمة - رحمه الله - إتصل بأعلام عصره فأخذ عنهم ونهل من علمهم حتى بلغ ما بلغه من مرتبة عالية فى علوم الحديث والفقه، فصار مجلسه مقصد طلاب العلم، فروى عنه خلق كثير.

وقد تفقه إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله على يد جهابذة العلماء المبرزين، وأفاضل الفقهاء المحققين منهم : الإمام الفقيه الزاهد أبوإبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزنى صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه المتوفى، (سنة ٢٦٤ هـ)، والفقيه العلامة الربيع بن سليمان المرادى صاحب الإمام الشافعى، وغيرهما، تفقه وبرع فى الفقه وسمع الحديث صغيراً، ونبغ فيه وغلب عليه

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ١١٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٣٧٢ _ ٣٧٣ نشر الإمام شمس الدين ابن عثمان الذهبي _ مؤسسة الرسالة .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧٢٩ .

(٤) مقدمه صحيح بن خزيمة _ ص ١١ د / مصطفى الأعظمي .

(٥) الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء . ج ١١ ص ٣٦٢ .

الإسناد وجمع طرق الحديث وهو عارف وعالم بالجرح والتعديل المرجع إليه فيهما حتى صار إماماً مجتهداً يستنبط الأحكام.(١)

ثامناً : تلاميذه :

روى عن إمامنا علماء أعلام ومحدثون كبار منهم :

حدث عنه البخارى، ومحمد فى غير (الصحيحين)، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم _ أحد شيوخه، وأحمد بن المبارك المستملى، وإبراهيم بن أبى طالب، وأبو حامد بن الشرقى، وأبو العباس الدغولى، وأبو على الحسين بن محمد النيسابورى وأبو حاتم البستى، وأبو أحمد بن عدى، وأبو عمرو بن حمدان، وإسحاق بن سعد النسوى، وأبو حامد أحمد بن محمد بن بالويه، وأبو بكر أحمد بن مهران المقرئ، وحفيده محمد بن الفضل بن محمد بن خزيمة، ومحمد بن أحمد بن على بن نصير المعدل، وأبو بكر بن إسحاق الصبغى، وأبو سهل الصعلوكى، والحسين بن على التميمى حسينك، وبشر بن محمد بن محمد بن ياسين، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الشيبانى، وأبو الحسين بن محمد بن محمد البحيرى، والخليل بن أحمد محمد بن محمد الكرابيسى الحاكم، وأبو نصر أحمد بن الحسين المروانى، وأبو العباس أحمد بن محمد الصندوقى، وأبو الحسن محمد بن الحسين الآبرى، وأبو الوفاء أحمد بن محمد بن حمويه المزكى، وخلق كثير.

تاسعاً : شيوخه :

سمع ابن خزيمة من خلق كثير نذكر منهم : سمع من إسحاق بن راهويه، ومحمد بن حميد، ولم يحدث عنهما، لكونه كتب عنهما فى صغره وقبل فهمه وتبصره، وسمع من محمود بن غيلان، وعتبة بن عبد الله المروزى، وعلى بن حجر، وأحمد بن منيع وبشر بن معاذ وأبى كريب، وعبد الجبار بن العلاء، وأحمد بن إبراهيم الدورقى، وأخيه يعقوب، وإسحاق بن شاهين، وعمرو بن على، وزياد

---

(١) مقدمة كتاب التوحيد _ تحقيق د / هراس من ص أ إلى ص ث ، ص ج .

بن أيوب، ومحمد بن مهران الجمال، وأبى سعيد الأشج، ويوسف بن واضح الهاشمى، ومحمد بن بشار، ومحمد بن مثنى، والحسين بن حريث، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعانى، ومحمد بن يحيى، وأحمد بن عبده الضبى، ونصر بن على، ومحمد بن عبد الله المخرمى، ويونس بن عبد الأعلى، وأحمد بن عبد الرحمن الوهبى، ويوسف بن موسى، ومحمد بن رافع، ومحمد بن يحيى القطعى، وسلم بن جنادة، ويحيى بن حكيم، وإسماعيل بن بشر بن منصور السليمى، والحسن بن محمد الزعفرانى، وهارون بن إسحاق الهمدانى، وأمم سواهم، ومنهم: إسحاق بن موسى الخطمى، ومحمد بن أبان البلخى.

الفصل التاسع

الإمام ابن حبان

ابن حبان:

هو الامام العالم الفاضل المتقن المحقق الحافظ العلامة محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم التميمى البستى السجستانى , و نسبته التميمى نسبة الى تميم جد القبيله العربيه المشهورة, الذى يرتفع نسبه الى عدنان(١) فهو عربى الرومة , إلا انة أفغانى المولد.

فقد ولد فى مدينة قديمه كانت تعد من أعمال سجستان , و موقعها اليوم ضمن افغانستان الحديثة , يقال لها : بست , من أجل مدن البلاد الجبلية فى شرق سجستان على الضفه اليسرى لنهر هيلمند...

فى هذه الحقبة من الزمن (أعنى عهدى الصفاريين و السامانيين) عاش ابن حبان، فقد ولد فى عشر الثمانين و مئتين للهجرة، و لم يذكر أحد سنة ولادته تحديدا، لكنهم اتفقوا على أنه توفى سنة ٣٥٤هـ فى عشر الثمانين.

سيرته العلمية :

ليس لدينا فى المصادر نص يكشف عن أول أمره، و كيفية توجهه إلى طلب العلم، و هل كان ذلك باعتناء والده، أو أحد أقاربه، أو أحد أصحاب أسرته، أم لا، بيد أن قول الإمام الذهبى " طلب العلم على رأس الثلاث مئة " (٢)، يشير إلى أنه طلب بنفسه، وأن عمره آنذاك ينيف على العشرين عاماً، فلئن تأخر قليلاً فى الطلب، إلا أنه قد شمر عن ساق الجد ماأطاق، عدته فى ذلك همة عالية قربت إليه المسافات البعيدة، وأدنت إليه البلاد النائية، فرحل إلى شيوخ وقته فى بلادهم، و قصد أجلة علماء زمانه فى مدنهم و قراهم، ليدرك الأسانيد العالية، فتطلب ذلك أن يرحل إلى أكثر من أربعين بلداً من بلدان العالم الإسلامى، فى رقعة واسعة مترامية الأطراف، و شملت رحلته سجستان و هراة ومرو وسنج

---

(١) ساق نسب ابن حبان بتمامه مرفوعاً إلى عدنان ياقوت فى معجم البلدان ، و سيورده الأمير علاء الدين الفارسى فى مقدمته لهذا .

انظر الكامل ٨/ ٧٩، ٩/ ١٤٨، ومابعدها و (وفيات الأعيان) ٦/ ٤٠٢ - ٤٣٢، و (الدول الإسلامية) ١/ ٢٦٣ - ٢٧١، و (معجم الأسرات الحاكمة) ص ٣٠٢ و (دائرة المعارف الإسلامية) " أفغانستان " و " سجستان " و " الصفارية " .

(٢) انظر ميزان الاعتدال ٣/ ٥٠٦

والصغد و الشاش(طشقند) و بخارى و نسا و نيسابور و أرغيان و جرجان وطهران و الكرج و عسكر مكرم و الأهواز و البصرة و بغداد و الكوفة و الموصل و نصيبين و الرقة و أنطاكية و طرسوس و حمص و دمشق و بيروت و صيدا و الرملة و بيت المقدس و مصر و غيرها، و بلغ مجموع شيوخه فى هذه الرحلة أكثر من ألفى شيخ، كما صرح هو فى مقدمته لهذا الكتاب، فقال " لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفى شيخ من الشاش إلى الأسكندرية "، و يريد ابن حبان من قوله هذا أن يبين لنا أنه رحل إلى أقصى ما تمكن الرحلة إليه لطلب العلم فى عصره، فالشاش فى جهة المشرق هى أقصى بلاد الشام آنذاك، و بعدها تبدأ بلاد الترك، و لذا يقول ياقوت فى الشاش : و هى أكبر ثغر فى وجه الترك (١) و أما الأسكندرية فآخر بلدة يمكن لمحدث يطلب السنن إليها آنذاك، لأن ما بعدها كانت دولة الفاطميين، ولم يكن ثمة تبادل علمى معها، فلو أمكنه أن يرحل إلى شيخ فى بلدة أبعد من ذلك كما قصرت به همته ولايسعنا إزاء هذا العدد الضخم من الشيوخ فى تلك الرقعة الواسعة من الأرض إلا أن نردد مع الذهبى قوله : كذا فلتكن الهمم (٢).

ومع أن ياقوت قد بسط فى " معجمه للبلدان " عدداً كبيراً من هؤلاء الشيوخ و بلدانهم إلا أنه لم يمكنه استقصاؤهم، فاختصر، و قال : وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم. وأنى له أن يستقصى ألفى شيخ ! على أن الذى يهمنا من شيوخه هنا إنما هم الذين روى عنهم هذا الصحيح، فقد انتقى من هؤلاء الألفين حوالى مئة و خمسين شيخاً، ثم عول على حوالى عشرين منهم هم أوثق شيوخه و أضبطهم و أعلاهم إسناداً، فقال فى مقدمة الكتاب : و لم نرو فى كتابنا هذا إلا عن مئة و خمسين شيخاً أقل أو أكثر و لعل معول كتابنا هذا يكون على نحو من عشرين شيخاً ممن أدرنا السنن عليهم، و اقتنعنا برواياتهم عن رواية غيرهم و نذكر من جملة شيوخه أبو بكر محمد بن اسحق بن خزعه

---

(١)علاوة على أن مابعد الشاش تقع صحراء جوبى، و التى لا يمكن عبورها من أضيق أجزائها إلا فى شهر كامل من الزمن ، أما قطعها فى اتجاه طولها فمحاولة فاشلة لا جدوى منها ، وذلك لأن تلك المحاولة تستغرق قرابة سنة ، و لا شك أن حمل مؤن لمثل تلك المدة شئ غير معقول كما ذكر ماركو بولو فى "رحلاته" ص ٨٥ ، ٨٦.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٤.

السلمى و سمع الحديث ببست من اسحق بن ابراهيم البستى القاضى وبمرو أبا عبدالرحمن بن عبدالله بد محمود و بالسفد أبا حفص عمر بن محمد بن بجير، و بالبصرة أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحى و بحران أبا عروبة الحسين بن أبى معشر السلمى و بالرقة الحسين بن عبدالله القطان و بدمشق أبا الحسن أحمد بن عمير بن جوصا الدمشقى، وببيت المقدس عبدالله بن محمد بن مسلم المقدس، و بمصر أبا عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائى و بمكة المفضل بن محمد الجندى[١]. و أحمد بن الحسن بن عبدالجبار بن راشد البغدادى الصوفى الكبير و أحمد بن على بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمى و الحسين بن سفيان بن عامر بن عبدالعزيز الشيبانى الخرسانى، والحسين بن محمد بن أبى معشر مودود و أبو عروبة السلمى الحرانى الجزرى مفتى أهل حران و مصنف كتاب "الطبقات" و" تاريخ الجزيرة " .. و طبقتهم.

تحصيله العلمى:

إن مما يثير الإعجاب بابن حبان ما تميز به طوال رحلته و طلبه من همة لا يعتريها فتور، و حرص على اقتناص الفوائد ليس له نظير، فلم يسترح قلمه عن كتابة ما تسمعه أذناه من الشيوخ، حتى جاوز فى ذلك الحد أحياناً، روى أبو سعد الإدريسى قال : سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن إسحاق بن خزيمة فى بعض الطريق من نيسابور،، وكان معنا أبو حاتم البستى، و كان يسأله و يؤذيه، فقال له ابن خزيمة : يا بارد تنح عنى لا تؤذنى، أو كلمة نحوها، فكتب أبو حاتم مقالته، فقيل له : تكتب هذا ؟! فقال : نعم أكتب كل شئ يقوله[٢].

ومثل هذه الهمة لم يكن ليقنعها فن واحد من فنون العصر، فاتجه إلى تحصيل واستيعاب أكثر ما كان معروفاً فى زمانه من العلوم و المعارف، على أن أعظم ما رسخ فيه، و برع، و غدا من أعلامه، علم الحديث، فقد صار الإمام الحافظ المجود العلامة الثقة الثبت المتقن المحقق، كما وصفه بذلك غير واحد من الكبار[٣] وإذا كانت مؤلفات الرجل مرآة علمه، فمؤلفات ابن حبان شاهد له

(١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد : ص ٩ : ص ١٦٤

(٢) معجم البلدان (بست).

(٣) انظر " تذكرة " ٣/ ٩٢٠، سير أعلام النبلاء " ١٦/ ٩٢، و مقدمة الأمير علاء الدين الفارسى لهذا الكتاب.

على رسوخ قدمه، وطول باعه، مترجمة عن سمو قدره، و علو شأنه، و هذا ياقوت الحموى و هو الرجل المحقق يشهد بذلك، فيقول : " ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف، علم أن الرجل كان بحراً فى العلوم "، و يقول : " أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره"(١) و قد عكست مصنفاته عقليته النبدعة، و ثقافته الأصيلة الواسعة، فلم تكن ليستغنى عنها بغيرها، بل صارت كما قال ياقوت ":عدة لأحاب الحديث"، و سيرد وصف طبيعة تصنيفه عند الحديث عن مؤلفاته.

"اخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره "(٢) وقد عكست مصنفاته هذه عقليته المبدعة، وثقافته الأصيلة الواسعة، فلم تكن ليستغنى عنها بغيرها، بل صارت كما قال ياقوت : " عدة لأصحاب الحديث "، وسيرد وصف طبيعة تصنيفه عند الحديث عن مؤلفاته.

وفى الفقه تعب عليه حتى صار من كبار الشافعية(٣)، وَأهَّلَهُ تمكنه فيه أن يكون قاضيا، إذ لا يلى القضاء آنذاك إلا مضطلع فى الفقه، متمكن من نواحيه، عارف بدقائق مسائله، ومشكل وقائعه، فولى القضاء مدة طويلة فى أكثر من بلدة، منها نسا وسمرقند وغيرهما، ولهل هذا _ كما يقول بعضهم _ ما أثار حفيظة فقهاء الحنفية الذين كانوا يعدون وظيفة القضاء وَقْفَاً عليهم فجرت بينه وبينهم منازعات وخصومات، حملت إبن حبان على مجاوزة الحد، حين لم يجد أغيظ لهؤلاء من الطعن فى إمامهم أبى حنيفة، فألف كتابا فى " علل مناقبه " عشرة أجزاء، وكتابا فى " مثالبه "عشرة أجزاء، وكتابا فى " علل ما استند إليه " عشرة أجزاء، وكان الأولى به أن يكظم غيظه، فلا يأخذ أحداً بذنب غيره، وأبو حنيفة ذاك الإمام الجليل القدر، العظيم الشأن، من طبق علمه الآفاق، وعرف فضله القاصى والدانى، فكيف ينال منه لذنب إقترفه رجل انتحل مذهبه بعد قرنين من وفاته ؟! فسامح الله إبن حبان، وغفر له هذه الهفوة.

---

(١) انظر معجم البلدان (بست)

(٢) أنظر " معجم البلدان " (بست).

(٣) لذا ترجم له السبكى فى " طبقات الشافعية " ٣/ ١٣١.

وقد تتلمذ فى الفقه على شيخه محدث الوقت محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأخذ عنه طريقته فى استنباط الأحكام والمسائل الفقهية، وهذا الكتاب يظهر مدى تمسك إبن حبان بمنهج شيخه فى الاستنباط، وتقليده الكامل له، لكن مع تصرفه الخاص الذى أملته عليه عقليته وأسلوبه الذى سأعرض إليه بعد هذا الفصل، وهذا ما دعا إبن الصلاح إلى أن يغمز منه غمزا شديدا حين قال : " ربما غلط الغلط الفاحش فى تصرفه "، ووافقه على غمزه الذهبى، فقال : " وصدق أبو عمرو ".

وبرع أيضا فى علم العربية، حتى عرف أسرارها، وحقيقتها ومجازها، وتمثيلها واستعاراتها، مما مكنه أن يستنبط الأحكام الشرعية من نصوص القرآن والسنة، وكثيرا ما كان يمهد لاستنباطه بذكر القاعدة اللغوية المتعارف عليها عند العرب، كقوله : " العرب تذكر الشىء فى لغتها بعدد معلوم ولا تريد بذكرها ذلك العدد نفيا عما وراءه " وقوله : "العرب فى لغتها تطلق اسم البداءة على النهاية، واسم النهاية على البداءة "، وغير ذلك مما نثره وبسطه فى كتابه هذا، مما يكشف عن مدى تعمقه فى فهم العربية، وسبره لغورها، وإدراكه لمقاصد ألفاظها، وأسرار تركيبها.

ونضج فى علم الكلام حتى تأثرت به عقليته، وتلون به فكره، واصطبغ بتقسيماته وفصوله أسلوبه، فتراه يذهب إلى تقسيم الشىء إلى كلى وجزئى، وتفريق الشيئين المتضادين والمتهاترين ـ على حد تعبيره -، إلى غير ذلك مما هو جلى فى تعليقاته وتفسيراته واستنتاجاته فى الكتاب، وما طريقة ترتيب كتابه هذا حسب التقاسيم والأنواع إلا ثمرة من ثمار تأثره بعلم الكلام، وقد ذكر ذلك السيوطى فى " تدريب الراوى " ١/ ١٠٩ وما محنته التى سنعرض لها قريبا إلا نتيجة لاستيلاء مصطلحات هذا الفن على ألفاظه وعباراته، مما يشير إلى أن نسيج فكره قد شد من خيوط هذا الفن، ولم يكن علمه به مجرد إلمام واطلاع.

وبالإضافة إلى هذا حَصَّلَ علم الطب والفلك، ويظهر أنه بلغ فيهما رتبة أمكن معها القول فيه : «كان عالما بالطب والنجوم» (١).

إن هذه الفنون الكثيرة التى تمكن منها جعلت الحافظ ابن حجر يقول : كان صاحب فنون، وذكاء مفرط، وحفظ واسع إلى الغاية، رحمه الله.

أسلوبه وطريقة استنباطه : (٢)

إذا كان استنباط الرجل للمسائل والأحكام من النصوص دالا على نمط تفكيره وكيفية تفهمه، فإن ما لمحه ابن حبان فى النصوص من معان ليظهر بجلاء تلك العقلية المبدعة التى وهبها، فقد قال فى قول رسول الله ﷺ لحسان - لما أمره بالرد على المشركين - : " أجب عنى " قال : فى هذا الخبر كالدليل على الأمر بجرح الضعفاء، لأن النبى ﷺ قال لحسان بن ثابت : " أجب عنى "، وإنما أمر أن يذب عنه ما كان يتقول عليه المشركون، فإذا كان فى تقول المشركين على رسول الله ﷺ يأمر أن يذب عنه، وإن لم يضر كذبهم المسلمين، ولا أحلوا به الحرام، ولا حرموا به الحلال ؛ كان من كذب على رسول الله ﷺ من المسلمين، الذى يحل الحرام ويحرم الحلال بروايتهم أحرى أن يأمر بذب ذلك الكذب عنه .

وفى قوله: يتقارب الزمان وينقص العلم "، وقال : وقد أخبر المصطفى ﷺ أن العلم ينقص فى آخر الزمان، وأرى العلوم كلها تزداد إلا هذه الصناعة الواحدة، فإنها كل يوم فى النقص، فكأن العلم الذى خاطب النبى أمته بنقصه فى آخر الزمان هو معرفة السنن، ولا سبيل إلى معرفتها إلا بمعرفة الضعفاء والمتروكين.

وفى قوله : فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا فعليكم بسنتى " رأى إبن حبان دليلا صحيحا على انه ﷺ أمر أمته بمعرفة الضعفاء منهم من الثقات، لأنه كما قال : لا يتهيأ لزوم السنة مع ما خالطها من الكذب والأباطيل إلا بمعرفة الضعفاء من الثقات(٣).

---

(١) أنظر مقدمة الأمير علاء الدين لهذا الكتاب ، " ومعجم البلدان " (بست) ، و " سير أعلام النبلاء "١٦/ ٩٤.

(٢) نقلا عن مقدمه : الأمير علاء الدين الفارسى لكتاب " الاحسان " فى تقريب صحيح ابن حبان من ص١٨-٢١ وما بعدها

(٣) انظر " المجروحين " له ١/ ١٠ و ١١ ، وانظر " سير أعلام النبلاء " ١٢/ ٩٨ ، ٩٩ ، و " طبقات الشافعية" للسبكى ٣/ ١٣٣.

على أنه كان يغرب أحيانا فيما يستنبطه ويراه، فيلحظ فى النص ما لا يخطر على قلب أحد، وقد يدفعه ما ارتآه إلى إنكار معنى صحيح ثابت، ودفع ما لا قبل له بدفعه، كقوله فى حديث أنس فى الوصال : فيه دليل هلى أن الأخبار التى فيها وضع الحجر على بطنه من الجوع كلها بواطيل، وإنما معناها الحجز، وهو طرف الرداء، إذ الله يطعم رسوله، وما يغنى الحجر من الجوع ؟ ويرد الذهبى بما أخرجه هو نفسه، فيقول : قد ساق فى كتابه حديث ابن عباس فى خروج أبى بكر وعمر من الجوع، فلقيا النبى ﷺ فأخبراه، فقال : " أخرجنى الذى أخرجكما "، فدل على أنه كان يطعم ويسقى فى الوصال خاصة[1].

ولعل هذا أيضا هو ما دعا أبا عمرو ابن الصلاح إلى النيل منه حين قال : "وربما غلط فى تصرفه الغلط الفاحش على ما وجدته"، فيصدقه الذهبى ويقول : "صدق أبو عمرو".

وبظنى أن تاثر ابن حبان بعلم الكلام، هو الذى جعله يعتمد فى أسلوبه على فذلكة المعانى وفلسفتها، وكثيرا ما كان الذهبى ينال من أسلوبه هذا، فيقول : "تقعقع ابن حبان"، وقد كادت فذلكته هذه أن تؤدى به إلى التهلكة، فيحكم بقتله، وبطرده من بلده، كما حصل له فى محنته. [2]

نشره للعلم :

تكاثر عليه الطلبة للأخذ عنه والإفادة منه، ولتحصيل الاسانيد العالية قصده الطلبة من الآفاق، قال الحاكم : " وكانت الرحلة إليه لسماع كتبه [3]، وكان يقرأ ويعلم فى كل بلد يحل فيه، قال أبو سعد الإدريسى : وفقه الناس بسمرقند. وقال الحاكم : إنصرف إلينا فى سنة سبع (يعنى سبع وثلاثين وثلاث مئة)، فأقام عندنا بنيسابور، وبنى الخانقاه، وقرأ عليه جملة من مصنفاته. وكانت رغبته فى نشر العلم، وحرصه على بثه وبذله، مصاحبا لفراسة صادقة، وبصيرة نافذة، يستشف بهما من هو أهل للتعلم، فيخصه بمزيد من العناية، يقول الحاكم : " ورد نيسابور

(١) انظر " سير أعلام النبلاء " ١٦/ ٩٨ ، و " طبقات " السبكى ٣/ ١٣٣.
(٢) ابن حبان : من مقدمة المحقق لكتاب الاحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج١ ص١٨-٢٠ بيروت ١٩٨٨
(٣) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٤.

(سنة٣٣٤هـ) وحضرناه يوم جمعة بعد الصلاة فلما سألناه الحديث، نظر إلى الناس وأنا اصغرهم سنا، فقال : استمل، فقلت : نعم، فاستمليت عليه " وإذ كان يولى عنايته من تفرس فيه النباهة، وتوسم فيه التفوق، فقد كان بعض تلامذته من كبار العلماء، وأعلام الحفاظ، فمنهم :

١- الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابورى محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الضبى، المتوفى سنة ٤٠٥هـ، تابع شيخه ابن حبان فى جمع الصحيح من الأخبار، فألف كتابه " المستدرك على الصحيحين " وهو الكتاب المعروف المتداول، وألف كتبا أخرى نفيسة، مترجم فى " سير أعلام النبلاء " ١٦/ ٤٦١- ٤٩٩.

٢- الإمام الحافظ محدث الإسلام أبو عبد الله محمد بن أبى يعقوب إسحاق بن محمد بن يحى بن منده العبدى الأصبهانى، صاحب كتاب " معرفة الصحابة " و "التوحيد" و " الكنى " وغيرها، متوفى سنة ٣٩٥هـ، مترجم فى " سير أعلام النبلاء " ١٧/ ٢٨- ٤٣.

٣- الإمام الحافظ علم الجهابذة أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى الدارقطنى، من بحور العلم، وأئمة الدنيا فى الحفظ والفهم والورع، صاحب "السنن"، و " العلل " وغيرهما، متوفى سنة ٣٨٥هـ. مترجم فى " سير أعلام النبلاء " ١٦/ ٤٤٩- ٤٦١.

٤- العالم الرحال الحافظ أبو على منصور بن عبد الله بن خالد بن أحمد الذهلى الخالدى الهروى، متهم، متوفى سنة (٤٠١ أو ٤٠٢هـ)، مترجم فى " سير أعلام النبلاء " ١٧/ ١١٤- ١١٥.

٥- الأديب أبو عمر محمد بن أحمد بن سليمان بن غيثة النوقانى صاحب التصانيف الكثيرة، متوفى سنة ٣٨٢هـ، مترجم فى " معجم الأدباء " ١٧/ ٢٠٥.

٦- المحدث أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزنى، روى عنه كتاب " التقاسيم " ذكره الذهبى فى " المشتبه " ١/ ٥١ وخلق كثير سواهم...

ويسجل التاريخ هنا مأثرة عظيمة لإبن حبان، كان له فيها فضل السبق والتقدم، فهو بالإضافة إلى قيامه ببذل علومه الغزيرة، وإقراء مصنفاته النفيسة

لعدد لا يحصى من الطلاب، هو من أوائل _ بل لعله أول _ من حول مكتبته الخاصة الأثيرة لديه، والتى أنفق فى تحصيلها وجمعها عمره وماله، حولها إلى مكتبة عامة يفيد منها طلاب العلم كافة غنيهم وفقيرهم، ذكر ذلك مسعود السجزى كما نقل عنه ياقوت، فقال : " سبل كتبه، ووقفها، وجمعها فى دار رسمها لها "، ثم عمد إلى داره فأوصى أن تحول إلى مدرسة لأصحابه، ومسكن للطلاب الغرباء الذين يفدون لطلب العلم من حديث وفقه وغير ذلك، ولم يكتف ابن حبان بوقف المكتبة والمدرسة والمسكن، فقد بقى أمام الطلبة هم المعيشة، فكفاهم ذلك بأن وقف لهم جرايات يستنفقونها، ليتفرغوا لطلب العلم، ويتوجهوا إلى تحصيله بصفاء ذهن وراحة بال(١)، ويكون ابن حبان بإنشائه هذه المدرسة قد سبق الملك العادل نور الدين الزنكى رضى الله عنه باكثر من قرنين وثلث القرن، ويمكن أن نصحح هنا ما أورده إبن الأثير(٢) وتابعه عليه المقريزى(٣) من أن نور الدين أول من بنى دارا للحديث.

ولخوف ابن حبان على ضياع الكتب أو فقدانها من المكتبة التى وقفها _ وهو يعلم أن الإعارة مضيعة للكتب _ فقد اشترط ألا تخرج من الدار التى وقفت فيها، أى أنه منع الإعارة الخارجية التى تذهب بالكتب شيئا فشيئا، وجعل خزانة الكتب فى يدى وصى سلمها إليه، ليبذلها لمن يريد نسخ شىء منها من غير أن يخرجه منها، هكذا أحكم ابن حبان الأمر، وأحاط تلك المكتبة بسياج الصيانة والحفظ، إلا أن حوادث الدهر إمتدت إليها على حين غفلة من أهلها، لتبعثرها وتبددها، وتخفى نفائسها وكنوزها، وذاك بعد قرابة مئة عام من موت واقفها ابن حبان، ويذكر ذلك مسعود السجزى للخطيب البغدادى بحرقة، فيقول : فكان السبب فى ذهابها مع تطاول الزمان ضعف السلطان، واستيلاء ذوى العيث والفساد على أهل تلك البلاد(٤). فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) أنظر " معجم البلدان " لياقوت ، ومقدمة الامير علاء الدين لهذا الكتاب .

(٢) فى كتابه " التاريخ الباهر " ص١٧٢ .

(٣) فى " الخطط والاعتبار " ٢/ ٣٧٥.

(٤) أنظر " معجم البلدان " (بست).

سابعا : مؤلفات ابن حبان :

كان الإمام ابن حبان مكثرا من التصنيف وكانت كتبه عدة لأصحاب الحديث، لم يسبق إلى مثلها[1]، ذكر ياقوت الحموى فى ترجمته لمادة " بست " ذكر هذا التصنيف. لكن أغلبها لم يطبع ولم يطلع عليه الباحثون.

قال الخطيب : ذكر مسعود بن ناصر السجزى تصانيف ابن حبان فقال : "تاريخ الثقات" " علل أوهام المؤرخين " مجلد، " علل مناقب الزهرى " عشرون جزءا، " علل حديث مالك " عشرة أجزاء، " علل ما أسند أبو حنيفة " عشرة أجزاء، " ما خالف فيه سفيان شعبة " ثلاثة أجزاء، " ما خالف فيه شعبة سفيان " جزءان، " ما إنفرد به أهل المدينة من السنن " مجلد، " ما إنفرد به المكيون، ما إنفرد به أهل العراق " مجلد، " ما إنفرد به أهل خراسان " مجلدين، " ما أنفرد به ابن عروبة عن قتادة، أو شعبة عن قتادة " مجلدين، "غرائب الأخبار" مجلد، " غرائب الكوفيين " عشرة أجزاء، " غرائب أهل البصرة " ثمانية أجزاء، " الكنى " مجلدين، " الفصل والوصل " مجلد، " الفصل بين حديث أشعث بن عبد الملك، وأشعث بن سوار "جزءان، كتاب " موقوف ما رفع " عشرة أجزاء، " مناقب مالك " و " مناقب الشافعى " كتاب، " المعجم على المدن " عشرة أجزاء، " الأبواب المتفرقة " ثلاثة مجلدات، " أنواع العلوم وأوصافها " ثلاثة مجلدات، "الهداية إلى علم السنن" مجلد، " قبول الأخبار "، وأشياء.

قال مسعود بن ناصر : وهذه التواليف إنما يوجد منها النزر اليسير، وكان قد وقف كتبه فى دار، فكان السبب فى ذهابها مع تطاول الزمان ضعف أمر السلطان، واستيلاء المفسدين.

أما المطبوع منها فهو على النحو التالى :

١- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : تحقيق محمد محى الدين عبد الواحد ومحمد عبد الرازق حمزة ومحمد حامد الفقى. طبع فى مصر وصورته دار الكتب العلمية.

---

(١) السمعانى : الانساب : ج٢ : ص٢٠٩ .

٢- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء وله عنوان آخر : " الثقات " تحقيق الحافظ السيد عزيز بك وآخرين _ نشر مؤسسة الكتب الثقافية.

٣- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار : وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة بعناية المستشرق فلايشهمر ثم أعاد تحقيقه الأستاذ مرزوق على إبراهيم ونشرته دار الوفاء (١٩٩١م).

٤- التقاسيم والأنواع : المشهور باسم صحيح ابن حبان : وهو غير موجود و المتيسر الآن بين أيدى طلاب العلم ترتيبه لعلاء الدين على بن بلبان الفارسى. وقد اعتنى به الشيخ أحمد شاكر، فأخرج منه جزءا، مع مقدمة قيمة، ثم طبع منه الأستاذ عبد الرحمن محمد عثمان ثلاثة أجزاء.. وقد أخرجه كاملا فى ستة عشر جزءا الأستاذ شعيب الأرناؤوط وتوجد طبعة أخرى غير محققة أصدرها الأستاذ كمال يوسف الحوت.

٥- المجروحون : طبع هذا الكتاب فى الهند (١٩٧٠م)، كما طبع (١٩٣٦هـ) بتحقيق الأستاذ محمود إبراهيم زايد. ونشرته دار الوعى بسوريا (حلب).

٦- تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار : نشرته دار الكتب العلمية (١٩٨٨م) بتحقيق بوران الضناوى.

ثامنا : وفاته :

بعد حياة جهاد متواصل، قضى جلها فى الأسفار، وملأ ساعاتها بالطلب والسماع والإملاء والاستملاء، وعمر أيامها بالتأليف والتصنيف، وتعرض فيها لمحن وأحداث، شاء الله له أن يرجع إلى مسقط رأسه بست، ليمضى فيها بقية عمره، ويوافيه أجله وهو بين أهله وأصحابه وطلابه، وذلك ليلة الجمعة لثمانى ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤هـ، فيدفن بعد صلاة الجمعة فى الصفة التى ابتناها قرب داره. قال ياقوت : وقبره ببست معروف يزار إلى الآن.

الفصل العاشر

الإمام البيهقى

أولاً : الناحية السياسية لعصر الإمام :

إن لبيئة الإنسان أثرها فى شخصيته و تحديد أهدافه و أفكاره ، كما أن الإنسان يتأثر بمشايخه الذين يتلقى عنهم ، و إن الأحوال و الظروف المحيطة بالإنسان يكون لهما حتماً أثر بارز فى منهجه.

فالبيئة الصالحة تنشئ الإنسان الصالح فى الغالب ، و البيئة الفاسدة تنشئ الإنسان الفاسد ، و قد يظهر العكس فيتمرد الإنسان على الوسط الذى يعيش فيه فيختار ما يراه صالحاً، و كثرة الفساد و انتشار الآثام و الشرور لا بد أن يقابلها رجال الإيمان الأقوياء. و هذا ما قابله إمامنا الحافظ أبو بكر البيهقى!.

ولادته :

ولد الإمام البيهقى عام ٣٨٤هـ فى وقت انحطاط الدولة العباسية و تصدع صرح دولة الخلافة الإسلامية إلى دويلات متناحرة و متنازعة بعد مقتل الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧هـ ، ذلك الرجل العظيم الذى أعز الله به السنة ، و قمع به البدع التى سادت أرجاء الأمة الإسلامية والفتنة التى استشرت فى أنحائها .

بدأت الأحوال تضطرب و الفتن تستشرى و سلطان الخلفاء يتلاشى بعد مقتل الخليفة المتوكل و ذلك بسبب اعتماد الخلفاء على الفرس و الترك و مناصبة العداء للعلويين و الفتك ببنى أمية و ظهور كثير من الطوائف المارقة عن الدين و الذى كان السبب فى النهاية إلى سقوط الدولة فى أيدى التتار سنة ست و خمسين و ستمائة بعد مقتل آخر خلفائها عبدالله المستعصم على يد هولاكو خان.

و مع كل هذا الضعف و التشتت و سلب السلطة من أيدى الخلفاء ، فقد كان الخليفة يتمتع بقوة معنوية كبيرة جعلت السلاطين و الحكام يحرصون على التسابق لاكتساب موافقة الخليفة ، كما كان سلاطين بنى بويه " يراعون مظاهر احترامه فى الحفلات و ينظرون إليه باعتباره زعيم المسلمين .

و نخلص من ذلك إلى القول بأن عصر الإمام البيهقى اتسم بكثرة الدويلات الإسلامية المتناحرة و المتصارعة ، لفقدان السلطة المركزية من الخليفة و تفشى الفساد السياسى و كثرة القتل و النهب و السلب و ترويع الناس ، الأمر الذى أقلق العلماء و أقض مضاجعهم ومنهم الإمام الحافظ البيهقى.

ثانياً: الناحية الاجتماعية:

تتأثر الناحية الإجتماعية تأثراً كبيراً و بالغاً بالناحية السياسية. و نتيجة لسوء الحالة السياسية و انعدام السلطة المركزية و تفشى النزاعات و الخلافات بين الأمراء و كثرة الحروب الداخلية و الخارجية ، و اشتداد الخلاف بين أهل السنة و الشيعة.

"و نتيجة حتمية لهذه الأوضاع المتردية انتشرت الأمراض فى الكثير من الأقاليم ، ونزلت أوبئة عظيمة مات بسببها الكثير من الناس مما لا يحصى عددهم فى بغداد و الأهواز و بخارى و آذربيجان ، بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها، و أهلها موتى فيها ، ثم صار المار فى الطريق لا يلقى الواحد بعد الواحد ، وأكل الناس الجيف و النتن من قلة الطعام ، ووجد مع امرأة فخذ كلب قد اخضر، وشوى رجل صبية فى الأتون و أكلها ، و قيل إن طائراً سقط من حائط ميتاً فاحتوشته خمسة أنفس فاقتسموه و أكلوه ، وورد كتاب من بخارى أنه مات فى يوم واحد ثمانية عشر ألف إنسان ، ومات خلق كثير و آلاف كثيرة فى غيرها ، حتى أصبح الناس يمرون فى هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقاً فارغة و طرقات خالية، وأبواباً مغلقة ، ووحشة، و عدم أنس ، حكاه ابن الجوزى، قال وجاء الخبر من أذربيجان و تلك البلاد بالوباء العظيم ، و أنه لم يسلم من ذلك إلا العدد اليسير من الناس ، قال : ووقع الوباء بالأهواز و بواط و أعمالها و غيرها . حتى طبق البلاد، و كان أكثر سبب ذلك الجوع ، كان الفقراء يشوون الكلاب و ينبشون القبور و يشوون الموتى و يأكلونهم ، و ليس للناس شغل فى الليل و النهار إلا غسل الأموات و تجهيزهم و دفنهم، فكان يحفر الحفير فيدفن فيه العشرون و الثلاثون، و تاب الناس و تصدقوا بأكثر أموالهم فلم يجدوا أحداً يقبل

منهم.وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة و الثياب فيقول :أنا أريد كسرة أريد ما يسد جوعى، فلا يجد ذلك، و أراق الناس الخمور و كسروا آلات اللهو، و لزموا المساجد للعبادة و قراءة القرآن ، و قل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم "(١)

"و مما زاد فى تردى الحالة الإجتماعية حدوث الزلازل و الكوارث الطبيعية فقد حدث زلزال عظيم فى خوزستان (عام ٤٤٤ هـ) و خراسان و كان أشده بمدينة بيهق "بلد الإمام البيهقى" مما تسبب فى خراب سورها و مساجدها(٢).

و نخلص من كل ما سبق الوضع الإجتماعى المتدهور الذى عاشه الناس فى ذلك العصر ، فهى فترة عصيبة و قاسية على الأمة الإسلامية ، و ذلك لانعدام السلطة المركزية ، و كثرة الفتن و المنازعات ، بالإضافة إلى انتشار الأمراض و الكوارث الطبيعية التى انعكست أحداثها الرهيبة على الوضع الإجتماعى الذى وصل إلى مثل ما وصلت إليه من انحطاط رهيب يشيب لهوله الولدان .

ثالثاً : الناحية العلمية :

إن سوء الحالتين السياسية الإجتماعية لم يكن له أى تأثير سلبى على الناحية العلمية ، فقد كانت تلك الحقبة من الزمن من أزهى عصور الإسلام حيث توافر فيها عدد ضخم من رواد العلم و المعرفة.

ففى هذه الفترة كان و عاش أئمة المحدثين ، و جهابذة المفسرين ، و أساطين الأدباء ، و مشاهير الفلاسفة ، وأرباب الكلام فقد بلغت الثقافة أوجها، و بلغ التأليف ذروته ، و نحن نعيش اليوم آثار تلك النهضة العلمية الجبارة ، و ما وصل إلينا من تراثهم الوفير إنما هو غيض من فيض ، فقد قدموا آلاف الكتب و المجلدات فى كل فن ، و لكن الحروب الدامية التى أزهقت نفوس الكثير من

(١) البداية و النهاية ١٢/ ٧٠، ٧١ .
(٢) الكامل ٩/ ٥٩.

البشر امتد أوارها إلى الكثير من مكتبات العالم الإسلامى الزاخرة بشتى العلوم و الفنون ، و شاهد على ذلك نكبة بغداد عند دخول التتار و حرق الكثير من مكتباتها التى كانت تزخر بنفائس و درر العلوم و الفنون التى جادت بها قرائح علمائنا و سلفنا الماجد.

وقد أنشئت المدارس المستقلة عن المسجد لأول مرة فى هذا العصر، يقول المقريزى:" و المدارس مما حدث فى الإسلام ، و لم تكن تعرف فى زمن الصحابة و لا التابعين ، وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة فى الإسلام أهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية ، وبنى بها الأمير نصر بن سبكتكين المدرسة السعدية، و بنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة لما كان والياً على نيسابور"(١) ، " ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعد إسماعيل بن على بن المثنى الاسترياذى ، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضاً بنيت للأستاذ: أبى إسحاق الأسفرائينى".(٢)

"كما قام الوزير نظام الملك: الحسن بن على بن إسحاق الطوسى ببناء مدارس جديدة: مدرسة ببغداد، ومدرسة ببلخ، ومدرسة بنيسابور، و مدرسة بهراة، و مدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ، و مدرسة بمرو، و مدرسة بآمل طبرستان ، و مدرسة بالموصل، و كان أشهر هذه المدارس مدرسة نيسابور التى كان يدرس بها إمام الحرمين الجوينى ، وهذه المدارس تعرف بالمدارس النظامية"(٣)

ومما تقدم يظهر لنا جلياً أن مدينة نيسابور كانت المهد الأول لهذه المدارس حتى أصبحت تضاهى مدينة بغداد بازدهار العلم فيها وارتحال العلماء و طلبة العلم إليها فى ذلك العصر.

---

(١) الخطط و الآثار للمقريزى٢/ ٣١٤.
(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣١٤.
(٣) المصدر السابق ٤/ ٣١٤.

يقول السبكى فى طبقاته:" وقد بلغت العناية بالعلم و طلابه إلى حد أن كثيراً من أهل الفضل كانوا ينفقون على الطلاب من مالهم الخاص، و يقفون عليم كتبهم، كما حدث من أبى بكر البستى الذى بنى مدرسة لطلاب العلم على باب داره ، وأوقف عليها جملة من ماله الوفير، و هذا الرجل كان من كبار المدرسين و المناظرين بنيسابور(١).

ونخلص بالقول أن هذا العصر امتاز بتقدم الحركة العلمية التى بلغت أرقى درجاتها،وأن هذا العصر هو الذى بدأ فيه إنشاء المدارس مستقلة عن المساجد، و أن هذه المنطقة التى عاش فيها البيهقى كانت غنية بأعلام العلماء . يقول الإمام الحافظ الذهبى: أن الخطيب البغدادى أراد الرحلة ألى ابن النحاس فى مصر فاستشار البرقانى فى ذلك ، فقال له : إن خرجت إلى مصر إنما تخرج إلى رجل واحد ، فإن فاتك ضاعت رحلتك ، وإن خرجت إلى نيسابور ففيها جماعة فخرج إلى نيسابور" .(٢)

ومما تقدم يتبين لنا أن إمامنا الحافظ البيهقى عاش و عاصر حقبة ازدهرت فيها العلوم و انتشرت فيها المدارس ، فاقترن اسمه بهذه النهضة العلمية الجبارة حيث شارك و ساهم فيها مساهمة إيجابية و أثر فيها تأثيراً كبيراً عالماً و متعلماً ، تغمده الله برحمته و أحسن إليه المثوبة.

رابعاً:اسمه و نسبه و مولده و نشأته العلمية :

هو أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله بن موسى كنى بابى بكر ولقب بالحافظ وأضاف حاجى خليفة لقباً آخر له وهو شمس الدين.(٣)

أما عن نسبه فقد انتسب الإمام إلى خسروجرد وإلى بيهق فيقال الخسروجردى البيهقى ... فأما الأولى فلأنها القرية التى ولد بها ، وأما الثانية فلأنها الناحية التى تعلم ودرس بها واشتغل بالدعوة وعاش بين جنباتها إلى أن

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤ / ٨٠ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٧ .

(٣) حاجي خليفة :كشف الظنون جـ١ صـ٥٣

وورى الثرى بها وكانت بيهق عاصمة للأقاليم وكانت خسروجرد قرية من قراها.

أما عن مولده فقد ولد بخسروجرد عام أربعة وثمانين وثلاثمائة(١) وأما عن نشأته العلمية فقد نشأ إمامنا رحمه الله فى منطقة نيسابور التى كانت تموج بالنشاط العلمى والفكرى(٢)

وقد بدا الإمام بطلب العلم وعمره خمسة عشر سنة حيث نذر نفسه للدفاع عن سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتصدى للمبتدعين والملحدين فى عصره ورد كيدهم على نحورهم . ويتضح ذلك جليا من قول الإمام نفسه عن هذه المرحلة :"وإنى مذ نشأت وابتدأت طلب العلم أكتب أخبار سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم وأجمع آثار الصحابة الذين كانوا أعلام الدين وأسمعها ممن حملها وأتعرف أحوال رواتها من حفاظها وأجتهد فى تمييز صحيحها من سقيمها ، مرفوعها من موقوفها ، وموصولها من مرسلها(٣) ..

أما عن أسرة الإمام فإن المصادر التاريخية التى أرخت عنه اهتمت بالحديث عن مصادر ثلاثة : إسماعيل بن أحمد(٤)، أبو سعيد بن أحمد، وأبو عبد الله بن أحمد.

أما عن أسرته :

فإن نبوغ الحافظ البيهقى فى شتى مجالات العلم يعطينا دلالة واضحة على أن أسرته كانت تضع العلم فى أوليات اهتماماتها ، ولو أن المصادر لم تذكر شيئاً عن حال أسرته و أبيه ، ولعل أسرته كانت ميسورة الحال مما جعل ابنها يتفرغ للعلم و ينتج أفضل النتائج ، ولو كان الفقر حاله فإن ذلك لن يثنيه عن طلب العلم

(١) الذهبي سير أعلام النبلاء جـ٣٨ صـ١٦٤ وطبقات الشافعية للسيوطي

(٢) له ترجمة في الأنساب للسمعاني صـ١٠١ _البداية والنهاية لابن كثير :١٢/ ٩٤ تبيين كذب المفتري صـ ٢٦٥تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ٣/ ١١٣٢ شذرات الذهب للحنبلي ٣/ ٤٠٣ طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٨ طبقات بن هداية الله١٥٩- العبر:٣/ ٢٤٢ - اللباب :١/ ١٦٥- معجم البلدان لياقوت ٨/ ٢٤٢ - النجوم الزاهرة ٥ ٧٧ وفيات الاعلان لابن خلكان ١/ ٢٢٠ سير أعلام النبلاء _الذهبي جـ١٨ - صـ١٦٤ -

(٣) معرفة السنن والآثار:جـ١ : صـ٢١٢

(٤) هو إسماعيل بن أحمد بن حسين البيهقي الخسرجردي شيخ القضاة ولد بخسروجرد سنة ٤٢٨هـ ورحل إلى خوارزم وسكن بها وعمل بها (ابن كثير البداية والنهاية :جـ ٦،صـ ١٨٨)

لشغفه و تعلقه به، شأن الأئمة الكبار من سلف هذه الأمة ، وقد اهتم المؤرخون بذكر ابن له و حفيد شاركا فى حياته العلمية و تتلمذا على يديه و هما ابنه إسماعيل بن أحمد ، و حفيده أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد.

خامسا شيوخ الإمام البيهقى :

حرص إمامنا على تحصيل الأسانيد العلمية وسماع كبار علماء عصره فى شتى فنون العلم والمعرفة ولهذا ذكر المؤرخون عنه كثرة شيوخه ونوجزهم فيما يلى:

محمد بن الحسين بن داود _ الحاكم النيسابورى _ وأبو الفتح العمرى القرشى المروزى _ أبو بكر محمد بن الحسن الاصبهانى وغيرهم ....وهؤلاء العلماء الأفذاذ تكون بهم البيهقى فى علوم شتى فى مقدمتها علم الحديث وعلوم الفقه والأصول والعقيدة ومن هذا كله تكونت شخصية الإمام العلمية التى بوأته مكانة مرموقة فى الحديث والفقه والعقائد وغيرها من المعارف والعلوم حتى صار إمامنا حجة بالغة فيها . وصار مجلسه قبلة وهدفاً لطلاب العلم ورحلاتهم المتوالية ينهلون من علمه وفضله وأدبه بعد أن هجر إمامنا شواغل الدنيا وانقطع لطلب العلم ونشره وتعليمه وتوريثه لمن بعده لتبقى راية الإسلام ومعارفه عالية خفاقةً ولتتصل سلسلة العلم والعلماء ويبقى لهذا الدين رفعته وقوته ومنعته . وخاصة وقد مد الله بعمر إمامنا طويلا مما أتاح لأعداد كبيرة من أهل العلم وطلابه للسماع منه و التتلمذ على يده والأخذ من فيوضات علمه فتخرج على يديه العشرات من الطلاب من شتى بقاع الدنيا ... وفيما يلى ذكر لبعض أهم تلاميذه :

ابنه إسماعيل ابن أحمد البيهقى - أبو عبد الله الفراوى[١] وابن منده[٢]

---

(١) انظر ترجمة له: السبكي : طبقات الشافعية الكبرى:جـ٦ :صـ١٦٦ :صـ١٦٧ وابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب جـ٨:صـ١٥٦.

(٢) له ترجمة فى الاعلام للزركلى :جـ٨:صـ١٥٦وشذرات الذهب جـ٤ صـ٣٢ .

سادساً: رحلاته العلمية :

كان الصحابة لا يتركون المدينة المنورة فى حياة الرسول صلى الله عليه و سلم حباً بلقائه و الأخذ عنه، و لذلك لازم المكثرون من رواية الحديث المدينة المنورة حتى وفاته ، ولما كان عهد الخلفاء الراشدين بدأ خروج الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلى الأمصار الإسلامية المفتوحة ناشرين لدين الله و حاملين لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ؛ كما و أن الصحابة لم يكونوا فى درجة واحدة فى التحمل و الأخذ من رسول الله صلى الله عليه و سلم . فقد كان أحدهم يسمع ما لا يسمعه الآخر كما يحفظ ما نسيه غيره، مما جعلهم أنفسهم يرحلون فى طلب الحديث و سماعه، أو التثبت من حديث اختص بتحمله أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم،وعليه فكانت الرحلة فى طلب العلم سنة متبعة سلكها علماء الحديث حتى إن أحدهم ليتكبد المشاق و يتحمل قطع المسافات الشاسعة فى الحر و البرد لسماع حديث واحد بلغه عن غيره.

و استمرالأمر كذلك بل توسع فى عهد التابعين و تابع التابعين ، حيث كل واحد يطمح فى الحصول على أكبر قسط ممكن من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و لايتسنى له ذلك إلا بالرحلات العلمية إلى الأقطار التى نزل الصحابة الكرام وأقاموا بها . و عامل كبير و مهم من أسباب هذه الرحلات، هو طلب علو الإسناد ، فكان بعض العلماء إذا بلغه حديث عن صحابى يحرص على الرحلة إلى الصحابى نفسه الذى روى الحديث، وإذا بلغه الحديث عن شخص بينه و بين الصحابى، و الصحابى قد مات ، فإنه يحرص على الرحلة ليسمع من الرجل الذى سمعه من الصحابى مباشرة طلباً لعلو الإسناد.

وإمامنا الحافظ البيهقى حاو على الكثير من حديث الرسول المصطفى ﷺ بسبب رحلاته العلمية فى شتى البلاد الإسلامية . "فرحل رحمه الله إلى خراسان و طوس و همذان و طابران و بغداد و الكوفة و الحجاز و غيرها. كما وتكررت رحلاته إلى بعض هذه المدن وغيرها طلباً لملاقاة الشيوخ و الأخذ عنهم ، وبعد

هذه الرحلات رجع إلى بلدته بيهق وانقطع فيها مقبلاً على الجمع و التأليف[1] و قد أحصى الدكتور " نجم عبدالرحمن خلف" " أكثر من ثمانى عشرة رحلة التقى فيها ومن خلالها بمجموعة كبيرة من الشيوخ فتكونت لديه ثروة حديثية ضخمة ظهر أثرها فى كتبه و مؤلفاته المنوعة و الكثيرة [2] كما ذكر الذهبى." وبورك فى علمه و صنف التصانيف النافعة[3].

١- رحلته إلى خراسان: بدأ سماع الحديث و هو ابن خمس عشرة سنة من أبى الحسن محمد بن الحسين العلوى، و الحاكم أبى عبدالله الحافظ، و عبدالله بن يوسف الإصبهانى ، وأبى عبدالرحمن السلمى، و أبى بكر بن فورك.

٢ - و قد سرد الإمام الذهبى " عشرين شيخاً من أول من سمع منهم[4]. وذكر أن " سماعه منهم كان بخراسان"[5]. مما يؤكد لنا أنه سمع الحديث بخراسان قبل أن يسمعه ببلدته بيهق وهو يشير أن بداية رحلته إلى خراسان كانت حوالى عام تسعة و تسعين و ثلاثمائة و هى السنة التى بدأ فيها طلبه للحديث.

٢ - رحلته إلى بغداد: كما رحل البيهقى إلى بغداد حاضرة العلم رفى ذلك العصر " وسمع بها من هلال بن جعفر الحفار ، و على بن يعقوب الإيادى ، و أبى الحسين بن بشران و طبقتهم [6].

٣ - رحلته إلى الكوفة: ثم رحل رحمه الله تعالى إلى مدينة الكوفة و سمع أفاد بها من جناح بن نذير القاضى و طائفة غيره. و أشار السبكى "إلى أن رحلة البيهقى إلى بغداد و الكوفة كانتا فى أثناء طريقه لأداء فريضة الحج"[7].

٤ - رحلته إلى مكة المكرمة: توجه الحافظ البيهقى شاداً رحاله إلى مكة

---

(١) السير ١٨ / ١٦٥ .
(٢) الصناعة الحديثية في سنن البيهقي ١ / ٥٩ .
(٣) السير ١٨ / ١٦٥ .
(٤) تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٢ ، ومختصر طبقات المحدثين ص ٢٠٠ .
(٥) السير ١٨ / ١٦٥ والصناعة الحديثية في سنن البيهقي ١ / ٩٥ .
(٦) السير ١٨ / ١٦٤ .
(٧) طبقات الشافعية ٤ / ٨ .

المكرمة لأداء فريضة الحج ، و كانت تلك الرحلة مناسبة و فرصة سانحة استفاد و استمع من علماء البلد الحرام ، فجلس فيها إلى الحسن بن أحمد بن ضراس ، وأبى عبدالله بن نظيف.

٥ - رحلته إلى " الطابران"(١): " كما توجه الحافظ البيهقى إلى مدينة الطابران و سمع من محمد بن يعقوب الفقيه"(٢).

وقد ذكر الأستاذ السيد أحمد صقر فى مقدمته فى تحقيق كتاب معرفة السنن و الآثار " أن للبيهقى تحركات و رحلات كثيرة فى البلدان الإسلامية و المجاورة .

أما عن ورع الإمام البيهقى وزهده :

عرف عن إمامنا زهد الدنيا والتمسك والعمل بتقوى الله والقناعة بالقليل متأسياً بزهد حبيبه نبينا صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والانخراط فى العبادة والورع قانتاً لله.(٣)

وتمسك إمامنا بعقيدة أهل السنة والجماعة ، ووافق السلف فى عديد من المسائل وكان مذهبه فى الفروع هو مذهب الإمام الشافعى بعد دراسة طويلة لهذا المذهب مع محاولاته للاجتهاد وعقد المقارنات بالمذاهب الأخرى(٤) ولهذا فقد جمع الإمام البيهقى نصوص إمامه الشافعى وصنف المؤلفات الحديثية فى التدليل لآراء إمامه رضى الله عنهما ...(٥)

سابعاً: مكانته العلمية و ثناء العلماء عليه :

أخذ الإمام الحافظ البيهقى العلم عن أئمة برزوا فى مناحى الاجتهاد، فكان كل واحد منهم جبلاً شامخاً و سامقاً لا تطال قمته.

---

(١) الطابران هي إحدى مدينتي طوس وأكبرهما والأخرى نوقان ، معجم البلدان ٣ / ٤ .
(٢) السير ١٨ / ١٦٤ .
(٣) السبكي طبقات الشافعية:ج٦ ص١٠٠
(٤) اتم فؤاد ابراهيم : مذهب الإمام البيهقي في الدعوة :صـ٢٩
(٥) المرجع السابق صـ٢٠

وقد انعكس ذلك على مؤلفاته ،فجاءت صورة صادقة للتعبير عما تنطوى عليه نفسه من حب للسنة وميل زائد نحو الحق فصنف التصانيف لنصرة مذهب الأمام الشافعى رحمة الله تعالى .

١- قال إمام الحرمين الجوينى :"مامن شافعى إلا و للشافعى عليه منة ، إلا أحمد البيهقى فإن له المنة و الفضل على الشافعى لتصانيفه فى نصرة مذهبه ، و بسط موجزه ، و تأييد آرائه و أقاويله"(١).

٢- قال ابن خلكان : "هو أول من جمع نصوص الشافعى فى عشرة مجلدات,وكان أكثر الناس نصرا لمذهب الشافعى ، و طلب إلى نيسابور لنشر العلم فأجاب و انتقل إليها(٢) وكذلك قال الذهبى(٣).

٣- ورد السبكى مرجحاً" إن البيهقى هو آخر من جمع نصوص الشافعى".

وذكر السيد أحمد صقر ثلاثة كتب سبق مؤلفوها الى جمع نصوص الشافعى:(٤)

١- التقريب : للقاسم بن محمد على الشاشى .

٢- كتاب جمع الجوامع : لأبى سهل بن العفريس الزوزنى تلميذ الأصم.

٣- كتاب عيون المسائل : لأبى بكر أحمد بن الحسن بن سهل الفارسى ابن سريج .

قال الإمام السبكى : "كان الإمام البيهقى أحد أئمة المسلمين ، وهداة المؤمنين، والدعاة إلى حبل الله المتين ، فقيهاً جليلاً ، وحافظاً كبيراً ، وأصولياً نحريراً ، وزاهداً ورعاً ، قانتاً لله ، قائماً بنصرة المذهب أصولاً وفروعاً ، جبلاً من جبال العلم ، أخذ الفقه عن ناصر العمرى ، وقرأ علم الكلام على مذهب

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٢ .
(٢) وفيات الأعيان ١ / ٧٦ .
(٣) تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٢ .
(٤) طبقات الشافعية ٣ / ٤ .

الأشعرى ، ثم اشتغل بالتصنيف ، بعد أن صار أوحد زمانه ، وفارس ميدانه ، وأحذق المحدثين ، وأحدَّهم ذهناً وأسرعهم فهماً ، وأجودهم قريحة».[1]

٤ - قال إبراهيم بن محمد الأزهر : " الإمام ، الحافظ ، الفقيه ، الأصولى ، الدين ، الورع ، واحد زمانه فى الحفظ ، وفرد أقرانه فى الإتقان والضبط ، من كبار أصحاب الحاكم أبى عبدالله الحافظ ، والمكثرين عنه ، ثم اشتغل بالتصنيف ، فألف من الكتب ما لعله يبلغ قريباً من ألف جزء مما لم يسبق إليه أحد ، جمع فيها بين الحديث وعلله ، وبيان الصحيح والسقيم ، وذكر وجوه الجمع بين الأحاديث ، ثم بيان الفقه والأصول ، وشرح ما يتعلق بالعربية على وجه وقع من الأئمة كلهم موقع الرضا ، ونفع الله تعالى به المسترشدين والطالبين ، ولعل آثاره تبقى إلى يوم القيامة ، استدعى منه الأئمة فى عصره انتقاله إلى نيسابور من الناحية لسماع كتاب المعرفة ، وعقدوا له المجلس لقراءة ذلك الكتاب ، وحضره الأئمة والفقهاء ، وأكثروا الثناء عليه ، والدعاء له فى ذلك لبراعته ومعرفته وإفادته ، وكان على سيرة العلماء قانعاً من الدنيا باليسير ، متجملاً فى زهده وورعه[2] ".

٥ - وقال الإمام الذهبى ، تعليقاً على كلام أبى المعالى الجوينى : " ما من شافعى إلا و للشافعى عليه المنة إلا أحمد البيهقى ، فإن له على الشافعى منة[3].

٦ - وقال الإمام ابن كثير : " كان البيهقى أوحد أهل زمانه فى الإتقان والحديث والفقه والتصنيف ، وكان فقيهاً محدثاً أصوليا».[4]

٧ - وقال ياقوت الحموى : " البيهقى : الإمام الحافظ ، الفقيه فى أصول الدين الورع ، أوحد الدهر فى الحفظ والإتقان مع الدين المتين ، من أجل أصحاب أبى عبدالله الحاكم ، والمكثرين عنه ، ثم فاقه فى فنون من العلم تفرد بها" .[5]

---

(١) طبقات السبكى ٣ / ٣ بتصرف .

(٢) المنتخب من السياق صـ ١٢٧ .

(٣) تبيين كذب المفترى صـ ٢٦٦ .

(٤) السير ١٨ / ١٦٩ والعبر ٢ / ٣٠٨ والكامل فى التاريخ ٨ / ١٠٤ والبداية والنهاية ١٢ / ٩٤.

(٥) البداية والنهاية ١٢ / ٩٤

٨ ـ وقال ابن الجوزى : " كان واحد من زمانه فى الحفظ والإتقان ، وحسن التصنيف ، وجمع علم الحديث والفقه ، والأصول ، وهو من كبار أصحاب الحاكم أبى عبدالله ، وبه تخرج ، وسافر وجمع الكثير ، وله التصانيف الكثيرة الحسنة».[١]

٩ - وقال السمعانى : " كان إماماً ، فقيهاً ، حافظاً جمع بين معرفة الحديث وفقهه" .

١٠ - وقال ابن ناصر الدين : " كان واحد زمانه ، وفرد أقرانه ، حفظاً وإتقاناً ، وثقة وعمدة .[٢]

ثامنا : منهج الإمام البيهقى :

كان من ثمار اجتهاد الإمام البيهقى وقوة همته فى الحرص على طلب العلم منذ صغره وتنقله بين المشايخ وما يسره الله له من لقاء العديد من جهابذة العلم والمحدثين بعلم أن أعانه الله على جمع كم هائل من العلم والذى بدأ واضحا جليا فى مصنفاته بما اتصفت به من الكثرة والوفرة والتنوع فأهلته لأن يحتل المرتبة الأولى بين علماء عصره ..

واستحق وصف أبى الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارس ، بأنه : الفقيه ، الحافظ ، الأصولى ، واحد زمانه فى الحفظ ، وفرد أقرانه فى الإتقان والضبط، من كبار أصحاب الحاكم ويزيد عليه بانواع من العلوم .[٣]

وقال الذهبى : تصانيف البيهقى عظيمة القدر غزيرة الفوائد قل من جود تأليفه مثل الإمام أبى بكر البيهقى ، فينبغى للعالم أن يعتنى بها[٤] وقد امتازت مؤلفات البيهقى بأنها جمعت بين العلم الحديث والفقه وبيان علل الحديث وكان أول عهده بالتصنيف يرجع إلى (٤٠٦هـ).[٥]

(١) معجم البلدان ١ / ٥٣٨ .
(٢) المنتظم ٨ / ٢٤٢ .
(٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ : ج٣ ص١١٣٢ .
(٤) الذهبى : سير أعلام النبلاء : ج١٨ ص١٦٨ .
(٥) البيهقى : بيان أخطاء من أخطأ على الشافعى ص٣٢٤ م.س

هذا ويذكر الباحث حاتم فؤاد إبراهيم في حديثه عن منهج الإمام البيهقى أنه كان للإمام منهج متميز فى تصنيف الكتب وأنه كان يقوم بنقد المادة العلمية للكتاب وبفحصها قبل اختيارها فيقتصر على الصحيح دون السقيم ، وإنه رحمه الله لم يكن مجرد حافظ يردد ما يحفظه دون وعى أو تمييز بل كان يجمع بين روايته للحديث ودرايته ، وأن القارئ لكتبه يخرج بتصور مؤكد بأنه كان يستعمل درايته فى مروياته ضبطا واستنباطا وتصحيحا وتضعيفا وردا وقبولا وجمعا وترجيحا ولذلك _ طبقا لرأى الباحث _ جاءت مؤلفاته منظمة تنظيما دقيقا وإنها تدل على عقلية منظمة مرتبة ولهذا رأى الباحث أن البيهقى رحمه الله كان شديد الإعجاب بالعمل العلمى المنظم ؛ فقد لفت نظره حسن تصنيف الشافعى ؛ وفى ذلك يقول رحمه الله :إن حسن التصنيف يكون بثلاثة أشياء :

أ- حسن النظم والترتيب .

ب- ذكر الحجج والمسائل مع مراعاة الأصول .

ج- تحرى الإيجاز والاختصار فيما يؤلفه .(١)

تاسعا : مؤلفات الإمام البيهقى :

١- أحكام القرآن :

وهو فى بيان ما يجب علينا معرفته من أحكام القرآن وطبقا لقول الإمام عنه : إذ أن من أدرك علم أحكام الله فى كتابه استدلالا ووفقه الله للقول والعمل لما علم منه فاز بالفضيلة فى دينه ودنياه وانتفت عنه الريب ونورت فى قلبه الحكمة واستوجب فى الدين موضع الإمامة ..(٢)

٢- السنن الكبرى :

موسوعة كبرى فى الحديث النبوى تقع فى عشرة أجزاء وهو من اجل مؤلفات الإمام وبه ذاع صيته فى كل مكان .. وقد جمع فيه السنن من أقوال الرسول ﷺ

---

(١) حاتم فؤاد إبراهيم : منهج الإمام البيهقى فى الدعوة إلى الله ص١٨٦ _ ١٨٧ .

(٢) البيهقى : أحكام القرآن ج١ ص١٩ طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩١م .

وأفعاله وتقريراته وموقوفات الصحابة وما أرسله التابعون مرتبة على أبواب الفقه ..[1]

كما اشتمل الكتاب على جملة كبيرة من أحاديث الآداب والبر والسير والفضائل ...

وقد احتل هذا الكتاب مكانة مرموقة بين المصنفات الأصولية فى الحديث الشريف وأكبرها الأئمة النقاد وأطنبوا فى رفعها والثناء عليها فى حياة البيهقى وأقبلوا عليه لسماعه منه ..

وقد جعله أبو عمر بن الصلاح (ت٦٤٣هـ) سادس كتب السنة فى القيمة والأهمية عوضا عن سنن ابن ماجه ومنحه وصفا خاصا ميزه به على سائر كتب السنن فقال : " وليقدم كل طالب علم العناية بالصحيحين ثم بسنن أبى داود وسنن النسائى وكتاب الترمذى ضبطا لشكلها ، وفهما لخفى معانيها ولا يخدعن عن كتاب السنن الكبير للبيهيقى فإنا لا نعلم مثله فى بابه .. [2]

٣ - السنن الصغرى :

يقع هذا الكتاب فى أربعة اجزاء وهو يتناول موضوع السنن النبوية المروية عن النبى ﷺ وقد وضعه البيهقى مختصرا ليكون فى يد كل مسلم صورة صحيحة متكاملة للتراث النبوى الخالد ..

٤- معرفة السنن والآثار :

يقع الكتاب فى خمسة عشر مجلدا خرج فيه البيهقى ما إحتج به الشافعى من الأحاديث فى الأصول والفروع بأسانيدها التى رواها بها مع ما رواه مستأنسا به غير معتمد عليه او حكاه لغيره مجيبا عنه .. وتظهر أهمية هذا الكتاب لما جمع فيه من أحكام يستدل عليها بما فى الكتاب والسنة ويوازن فيه بين أقوال الفقهاء ويذكر أدلتهم ويبين الصحيح من الضعيف والعلاقة بين الفقه والدعوة[3]

---

(١) حاتم فؤاد : منهج الإمام البيهقى : رسالة ماجستير ص١٨٩ .

(٢) ابن الصلاح : علوم الحديث . ص٢٢٦-٢٢٧ بيروت ١٩٨١م .

(٣) حاتم فؤاد : منهج الإمام البيهقى : رسالة ماجستير : ص١٩٢-١٩٣ .

٥- **مؤلفات الإمام فى العقيدة :**

أ) القضاء والقدر : ويقع فى مجلد واحد ذكر البيهقى فى مقدمته أنه كتاب إثبات القدر والبيان من كتاب الله وسنة رسوله وأقاويل الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين رضى الله عنهم أجمعين(١).

والكتاب يتضمن دعوة المسلم إلى الإيمان بالقدر ليأخذ العدة من حيث أمره الله باتخاذها ، والرجوع إلى الله _ عز وجل _ غاية ما تصبوا إليه الدعوة الإسلامية.

ب) الأسماء والصفات : يشتمل الكتاب على جزئين ذكر فيه الإمام الأحاديث النبوية التى تدعو وتعين على نصر السنة وقمع البدعة ورد كيد المبتدعين والدفاع عن عقيدة المسلمين والزود عن حياضهم ...

والإمام فى هذا الكتاب يثبت أسماء الله وصفاته ويقيم على ذلك الدليل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة (٢)...

ج) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد :يقع الكتاب فى مجلد واحد ألفه الإمام ليبين ما يجب على المكلف اعتقاده والاعتراف به مع الإشارة إلى أطراف أدلته على طريق الاختصار .. ويعد الكتاب تعريفا بعقيدة أهل السنة والجماعة واعتقادها والعمل بمقتضاها وتمييز لها عن عقائد أهل البدع والضلالة .

د) البعث والنشور : وهو فى مجلد واحد وفيه بيان لحقيقة البعث واثباته وفيه تخويف للعباد من الإهمال فى الطاعة وتحذيرهم من العصيان(٣)..

٦- **مؤلفات الإمام فى علم الفقه :**

منها كتاب الخلافيات بين الشافعى وأبى حنيفة ، وفيه يذكر الإمام رأى المسألة المختلف فيها ثم يذكر رأى الشافعى أولا ، ثم رأى الحنفية ثانيا ، وذلك

---

(١) المرجع السابق ص١٩٤ . وللتوسع : البيهقى : القضاء والقدر ص١٠٧ طبع الرياض ٢٠٠٠م .
(٢) المرجع السابق ص١٩٤-١٩٥ .
(٣) نقلا عن الأستاذ حاتم فؤاد عن الإمام البيهقى : ص١٩٦ .

بشكل موجز ثم يعرض أدلة الشافعية ثم يعرض أدلة الحنفية ويناقشها بالتفصيل سندا ومتنا . ويتصف البيهقى فى هذا الكتاب بالمنهجية والحيدة العلمية(١)...

٧- مؤلفات الإمام فى الزهد:

احتل موضوع الزهد مكانة عظيمة فى كتب السنة المطهرة ولذلك فقد أهتم به إمامنا حيث ألف كتاب الزهد الكبير والذى حوى عدة موضوعات من أهمها :

أ- بيان حقيقة الزهد وأنواعه

ب- باب فى الاجتهاد فى الطاعة وملازمة العبودية

ج - باب فى قصر الأمل والعبادة بالعمل قبل بلوغ الأجل . ويعد هذا الكتاب غذاءًا روحيا يبعث الأرواح ويمدها بالغذاء النقى المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما أنه يصلح النفوس برياضتها على الصبر وتذكير المسلمين بحقيقة دنياهم .

٨- مؤلفات الإمام فى السيرة النبوية :

أ) كتاب دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة : يقع الكتاب فى سبعة مجلدات تحدث فيها الإمام عن مولد النبى ﷺ ونشاته وسيرة حياته وبعثته ومعجزاته ودلائل نبوته وبيان أسمائه وصفاته وقدر حياته ووقت وفاته .. وغير ذلك مما يتعلق بمعرفته .. والكتاب يهدف إلى تقوية صلة المسلم العقلية والروحية والعاطفية بالنبى ﷺ وتقوى حبه له(٢).

مؤلفات الإمام فى الآداب والفضائل :

كتاب الآداب :

وهو فى مجلد واحد ، يحوى بين دفتيه موضوعات عدة فى الأخلاق والبر والصلة . وهو دعوة بالحسنى إلى الرقى الأخلاقى ، ودعوة الناس إلى الأمانة والرحمة والصدق .. والكتاب على هذا النحو يعطى كل مسلم صورة صادقة عن

---

(١) المرجع السابق ص١٩٧ .

(٢) حاجى خليفة : كشف الظنون ج١ ص٥٣ .

الآداب التى تحلى بها رسول الله ﷺ ليتأسى بها وليجعلها نورا يضئ له طريقه فى ظلمات الحياة .[1]

كتاب شعب الإيمان :

يقع هذا الكتاب فى عشرين مجلدا على نمط شيخه أبى عبد الله الحسين بن الحسن الحليمى ، فى بيان شعب الإيمان المشار إليها فى حديث أبى هريرة _ رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " الإيمان بضع وستون أو سبعون درجة ، فأرفعها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان "[2].

وقد أورد البيهقى كلامه مفصلا عن كل واحدة من شعب الإيمان مستوفيا أدلتها ، وشارحا لها فى جميع الكتاب ، وقد زاد على كتاب الحليمى ذكر الأسانيد التى عليها مدار الروايات .. وهكذا فإن موضوعات هذا الكتاب لها صلة مباشرة بالدعوة الإسلامية ، خاصة وقد إشتمل على عدد من أحاديث الترغيب والترهيب تلك التى لها أثر بالغ فى الدعوة الإسلامية [3].

كتاب فضائل الأوقات :

يقع الكتاب فى مجلد واحد يضم بين دفتيه أكثر من ثلاثمائة حديث تحث على الصوم وترغب المؤمن فى فضائله وثوابه .. ويعد الكتاب وحدة موضوعية متكاملة هى " الترغيب فى الصوم " ولذا نراه يوضح الأوقات الفاضلة للصيام باعتبارها مراكز للعبادة تمنح المؤمن رصيدا من التقوى والإيمان ، وتجعله صالحا ومؤهلا لخلافة الأرض وتعميرها واصلاحها ، وأنه يجب على المؤمن استغلال هذه الأوقات بالطاعة والعمل الصالح .[4]

---

(١) المرجع السابق ص٢٠٠ _ ٢٠١ .
(٢) اخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ج٢ ص١٠٠ .
(٣) حاتم فؤاد : منهج الإمام البيهقى : ص٢٠١ .
(٤) المرجع السابق ص٢٠٢ .

هذا وبالإضافة إلى المؤلفات السابقة للإمام البيهقى يذكر الباحث حاتم فؤاد مجموعة من الرسائل للإمام كسبل ووسائل سلكها الإمام البيهقى فى طريقه فى الدعوة إلى الله جل وعلا. نذكر منها :

رسالة البيهقى إلى السلطان عميد الملك(١)، بهدف التوسط لديه لرفع الأذى عن الأشعرية ، وإخماد نار الفتنة التى حدثت بين أهل السنة والشيعة وقمع البدع وإبعاد اهلها، وهى تعد دعوة من الإمام إلى الدعاة فى هذا العصر إلى أن ينهجوا نهج نبيهم ﷺ فى إرسال الرسائل إلى الحكام بهدف النصح والتذكير.(٢) وللإمام البيهقى رسالة أخرى بعث بها إلى الشيخ أبى المعالى أبى محمد الجوينى والد إمام الحرمين ، انتقد فيها كتاب " المحيط " للجوينى وهو فى الفقه وكان الجوينى قد نهج فيه على أن لا يتقيد بالمذهب ، فانتقد عليه البيهقى أوهاما حديثية ، وقام بتحرير رسالة قيمة اشتملت على فوائد علمية دعوية .

والرسالة توضح ما كان عليه العلماء الأوائل من الاخلاص والرجوع إلى الحق بعد ظهوره والإقرار بالصواب ، وأنه يجب على الدعاة أن يسلكوا هذا المسلك وينظروا إلى كيفية الرد واستعمال الأدب مع الاكابر ولين الجانب ، ويعلموا أن الحجة إنما تكون بالدلائل النقلية والبراهين العقلية .(٣)

أخيرا : وفاة الإمام البيهقى :

توفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة بنيسابور ، ونقل إلى بيهق فى تابوت حيث دفن فيها، وانفرد ياقوت الحموى بأن وفاته كانت فى " سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وذلك بعد عمر مديد أفناه خادما للعلم وطلابه ، فكان منارة علمية شامخة من منارات العلوم الإسلامية الخالدة .

---

(١) المقصود به السلطان طغرل السلجوقى ، وكان سلطانا صالحا عاملا بالكتاب والسنة . محافظا على الفرائض وكان من بخارى وكان لقومه عدد وإقدام وشجاعة وشهامة .

(٢) المرجع وهو رسالة: حاتم فؤاد عن منهج الإمام البيهقى..

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

الخاتمة

عزيزى القارئ

سعدت بصحبتك الطيبة على أرض طيبة مباركة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة النبوية المباركة فى رحلة عبر بلاد ما وراء النهر ، تنقلنا فيها بين بلاد أنعم الله عليها بنور الإسلام وهديه فأقلعت عن الإفك والشرك والضلال الذى عاشت عليها قرونا فى ظل دولة آل ساسان الفارسية وهداها الله الى دين الإسلام وسنة نبيه ﷺ فأقبل أهلها على العلم والدراسة وحفظ كتاب الله والعمل بتعاليمه وشرائعه وسنة نبيه ﷺ، وأنجبت أئمة وهداة مهتدين حفظوا حديث رسول الله وسهروا على تدوينه وتنقيته وترتيبه وتبويبه ونشر صحيحه بين أمم الأرض فى كتب خلدت أسماءهم ورفعت من قدرهم ومنزلتهم عرفت بالصحاح ... يأتى فى مقدمتها صحيح : البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وأبو داود السجستانى _ وتبعهم وسار على نهجهم الدارمى السمرقندى وابن خزيمة وابن حبان والبيهقى . وسعى هؤلاء الأئمة الكرام سعيا حثيثا إلى شرح أحكام الإسلام السياسية والاجتماعية والأخلاقية فى مئات الكتب... وعلى هذا النحو تأسست علوم الفقه والحديث والتفسير فى القرون الإسلامية الثلاثة الأولى وتصدر الأئمة العشر الكرام هذه الحركة العلمية المباركة وغدت مدارس نيسابور وهراة وبلخ ومرو وبخارى وسمرقند وترمذ وبست وبيهق وسجستان وقزوين ونسا مراكز علمية وثقافية وحضارية مهمة ومنارات مضيئة تربى فيها مئات الرجال من علماء الإسلام الذين حملوا على عاتقهم - فيما بعد - نشر الثقافة والحضارة الإسلامية فى شرق العالم وغربه. وكان علم الحديث بفروعه العديدة على رأس الموضوعات والدراسات المهمة التى حمل عِبْئَهَا ومسئوليتها أولئك الأئمة العشر الكرام مع مئات من تلاميذهم ومريديهم ، وكان من نتيجة ذلك توجه قلوب ملايين المسلمين إلى السنة النبوية المطهرة دراسة وحفظا وتدوينا وتأليفا .. وإحقاقا للحق فإنه ينبغى علينا فى خاتمة هذه الدراسة أن نقول إن نفرا من الإيرانيين _ الذين انضووا تحت لواء الإسلام ورايته وانكبوا

على دراسة علوم القرآن والسنة النبوية المباركة ورفع الإسلام قدرهم وأعلى العلم ذكرهم وبوأهم ما يستحقون من منزلة رفيعة وتقدير سام لما أسهموا به من كتب كان لها تأثيرها فى توطيد أصول وقواعد علوم الحديث خلال القرون الإسلامية الثلاثة الأولى حتى أصبحوا شيوخاً للحديث وأئمة الهدى ومراجع للناس فيما يستفتون وأذكرك بأن إثنان من الأئمة الأربعة للسنة خرسانيان وهما :أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الكابلى والإمام أحمد بن حنبل المولود بمدينة مرو فى منطقة خراسان ، وإن كان قد نشأ أحدهما بالكوفة والآخر ببغداد بالعراق. وإنه ما يزال اسم إمامنا البخارى ونسبه يحمل السمات الإيرانية الواضحة وان جده كان مجوسيا ..

وإن دل ذلك على شىء فإنه يدل على أن الإسلام قد صهر هؤلاء القوم فى بوتقته فأقبلوا بإخلاص وحب على النهل من منابعه الخصبة الطيبة المباركة فانعم الله عليهم بالعلم الصادق والحاذق بكتاب الله وسنة نبيه الكريم ﷺ وأصبحوا جميعا أبناء للثقافة الإسلامية التى انضوى تحتها العرب والعجم ومن سواهم فأخرجوا لنا هذه الكتب التى وصف أحدها وهو "صحيح البخارى" بأنه أصح كتاب على وجه الأرض بعد كتاب الله جل وعلا . وصدق فيهم قول رسولنا الكريم محمد ﷺ: -

(لو كان العلم بالثريا لتناوله رجل من أبناء فارس)

أرجو من الله أن يقبل هذا العمل بقبول حسن

وأن يكون محتواه من العلوم النافعة لعباده

وعلى الله قصد السبيل ,

دكتور/ رمضان رمضان متولى

مدينة نصر فى: ١٢ رجب ١٤٣٠هـ

٤ يوليو ٢٠٠٩م

المؤلف فى سطور

رمضان رمضان متولى

- ولد فى ١٢/ ٢/ ١٩٤١م ـ بمدينة بسيون ـ محافظة الغربية .

- بدأ حياته العلمية والعملية مترجما للغة الفارسية بدار الكتب المصرية .

- بعد حصوله على درجتى الماجستير والدكتوراه - إشتغل بتدريس اللغة الفارسية وآدابها بجامعة وهران بالجزائر .

- عمل مترجما للغة الفارسية بوزارة العدل بالمملكة العربية السعودية ما يربو على العشرين عاماً .

- إختتم حياته الوظيفية فى وظيفة (كبير مترجمين) بالتليفزيون العربى .

- ترجم من الفارسية إلى اللغة العربية منظومة يوسف وزليخا المنسوبة لشاعر الشاهنامة الكبير الفردوسى .

- ترجم من الفارسية إلى العربية كتاب " نوروز نامه " لعالم الفلك والرياضيات عمر الخيام مع دراسة عن عيد النوروز عند الفرس وتأثيره فى الآداب العربية والفارسية .

- نشرت له الهيئة العامة للكتاب مؤلفه الأدبى :قصة يوسف وزليخا فى الأدب الفارسى ومصادرها فى التوراة والقرآن الكريم. وحصل هذا الكتاب على جائزة «كتاب العام» من جمهورية إيران الإسلامية وهى أكبر جائزة أدبية فى إيران سنة ٢٠٠٩م..

المراجع فى سطور :

- ولد فى ٨/ ٨/ ١٩٤١ بالمحلة الكبرى _ محافظة الغربية .
- حصل على ليسانس الآداب عام ١٩٦٣ بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف من كلية الآداب _ قسم اللغات الشرقية _ فرع لغات الأمم الإسلامية .
- حصل على الماجستير فى عام ١٩٦٦م بتقدير جيد جدا فى موضوع "جلال الدين الرومى وكتابه فيه ما فيه " .
- حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٢م بمرتبة الشرف الأولى فى موضوع "عطا ملك الجوينى وكتابه تاريخ جهان كَشاى ".
- شغل منصب رئيس قسم اللغات الشرقية من سنة ١٩٨٣م إلى ١٩٨٩م وفى نفس الوقت شغل منصب وكيل كلية آداب بنى سويف .
- عين عميداً لكلية الآداب جامعة القاهرة فرع بنى سويف من ١٩٨٦م إلى ١٩٨٩م .
- أسس أول مركز فى الشرق الأوسط فى الدراسات الشرقية سنة ١٩٨٩م وكان رئيسا له من سنة ١٩٨٩ حتى ١٩٩٧م.
- عين خبيرا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة للغتين الفارسية والتركية اعتبارا من ١٩٩٢م وحتى الآن .
- رئيس تحرير مجلة " الدراسات الشرقية " التى تصدر عن جمعية خريجى أقسام اللغات الشرقية لمدة ثلاثة أعوام .
- رئيس تحرير مجلة " رسالة المشرق " التى تصدر عن مركز الدراسات الشرقية منذ عام ١٩٩٢م حتى ١٩٩٧م .

المراجع:

أولا : المراجع العربية :-

١ - أبو بكر :

أحمد بن محمد الهمدانى

- مختصر كتاب البلدان _ ليدن ١٩٦٧م

٢ - أبو زهو :

محمد محمد أبو زهو

- الحديث والمحدثون _ مصر _ مطبعة مصر

٣ - أبو الفدا :

عماد الدين أبو الفدا

- المختصر فى تاريخ البشر " تاريخ أبو الفدا " _ مصر ١٣٢٥هـ

٤- تقويم البلدان _ القاهرة _ ١٩٧٩م

٥ - أبو يوسف :

يعقوب ابن إبراهيم

- كتاب الخراج _ القاهرة _ المطبعة السلفية _ ١٩٣٣م

٦ - ابن أبى دنيا :

أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشى

- قضاء الحوائج _ مكتبة ابن تيمية _ القاهرة

٧- ابن أبى يعلى :

أبو الحسين محمد بن محمد الحسين

- طبقات الحنابلة _ القاهرة _ مطبعة السنة المحمدية _ ١٩٥٢م

٨- ابن الأثير :

أبو الحسن على بن الواحد الشيبانى :

- الكامل فى التاريخ _ بيروت _ ١٩٨٧م

٩- ابن أنس :

مالك بن أنس

- الموطأ _ طبع دار الشعب - مصر

١٠- ابن بطوطة :

محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار _ القاهرة -١٩٣٤م

١١- ابن حبان :

أبو حاتم محمد بن حبان

- الاحسان فى تقريب صحيح ابن حبان _ بيروت _ ١٩٨٨م

١٢- ابن حجر :

شهاب الدين أبو الفضل حجر العسقلانى

- تهذيب التهذيب _ دار الكتاب الاسلامى - مصر

١٣- ابن حوقل :

أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى الموصلى

- صورة الأرض _ دار مكتبة الحياة _ بيروت _ ١٩٦٢م

١٤- ابن خرداذبه :

أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الخرسانى

- المسالك والممالك _ مكتبة الثقافة الدينية - مصر
١٥- ابن خلدون :
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى
- المقدمة _ طبع دار الشعب بالقاهرة
١٦- ابن خلكان :
شمس الدين بن خلكان
- وفيات الأعيان _ القاهرة ١٩٤٨م
١٧- ابن عبد البر
أبو عمر يوسف بن عبد البر
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى من روايته وحمله
دار الفكر العربى _ القاهرة ١٩٦٨م
١٨- ابن العماد الحنبلى :
أبو الفلاح عبد الحى
- الاكمال _ حيدر آباد _ الدكن _ ١٩٦٧م
١٩- ابن فضل الله :
ابن فضل الله العمرى
- مسالك الإبصار فى ممالك الأمصار
دار الكتاب العربى - القاهرة
٢٠- ابن الفقيه :
أبو بكر بن محمد الهمدانى
- مختصر كتاب البلدان _ ليدن ١٩٦٧م

٢١- ابن قتيبة :
أبو أحمد عبد الله بن مسلم الدينورى
- المعارف _ مطبعة دار الكتب المصرية _ ١٩٦٩م
٢٢- ابن كثير :
عماد الدين أبو الفدا
- البداية والنهاية فى التاريخ _ مكتبة المعارف _ بيروت ١٩٧٩م
٢٣- ابن ماجه :
أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى
- سنن ابن ماجه _ بيروت ١٩٩٨م
٢٤- ابن ماكولا :
على بن هبة الله
- الاكمال _ حيدر آباد _ الدكن _ ١٩٦٧م
٢٥- ابن ميرزا :
محمد بن ميرزا محمدوف
- التراث الثقافى فى الاتحاد السوفيتى
مؤسسة العصر الحديث ١٩٨١م
٢٦- ابن النديم :
محمد بن إسحق
- الفهرست _ بيروت ١٩٧٨م
٢٧- ابن واضح اليعقوبى
أحمد بن واضح اليعقوبى
- كتاب البلدان

٢٨- الادريسى

الشريف الادريسى

- نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق

مكتبة الثقافة الدينية _ القاهرة ١٩٩٤م

٢٩- الاصطخرى

أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى

- مسالك الممالك _ دار صادر - بيروت

٣٠- الاصفهانى :

حمزة الاصفهانى

- تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء - برلين

٣١- أمين :

أحمد أمين

- فجر الإسلام _ مكتبة النهضة _ القاهرة _ ١٩٥٠م

٣٢- ضحى الإسلام _ مكتبة الأسرة ١٩٩٦م

٣٣- بارتولد :

فاسيلى بارتولد

- تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى

ت : صلاح هاشم _ الكويت ١٩٨١م

٣٤- برون :

إدوارد جرافنيل

- تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى إلى السعدى

ت : الشواربى _ القاهرة ١٩٥٤م

٣٥- برنيا :

حسن برنيا

- تاريخ ايران القديم _ ت : الدكتور السباعى محمد السباعى

والدكتور محمد نور الدين عبد المنعم

مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

٣٦- بزوخازكا :

أمجد أبو جبل :

- عمارة الحضارة الإسلامية _ السعودية ١٩٩٣م

٣٧- البغدادى :

الحافظ أبو بكر أحمد بن الخطيب البغدادى

- تاريخ بغداد _ المكتبة السلفية

٣٨- البغدادى :

إسماعيل محمد أمين البغدادى

- هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين القاهرة ١٩٨٠م

٣٩- البغدادى :

زين الدين أبو الفرج البغدادى

- الذيل على طبقات الحنابلة _ بيروت ١٩٥١م

٤٠- البلاذرى :

أبو الحسن البلاذرى

- فتوح البلدان _ مكتبة الهلال _ بيروت ١٩٨٨م

٤١- بروكلمان :

كارل بروكلمان

- تاريخ الشعوب الإسلامية ت : نبيه أمين فارس _ بيروت ١٩٥٠م

٤٢- تاريخ الأدب العربى :

ت: د / النجار _ دار المعارف _ مصر

٤٣- الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها _ بيروت ١٩٥٠م

٤٤- البيهقى :

أبو الفضل البيهقى

- تاريخ البيهقى ت : يحى الخشاب وصادق نشأت- بيروت ١٩٨٢م

٤٥- البيهقى :

أبو بكر بن الحسين البيهقى

- القضاء والقدر _ الرياض ٢٠٠٥م

٤٦- تركستانى :

محمد أمين تركستانى

- الإعلام لبعض رجالات تركستان _ مكة المكرمة

٤٧- الترمذى :

الإمام أبو عيسى الترمذى

- سنن الترمذى _ دار الفكر للطباعة _ ١٩٨٣م

٤٨- الظاهرى :

إحسان ذنون عبد اللطيف الثامرى

- الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى فى القرون الهجرية الأولى الأردن ١٩٩٠م

٤٩- الثعالبى :
عبد الملك بن محمد الثعالبى
- يتيمة الدهر _ بيروت ١٣٧٧هـ
٥٠- الجاحظ :
أبو عثمان بن عمرو الجاحظ
- التاج فى أخلاق الملوك _ العراق ١٩٧٠م
٥١- الجزائرى :
طاهر بن صالح الجزائرى
- توجه النظر إلى أصول الأثر _ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة
٥٢- الجهشيارى :
محمد بن إدريس الجهشيارى
- كتاب الوزراء والكتاب _ بيروت _ دار الكتاب اللبنانى ١٩٦٤م
٥٣- الجوينى
عطا ملك الجوينى
- تاريخ فاتح العالم " جهان كشاى "
ت : الدكتور / السباعى محمد السباعى _ مصر ٢٠٠٨م
٥٤- الحاكم :
أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابورى
- معرفة علوم الحديث _ مكتبة المتنبى بالقاهرة
٥٥- الحموى
شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى
- معجم البلدان _ بيروت ١٩٥٧م

٥٦- الحوفى :
أحمد محمد الحوفى
- آداب السياسة فى العصر الأموى _ القاهرة ١٩٦٠م
٥٧- الخشاب :
يحى الخشاب
- التقاء الحضارتين العربية والفارسية
معهد البحوث والدراسات العربية _ مصر ١٩٦٩م
٥٨- الخضرى :
محمد الخضرى بك
- تاريخ التشريع الإسلامى _ القاهرة ١٩٦٠م
٥٩- خطاب :
محمود شيت خطاب
- بلاد ما وراء النهر _ دار قتيبة _ بيروت ١٩٩٠م
٦٠- خليفة :
حاجى خليفة
مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى
- كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون _ إستانبول ١٩٤١م
٦١- الخولى :
أحمد حمدى السعيد الخولى
- سجستان بين العرب والفرس _ طبع دار حراء بالقاهرة

٦٢- الخولى:
- العلاقات بين العرب والفرس :
مصر - مكتبة سعيد رأفت١٩٨٢م
٦٣- الدارمى السمرقندى :
الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن
- سنن الدارمى - دار الرياض للتراث بالقاهرة
٦٤- دروزه :
محمد عزة دروزه
- الدستور القرآنى فى شئون الحياة - دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة
٦٥- الذهبى :
الإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبى
- سير أعلام النبلاء _ بيروت ١٩٩٧م
٦٦- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال _ دار الفكر العربى _ القاهرة ١٩٠٠م
٦٧- تذكرة الحفاظ _ دار إحياء التراث العربى
٦٨- الرافعى :
أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعى
- التدوين فى أخبار قزوين _ بيروت ١٩٨٧م
٦٩- سالم :
محمد مصطفى سالم
- بحوث فى مناهج المحدثين
مركز آيات للطباعة _ مصر ٢٠٠١م

٧٠- السباعى :
مصطفى السباعى
- السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى _ دمشق ١٩٦٠م
٧١- السبكى :
تاج الدين عبد الوهاب بن على الكافى
- طبقات الشافعية _ القاهرة ١٩٦٢م
٧٢- السمعانى :
الإمام أبو سعد عبد الكريم بن منصور
- الأنساب _ دار الجنان - مصر
٧٣- السيوطى :
الإمام جلال الدين السيوطى
- طبقات الحفاظ - بيروت ١٩٨٣م
٧٤- طبقات المفسرين _ بيروت _ دار الكتب العلمية ١٩٠٠م
٧٥- لباب الألباب فى تحرير الأنساب _ بيروت ١٩٩١م
٧٦ - الشافعى :
محمد بن إدريس الشافعى
- الأم - دار الشعب - القاهرة
٧٧- الشهرستانى :
محمد بن عبد الكريم الشهرستانى
- الملل والنحل _ القاهرة _ مكتبة الانجلو المصرية
٧٨- صالح
محمد أديب صالح :
لمحات فى أصول الحديث _ دمشق ١٩٩٣م

٧٩- الصفدى :
صلاح الدين ابن أيبك
- الوافى بالوفيات -بيروت - جمعية المستشرقين الألمانية
٨٠- ضيف :
شوقى ضيف
- عصر الدول والامارات _ دار المعارف - مصر
٨١- طاش زاده :
أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة _ بيروت ١٩٨٥م
٨٢- الطبرى :
محمد بن جرير الطبرى
- تاريخ الرسل والملوك - طبع دار المعارف - مصر
٨٣- عبد المطلب :
فوزى عبد المطلب
- توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى _ القاهرة ١٩٨١م
٨٤- عبد المنعم :
محمد نور الدين عبد المنعم
- دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى
طبع دار السعادة - مصر
٨٥- عترا :
نور الدين محمد عترا
- الإمام الترمذى والموازنة بين جامعه والصحيحين
لجنة التأليف والترجمة والنشر _ القاهرة _ ١٩٧٠م

٨٦- عزام :

عبد الوهاب عزام

- الرحلات " الرحلات الأولى "

مطبعة الرسالة _ مصر ١٩٥٠م

٨٧- العمرى :

شهاب الدين أحمد بن يحى الكرمانى العمرى الشافعى

- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار _ مصر ١٣٧٤ هـ

٨٨- غالب :

مصطفى غالب

- الحركات الباطنية فى الإسلام _ لبنان _ ١٩٨٢م .

٨٩- فاخورى :

محمودً فاخورى

-الإمام مسلم بن الحجاج- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- مصر

٩٠- الفارسى :

أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى

- تاريخ نيسابور _ رقم ١٣٦٢هـ / ش

٩١- فامبرى :

أرمنيوس فامبرى

- تاريخ بخارا منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث

ت : أحمد الساداتى _ دار الثقافة والإرشاد القومى بالقاهرة

٩٢- الفراء :

محد بن الحسين الفراء

- طبقات الحنابلة _ دمشق ١٣٥٠هـ

٩٣- فرج :

محمود فرج

- الفتح العربى للعراق وفارس _ بيروت ١٩٨٨م

٩٤- الفرخى :

أبو الحسن على جولوغ السجزى

- ديوان الفرخى _ ت : د / عفاف السيد زيدان _ مصر ٢٠٠٨م

٩٥- القرشى :

محى الدين القرشى

- الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية _ مصر ١٩٧٩م

٩٦- القزوينى :

أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى

- سنن ابن ماجه - بيروت ١٩٩٨م

٩٧- القزوينى :

ذكريا بن محمد القزوينى

- آثار البلاد وأخبار العباد _ دار صادر _ بيروت ١٩٦٠م

٩٨- قطب :

سيد قطب

- فى ظلال القرآن _ القاهرة ١٩٨٢م

٩٩- القلقشندى :

أبو العباس أحمد بن على

- صبح الأعشى _ القاهرة _ هيئة الكتاب ١٩٨٥م

١٠٠- الكتانى :

السيد محمد بن صقر الكتانى

- الرسالة المستطرفة _ مكتبة الكليات الأزهرية - مصر

١٠١- الكتانى :

يوسف الكتانى

- رباعيات الإمام البخارى _ الرباط ١٩٨٤م

١٠٢- الكرديزى :

أبو سعيد عبد الحى الضحاك

- زين الأخبار _ ت : د / عفاف السيد زيدان

المشروع القومى للترجمة _ مصر ٢٠٠٨م

١٠٣- كرستنسن :

آرثر كرستنسن

- ايران فى عهد الساسنيين _ ت : يحى الخشاب _ القاهرة ١٩٥٧م

١٠٤- لسترنج :

كى لسترنج

- بلدان الخلافة الشرقية

ت : بشير فرنسيس وكوركيس عواد _ بغداد ١٩٥٤م

١٠٥- ماجد :
عبد المنعم ماجد
- تاريخ الحضارة الإسلامية _ القاهرة ١٩٦٣م
١٠٦- المباركفورى :
الشيخ عبد السلام المباركفورى
- سيرة الإمام البخارى _ الهند ١٣٤٢هـ
١٠٧- محمود :
حسن محمود
- الإسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والفارسى
هيئة الكتاب _ القاهرة ١٩٧٢م
١٠٨- المزى :
جمال الدين ابى الحجاج بن يوسف
- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال _ بيروت ١٩٩٢م
١٠٩- المسعودى :
أبو الحسن على بن الحسن بن على المسعودى
- مروج الذهب ومعادن الجوهر _ مصر ١٩٦٦م
١١٠- مسلم :
أبو الحسين الحجاج القشيرى
- صحيح مسلم _ مطبعة دار إحياء الكتب العربية _ مصر١٩٧٣م
١١١- المطهرى :
آية الله مرتضى المطهرى
- الاسلام وايران _ ت : محمد هادى يوسف الغروى
طهران ١٩٨٥م

١١٢- المقدسى :

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد

المعروف بالبشارى

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم

مكتبة مدبولى _ القاهرة ١٩٩١م

١١٣- مير خواند :

- روضة الصفا _ ت : د / أحمد الشاذلى _ مصر ١٩٨١م

١١٤- النجار

عامر النجار

- الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة _ القاهرة ١٩٨٨م

١١٥- النرشخى :

أبو بكر محمد بن جعفر النرشخى

- تاريخ بخارا _ ت : أمين عبد المجيد ونصر الله الطرازى

- دار المعارف - مصر

١١٦- النسفى :

عمر بن محمد

- القند فى علماء سمرقند _ الرياض ١٩٩١م

١١٧- النووى :

محى الدين أبى ذكريا _ يحى بن شرف

- شرح الجامع الصحيح _ دار القلم _ بيروت

وشرح صحيح مسلم

١١٨- هاشم :
الحسينى عبد الوهاب هاشم
- الإمام البخارى محدثا وفقيها
- مصر العربية للنشر والتوزيع
١١٩- ولبر :
دونالد ولبر
- ايران ماضيها وحاضرها
ت : د / عبد النعيم حسنين
- القاهرة ١٩٨٥م
١٢٠- اليافعى :
عبد الله بن سعيد بن سليمان اليافعى اليمنى
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان
- دار الكتاب الإسلامى - بالقاهرة
١٢١ - اليعقوبى :
أحمد بن واضح اليعقوبى
- تاريخ اليعقوبى _ ليدن ١٩٨١م

ثانيا : المراجع الفارسية :-

١- اسلامى :
محمد على اسلامى
- مجموعة مقالها أدبى _ طهران ١٣٥٤هـ / ش

٢ - التبريزى :

محمد بن حسين بن خلف التبريزى

- برهان قاطع _ نشر محمد معين طهران ١٩٨٢م / ١٣٣٦هـ/ ش

٣- الرازى :

أمين الرازى

- هفت إقليم _ مخطوط بجامعة القاهرة تحت رقم ٥٩٣

٤- السمرقندى :

أبو طاهر خواجه السمرقندى

- سمرية _ تحقيق إيرج أفشار _ طهران ١٩٨٨م

٥- القزوينى :

ذكريا بن محمد القزوينى

- نزهة القلوب _ طهران

٦- بادشاه

محمد بادشاه

- فرهنك آنندراج _ طهران ١٣٢٥ هـ / ش

٧- باريزى :

إبراهيم باستان باريزى

- يعقوب بن الليث الصفار - طهران

٨- بديعى :

ربيع بديعى

- جغرافياى مفصل ايران _ جاب اقبال بهار _ طهران ١٣٦٧ ش

٩- بهار :
مجمد تقى بهار
- سبك شناسى _ طهران ١٣٣٧ ش
١٠- ثابتى :
سعيد مؤيد ثابتى
- تاريخ نيسابور _ طهران ٢٥٣٥ ش
١١- ثروت :
منصور ثروت
- فرهنك كنايات _ طهران ١٣٦٤ هـ / ش
١٢- خانلرى :
زهراى خانلرى
-فرهنك أدبيات فارسى درى- بنياد فرهنك ايران-طهران-١٢٥٦ش
١٣- دهخدا :
على أكبر دهخدا
- لغت نامه - مؤسسة لغت نامه دهخدا _ طهران ١٣٦٥ هـ / ش
١٤- رنجير :
أحمد رنجير
- مقالات وبررسيها _ طهران
١٥- روملو
حسن روملو
- أحسن التواريخ - طهران

١٦- سعديان :

عبد الحسين سعديان

- شناخت شهرهاى ايران _ طهران ١٣٧٩هـ / ش

١٧- القزوينى :

حمد الله مستوفى القزوينى

- نزهة القلوب _ ليدن ١٩١٣م

١٨- مولوى :

عبد الحميد مولوى

- آثار باستان خراسان - انجمن آثارملى _ طهران ١٣٥٤ ش

ثالثا : المعاجم ودوائر المعارف :

١- الأعلام :

- خير الدين الزركلى _ بيروت دار العلم - الملايين

٢- المعجم الذهبى " فرهنك طلائى "

- محمد التونجى _ بيروت ١٩٦٩م

٣- دائرة المعارف الإسلامية

- مؤسسة دار الشعب ١٩٩٠م

٤- دائرة معارف البستانى

- إميل بطرس البستانى _ دار المعرفة _ بيروت لبنان

٥- دائرة معارف القرن العشرين

- محمد فريد وجدى _ بيروت _ دار الفكر ١٩٧٩م

٦- معجم المؤلفين

- عمرو رضا كحالة _ بيروت _ دار إحياء التراث العربى ١٩٥٧م

٧- قاموس الأعلام

شمس الدين سامى _ استانبول

رابعا : الأبحاث والمقالات :

١- د / أحمد فتحى يوسف شتا

بحث حول جهود الفرس فى ميدان الحديث النبوى

- نشرة كلية الآداب _ جامعة المنصورة _ العدد٥٢ _ أغسطس١٩٩٩م

٢- د / آمال سلامة

بحث عن مدينة نيسابور _ كلية الدراسات الانسانية _ جامعة الأزهر

٣- د / عفاف السيد زيدان

- بحث عن نهر جيحون وأثره فى الشعر الفارسى حتى نهاية القرن الثامن الهجرى

- قدم البحث أمام مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز _ بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر _ القاهرة ١٩٩٣م

٤- د / عفاف السيد زيدان

- بحث عن مدينة سمرقند

- قدم أمام مؤتمر الدراسات الإنسانية عند غير العرب بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر بالقاهرة

٥- د / على جمعة

- بحث عن الإمام البخارى وجامعه الصحيح

- قدم أمام مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر بالقاهرة

٦- د / على جمعة

- مقال عن قضية تدوين الحديث النبوى

- نشر فى جريدة الأهرام القاهرية يوم ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٨م

خامسا : رسائل جامعية :

١- إبراهيم أحمد العسس

- منهج ابن حبان فى مستهل الحديث فى صحيحه

- رسالة ماجستير _ الجامعة الأردنية _ كلية الدراسات العليا _ ١٩٩٢م

٢- إبراهيم شعيب زيدان

- قضايا العقيدة فى فكر الإمام ابن خزيمة

- رسالة ماجستير _ كلية الدعوة الإسلامية بالأزهر _ القاهرة ٢٠٠٨م

٣- آمال حمزة عبد الله

- سمرقند فى الشعر الفارسى

- رسالة ماجستير _ كلية الدراسات الإنسانية _ جامعة الأزهر ١٩٩٠م

٤- جهيدة بو جمعة

- مجتمع سجستان فى ظل الدولة الصفارية

- رسالة ماجستير _ كلية الآداب _ جامعة عين شمس - القاهرة

٥- حاتم فؤاد إبراهيم

- مذهب الإمام البيهقى فى الدعوة

- رسالة ماجستير _ كلية الدراسات الإسلامية _ جامعة الأزهر _ القاهرة ٢٠٠٥م

٦- حسين قاسم محمد

- الإمام ابن ماجه فى سننه

- رسالة دكتوراه _ كلية أصول الدين _ جامعة الأزهر _ القاهرة

٧- رانيا مصطفى سالم

- بخارى فى التاريخ والحضارة

- رسالة ماجستير _ كلية الآداب _ جامعة عين شمس _ ٢٠٠٦م

٨- فتحى أبو يوسف

- أحوال خراسان السياسية والحضارية

- رسالة دكتوراه _ كلية الآداب _ جامعة عين شمس _ القاهرة

٩- فتحية حلمى أمين

- تاريخ كزيده

- رسالة ماجستير _ كلية الدراسات الإنسانية _ جامعة الأزهر _ القاهرة ١٩٩٤م

١٠- هويدا عبد المنعم

- بخارى فى العصر السامانى

- رسالة ماجستير _ كلية الآداب _ جامعة القاهرة ١٩٩١م

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الباب الثالث

الباب الرابع

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. egyptianbook org.eg
E - mail : info@egyptian.org.eg